تاريخ المصريين ٤٣

رحلة فى عقول مصرية

إبراهيم عبد العزيز



رحلة في عقول مصرية

إبراهيم عبد العزيز



الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٩٠



رئيس مجلس الإدارة

د. سمير سرحان

رئيس التحرير

د. عبد العظيم رمضان

مدير التحرير:

عبد العظيم الشبلى

الاخراج الفنى وتصميم الغلاف : أسامة سعيد

تاريخ المصريين

٤٣

تقــديم

الأعمال الفكرية نوعان : نوع يلده صاحبه ، ونوع يستولده آخرون !! والنوع الأول يصدر فى كتب تحمل اسم مؤلفها ، والنوع الثانى يصدر فى تحقيقات صحفية تحمل أسماء أصحابها .

والكتاب الذى بين أيدينا ينتمى الى النوع الثانى ، فهو يشتمل على عدد كبير من المقـابلات الفكرية التى قام بهـا الصحفى النابه ابراهيم عبد العزيز ، مع مفكرين وكتاب وعلماء ، استنطقهم فيها ، واستولد منهم أفكارا لم يكونوا ليلدوها بمحض ارادتهم ، لأنها كامنة فى فكرهم ووجدانهم تنتظر من يتقدم ليخرجها الى النور .

وقد كان من الطبيعى أن أطلب من ابراهيم عبد العزيز أن يجمع لى هذه المقابلات الفكرية الثمينة ، من مواقعها فى مجلة الاذاعة والتليفزيون ، لتصدر بين ضفتى كتاب فى سلسلة «تاريخ المصريين» حتى لا يضيع ما فيها من فكر سدى ، أو على الأقل يتجمد فى مجلدات المجلة ، التى لا ينتظر أن يطلع عليها أحد غير المختصين والباحثين .

وقد كان ما دفعنى الى ذلك ما أعرفه عن ابراهيم عبد العزيز من مهارة فى الاستنطاق والجدل والحوار ، ويقينى بأن مقابلاته ذات أهمية فكرية خاصة ٠

وهذا الكتاب يشتمل على مقابلات فكرية جرت مع عمالقة من أمثال توفيق الحكيم والشيخ الشعراوى ونجيب محفوظ ويحيى حقى وحسين فوزى وخالد محمد خالد وأمينة السعيد ومهدى عـــلام وابراهيم مدكور ، وأحمد بهاء الدين ، ومصطفى أمين ، والشيخ الغزالى ، ويوسف ادريس ، والباقورى ، ومصطفى محمود ، ولويس عوض ، وأنيس منصور ، وآخرون من أهل الفكر والقلم ٠

ومن هنا فانى سعيد أن أقدم للقارىء هذه الباقة الفكرية الذكية فى هذه السلسلة التاريخية عن تاريخ المصريين ٠

رئيس التحرير

أ٠د٠ عبد العظيم رمضان

المقـــدمة

من العجيب أن بعض نجوم حياتنا الثقافية والأدبية والصحفية قد تعرفت عليهم فى بداية عهدى فى شارع الصحافة عن طريق توفيق الحكيم الذى لم أتعرف عليه نفسه الا عن طريقه هو بتواضعه وبساطته المعهودة عندما اتصلت به تليفونيا لاجراء حديث معه ، وكان فى فترة من فتراته التى يعتصم فيها ببرجه العاجى لا يكتب ولا يتكلم ولكنه يفكر ويتأمل ويرصد ما حوله ، فقال ان الحديث غير ممكن ، وأما المقابلة فممكنة بعد شهر ، ولما لم تكن رأس السنة الجديدة لم يبق عليها الا أسبوع فقد اقتنع بالتعجيل بالمقابلة لكى أهنئه بمطلع عام جديد ، ولم يرض أن أخرج من عنده بخفى حنين فقال لى ان بعض الأدباء يجتمعون عنده بمكتبه فى الأهرام ، ويمكننى أن أظفر من مناقشاتهم بشىء أراه صـــالحا للنشر ، وذهبت الى الأديب الكبير وأنا مصمم على أن أظفر منه هو نفسه بحديث كبير فأعددت شرائطى والتسجيل .. وبعد تمنع لم يطل وافق توفيق الحكيم أن يمنحنى كلمة لا تزيد عن العمود وأن يمليها على لأنه يخاف من التسجيل ويصاب بالرعب منه لأنه يخشى أن يقول كلاما فى

البداية يناقضه كلامه فى النهاية فطمأنته أن التسجيل هى سأحتفظ به للذكرى ولا يمكننى أن أكتب على لسانه كلاما متناقضا ، وما ان بدأ توفيق الحكيم حديثه حتى مضى فيه دون توقف الا لأقلب الوجه الآخر للشريط ، وعندما قال لى : ما دمت قد أخذتنى فى الكلام فلنتكلم •

ثم نظر الى فنجان القهوة الذى طلبه لى وقال :

اشرب قهوتك •

وعندما أمسكت بالفنجان قال : أتشربها وهى باردة ؟ !

فوضعت الفنجان مرة أخرى ومضيت فى التسجيل مع توفيق الحكيم الذى أحاطنى بدفء العلاقة مع أننا كنا فى يوم من أيام الشتاء البارد ، رغم أنها كانت أول مرة أتحدث اليه واقابله دون أن يعرفنى أو أعرفه الا من كتبه ، ولم يصدق مجلس تحرير مجله المصور التى بدأت فيها حياتى الصحفية ، التى قابلت توفيق الحكيم وأنه أعطانى هذا الحديث الذى قالوا اننى « فبركته » • وقرأت الحديث على توفيق الحكيم ووقعه بامضائه مع كتاب جديد أعاد طبعه عن « التعادلية) أهداه لرئيس التحرير مكرم محمد أحمد ، زيادة فى توثيق صدقى وأمانتى ، كما أهدانى نسخة من كتابه ، وعندما نشر الحديث بغير اسمى بحجة أننى لم أستأذن رئيس التحرير أولا وأننى لا زلت مبتدئا ولا يجوز وضع اسمى على حديث أجريته مع شيخ المفكرين !

واسانى يومها توفيق الحكيم وقال لى : مهما حدث فان ذلك رصيد لك • وتوطدت علاقتى مع الرجل العظيم منذ ذلك الوقت ، وكان كلما أخرج كتابا جديدا جعلنى أحمله لمن يريد اهداءهم ، ولا أنسى عظمة هذا الرجل عندما طلب منى أن أرشح له أسماء يهديها كتابه الذى أصــدره فى ذلك الوقت وهو « مصر بين عهدين » وفوجئت بأنه يخرج ورقة من مكتبه سجل فيها أسماء الكتاب الذين

قرر اهداءهم كتابه ، وطابقها على الأسماء التى طلب منى ترشيحها ، وكم كان سروره بتطابقها الى حد كبير . وان كنت فى الأسماء التى اخترتها تعمدت أن أختار من أريد أن أقابلهم من نجوم حياتنا الثقافية والأدبية والصحفية .

وكان من هؤلاء النجوم مصطفى أمين الذى انفتح لى الطريق اليه لأننى قادم له برسالة من توفيق الحكيم ، هى الكتاب الذى أهداه الى صديقه القديم ، ولكن فى المرة التالية وكنت قد انتقلت للعمل بمجلة الاذاعة والتليفزيون اعتذر لى سكرتيره ، فكتبت اليه ورقة أوصلها اليه قلت له فيها انه ان لم يسمح لى باجراء حديث معه فسيرفتنى رئيس التحرير ، وجاء لى سكرتير مصطفى أمين يخبرنى بموافقته ، وفى نهاية الحديث وأنا أصافحه قال لى :

ان هذه الحركات كنا نفعلها ونحن صحفيين فى مثل سنك ! .

أما الكاتب الساخر أحمد رجب فقد أعطانى موعدا آخر غير الموعد الذى جئت له فيه وكانت حجته أننى تأخرت عن موعدى دقيقة واحدة ، بدأ فيها فى كتابة كلمته اليومية (½ كلمة) بصحيفة الأخبار . وكانت الساعة الحادية عشرة صباحا ، وكان تعليقه على اهداء توفيق الحكيم ، هو دهشته من أنه لم يصبح عبقريا مثله مع أنه يجلس فى نفس المكتب الذى كان يجلس فيه حينما كان كاتبا بالأخبار ، ولكنه اكتشف أن مكتبه قد وضع فى المكان الذى كان توفيق الحكيم يربط فيه حماره !

★ ★ ★

أما النجم الكبير الآخر الذى وددت أن أقابله فقد كان فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى ، ولسذاجتى ذهبت اليه فى مسجد سيدنا الحسين حين كان يسجل خواطره القرآنية للتليفزيون ، وفى الاستراحة ما بين الحلقتين اللتين كان يسجلهما ، مددت يدى اليه بخطاب أردت فيه أن أدفعه لمقابلتى حين قلت له فيه ، ان الكاتب

الكبير توفيق الحكيم قد قابلني وأعطاني حديثا كبيرا وأتعشم أن يفعل مثله ويقابلني فضيلته ، ولم أدرك وقتها أن ذكرى لاسم توفيق الحكيم يغضبه ويجعله يعرض عني ويرفض مقابلتي ، لأن الرجلين كانا خارجين من معركة شهيرة بسبب أحاديث توفيق الحكيم مع الله ، والذى أجرى معه الحكيم حوارا تخيل فيه أن الله يجيبه ، مما اعتبره الشعراوى ضلالا واضلالا ٠

وبطبيعة الحال لم تتم المقابلة مع الشيخ الشعراوى ، حتى جاءت الفرصة على يد رجل عظيم بسيط آخر هو يحيى حقى الذى كان يفعل معى نفس ما كان يفعله توفيق الحكيم ، حين كان يريد أن يهدى مؤلفاته . وذات مرة قال لى يحيى حقى :

هل تستطيع أن تهدى هذا الكتاب للشيخ الشعراوى ؟

وكان الكتاب هو « من فيض الكريم » ، الذى حملته ليكون مفتاح دخولى للشيخ الشعراوى ، الذى تعجبت كيف أنه لا يعرف أديبا كبيرا كيحيى حقى ، ولكنه أعجب بكتابه وهو يتنقل بين عناوين صفحاته :

لماذا أنا سعيد لأنى ولدت مسلما

فى مولد الرسول

فى سماء المدينة

٠٠٠٠٠٠ الخ ٠

ومع كل عنوان كان الشيخ الشعراوى يقرؤه كان يقول ما شاء الله ٠٠ اللهم صلى على النبى ٠ وطلب منى تليفون يحيى حقى فسجله فى نوتة صغيرة أخرجها من جيبه ثم وضعها فيه ، وراح يدير قرص التليفون على أرقام يحيى حقى ، من الذاكرة ، فقد حفظ الرقم فى

التو واللحظة · وقال للطرف الآخر على سماعة التليفون : هل هذا منزل الأستاذ يحيى حقى ؟

وكان المتحدث هو نفسه ، فقال له الشيخ : أنا محمد الشعراوى · وصلتنى رسالتك الكريمة من رسولك الكريم وأسأل الله كما سعدت بالاسلام أن يسعد بك الاسلام ·

وفى هذا اللقاء الأول مع الشيخ الشعراوى لاحظت غضبه بعد قراءة مجموعة من الرسائل التى وصلته ، سلمها الى أحد حراسه وهو يقول له مستنكرا :

كلهم عايزين معونات ! ·· حولهم للشئون الاجتماعية !

وتمنى الشيخ الشعراوى لو سأله الناس أسئلة دينية أو استفسروا منه عن قضايا اسلامية · وفى لقاء آخر حدثنى الشيخ الشعراوى عن النصابين الذين يأتونه طالبين المال والمعونة ومنهم من أمات أباه وأمه مرات للحصول على تكاليف الجنازة ، فيقول الشيخ لأحد حراسه أن يذهب معه ليقوم بكافة الاجراءات · فتكون النتيجة أن النصاب يجرى مهرولا تسابق قدماه الريح · لقد كشفه الشيخ . فالمؤمن كيس فطن ·· كما يقول الحديث الشريف ·

أما تعرفى على يحيى حقى نفسه فقد استغرق حوالى السنتين حتى يمكننى أن أقابله ، فمنذ أن اعتزل الحياة العامة ووضع قلمه ظنا منه أنه لم يعد عنده شىء يقدمه لقرائه ، وهو قليل الاتصال بالصحافة والصحفيين ، وقد صبرت وثابرت على الاتصال بالرجل من وقت لآخر طوال هذين العامين وأنا أبدى رغبتى فى دوام مثل هذا الاتصال الهاتفى للاطمئنان عليه والسؤال عن الأحوال والصحة ، ويبدو أنه أشفق على فقال لى :

هل تريد أن تقابلنى ؟

قلت له : هذا هو منتهى المنى والطلب ٠

فقال لى : اقرأ كتابى « ناس فى الظل » ثم اتصل بى فى الأسبوع القادم ٠

ويبدو أن عنوان هذا الكتاب ، كان أفضل تعبير عن حال يحيى حقى نفسه . الذى اختار البقاء فى الظل مع أبطال كتابه ، لاهتمامه بأن يكون محامى البسطاء ، ولذلك كان انتقاده الشديد للصحف لاحتفاظها بأسماء المشاهير وعلية القوم اذا ارتكبوا جرما أو قاموا بعمل مشين ، بينما تقوم نفس الصحف بالتشهير ببسطاء الناس اذا ارتكبوا نفس الأعمال ، وكتابة أسمائهم وعناوينهم ونشر صورهم بحيث تكون فضيحتهم بجلاجل ٠

واتصلت بيحيى حقى فى الأسبوع التالى وراح يسألنى عن مضمون كتابه وكأنه يجرى لى امتحانا قبل مقابلته ٠

- ويبدو أننى نجحت فى الاختبار ، فحدد لى موعدا للقائه وقال لى : اذا كنت ستركب تاكسى وأنت قادم الى فلا تأت ! ٠

فقلت له : لا وسيلة لى سوى الأوتوبيس لأننى لا أقدر على تكاليف التاكسى ٠ واكتشفت من يحيى حقى نفسه أنه كانت له زمان سيارة تعهد بها أوتوبيسا كان يمر من أمام بيته ، فكان يسير وراءه بسيارته ليستدل منه على منزله ، وذات يوم سار يحيى حقى وراء نفس الأوتوبيس فوجده قد غير مساره على غير العادة ، ليجد يحيى حقى نفسه فى النهاية قد سار وراء الأوتوبيس الى الجراج !

★ ★ ★

ونفس البساطة التى يعهدها الانسان فى رجل كيحيى حقى يجدها فى صديقه نجيب محفوظ الذى كان مرءوسا له فى مصلحة الفنون ، وكان نجيب محفوظ يصر على القيـام بواجبات التحية

لرئيسه يحيى حقى الذى يبدو أنه لاحظه يبالغ فيها فنهاه عن ذلك ، لأنه ليس مجرد موظف بل هو أديب له شأنه وقيمته ٠

واذا كان الشيخ الشعراوى قد تنبه للنصابين ، فان نجيب محفوظ قد وقع ضحية نصاب كبير أعطاه تحويشة عمره مقابل شقة أراد الاقامة فيها بمنطقة « المعادى » ، ولكن اختفى النصاب واختفت تحويشة العمر ، فأصيب نجيب محفوظ بمرض السكر فى مرحلة مبكرة من حياته وظل يلازمه دائما ، ولذلك فان حصوله على جائزة نوبل كان يمثل له متعة معنوية لا مادية ٠

وظل نجيب محفوظ على بساطته المعهودة فيه لا يرد سائلا لحديث ولا راغبا فى مقابلته ، الى درجة أن توفيق الحكيم بنفسه قد طلب منه أن يقلل من هذه المقابلات الصحفية رفقا بنفسه وحتى لا يبتذل !

ولكن نجيب محفوظ عاشق الحارة المصرية التى أوصلته الى العالمية لم يكن يحب أن يغضب أحدا ٠

وعندما شعر ذات مرة أنه أغضبنى حين طلبت منه حديثا أثناء هوجة نوبل فلم يوافق الا أن يكون الحديث فى الأهرام والذى لظروف الضغط الصحفى أصبح الوقت المسموح به للمقابلة محدود الزمن ، فاذا به فى اعتذار عملى يحدد لى موعدا خاصا فى قهوته المفضلة « على بابا » فى ميدان التحرير وسجلت معه لمدة ساعتين فى نفس اليوم الذى كان عليه فيه أن يسافر لاستلام جائزة نوبل فأرسل ابنتيه واعتذر لعدم قدرته على السفر ، ويوم نشرت على لسانه أنه قد يأتى يوم يكتب فيه خالد محمد خالد أو مصطفى محمود ، أو الشيخ الغزالى ، أو د٠ أحمد كمال أبو المجد ، مقدمة لروايتــه الممنوعة « أولاد حارتنــا » ، أبدى خالد محمد خالد استعداده ٠ وخالد محمد خالد هو نوع نادر من الرجال ٠

أذكر أن أول حديث أدلى به لصحيفة مصرية بعد فترة انقطاعه ، كان معى . حين اعتزم استئناف نشاطه بمقالات بدأهـا بمجلة المصور ، وأعطانى حديثا لمجلة الاذاعة والتليفزيون ، وكان لقائى الأول بالرجل لقاء حميما وكأننا قد تعارفنا منذ وقت طويل ، فقبل أن يوشك الوقت المسموح به لصلاة المغرب أن ينقضى قدمنى أنا لامامته فلما أبديت دهشتى ، قال ان ذلك يجوز شرعا ، أن يتقدم المفضول ، الأفضل ، وأن لديه عذرا يمنعه من الامامة لعدم قدرته على الصلاة واقفا وسيضطر للصلاة جالسا بسبب ظروفه الصحية ولا تجوز الامامة للمصلى الجالس . ووضعتنى الظروف فى هـذا الموقف الرهيب وظللت أصلى بشيخنا وامامنا خالد صلاة العشاء أيضا !

ولا اختلاف على استنارة خالد محمد خالد وشجاعته موقفا ورأيا . جعله يطالب بالديمقراطية فى مواجهة عبد الناصر نفسـه ويلح عليها . وينتقد التجاوزات التى وقعت دون أن يمسـه أحد لاعتقاد عبد الناصر أنه معارض بلا غرض أو منفعة ولا بغية له الا وجه الله والحرية التى عاش لها ومن أجلها . وكم سعدت بلقاءات خالد محمد خالد خارج نطاق العمل الصحفى يتحدث فيها حديثا لا يمله السامع ، وكانت له آراؤه الصائبة وفتاواه المقنعة ، وأرجو أن يأذن لى هنا بواحدة من الفتاوى التى يؤكد أنه يفتيها لنفسه فقط ، فلظروفه الصحية التى لا تمكنه من الذهاب لحضور صلاة الجمعة بالمسجد ، فانه لا يفوته ثواب تلك الصـلاة لأنه يقيمها مع المقيمين لها أثناء اذاعتها فى التليفزيون أو الاذاعة .

وخالد محمد خالد بذلك يؤكد يسر الاسلام وسماحته حيث يقف على رأس كوكبة من أساتذتنا وعلمائنا الداعين الى هذا اليسر وتلك السماحة ، كالشيخ الغزالى ، والشيخ الباقورى .



وإذا انتقلنا من نجوم الأدب والدين والصحافة ، الى نجوم التاريخ والسياسة . فانني أذكر سلسلة من الأحاديث مع نجوم السياسة في بلدنا اعتزمت القيام بها معهم بعيدا عن السياسة ، ولكنها بدأت وانتهت بفتحي رضوان ، فبعد أن قمنا بتصويره واجراء الحديث معه ، امتنع عن نشره رئيس التحرير ، وربما كانت له ظروفه كصحيفة قومية ، ولكنني لم أفهم الظروف التى منعت عادل حسين رئيس تحرير صحيفة « الشعب » المعارضة حين أهديته له بعد موت فتحي رضوان الذى كان أحد الكتاب البارزين فى نفس الصحيفة .

ولم تبدأ علاقتى بفتحى رضوان مع هذا الحديث ، فقد كان من أوائل من اتصلت بهم فى بداية عملى بمجلة « المصور » حين طلب منى استطلاع رأى بعض الشخصيات العامة فى بيان الحكومة الذى ألقاه د. فؤاد محيى الدين رئيس الوزراء آنذاك ، وكان من تلك الشخصيات فتحى رضوان الذى اعتذر للزميل رئيس قسم الأخبار « ممدوح مهران » لاقتناعه بأن كل بيانات الحكومة منذ أول خطاب للعرش ألقى فى سنة ١٩٢٤ وكل ما تلاه من دستور ، أو بيان ٣٠ مارس ، أو ورقة أكتوبر ، أو الميثاق ، وغيرها ، لأنها كما يرى ليس فيها شيء ينفذ مما ورد بها ، ولكن الزميل رئيس القسم ألح يطلب رأى فتحى رضوان فى بيان الحكومة فطلب مهلة طويلة وافق على تقصيرها ، ووعد مضطرا بأن يبدى رأيه ملتمسا من الله العون لقراءة البيان الذى هو أطول من ليالى الشتاء ، كما قال . ولظروف ما تخلف زميلى عن تلقى رأى فتحى رضوان ، فتلقيته منه تليفونيا ، حتى حضر الزميل رئيس القسم المسئول عن التحقيق الخاص ببيان الحكومة ، فوجد أن لا شيء مما قاله فتحى رضوان ـ وهو قطب كبير من أقطاب المعارضة ـ يمكن نشره فى

مجلة « المصور » القومية ، واستقر الأمر على اجتزاء رأى فتحى رضوان بحيث يتم الابقاء على أخف ما به ·

وكان متعلقا بمشكلة « الفكة » سنة ١٩٨٢ ، حيث كان الباعة يتعـــاملون مع المواطنين بعلب الكبريت والاسبرين وقطع الحلوى كبديل للعملة التى ندرت « الفكة » منها · وفوجىء فتحى رضوان ، بنفسه فى ذيل صفحتى التحقيق عن بيان الحكومة ، واذا برده قد تقلص وانكمش فأصبح ثلاثة سطور معنونة « الوعود تتحقق » ، واذا بكل ما قاله قد سقط ما عدا حديثه عن أزمة « الفكة » ، مما جعل كثيرون يتعجبون من أمره اذ ترك الدنيا الهائجة المائجة ولم يجد ما يستحق التعليق الا « الفكة » ، مما اضطر معه فتحى رضوان الى توضيح رأيه فيما حدث شاكيا « المصور » الى قرائه ، مما جعل رئيس التحرير يعتذر اليه شفاهة ، ، وبشكل عملى باعادة عرض رأيه فى العدد التالى ·

ومن الأحاديث التى كان لهـــا صـدى الحديث مع المؤرخ العسكرى « جمال حماد » الذى ذكر أن المبدأ السادس لثورة يوليو الخاص باقامة حياة ديمقراطية سليمة لم يتحقق الا فى عهد الرئيس مبارك · وذكر لى أن الرئيس بنفسه قد سر لاقرار هذه الحقيقة · ولكن الحديث مع مؤرخ سياسى هو د· عبد العظيم رمضان قد أثار عليه الهجوم والشـتائم لأنه لا يسـلم بالشـائع من المعلومـات التاريخية ، بل يحققها بالوثائق ليصـل الى الحقيقة التى غالبـا ما تصـــدم الكثيرين فيلجأون لمهاجمتها هروبا من مناقشتهـــا واستيعابها ، كتلك الحقيقة المتعلقة باتفاق أحمد عرابى مع الخديو توفيق على الثـــورة للتخلص من وزارة رياض التى لا يحبهـــا الخديوى ، ولكن الثورة تطورت الى ما انتهت اليه ولم يمكن لأصحابها الامساك بزمامها أو السيطرة على قيادها ·

ولم يكن الهدف من هذه المقابلات مجرد الحديث فقط بل كانت بهدف استجلاء حقيقة ، أو التعرف على شخصية معينـة من خلال عرض قضايا يهم القارىء التعرف عليهـا من خلال هـــذه الشخصية أو تلك ، وقد تكون هناك بعض الشخصيات غير المعروفة أو المشهورة ، ولكن بالتأكيـد لهـا موقف ولهـا دور ورأى ٠ فشخصية كمحافظ عبد الوهـاب من جيل الرواد الاذاعيين هو مؤسس أول اذاعة محلية في مصر ولذلك قصة وحكاية ، حيث أصبحت الآن في عصرنا ثورة الاذاعات المحلية تلعب دورهـا في عملية التنمية في العصر الحديث ٠

وهناك شخصيات تعمل في صمت وفي الظل كان يجب أن نستدعيها هنا الى دائرة الضوء ، كالدكتور مهدى علام نائب رئيس مجمع اللغة العربية الذى اختير يوما ليكون معلم الأمير فاروق الذى صار بعد ذلك آخر ملك تشهده مصر ٠

والدكتور ابراهيم بيومى مدكور رئيس المجمع اللغوى والذى يطلقون عليه شيخ الفلاسفة ، والذى يصعب الحديث معه لظروف تتعلق به ، ولظروف تتعلق بامكانية استخراج تاريخه الذى يحمله بين جنبيه ، ولذلك استغرق التسجيل معه شهورا لم يكن يوافق على ألا تزيد مدة الحديث عن ثلث ساعة ، ومع ذلك أمكن خلال عدة لقاءات أن نستخرج منه الكثير الذى ينشر لأول مرة ٠

والسلاح الوحيد الذى يجب استخدامه في مثل هذه الحالات هو الصبر والمثابرة فضلا عن فهم الشخصية المطلوب التحاور معها والقراءة لها أو عنها لكى يمكن فتح مغاليقها وفك رموزها أو حل شفرتها ٠

وقد أتيح لمعظم هـذه الأحاديث أن تنشر والفضل للأديب

الروائى محمد جلال رئيس تحرير مجلة الاذاعة والتليفزيون يوم أن نشرت تلك الأحاديث .

وبعضها لم يتح له النشر ولذلك يصبح الفضل فضلين للدكتور عبد العظيم رمضان الذى أتاح لما نشر وما لم ينشر فرصة نشره فى هذا الكتاب ، وهذا فضل له ، وأما الفضل الآخر فلأنه صاحب الفكرة التى تحولت الى واقع أرجو أن يرضى عنه القارىء ويرضى له حين ينتهى من آخر صفحة من صفحاته .

ابراهيم عبد العزيز

● توفيق الحكيم :

اقتراح للحكومة والشباب المتطرف

★★ شاهد من شهود هذا العصر . قالوا انه يعيش فى برجه العاجى ، منذ بداية الطريق . يرقب كل شىء . يرقب حركة الانسان المصرى ، فيكتب « عودة الروح » يسجل فيها حركته فكرا وتاريخا . يرقب حركة السلطة والمجتمع ، فيكتب « السلطان الحائر » يشغله المسرح . كأكبر رواده . فيقدم « الصفقة » كتجربة فريدة فى اختيار اللغة . تؤرقه معركة اليوم وحركة الانسان داخله ، فيكتب « الطعام لكل فم » . يدخل مع المرأة فى صراع ، حتى يقال انه عدو المرأة ، فيكتب مسرحه الاجتماعى كله . لم يكن برجه العاجى ، من حديد يعزل رؤيته لبلده . انما كان مزودا « برادارات » شديدة الحساسية يسجل من خلالها كل شىء .

هكذا ، ظل توفيق الحكيم ، شاهد عصره منذ البداية . وهو الآن ، عندما يدعى الى حديث يفضل أن يكون مستمعا ، لا متكلما ، كما يقول . لكننا استطعنا أن ناخذ الحكيم من صمته ، ليكون متكلما ، أكثر منه مستمعا . وليقول شهادته على معركة اللحظة . المعركة الاجتماعية التى يخوضها شعبنا ، بناء من جديد : فثمة تطرفات حدثت . وثمة محاولات ، لبعث جديد ★★ .

● أستاذنا الحكيم .. من حيث كونك شاهد عصر ، ماذا فى خاطرك الآن ، ونحن نمر بمرحلة هامة من مراحل تاريخنا المعاصر ؟ .

يقول شاهد العصر توفيق الحكيم :

● الذى يجول فى خاطرنا جميعا هو بناء الانسان المصرى . وبناء الانسان المصرى هذا ليس فى أن نخترع لعقولنا شروطا أو

مواقف معينة يكفى أن نرجع الى عصر الاسلام الأول حينما جعل النبى صلى الله عليه وسلم من قريش هذه المجموعة الصغيرة الجاهلة نواة للأمة الاسلامية التى هى « خير أمة أخرجت للناس » كما جاء فى القرآن الكريم ·

ونحن بالقياس الى قريش أحسن وضعا · ولكننا فى حاجة الى أن نبحث ونحلل كيف تحول الرسول بمجتمع الجاهلية الى مجتمع المدنية والحضارة من منطلق الاسلام الذى أصبح يشمل بنوره وبحضارته وبقوته المادية والروحية قطعة من الأرض تعتبر هى العالم فى شموله فى ذلك الوقت · بينما كانت أوربا فى القرون الوسطى غارقة فى ظلمات الجهالة · ولم تستطع أن تخرج من جهالتها الا بفضل الاسلام وعلماء الاسلام ، الذين أحيوا حضارة العالم القديم بما ترجموه من كتب وما أضافوه اليها من علمهم حتى أصبح الاسلام حضارة قوية متميزة وقد تم ذلك فى فترة قياسية لم تتجاوز المائتى عام · بينما كان على أوربا أن تنتظر ألف عام حتى تتحول الى أمة ذات حضارة ·

أعتقد أن ما صنعه الرسول صلى الله عليه وسلم كان من أهم معجزاته ·

● ● هل نقول اننا نحيا فى عصر مختلف عن عصور الجاهلية ، ثم الاسلام بعدها ؟! ·

● نحن بالقياس الى المجتمع الجاهلى قبل الاسلام أحسن حالا · وحينما صنع الرسول من الأمة الجاهلة أمة متحضرة · لم يحقق هذا بين عشية وضحاها · ولكنه حققه بعد معارك طويلة وكفاح مرير · تعرض خلاله للقتل قبل الهجرة · وتعرض خلاله للهزيمة بعد أن استقر فى المدينة · · ولكنه مع ذلك كان مصمما على أن تنتصر مبادىء

الاسلام التى بعثه الله بها ليخرج الناس من الظلمات الى النور . وانك لتلمس هذا الاصرار منه صلى الله عليه وسلم فى قولته الرائعة حينما حاولت قريش اغراءه بالمال والمنصب والسيادة .. لقد رفض كل هذا وقال : « لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه » .

● ● هذا يعني أننا في حاجة الى تصور جديد ، لبناء مجتمع جديد ؟ .

● أن نتلمس المبادىء التى جاءنا بها الاسلام ونحاول الالتزام بهـا قدر الامكان . لأن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : « تركت فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبدا كتاب الله وسنتى .

خذ لذلك مثلا ، مسألة النظافة . التى قال الاسلام فيها : « النظافة من الايمان » . فكيف نرى هذا الشعار البسيط مطبقـا الآن ؟ لقد تحول شعار النظافة من الايمـان الى شـعار القذارة من الايمان . ولو كان النبى صلى الله عليه وسلم فى عصرنا الحاضر ماذا كان سيقول علينا حينما يرى شوارعنا وبيوتنا وحاراتنا وما فيها من قذارة وما يحيط بها من أكوام الزبالة وأنهار المجارى !! بل لو رأى كل ذلك من هم من غير المسلمين . لن يصدقوا ان الاسـلام فيه ذرة مما قيل عنه من أنه يعتبر النظافة من الايمان .. وكيف يمكن لهم أن يصدقوا ذلك وهم يروننا فى سلوكنا وأفعالنا نناقض كل ما يأمر به الاسلام .

● ● هذا التصور ، من يقدمه . ومن يحميه ، ومن المسئول عنـه ؟

● رجال الدين أولا وأخيرا هم المسئولون فى الاغلب فى أن

الشباب الغيور على دينه لجا الى العنف لانه وجدهم لا حول لهم ولا قوة ٠ وقد أهملوا مسئولياتهم فى توجيه الشباب والتفتوا الى الدين من حيث هو شعائر ونصوص وحلال وحرام ٠ وكلام ليس له دخل فى المهمة الحقيقية التى يجب على رجال الدين القيام بها لأنهم الورثة الحقيقيون للنبى صلى الله عليه وسلم فى أن يحتفظوا بالأمة الاسلامية كخير أمة أخرجت للناس بعد أن ارتفع بها الرسول من محيط الجاهلية ٠ وليس هذا تاريخا مضى وانتهى أو ان عصر الخروج من الجاهلية هو عصر واحد بل انه فى كل عصر نوع من أنواع الجاهلية ٠ ولذا يجب على رجال الدين أن يباشروا مهمتهم فى الخروج بمواطنيهم من جاهلية العصر الذى يعيشون فيه ٠

ان عصرنا الحاضر رغم بريق الحضارة والمدنية فيه الا أنه يحمل بين طياته عوامل انهياره ٠ فماذا يبقى لنا بعد الانهيار الا المبادىء والقيم التى نادى بها اسلامنا ، ونادى بها نبينا ٠ لأن القيم والمبادىء لا تتغير فى أى عصر من العصور ٠ فاذا ما احتفظنا بها كان ذلك لنا حصنا يقينا من شرور العصر وجاهليته ٠

ان واجب رجال الدين فى هذا ان يبصروا الناس خاصة الشباب ٠ ولكن الذى حدث ان رجال الدين تناسوا مهمتهم ٠ أو انهم أهملوها فلم يعد الدين فى نظرهم الا طقوسا وشعائر وأصواتا جميلة تقرأ القرآن وأشياء أخرى ليس لها مساس بالاسلام ٠

نتج عن ذلك أن الشباب شعر بهذا النقص وشعر أن هذا ليس هو الاسلام ٠ فحاول من نفسه أن يسد النقص ويصحح الأوضاع ٠ ولكن مع الأسف الشديد ٠ وهذه أقولها ، ان الشباب أخطأ الطريق بلجوئه الى العنف ٠ والى عكس ما أراده الاسلام باستخدامهم القتل والارهاب وكل ما لا يقره الاسلام فى صميمه وفى جوهر وفسروا الآيات على أن من واجبهم ان يغيروا بالقوة ٠ ولكن العذر لهؤلاء

الشباب أنهم أقل ادراكا من أن يفهموا الاسلام الفهم الصحيح ٠ لأن أحدا لم يعلمهم ولم يوجههم التوجيه السليم ٠ فلجأوا الى العنف متهمين الدولة بالتقصير ٠ وأنها بما تملك من قوة السلطة قادرة على أن تحدث تغيير المجتمع الى الطريق الصحيح ٠ مستندين فى ذلك الى الحديث الشريف القائل « بأن الله يزع بالسلطان مالا يزع بالقرآن » ٠ وأن الدولة تسير خلف المجتمع الواسع من الجهلة ٠ ومن الناس الذين لا اهتمام لهم الا أنفسهم وملاهيهم ٠ مما يجعل من المجتمع أداة لهو وأداة تقصير وأداة اهمال ٠

٠٠ ان على رجال الدعوة الاسلامية هنا أن يدركوا هذا ٠ وان الدين الحقيقى هو أن يكون المجتمع أرقى مما هو ٠ وخير أمة فعلا ٠ وما الطقوس والشعائر الدينية الا تقوية وتدعيم للشعور بهذا الواجب٠ ولكنهم نظروا الى مظهر الدين وليس الى جوهره ٠ وتركوا الشباب حائرا لا يجد من يقوده فقاد نفسه وكانت النتيجة التى يعرفهـــا الجميع ٠

● ● اذا كان هذا هو دور رجال الدين ٠ فما هو دور أهل الفكر فى معركة بناء الانسان المصرى ؟

● المفكرون ليس لهم سلطة الا الكتابة ٠ والكتابة أقل من أن تكون لها القدرة على تغيير شيء ٠ والكتاب كبشر يقولون هل نحن سنصلح الكون ؟ ولكن الذى له القدرة على التغيير هو السلوك نفسه ٠ والبرامج فى الاذاعة والتليفزيون ٠ اذ يكفى أن الناس ستشاهــد وتسمع ما يرقى بأذواقهم وما يقربهم من دينهم لا ما يبغضهم فيــه بالنصائح والمواعظ ٠ ان الدين أولا وأخيرا هو السلوك القويم فى البيت وفى الشارع وفى المأكل وفى المشرب وفى الملبس وفى العلاقة بين الناس ٠ هكذا يكون الدين ، ينقل المجتمع الى مجتمع سلوكيات وليس الى مجتمع ببغاوات ينطق أفراده ألفاظا دون أن يدركوا معناها ٠

والبداية من البيت • ولـكن الدور الأكبر يقع كاهله على المدرسة •

غير أن المدرسة للاسف لا تقوم بدورها كما ينبغي أن يكون • ودعك مما يدرسونه من مواد دينية • وأخوف ما أخافه ادخال الدين فى المدارس كمادة أساسية • لانني أسمع من أولياء الأمور انهم يجدون أولادهم فى حالة خوف شديد ومشقة شديدة من ادخال الدين فى المدارس كمادة أساسية • لأن المسئولين عن التعليم لا يختارون فى المقرر الدينى الا أصعب الآيات لغة ومضمونا • وهذا مما ينفر من الدين أكثر مما يحبب فيه • بينما فى جيلنا كنا نحن أنفسنا نقبل على حصة الدين لأن الدين كان يصور لنا بصورة مبدعة • فكانت الآيات المقررة قصيرة وبسيطة تتدرج بعد ذلك مع مداركنا وأفهامنا كلما صعدنا درجة من درجات الدراسة • كما كان الاستاذ أو الشيخ الذى يدرس لنا يروى لنا قصص الأنبياء بطريقة تستهوينا • لهـذا لم نكن نشعر أبدا أن الدين شيء صعب مثلما يحدث اليوم • مع أن الدين بسيط فى تعاليمه • ويجب أن يكون كذلك بسيطا فى طريقة تناوله للطلبة • وهذه هى البداية لتربية سلوك يتمشى مع طبيعة الاسلام وبساطته • وبهذا يكون الدين اداة للرقى • وبذلك تتخرج لدينا اجيال تتفهم المعنى الحقيقى للاسلام ، ولكن ما يحدث عكس ذلك تماما فليس فى برنامج المدرسة ما يدل على مباشرة هـــذا السلوك •

● ● هناك واقع آخر ، يفرض نفسه الآن على الانسان • بل انه يكاد يكون أشد تاثيرا • الا وهو أجهزة الاعلام ؟

● لا شك أن الاذاعة والتليفزيون أكبر الوسائل وأقواها فى توجيه السلوك الاجتماعى لانها موجودة فى كل بيت • غير أن الواقع الاليم يدل على استغلال هذه الأجهزة أسوأ استغلال • فتجد الاغانى

الخليعة التى لا يمكن لاى انسان يحترم نفسه أن يسمعها • وكلمة حبيبى التى أصبحت كلمة مستهلكة تتكرر دون أى داع لها • ثم نجد المبتذلات في المسلسلات السخيفة ، وانتشار المسرحيات الهزلية ، فاجد الناس يضحكون • ولا أدرى على أى شيء يضحكون ، بعكس ما كان في أيامنا حيث كانت مسرحيات شكسبير تعرض حتى فى القرى ، وكان الشيخ سلامة حجازى له فرقة يضع لها ألحانا راقية • فكان هناك الفن الراقى رغم ان الناس أيامها كانت تنتشر بينهم الأمية بطريقة لا يمكن مقارنتها بما هو موجود الآن ومن هنا يمكن أن تشعر الى أين تسير أجهزة الاعلام بهذا المجتمع •

وما أراه هو أن كل شيء يعرض على الجمهور يجب أن يكون تحت التحليل والدراسة • من واقع هل هذا يرقى بالناس أو ينحدر بهم • وليس أبدا كما نحن سائرون الآن • خصوصا الدولة التى تنظر ماذا يريد المجتمع ! وما الذى يريده الأفراد ! وما الذى يساهم فى امتاع الناس ! وهذه نقطة خطيرة • ان الدولة كلها وأدواتها تسير خلف المجتمع فى احط مظاهره • مع أن نصف الجماهير ليس لديها الوعى الكافى • وهنا يجب على الدولة بأجهزة الاعلام فيها أن تقاوم اللاوعى عند الجماهير • ولذلك أقترح تكوين لجنة من المتخصصين المثقفين ورجال الدين أو العقلاء ليقولوا لنا هل ما يسمعه ويشاهده الناس يرقى بالناس ويجعلنا فعلا خير أمة أخرجت للناس ! أو على الأقل أمة محترمة ؟ ثم تضع هذه اللجنة ما هو ضرورى للانسان المصرى الذى نريد بناءه •• تماما مثل نوعية الطعام التى يجب على الانسان تناولها بالقدر الذى يمتعه ويشبع حاجاته الضرورية من جميع العناصر الغذائية التى يحتاج اليها الجسم • كذلك ننظر ما هو ضرورى للعقل فنرى ما يجب أن نصر عليه كضرورة ونقدمه للناس • ولذلك يجب وضع برامج مدروسة على أساس الدين وعقلية الناس ومستوى تعلمهم •

ولهذا يجب أن نلغى شعارا ونضع مكانه شعارا ٠

نلغى شعار ـ « الجمهور عايز كده » ، ونضع بدلا منه شعار ـ ما الذى يرقى بالجماهير لنقدمه لها ٠

لانه ليس من المفروض أن نسير وراء متعة الجماهير ٠ ولكن نسير وراء الارتقاء بهـا ٠ مع وجود المتعة أيضا ٠ لأن الفن الجيد هو الذى يجمع ما بين المتعة والارتقاء بالذوق الانسانى ٠ وانك لتجد الاسلام لا يحرم الاستمتاع بملذات الدنيا ٠ ولكن بما يرقى بهم ٠ ولهذا كان النبى صلى الله عليه وسلم يتسامح فى ترديد الاغانى ٠ فقد مر بجارية وهى تغنى قائلة : « هـل على ويحكم ـ ان لهـــوت من حرج » ٠

فقال صلى الله عليه وسلم : لا حرج ان شاء الله « ولكن أى لهو هذا الذى سمح به الرسول ٠ انه اللهو البرىء ٠ كذلك عندما انتهر أبو بكر جاريتين كانتا تغنيان وتضربان بالدف فى بيت الرســـول قائلا : أمزمار الشيطان فى بيت رسول الله ؟ قال له الرسول : دعهما يا أبا بكر فانها أيام عيد » ٠ اذن فالمتعة ليست مكروهة فى الاسلام ٠ ولكن المتعة الهابطة هى التى لا يرضى بها الاسلام ٠ وهذا كان عاملا من عوامل سقوط الأندلس حيث انغمس الناس والحكام فى اللهو والملذات الى درجة أن أحد قضاة ذلك العصر كان خارجا الى جنازة ٠ وفى الطريق زار أحد أصدقائه الذى أحضر له جارية تغنى فبلغت درجة اعجاب القاضى بهذا اللهو الى كتابة كلمات الأغنية على ظهر يده ٠ ثم خـرج ليصلى بالناس صلاة الجنازة وقد ظهرت على يديه كلمات الأغنية ٠٠ فهل ينتظر من أمة بدأت تنحدر بأخلاقها الى هذا المستوى أن تستمر ؟ يجب أن نعتبر بالتاريخ ودروسه ، اذا أردنا أن نبنى الانسان المصرى ، أنه مبنى على أساس خاطىء ٠٠ فكيف نســير وراءه بحجة الجمهور عايز كده !؟ ومن هنا حدث

التناقض . وكانت البذرة التى على أساسها نشأت الجماعات الدينية المتطرفة لأنها وجدت فعلا أشياء لا يمكن مع وجودها اصلاح مجتمع يريد ان يرقى ، فقام الشباب يحاول الاصلاح . ولأنه لم يجد من يحاوره بالاقناع والمجادلة الحسنة انطلاقا من الآية الكريمة : « وجادلهم بالتى هى أحسن » فقد ساروا فى طريق العنف . فكان الرد عليهم أيضا بالعنف فأضيفت الى النار نار جديدة . ولذلك لا ينبغى أبدا أن نزج فى السجون بالالوف من الشباب بدون أن يعرفوا لماذا هم مجرمون ؟ هل هم مجرمون لأنهم يريدون اصلاح المجتمع ؟ يجب أن ننبههم الى أن وجودهم فى السجون كان لأن الطريق الذى أرادوا به الاصلاح يوقعهم تحت طائلة القانون ! ولذلك فان المحاكمات التى تتم لهذه الجماعات لا تقوم على أساس موضوعى . ولكنها تتم على أساس أنهم ارتكبوا جريمة ، تخضع للمادة كذا من قانون العقوبات !

ولذلك كانت الخطوة التى اتخذتها أجهزة الاعلام أخيرا بفتح النوافذ أمام فكر هذا الشباب خطوة طيبة . ولكن يجب ألا تكون هذه ظاهرة موسمية وتنتهى . والا سنعود الى نفس الحلقة المفرغة ؟!

●● مفكرنا الكبير توفيق الحكيم ، من حق الشباب ، أن يسمع منه كلمة ، وسط هذه المتاهة التى تحدثت عنها ؟!

● أقول للشباب : لا تحاول أن تقوم بأعمال توقعك تحت طائلة قانون العقوبات أبدا . ولا تستخدم الارهاب والقتل . لان المجتمع لن يصلح بالقوة . لأن القوة لا تصلح شيئا . بل ستكون القوة ضد القوة . وبمجرد أن تسلك طريق العنف ، ستجد أن الدولة كلها لديها أسلحة العنف . فيصبح الشباب حينئذ خارجا على القانون ، ولكن اذا أراد الشباب أن تسير الدولة فى ركاب الاصلاح الذى يريده فعليه أن يقدم لها نماذج بالحسنى ولهذا أريد أن اقترح على الشباب اقتراحا :

هو أن يطلب من الحكومة أو عن طريق التبرعات شراء قطعة أرض يبنى عليها الشباب مجتمعا صغيرا يكون نواة لمدينة كبيرة تقوم الدولة بتجهيزها بالمرافق اذا أرادت أن تساهم ويقوم الشباب ببناء المساكن والميادين وكل الأشياء الاخرى . ويكون هذا المجتمع الصغير أو هذه المدينة الصغيرة بذرة المجتمع الفاضل الذى يريده الشباب . ويأتون فى هذا المجتمع الجديد بأفضل الكتب وأحسن الفنون . وسيجدون أن رجال القانون وأصحاب الحرف وكل من يعملون من أجل الخير سوف يتجهون لتشكيل هذا المجتمع الفاضل .

وأنا شخصيا مستعد للمساهمة فى بناء هذا المجتمع الفاضل رغم أننى شيخ عجوز . وأقول للشباب اذا قام ببناء هذا المجتمع خذونى وابحثوا لى عن أى عمل أساهم به معكم فى بناء هذه المدينة الفاضلة .

واقترح ان يتبنى هذا المشروع واحدة من الجمعيات الدينية التى تحاكم اليوم . ويساهم كل مواطن ولو بطوبة ، واذا حدث هذا أرجو ألا يكون هذا المجتمع تقليدا لمجتمع سابق . لان الزمن متغير . فيجب أن يكون هذا المجتمع الذى اقترح على الشباب البدء فى تنفيذه مجتمعا حديثا . يقوم على أسس اسلامية . وبذلك نضع البذرة للمجتمع الاسلامى الذى نريده . وستنمو هذه البذرة لتصبح شجرة كبيرة تظلل بفضائلها مجتمعنا كله ليس بالارهاب ولا بالقهر . ولا بالسيف . ولا بالجهاد . لأن الجهاد لم يشرع من أجل ذلك . وانما شرع لرد الاعتداء . ولم يحدث أن الرسول بدأ بالعدوان ولم يحدث أن أجبر الناس على أن يتبعوا دينه بالقوة .

ولذلك فان من يفسرون اليوم كيف انتصر الدين الاسلامى وأن ذلك قد تم بالسيف يقعون فى خطأ كبير لأن الاسلام انما انتشر بمبادئه وتعاليمه المقنعة ولم يستخدم السيف الا لرد العدوان . والآيات التى تحض على عدم الاعتداء كثيرة .

اذن فاستخدام القوة لتغيير مجتمع منحرف أمر لا يقره الاسلام. وانما تغيير الانحراف يأتي بالاقناع . أو بمجتمع كالذى اقترحه على الشباب يعمل فيه كل المواطنين بالانتاج الصحيح . وبكل ما ينبغي للمجتمع الفاضل أن يسير فيه . وسوف يأتي الناس لمشاهدة هذا المجتمع الاسوة فتشيع الفضائل .

هذا ما يقدر الشباب أن يقوم به ، وأنا أول المتبرعين لبناء مجتمع الفضيلة ، اذا اقدم الشباب على تنفيذ هذا الاقتراح . وسوف يجدون ان المجتمع كله يسير خلفهم .

● ● هناك قضية نجاح شبابنا فى الخارج والنماذج كثيرة . فما هو قول الأستاذ الحكيم فى ذلك ؟

● تفسير ذلك أن الشباب يذهب الى مجتمع منتج متعلم فيأخذ وضعه بين هذا المجتمع . تماما مثلما تذهب الى حديقة مرتبة ومنظمة مما يجبرك على أن تحترم نظامها . لأن هذا النظام يريحك . ولهذا فان الشاب المصرى اذا ذهب الى مجتمع راق فانه يصبح أرقى ممن يعيشون فى هذا المجتمع الراقى ، ولكن اذا كان يوجد مجتمع هابط فكيف يمكن للانسان أن يرقى فيه ؟ ان الموهبة تبرز حينما تجد العوامل المساعدة لها على الظهور فى بيئة صحية . انما انت تجد موهبة موجودة فى بيئة منحطة كيف يمكن لها ان تنجح ؟!

ـ اننى أعرف نماذج كثيرة لشباب نبغ فى الخارج . وعندما عاد الى بلده حطمه المجتمع حينما حاول أن يفيد بلده بعلمه وبخبرته . المجتمع ينظر اليه على أنه منحرف ، وأصبح موضع التندر والسخرية ، وأقرب مثل الدكتور فاروق الباز الذى كانوا يريدون له أن يعمل فى قطاع البترول فترك بلده وسافر الى أمريكا . وأصبح هناك من أعظم علماء الفضاء .. فهكذا نجد اننا فى مجتمعنا نقتل المواهب .

● ● هناك أيضا قضية لا تقل خطورة ، هي عدم ظهـور أصحاب الاسماء اللامعة من المفكرين والأدباء في الاجيال الشابة . ما هو السبب !! ولمـاذا لم يظهر عقـاد آخر ، أو طه حسين ، أو الحكيم ؟!

● انها أزمة تكوين الانسان المصرى .. انظر لهذه الأسماء التى ذكرتها وانظر الى حياة هؤلاء .. تجد أن حياتهم الأولى وكل مراحل حياتهم وقبل أن ينتجوا سطرا واحدا . هي حياة تكـوين فنهلوا من عناصر المعرفة ما أهلهم لان يكونوا روادا للفكر . فتجـد مثلا أن المدارس في ذلك الوقت كان بها أساتذة يدرسون المـواد كلها دراسة تنمي العقل وتنمى حب المعرفة خارج المدرسة . وكانت البرامج التعليمية جيدة . وبعد الانتهاء من الدراسة كان هنـاك ما يعرف بالمصباح السحرى داخل كل مدرسة . وكان الطلبـة يجتمعون بعد الدراسة ليشاهدوا فى المصباح السحرى أشياء لابد من رؤيتها كالبحار والغابات والجبال والصور الجميلة فى المتاحف .. فكان الفانوس السحرى مدعما ومكملا لما يؤخذ من محاضرات تنمى حب المعرفة .

كذلك الدين كان يتم تدريسه بطريقة تساعد على تقوية اللغة العربيـة ، وفى الأدب كانوا يأتون بنصوص ترقى بالذوق الأدبى للطلبة أما الآن فتجدنا نبحث عن الكم لا الكيف . ونتساءل كـم مدرسة بنيناها هذا العام . ولا نسأل ما الذى يمكن أن نعلمـه لاولادنا فى هذه المدارس ! لا شيء سوى كلام فارغ وتدريس لاصعب النصوص . حتى فصول محو الامية . المتعلمون فيها يخرجون العن مما كانوا .

لكل هذه التعقيدات فان هذا الجيل الجديد معذور اذا لـم

يظهر فيه مفكرون . لأن شباب هذا الجيل ينقصه التكوين الذى لم نكن نفتقر اليه حينما كنا شبابا .

● ● ألا يرى الاستاذ توفيق الحكيم ، أن الثقافة المصرية ، تمر بأزمة طاحنة الآن ؟!

● بعد ما كانت مصر منارة للحضـــارة وكتبنا تصـــل الى اندونيسيا .. المصاحف ومعها كتب الأدب والفكر حيث كان الاسلام يتقدم ونحن وراءه بالفكر العربى واللغة العربية . أما اليوم فلا تجد شيئا من هذا . فلكى يخرج كتاب لابد من المرور بـ جمارك وضرائب وتملأ استمارات .. الاستمارة «ب» والاستمارة «هـ» وهكذا عقبات حتى يخرج الكتاب كأنه مهربات ! والناشرون يشكون لنا . فأصبح الفكر يعامل كأنه تجارة . مع أن المفروض أن المسئولين فى الدولة يشعرون ان المنارة العلمية والفكرية والدينية فى مصر ، يجب تدعيمها حتى تظل مصر دائما قلعة العروبة والاسلام .

واذكر اننى كنت فى زيارة على ما أظن لايطاليا وبت ليلتى فى أحد الفنادق . وفتحت أحد الادراج فوجدت كتابا بألوان زاهية . مغلفا بغلاف جميل . وهو يتحدث عن روما وآثارها وحضارتهـا وتاريخها .. الحقيقة أعجبنى الكتاب وسألت نفسى من أين اشترى هذا الكتاب ؟ ثم قلت لنفسى بغريزة السوق ، لماذا اشتريه .. ما دام موجودا هنا فى الدرج ، واذا لم آخذه سيأخذه غيرى ، وأخـــذت الكتاب وما كدت أنزل من حجرتى ، حتى وجدت أن ما أفعله هـو سرقة .. ولذلك ذهبت الى صاحب الفندق وقلت له : انتم تضعون فى الحجرات كتبا بلا رقيب عليها مما يغرينا بأخذها . فقـــال لى صاحب الفندق : خذ الكتاب اذا كنت تريده قلت له : كيف ذلك ان هذا سرقة ؟ فقال لى : نحن نضع هذه الكتب ليسرقها من يريدها

انه لن يأكلها ولكنه سيقرؤها . واذا لم يقرأها فسيعطيها لزميله يقرؤها . وبذلك يكون قد عملنا دعاية للسياحة فى بلدنا .

نفس الشىء ـ يستطرد توفيق الحكيم ـ حدث معى فى انجلترا . فبجوار كل سرير فى الفندق يوجد الكتاب المقدس . ولما سألت صاحب الفندق عن ثمنه . قال : انه لا يباع ولكننا نضعه لمن يريد أن يقرأه أو يحتفظ به . وما زلت احتفظ به حتى الآن .

وهكذا تجد انهم فى الخارج يعملون على نشر الدين والثقافة .

وهنا فى مصر الكتب القادمة أو الذاهبة عليها ضرائب . وهذا شىء غريب . لأننا بذلك نغلق أبواب الثقافة ونمنع عن البلد كل رقى . ماذا ستستفيد الدولة من الجمارك على الكتب . كم مليونا ستخسرها الدولة من عدم تحصيل الضرائب على الكتب ! خمسين مليون جنيه مثلا !

ولكننا فى مقابلها سننشر ثقافتنا وسننشر ديننا لأن للكتاب أثره الذى لا يمكن لسفاراتنا فى الخارج أن تقوم بدوره .

لكن لمن تقول هذا الكلام ! ومن سوف يسمعك ! رغم أن هذا كلام العقل والمنطق !! هذا من ناحية ومن ناحية أخرى كما قلت وأكرر يجب على المسئولين أن « يشطبوا » بالثلث كلمة « الجمهور عايز كده » من كل وسائل الاعلام . ويكتبوا بدلا منها « الثقافة عايزه كده » ، « بناء الانسان المصرى عايز كده » .. واعلم أن الدولة فى يدها مفاتيح السلطة ومفاتيح الطرق السليمة . وعليها أن تفتح الأبواب كى تعود مصر كما كانت قلعة الفكر والثقافة ومنارة للعروبة والاسلام .

● هل يعنى هذا ، اننا نتهم الحكومة بأنها السبب فيما يحدث • وهل المطلوب أن تقوم الحكومة بكل شيء ، دون أية مبادرة من المواطنين ؟

● فيه حاجة غريبة • أنا مندهش لها • وهى تمثل الفرق بين جيل مضى وبين هذا الجيل • وهى أن الأجيال الماضية كانت تعمل أكثر مما تعمل الحكومة • وتفكر قبل أن تفكر الحكومة ، وعلى سبيل المثال كانت فكرة انشاء الجامعة نابعة من الشعب لا من الحكومة ••• والذى فكر فى انشاء الجامعة رجل أذكر أن اسمه « الغمراوى » وتحمس الناس للفكرة • وتبرعوا لها • وكان هذا دافعـا للحكومة انها تدفع الفكرة الى حيز التنفيذ وتساهم فيهـا بجهدها •

وطلعت حرب كمثال آخر للمواطن المصرى الذكى •• فقد وجد أن كل البنوك فى مصر أجنبية • فقال لماذا لا يكون هناك « بنك مصر » ! وطرح الفكرة على الناس وساهموا فى انشاء بنك مصر ! وكل من ساهم كان يعتبر من المؤسسين • فكان الطالب يساهم بعشرة قروش والموظف يتبرع بجنيه • وهكذا الشـعب نفسه هو الذى يفكر للحكومة وليست الحكومة هى التى تفـكر للشعب ، والشعب هو القادر على أن يجعل الحكومة تنفذ المشروعات التى يريدها اذا بدأ هو تنفيذها •

لكن •• أنت ترى اليوم وتسمع أشياء خرافية •• انسان عنده ــ ١٢٠ مليون جنيه •

والمليون أسموها « أرنب » يعنى ١٢٠ أرنبـا كيف حدث هذا ! ماذا أفعل حتى أصبح مثل هذا الرجل «١٢٠ مليون جنيه» !! نحن لا نحسد أحدا ولكن لو صاحب الـ ١٢٠ مليون جنيه ساهم بخمسة ملايين فى عمل انتاجى يفيد البلد أو انشاء مستشفيات

أو مدارس أو متاحف أو أى شىء يفيد البلد !! لو حدث هـذا ما تكلم أحد وما حدثت البلبلة ! والصدمات التى يشعر بهـا الناس . ولكن الذى عنده أرنب يريد أن يكون عنده أرنبـان وثلاثة . وانتشرت الأرانب سواء فى الأموال أو الأولاد ولا أحد يتقدم ويساعد ! ولذلك فلن نتقدم الا إذا غيرنا طبيعة الأنانية التى نعيشها لأن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم .

واذا كلمت أحدا يقول لك : « نحن لسنا الحكومة » .. فهل مهمتها أن تفعل كل شىء ! اذن أين أصحاب الملايين ! وما هى مهمتهم ! هل مهمتهم استنزاف ثروات البلد دون أن يقدموا عطاء !! اننا فى مرحلة خطيرة يسودها الانحطاط . وكانت النتيجة أن الانتاج تدهور ولم يعد يكفى حاجيات الناس فأصبحنا نرى طوابير فى كل شىء حتى فى السجائر نلاحظ أشياء غريبة . وهى أنه رغم أن السجائر مضرة بالصحة العامة ، نجد أن الدولة تضع لهـا دعما .. كيف يحدث هذا !! .. ألم يكن الدعم المقدم للسجائر أفيد لو صرف على تحسين الخدمات الصحية !! ولكننا سنرجع مرة الى الشعار السخيف « الجمهور عايز كده » .

● ثمـة مسألة لافتـة للنظر ، هى عدم فوز أى مفكر عربى ، أو أديب عربى ، بجائزة نوبل ، ما رأى الأستاذ الحكيم ؟ (*)

● جائزة نوبل لها أبعاد سياسية . بمعنى أنه عندما يتم اختيار مفكر للحصول على هذه الجائزة يكون من شروط اختياره أن يكون هناك احساس عالمى بدولته ودورها فى مجال السياسة الدولية .

(★) توفى توفيق الحكيم قبل أن يشهد معنا حصول صديقه نجيب محفوظ على جائزة نوبل .

.. فعلى أى أساس يعطونها لأديب عربى أو أديب مسلم ؟ وهم يرون العرب والمسلمين يقاتلون بعضهم البعض وليس عندهم استقرار من الوجهة الحضارية . وليس لهم دور ولا وجود عالمي ! حتى الحضارة العربية الاسلامية في العصور الوسطى وليس لدى الأوربيين الآن الاحساس الحقيقى بقيمتها وفضلها عليهم !

ولكنك تجد احساسهم مثلا بالحضارة اليونانية ! ولذلك أعطوا شاعرا أو اثنين من شعرائها جائزة نوبل على أساس أن الحضارة اليونانية رضع من لبنها الأوربيون فى الشعر والفلسفة . وكل هذا انتقل من الثقافة الاغريقية التى ورثها الرومان واستفادت منها الحضارة الأوربية الحديثة . ولذلك فإنهم يريدون تكريم هذه الحضارة في شخص شاعر أو أديب أو مفكر ينتمى لهذه الحضارة التي لديهم احساس بقيمتها ودورها في الحياة الانسانية . فهل لدي القائمين على جائزة نوبل احساس بقيمة ودور الحضارة العربية والإسلامية ؟ لا يوجد هذا الاحساس . وحتى لو وجد فان حال العرب والمسلمين اليوم لا يعطي فرصة لأي تقدير أو احترام . رغم أن الحضارة العربية الاسلامية كان لها دورها الأكبر فى انتقال أوربا من العصور الوسطى الى العصور الحديثة . ومن واجبنا اليوم أن نذكر الأوربيين بهذا أو ذاك ، بترجمة تراث العرب والمسلمين مثل ابن سينا وابن رشد وابن خلدون ، ويستطيع العرب أن يساهموا بأموالهم فى هذا وتوضع كتب ومؤلفات هؤلاء الاعلام فى مكتبات أوربا .. وفي « الفاترينات » مثلما يفعلون في أوربا ويتركون كتبا عن حضارتهم فى الفنادق ليطلع عليها الأجانب .

كما يجب التعريف بالاسلام . ويتعاون العرب ماديا فى ترجمة معاني القرآن بما فيها من فكر وحضارة لا يدركها حتى المسلمون .

ولو استطعنا أن نعبر بفكرنا فى الماضى بصرف النظر عن فكرنا الحديث الى الأوربيين • لكان من الممكن أن نحسن الصورة السيئة التى يدل عليها واقع حالنا اليوم ، مما لا يشجع أى أوربى على التفكير فى منح جائزة نوبل لأى أديب عربى أو مسلم •

اذن - يضيف توفيق الحكيم - فالدور السياسى للدولة له تأثير فى اختيار مفكريها لتكريمهم • بدليل انك تجد شخصية من أكبر الشخصيات عندهم مثل « اندريه مالرو » لم يفكروا فيه للاعتبارات السياسية • لأنه كان متصلا بديجول له معارضوه وله مؤيدوه •

وهم يريدون مفكرا يبشر بشىء يفيد الانسانية كلها • ولابد أن يمثل هذا الشىء فى الفكر أو الفلسفة • مثل « طاغور » شاعر الهند • لماذا أعطوه جائزة نوبل ؟ لأنه يمثل تفكير وفلسفة آسيا • وكذلك يمثل روح الهند كلها ، وقد حصل عليها فى وقت اكتوت فيه أوربا بنار الحرب الأولى ! فطاف بأوربا يبشر بروح جديدة • ويدعو للسلام • مع الأخذ فى الاعتبار أن بلد طاغور لم تكن قد احتدمت فيها المشاكل السياسية بعد ؟

فاذا جئت للعرب لا تجد فيهم من يمثل قيمة • ولا حتى بالنسبة للاعلام بما يلفت نظر الغرب ، الا الشيخ محمد عبده الذى دخل فى نقاش وجدل فكرى عن الاسلام مع فيلسوف فرنسى كبير اسمه « هانوتو » • وكانت فكرته مثل مفكرى الغرب • فكرة سيئة عن الاسلام • ولكن محمد عبده استطاع أن يحسن هذه الصورة وأن يقنع الفيلسوف الفرنسى بحقيقة الاسلام • فهل يوجد اليوم المفكر العربى أو الاسلامى الذى يستطيع أن يقنع كاتبا أو مفكرا غربيا بحقيقة الإسلام ؟

لا تجد هذا • فما هو المبرر ليحصل مفكر عربى على جائزة

نوبل ؟ لأن هذه الجائزة لا تعتبر تكريما للمفكر بقدر ما هى تكريم لبلده . فأين من دول العرب والمسلمين من يستحق التكريم ؟

.. هذا من ناحية . ومن ناحية اخرى يجب على من يعمل الا يقول ، انا عملت . وانا أستحق التكريم . كما يجب أن يكون رجل العلم مثلا يعمل فى نطاق مجموعة مشتركة لا فى نطاق نفسه .. فنجد أن مكتشف البنسلين « الكسندر فلمنج » حصل على جائزة نوبل وشاركه فيها زميل له ساعده فى أبحاثه لأن العلم يحتاج الى روح الجماعة التى تعمل فى سبيل اثبات نظرية معينة أو الخروج باكتشاف معين . فهل لدينا مثل هذه النوعية من العلماء ؟ قد لا نجد سوى « مصطفى مشرفة » .

كذلك فان المرشحين لجائزة نوبل لا يعرفون انهم مرشحون . واذا عرفوا لا يتحدثون عن ذلك اطلاقا . لأن هذا يجب أن يكون سرا . وحتى اذا تم ترشيح احد لهذه الجائزة فلا يصح أن يقال انما رشحنا فلانا . لأن مثل هذه الأمور تعتبر دعاية تسقط المرشح من اعينهم . ولكن هنا عندنا يقولون ان فلانا هذا يستحقها وهذا كلام فارغ . فليس عندنا من الناحية الأخلاقية ولا من الناحية العلمية ولا من ناحية الشعور بالواجب من يستحق التكريم . فهل رأيت عربيا من هؤلاء الأثرياء تبرع لبناء مستشفى فى بلد عربى واحضر له الأجهزة الحديثة والأطباء من بلاد العالم ليكون مركزا طبيا عالميا يساهم فى تخفيف آلام الانسانية ؟

لم يفكر عربى من أهل الغنى والثراء فى هذا لأنه لم يخطر على باله وانما هو يفكر فى شراء الفنادق والملاهى وبعثرة الملايين فى كباريهات اوربا !

فأى احترام يمكن أن يكون لنا عند هؤلاء الأوربيين ؟

ومن ناحية ثالثة : تجد أننا محليون بطريقة كبيرة جدا · وكل من كتب له قصـــة يقول لك أنا أستحق جائزة نوبل ·· يا سيدى ـ هكذا يقول توفيق الحكيم ـ المسألة ليست بهذا الشكل فلو كنت لبلدك المسألة ليست كده · أما اذا كنت للعالم كله فتقدم والعالم من ورائك ·· تتم تنقيتك على « الفرازة » ويجتمع علماء متخصصون فى السويد ليبحثوا ما هى المبررات التى يقبلون على أساسها فلانا ؟ ومن بين هـذه المبررات ماذا يمثل بالنسبة للانسانية · لا ماذا يمثل بالنسبة لبلده · وان كانت بلده هى الأساس الذى ينطلق منه الى الفكر العالمى ·

● ● الآن ، ومن خلال رؤية الحكيم لحركة الانســان المصرى ، ما الذى يمكن ان يضاف ؟

● اننى أتمنى أن يصبح الانسان المصرى فى ذاته ، والناس والمجتمع مقدرين مسئولياتهم ·· فلا ينتظرون حتى تســاعدهم الحكومة بل يجب أن يبدأوا التفكير من أجل بلدهم لأن كل فرد مسئول عن نفسه وعن بلده ·

كما أتمنى أن تسأل الحكومة نفسها · ما هى العناصر التى تلزم لبناء مصر بناء جديدا على أساس من ديننا واسلامنا الذى يريد منا أن نكون خير أمة أخرجت للناس ؟ وأتمنى الا نفسر كتاب الله بشكل يبعد تماما عن الرسالة الحقيقية للاسلام · وأرجو أن تكون هناك نظرة جديدة وجدية للدين والمجتمع والانسان ·

● ● الديمقراطية المتاحة الآن فى مصر · هل هى فى رأيك لتصحيح المسار السياسى والقومى ·· أم ترى ان هناك اضافات أو ضوابط أخرى ضرورية ؟

● أنا لا أعرف الشعارات ·

واذا كنت تريد ان أعرف لك الديمقراطية بالعبارات فافتح اى كتاب يعرف لك ما تريد . أما ما اعرفه من الديمقراطية فهى الممارسة فى اى مجتمع . وأنا لا اتكلم الآن عما أراه لبلدى لأنى لا اعرف بالضبط ظروف البلد ومطابقتها لوضع ماخوذ من الكتب . ولكننى أريد أن أبحث لك عن امثلة من وضع يقال انه ديمقراطى فى بلاد أخرى ومنها قد تعرف الديمقراطية .

فهناك مجتمع عرفناه منذ العشرينات فى الخارج وبالتحديد فى فرنسا . وعرفنا منها أن الجو الذى نتنفسه هناك هو جو حرية او ما يقال انه ديمقراطية .

ففيما يختص بالحرية وابرزها حرية التعبير كنا نستطيع ان نكتب وننشر كل ما يتراءى لنا ولا أحد يمنع هذا النشر . الى حد اننا كنا نرى كتبا تعرض فى مكتبات بعناوين تثير دهشتنا وربما استنكارنا . مثل « هذا الرجل الذى يسمونه المسيح » مع ان هذه البلاد مسيحية . وكتب أخرى عن الزعماء المعاصرين والأقدمين . يذكرون فيها مالا يمكن أن نجد فيه راحة أو تأدبا او نحو ذلك . وكانت الأحزاب تنشأ وتمارس اعتراضاتها بدرجة لا نستطيع آن نقبلها فى بلادنا .

وأما الصحف فلا يستطيع أحد أن يمد يده اليها باى اشارة فهى حرة تماما . ولذلك فان حرية القول والكتابة والنشر لا تحدها حدود . وبعد ذلك نجد الناحية السياسية فيها مثل هذا أيضا . اى من يريد ان يؤلف حزبا فليتفضل . ومن يريد اصدار جريدة .. اسية أو اجتماعية أو حتى جنسية فليتفضل .

بالاختصار لا توجد موانع على اى ممارسة أو نشاط ذهنى او اجتماعى . ولا توجد ممنوعات يحرمها القانون الا فى حدود

ضيقة معروفة في قانون العقوبات ، كذلك ما يعرض في السينما والمسرح لا يمكن أن يعترض عليه أحد .

كان هذا في فرنسا حيث الحرية أكثر من أي بلد آخر مثل انجلترا في ذلك الوقت ، لأن كتابا انجليز عرف عنهم التطرف فكانت بعض أعمالهم تمنع من النشر فيهربون بها الى فرنسا لأن الانجليز كان في خلقهم بعض التحفظ .

كل هذه أمثلة على بعض نواحي ما يسمى بالديمقراطية .

ويضيف توفيق الحكيم معبرا عن الوضع في مصر في نفس تلك الفترة :

ـ انك تدهش اذا قلت لك أن بعض مظاهر حرية التعبير التي وجدناها في فرنسا كانت موجودة في مصر في العشرينات . فقد كان لدينا برلمان طالب فيه بعض الأعضاء بتحديد الملكية بمائة فدان . ولم يعترض أحد في عصر الملكية الاقطاعية . ولم يكن الاقطاع مذهبا .. ولكنه كان واقعا اقتصاديا نشأ عن تصرفات الرؤساء من الحكام الذين أقطعوا بعض أملاكهم لمحاسيبهم .. ولم يكن نظاما ثابتا موضوعا وضعا قانونيا كما كان الاقطاع في فرنسا وانجلترا .. منذ ثلاثمائة سنة . كما أن القوانين كانت تراجع مراجعة دقيقة بواسطة رجال القانون المتخصصين .

ويدلل توفيق الحكيم على الحرية التي كانت موجودة في مصر في العقود الأولى من هذا القرن فيقول :

ـ بلغ من حرية الكلمة أن مصطفى كامل كان يخطب خطبه الرائعة في المطالبة بطرد الانجليز . وكان مناخ المجتمع المصري يحول دون أن يوقف كلامه أحد لا الانجليز ولا غيرهم .

ثم جاءت بعد ذلك ثورة ١٩ وسعد زغلول وهو الزعيم الفرد وكان له خصوم سياسيون لهم جرائدهم . وكانوا يعارضونه بأقسى ألفاظ . وممن عارضوه بقسوة طه حسين . ولم يكن هذا يعنى أنه لم تكن هناك رقابة . بل كانت الرقابة موجودة ومحسوسة .

كما كانت الجامعة المصرية الحديثة ولم يمض عليها الا سنوات قلائل تناقش فيها أخطر الموضوعات ، لأنها كانت بيئة جادة ليس مطلوبا منها تخريج الألوف بغير نضج علمي أو ثقافي يؤهلهم ليس لشيء الا المطالبة بحقهم في الوظائف . ولذلك لا يستغرب أن نرى من أساتذة الجامعات من لا يؤدون رسالة حقيقية سوى تخريج دفعات من الطلبة دون أن نسمع لهم صوتا في شئون المجتمع المصري .

ويضع توفيق الحكيم يده على خاطرنا مستكملا :

ـ واذا كنت الآن لا نستطيع أن تصدر جريدة سياسية الا بشروط ولا تؤلف حزبا الا بشروط . ولا تخرج كتبا تنشر لك في الخارج لنشر ثقافتنا الا بشروط ، في صورة استمارات وأذونات من الجمارك المالية ونحو ذلك .

اى أن كل حركة ثقافية أو سياسية أو اجتماعية لابد لها من شروط تضعها في أضيق نطاق حتى الدين نفسه نكثر فيه المحرمات والممنوعات ، لأن المناخ كله مناخ منع وتحريم .

فلا أعرف بعد ذلك لا في ماضي مصر الذي عشناه منذ أول هذا القرن ، ولا في أنفسنا الآن ما يجعلني أدرك ما الذي حدث لنا ولا ماذا يمكن عمله لنفسر ما نحن فيه .

●● هل تصلح التعادلية والاسلام . كأساس للحكم؟

● فيما يختص بصلاح التعادلية لما نحن فيه الآن ، فاننا نستطيع أن نستخلص بنفسك صلاحها لأنك سترى أن الاسلام

نفسبه فی عهوده الزاهرة كان « تعادلية » . بحيث كان المجتمع متعادلا فى كل شيء • فلا يوجد طغيان للغنى على الفقير ولا يوجد طغيان للهو على العمل الجاد • ولا تجد العبادة تطغى على العلم لأن النبى صلوات الله عليه كان يقول « تفكر ساعة خير من عبادة سنة » • فالاسلام وضع كل أسس المجتمع السليم •

●● ولكن هل هناك فلسفة سياسية خاصة تنبع مما تفكر فيه الآن فيما يتعلق بالتعادلية والاسلام ؟

● لا يمكن لى أن أوصى بأى وضع سياسي يتعارف عليه من الكتب .

●● من خلال تجربة الحكم فى مصر قبل الثورة وبعد الثورة • هل تستطيع أن تحدد لنا ملامح تصلح كأسس صحيحة لنظام الحكم فى مصر ؟

● لقد جربنا فى مصر النظام السياسى الديمقراطى قبل الثورة • وحدث من الأحزاب ما جعلنى أخاصمها جميعا • لأن الأحزاب اشتغلت كلها بالبحث عن كراسى الحكم • واشتد العراك بينها على هذه الكراسى ، ناسية أو متناسية العمل على بناء مصر الحقيقية • زراعيا وصناعيا واجتماعيا وخلقيا ، ونحو ذلك • مما جعلنى فى كتابى « شجرة الحكم » أقول ان النظام الحزبى الذى نتج عن ديمقراطيتنا أصبح غير صالح لتخريج الحكام الصالحين •

وطالبت بثورة جديدة على هذا النظام ، تأتى بالشباب الجديد غير رجال السياسة القدامى ، الذين لا يهتمون الا بأحزابهم ومصالحهم الشخصية •

●● هذا قبل الثورة وعندما جاءت الثورة ! يقول الحكيم :

● استبشرنا خيرا بها فعلا • لأن الذين قاموا بها كانوا شبابا • ولكنهم لم يمارسوا ما يقال انه ديمقراطية • ولم أهتم أنا بذلك ربما لأن طبيعة الظروف والتحديات الداخلية والخارجية التى أحاطت بالثورة ، لم تدع الفرصة للثورة لتلتقط أنفاسها أو للديمقراطية أن تنمو •

ثم حدث أن تغير النظام فاذا بالنظام الجديد ينقلب الى ديكتاتورية •

● اذن أى نظام ترى أنه صالح أو على الأقل قريب من طبيعة مجتمعنا هل هو الاشتراكية أو الرأسمالية ؟

يقول الأستاذ الحكيم :

● أنا لا أهتم بهذه النظم التى تسمى اشتراكية أو رأسمالية أو ديمقراطية أو ديكتاتورية ، وما نحو ذلك • لأننى لا اضمن أبدا أن يتغير جلد هذه النظم بالممارسة فتنقلب الى شيء آخر عكس الذى كنا نريده •

● ما الذى يمكن اذن ان يكون السبيل لوجود مجتمع ذى نظام حكم مستقر اذا كانت كل النظم الموجودة لا تحقق هذا الغرض ؟

● السبيل لوجود مجتمع ذى نظام حكم مستقر يتلخص فى كلمة واحدة هى « الحضارة » والحضارة هى التى أنقذت العالم الغربى من انهيار سريع • حيث ظهر فى العالم الغربى مفكرون عظام استطاعوا أن يبنوا حضارة عظيمة كونت الفرد تكوينا متينا • من الثقافة الواسعة والتربية المتينة وأخرجتهم من الجهل والظلام • وبعد ذلك ارتدت هذه الشعوب المتحضرة الاردية المختلفة من النظم السياسية سواء كانت اشتراكية أو رأسمالية أو غيرها • وقد عانى

الغرب من الممارسة السياسية لهذه النظم ما عانى . ولكنه خرج من كل ذلك قويا منتجا لم تؤثر فيه عيوب هذه النظم لأنه وجد فى المجتمع الغربى شعبا متحضرا يعرف ما له من حقوق وما عليه من واجبات . لذلك أقول لك باختصار أعطنى شعبا متحضرا واجعله يرتدى أى نظام سياسى تريد .

● ● على أى أساس تقوم المدينة الفاضلة أو المجتمع الصغير الفاضل الذى تدعو اليه الآن . هل هو نوع من الانعزالية أو صورة مما عرفه الاسلام تحت اسم « المعتزلة » ؟

● ما أدعو اليه ليس مجتمعا مقفلا . ولا هو صورة مما عرف تحت اسم المعتزلة . وانما الذى أدعو اليه ، هو بناء مجتمع نموذجى تجريبى . يرضى الشباب الذى يقف الآن ضد مجتمعه الذى دب فيه الانحطاط والفساد . وأوجد لنفسه مثلا أعلى هو جمع المال الى حد أن أصبح المجتمع الآن لا يرى فيه الشاب من أمثلة ينظر اليها الا كلمة « دولار ودينار » . وكيف استطاع فلان أن يحصل على المليون والآخر على البليون .. ولا أحد يتذكر الآن الرواد الأوائل الذين عانوا من صعوبة الحياة . ومع ذلك كانوا أمثلة تقتدى فى عملهم وفكرهم وحياتهم فى الظاهر والباطن . أما الآن فالمادة أولا والمادة أخيرا ، هى مقياس البشر .

● ● هل لديكم أمثلة توضح لنا الصورة ما بين المثل الأعلى فيما مضى والمثل الأعلى اليوم ؟

● كان العالم الأزهرى يعيش على « الجراية » البسيطة من الخبز التى تصرف له . ومع ذلك كان يؤلف قواميس فى اللغة لم تستطع أن تضع مثلها اليوم لجان عريضة . أما اليوم فقد سألت مرة أحد علمائنا وزملائنا الأفاضل ، وكان يقوم هو وزملاء له بوضع معجم ، بعد أن رأيته قد وضع معجمه على النسق القديم ،

دون تجديد فقلت له : ولماذا لا تجعل الكلمة يبحث عنها فى المعجم على حسب الحروف الأبجدية تسهيلا على القارىء ٠

فقال ما معناه : « العمل على قدر فلوسهم » أى لماذا يتعب نفسه على القدر الضئيل من المال الذى يعطى له ؟ ٠ وهذه هى لغة العصر فى المجتمع ٠ لا أحد يتحرك الا بقدر المكافأة المجزية ٠ فلم يعد العمل فى نفسه له أى قيمة أو مقام ٠

فى حين أن علماء الأزمان القديمة لم يكن العلم والعمل يقومان على قدر المكافأة ٠ بل كان العلم والعمل كل منهما له مقياسه البعيد بعيدا على النقود ٠ ولم يكن هناك اهتمام بها الا لضمان المأكل فقط ٠ حتى لا يموت جوعا هذا العالم الجليل ٠ أو العامل الماهر بل كان المعول عليه هو المكافأة الروحية المعنوية مع متعة العمل والعلم لذاته ٠

● ● المجتمع الفاضل كما يرى أستاذنا الحكيم سيكون انقاذا لشبابنا من التطرف الذى أصبح سمة غالبية تطبع سلوكه ؟

● هذا هو الذى يمنع شبابنا من الاشتغال بالعنف عن طريق هدم المجتمع الحاضر ، دون أن تكون لديه خطة لمجتمع جديد ٠ وهى ظاهرة خطرة يجب أن نخرج منها شبابنا بأن نضىء له الطريق بأن تقول له بدلا من أن تهدم مجتمعك دون أن تكون لديك فكرة عما تتمناه ٠ لبلدك ٠ ابدأ أولا بأن تتصور المجتمع المثالى الذى تريده وحاول أن تصنعه بنفسك أنت ، وأصدقائك ليكون نموذجا يهتدى ويقتدى به المجتمع الكبير المنهار ، الذى يعيش بشعارات فارغة أو بسباق نحو المكافآت والثروات ٠

● ● هل من تفصيل توضح لنا به طبيعة هذا المجتمع الفاضل الذى تنادى بقيامه ؟

● طبيعة هذا المجتمع تجمع بين حياة العمل للدنيا وحياة العمل للآخرة · فى ذلك التوازن المادى والروحى الذى يدعو اليه الاسلام ··

فيكون هناك المسجد للعبادة · وتكون هناك السينما الراقية للترفيه · وتكون هناك المكتبة التى تضم عيون الفكر تربية للعقل · وهناك الملاعب التى تربى الجسم ·

كما يجب أن يكون فى هذا المجتمع نموذج مثالى للديمقراطية يضع أسس الحكم الديمقراطى · كأن يكون لهم برلمان مثالى ليس صورة مشوهة لبرلمان صورى أو مزيف · كل هذا فى اطار صغير ليس هو بالمعزول عن المجتمع الكبير · ولا هو تحد له · ولكنه صورة نموذجية لمجتمع نرجو أن يسود ليصبح مجتمعنا صالحا لوضع النظام السياسى والاجتماعى الذى يلائمه ·

● ● هل تتابع ما يحدث الآن على الساحة العربية ·· كيف ترى وجه مصر العربى ؟

● أنا أتفاءل بالوجه العربى لمصر وللعروبة كلها · يوم يجتمع الناطقون بالعربية والكاتبون بها وينشئون الجامعة العربية الثقافية البعيدة كل البعد فى رسالتها عن الجامعة العربية السياسية · لأن قوة العرب الحقيقية هى فى تراثها الحضارى وليس فى مناقشاتها السياسية ·

ولذلك فان على العرب رسالة اذا تكاتفوا كلهم فى ابراز هذا الجانب الهام من قوتهم · حتى يشعر العالم كله بأن العروبة هى ثقافة مجيدة عرفتها جامعات أوربا من قديم فى كثير من المعارف والعلوم والفنون والآداب ·

وأن تكون هذه الجامعة الثقافية ملتقى المفكرين العرب · وأن

يكون لهذه الجامعة الثقافية مكتبة كبيرة تضم كل التراث العربى لنقيم حضارة جديدة تجمع ما بين أصالة الماضى وواقع الحاضر .

ولو حدث ذلك فستشعر اوربا ويشعر العالم بنا وبقوتنا الروحية والعقلية .

● س ولكن اختلاف الأنظمة السياسية فى الوطن العربى يكون فى كثير من الأحيان سببا فى فشل كل فكرة أو مشروع يهدف الى وحدة العرب فى مجال من المجالات ؟

● ج لا بأس أن نختلف سياسيا . وهذا ما يحدث فى الحضارة الأوربية . فاوربا كلها برغم اختلافها السياسى وخصوماتها ونحو ذلك فان فيها وحدة وثيقة تسمى الحضارة أو الثقافة الأوربية . حتى مع اختلاف لغتها . فتجد الفرنسى والانجليزى والالمانى والايطالى يشتركون فى انتاج العلم والفن والأدب فما بالك ونحن العرب فى دول مختلفة ولكن لغتنا كلها واحدة وهى « العربية » وتراثنا التراث واحد . هو ما ظهر من عبقرية العرب فى العلوم والاداب والفلسفة ونحوها . ومع ذلك فلا يميزنا أمام العالم الآن غير الاختلاف السياسى فقط المؤدى الى الخصومات والحروب وسفك الدماء . مما يجعلنا اشبه بقبائل متنافرة فى صحراء واسعة . أما ابراز الاتحاد العربى فى لغة واحدة وثقافة واحدة وحضارة واحدة فهذا ما لم يحدث . وقد آن الأوان لنفكر فيه .

● س ما هى الصـــــورة المستقبلية فى ذهنـك للقضـية الفلسطينية ؟

● فى نظرى . ان الفلسطينيين فى مقيدهم رغم كونهم شعبا صغيرا . الا انهم أكثر شعوبنا العربية حضارة وتعلما واستعدادا للتقدم . ومعايشة العصر الجديد . ومنهم أساتذة وعلماء فى كثير من أنحاء العالم وجامعاته .

● ● كيف ترى اذن مستقبل هذا الشعب الفلسطيني ؟

● مستقبل الشعب الفلسطيني يحدده الشعب الفلسطيني نفسه باتحاده على خطة واحدة وهدف واحد وسياسة واحدة ٠ تضع في اعتبارها آمال المستقبل دون اهمال الظروف السياسية للواقع الحاضر بما يجعل هناك مرونة يستطيع من خلالها الفلسطينيون التعامل مع المتغيرات الدولية ٠

● ● هذه المرونة التي تحدث عنها أستاذنا ويرى أن تتميز بها السياسة الموحدة للفلسطينيين ، قد ظهرت أكثر من مرة من خلال الموقف الفلسطيني ٠ ولكن الذي يحدث وربما الى أمد طويل ، ويعرقل الوصول الى حل للقضية الفلسطينية في وطن قومي يضمن للفلسطينيين حق الحياة ٠ هو التعنت وضيق الأفق الاسرائيلي ؟

● ان اسرائيل ـ للأسف ـ لا تدري خطورة موقفها هذا وهي لو نظرت بشيء من التفكير الى حقائق التاريخ ٠ لعرفت أن سياستها المتصلبة أشبه بتصرفات الأطفال ٠ لأنها تتصور المستقبل تصورا صبيانيا ، يرى آماله وطموحاته في تحقيق رغباته ولو على حساب كل من حوله ٠ واسرائيل بهذا لا تحسب حساب شعب ، لو حاولت أن تساعده على أن يكون له حق الحياة مع وجود حقها في الحياة ، لأمكن أن تقوم علاقة طيبة وحسن جوار بين الطرفين ، تساعد على نمو وتطور التفكير المتعادي بينهما الى نمو منتج بين الشعبين أما اذا ظلت اسرائيل تبني سياستها على العداء وروح الابادة فانها بهذا تقصر عمرها هي نفسها في المنطقة ٠

● ● في قضايا الواقع المصري المثارة الآن لماذا لم نعد نسمع صوتك أو نقرأ لك ٠٠ هل هو نوع من اليأس أو هو انسحاب الى برج عاجي وابتعاد عن المشاكل ؟

● هذا صحيح . فقد كانت مشاركتي في قضايا الواقع المصري تسبب لي المشاكل .

فلم يعجبني مثلا اتجاه هدى شعراوي في توجيه المرأة فصححت صيحتي معلنا خطأ هذا الاتجاه فأطلقت على لقب « عدو المرأة » .

كذلك عندما رأيت البرلمان المصري وقد اهتمت الأحزاب فيه بكراسي الحكم ، وكثر الصياح فيه ، وعلا دخان النقاش السياسي الفارغ ، قلت ونشرت أن أغلقوا هذا البرلمان الذي لا يصعد منه سوى دخان لا فائدة منه للأمة . وابنوا بدلا منه مصنعا يخرج منه دخان مفيد ، وقد سبب لي هذا المقال مشكلات . منها أن الحكومة وكان على رأسها محمد محمود باشا أعلنت أنه يجب أن أفصل من وظيفتي . وكنت في ذلك الوقت مدير تحقيقات في وزارة المعارف . فلما علم الشيخ مصطفى عبد الرازق وكان عضوا في الوزارة ، وكان صديقي قال لمحمد محمد باشا الا يطردني من وظيفتي . وأن ينتظر حتى يجري تحقيقا ويوقع جزاء آخر وبالفعل حاولوا أن أن يبعدوا قضيتي عن مجلس الوزراء . ووجدوا أن يسرعوا بعقابي اداريا كما وجدوا أن الوزير لا يملك لي عقابا سوى أن يخصم من مرتبي خمسة عشر يوما .

ولا يزال في ملفي حتى الآن كشف العقوبة بخصم الخمسة عشر يوما . ورفضت أن يسحب هذا العقاب من ملفي عندما تغيرت الظروف السياسية . لأنني وجدت أنه أشرف لي أن أنال عقابا على رأي .

● ● ولكن الساحة المصرية الآن خلت من آرائك هذه ونحن الآن أحوج ما نكون الى صوتك .

● الصوت ليس صوتي وحدي . ولكن هناك أصوات كثيرة . وقد وجدته أنه من الصعب أن أطلق صيحات في العهد الذي جاء

بعد ذلك .. وصفقنا له . وكانت هناك بالفعل أشياء يستحق أن نتكلم فيها . ولكن النظام نفسه لم يكن يسمح بوجود مثل هذه الصيحات ثم استمر الوضع الى حد أنه لم يكن من الممكن لنا أن نتصدى للقضايا المثارة في مجتمعنا دون أن نغضب حكامنا لأننا في الغالب كنا نحبهم ونجدهم في حاجة الى أن نغلق أفواهنا .

● ثم لاحظ أيضا عامل السن فمن المضحك ولا أقول من المحزن أنني لم أعد قادرا على الصياح في الوقت الذى ينبغي لى فيه أن أصيح ألما لتعطل مفاصل سيقاني ، وانشغالي بالطريقة التى أستطيع أن أمشي بها على الرغم من العصا التى لم تعد تصلح لمساعدتي على المشى .

● ● أستاذنا الحكيم .. في الأربعينات كانت لك نشاطات سينمائية مع عبد الوهاب ومحمد كريم في « رصاصة في القلب » أعددتها للسينما ، وقدمت لك السينما عددا من قصصك في أفلام .. هل تعطى للسينما اليوم بعض اهتمامك وكيف تراها الآن ؟

ـ في الأربعينات كان الذى جعلني أدخل السينما خاصة فيلم « رصاصة في القلب » هو محمد عبد الوهاب . وهو صديق لى . وهو الذى اكتشف هذه القصة . ووجدها صالحة لأن تكون فيلما . فلم أعارض . ثم كثرت طلبات الأفلام من بعض قصصي . ولكن كانت هناك أشياء كثيرة شغلتني في الأدب عن السينما . مما أفقدني الاهتمام بها اطلاقا حتى اليوم . ولذلك لا أعرف شيئا عنها الا ما يعرضه التليفزيون . وهو المكان الوحيد الذى أجلس أمامه لعدم استطاعتي المشى .

● ● الأستاذ الحكيم .. من يحمل لقب الأب الشرعي « للمسرح المصرى » ، وهناك مسرح يحمل اسمك ، وتراس المكتب العالمي للمسرح التابع لليونسكو . اين انت اليوم من المسرح ؟ لماذا

توقف انتاجك المسرحى ! هل هناك اسباب ! .. هل هناك أزمة مسرحية ؟

● اذا كان صحيحا ما تقوله ويقوله بعض من سمعت أو قرأت لهم اننى الأب الروحى للمسرح أو الأب الشرعى ، مع هذه الحالة فان الأب لابد أن ينتج أبناء أو أحفادا . خصوصا فى مثل سنى . وفى هذه الحالة اسألوا الأولاد والأحفاد هل إستفادوا من والدهم شيئا !!

أما أنا فاقول لك مقدما أن أى شاب ناضج أو ناهض اذا قلت له مثل هذا الكلام فانه يقول لك متى وأين ؟ !

وهكذا ترى أنه عندما يكبر الأبناء قليلا يسيرون فى طريقهم مستقلين عن آبائهم ولا يذكروننا ، الا اذا كانت لهم عقبات يريدون منا تذليلها لهم ! ويستطرد توفيق الحكيم فى سخرية لاذعة :

ـ فانا فى الواقع فى حالة أب على المعاش . والبركة فى الأولاد الذين كلما سمعت عن واحد منهم تأثر بى فى شىء وأصبح ناجحا أشعر أن وجودى فى هذه الحياة لم يكن عبثا . وليس لى اهتمام سوى أن أرى الناجحين من أبناء مصر يزدادون كل يوم . ولعلك واحد منهم . وادعو لهم بالتوفيق وكل متعتى هو أن أتفرج عليهم .

● ● تجربة المجلس الأعلى للثقافة . هل كانت افضل فى السنوات السابقة ، وهل تتحقق لنا نشاطات المجلس الآن وهل الصورة الحالية لتكوينه هى الصورة المثالية ؟

● بالاختصار . هذا السؤال اذا وجه لأحد من أعضاء المجلس القدامى فانهم سيقولون انهم لا يعرفون اليوم عملا مثمرا لهذا المجلس الا أن يجتمع أعضاؤه من وقت لآخر لترشيح المتقدمين للجوائز التقديرية والتشجيعية ، وبقية المسابقات ونحو ذلك أما أن يكون

لهذا المجلس دور فعال يشعر به الأدباء الشبان أو الأدباء الناضجون أو ينشأ بجهود هذا المجلس ألوان من الفنون والآداب تحرك هذا البلد ثقافيا فليس عندى جواب لأنى لا أجد الآن له أثرا يذكر .

● ● لهذه الأسباب قدمت استقالتك أكثر من مرة ؟

● لهذه الأسباب ، ولعدم الاعتماد على فنى الحضور فى هذا المجلس نظرا لحالتى الصحية أن كانوا لم يقبلوا استقالاتى تكريما منهم وفضلا لأنهم لا يريدون أن يقوموا هم بذلك ولا أن أختفى من مثل هذه المجالس ولكننى . . من نفسى وبدافع من عدم استطاعتى السير الآن انقطعت عن الحضور فى أى مجلس من المجالس .

● ● فى استمرارية الفكر المصرى والعربى هل تحدد لنا من يمكن أن يكون امتدادا للأجيال تدخل به مصر القرن الحادى والعشرين فى مجالات : القصة والرواية والمسرحية والنقد الأدبى والابداع الموسيقى والغنائى والفلسفة ؟

● أنت تطلب منى الاطلاع على الغيب . . وهذا ما لا أريد أن أتحمل مسئوليته وان كنا نرجو أن يخرج لنا الغيب جيلا نافعا يؤدى الرسالة ، وللغيب مفاجآت . فقد تفكر فى شخص فى أى مجال من المجالات التى ذكرتها فتجد أن القدر على غير علم منك قد أبرز شخصا يستحق أن تذكره .

وكل ما أستطيع أن أفعله هو الدعاء لبلادنا بظهور النماذج الطيبة التى نفخر بها . .

● ● فى النهاية . وبعد رحلة العمر ــ أعطاك الله العمر والصحة ــ ما هى حصيلة العمر ؟

● حكمة مأخوذة من القرآن من الاعتدال فكل انسان يجب أن يعتدل . لأن الاسلام يدعو الى الاعتدال . ولذلك فمذهبى الآن

هو « التعادلية » · لأنك تجد آيات كثيرة فى القرآن تدعو الى الاعتدال وعدم الاسراف في المأكل والمشرب والأخلاق ·· حيث وضع لنا الاسلام دستورا للسلوك فى الحياة علينا أن نلتزم به فأنا أريد أن نكون مجتمعا معتدلا فى كل شيء بلا تقتير ولا اسراف · فهذه هى حكمتى التى أخرجتها فى كتاب أسميته « التعادلية » وأضفت اليه جزءا جديدا تحت الطبع بحيث يكون عنوان الكتاب ، « التعادلية والاسلام » · حتى نوضح أن الاسلام هو دين الاعتدال والتسامح لا دين الغلو والاسراف ·

هذه حكمتى أخرجتها فى كتاب · لأننى لا أضمن لنفسى حياة غير فكرى ومبادئى ·· وبعد ذلك أستريح ·

محاكمة توفيق الحكيم

● ماذا تفعل لو معك مليون دولار ؟ •

● لماذا كتبت « عودة الوعى » عن عهد عبد الناصر ولم تكتب مثله عن العهود التالية ؟ •

● ما هو سر التحول والمواجهة مع السادات ؟ •

● لو رددت الى شبابك فماذا انت صانع ؟

● ايهما اكثر تأثيرا على ادبك • والدتك ام زوبة العالمة ؟ •

● الم تفكر فى الحج الى الأراضى الحجازية ؟ •

● ماذا فعلت بالسجادة •• هدية الشيخ الشعراوى اليك ؟ •

ـ واسئلة اخرى جريئة ومباشرة جادة وطريفة ومحرجة يوجهها كتاب مصر فى الأدب والفكر والنقد والفن والصحافة والدين ، فيما يشبه الاستجواب الى شيخ الكتاب توفيق الحكيم بمناسبة ذكرى ميلاده الـ ٨٨ •

الذى نضىء فيه شموع أسئلة كتاب مصر واجابات عملاقنا الحكيم بادئين « بالفلوس » وأشهد يا أستاذنا أمام قرائك ومحبيك أنك لم تتقاض مليما واحدا حتى يعرف الجميع أن مسألة البخل الشائعة عنك صارت موضة قديمة لم يكن لها أساس الا بصمتك عنها وتشجيعك لها ، ولكن ليس معنى هذا أنك صرت تبعزق ، غير أن صديقك الأديب الظريف يوسف جوهر سوف يمنحك الفرصة للبعزقة افتراضا ••

●● « لو فوجئت بمليون دولار تمثل بين يديك وترجوك

ان تتصرف فيها كيفما تشاء ، ولكن بشرطين .. الا تخص بها الورثة والا تنام عليها فى البنك .. فكيف تبعزقها ؟

فيبتسم الحكيم قائلا : أعتقد أنه بمجرد الاعلان عن ذلك طبقا لشروطك سيظهر لى ألف نصاب كل منهم يدعى أن عنده مشروعا انسانيا ينفق فيه هذا المبلغ ، لأن النصاب أولا سيدرس حالتى ويعرف أننى لن أستطيع انفاقها على نفسى لا فى طعام ولا شراب ولا فسح ، ولا شيء من ذلك .

وأعتقد أن الأكثرية من النصابين ستكون من النساء لأنهن خلقن لبعزقة فلوس الرجال ، وبضحكة وبتمثيل حنان مصطنع ، سيحدث تسابق فى الحنان والقبلات لرجل متهدم متحطم يصدق كل ذلك فى أيامه الأخيرة ، ويبعزق عليهن المليون .

لذلك فانا أحيل المسألة الى صديقنا الظريف الروائى المبدع يوسف جوهر ليتولى كيف أختار .

●● ولكن الأديب يوسف جوهر يتخلص من مأزق الاختيار الذى ألقاه عليه الحكيم لسؤال آخر .. لو رددت الى شبابك الأول فماذا أنت صانع به ، وهل تختار نفس الطريق التى قطعتها فى رحلة العمر ، أم تحب أن تحقق ذلك بصورة أخرى عملا وعقلا وعاطفة ؟ .

ويجد الحكيم المخرج فيقول : هذا السؤال يقترن بالسؤال الذى قبله ، أى أن تعطينى « الشباب » الذى تقول عنه ومعه المليون دولار ، وهنا تحل كل المشاكل ، وأترك لخيالك الروائى أن تؤلف عن ذلك قصة ، ولكنك سترفض من الناحية الفنية لأنك ستعقد الأمور ، فستجعلنى اما أن أكون شابا مفلسا ، أو مليونيرا محطما .

لكن المشكلة أن تعطينى المال والشباب وتتركنى فى الحياة وعند ذلك لا أحتاج الى تأليف ولا الى نصائح الآخرين .

سرها عند الله

واذا كان شيخ الكتاب ينشد .. ليت الشباب يعود يوما ، فان الشاعر يجيبه .. فان تسل يا صاح هل يرجع الشباب ، فدونك الايضاح يغني عن الجواب ، ان الصبا قد راح واقفل الأبواب .. وضيع المفتاح .

وان كان مفتاح الشباب قد ضاع فان مفتاح الحب عند توفيق الحكيم لا يضيع ، لذلك يسأل المفكر الاسلامي والأديب د. حسين مؤنس ..

(س) • عن سر المحبة التي وضعها الله في قلوب الناس لتوفيق الحكيم بحيث يندر أن نجد عدوا لك خاصة بين الكتاب .. دلنا على سر هذه المحبة لنعرف ونتعلم ؟ .

وسؤال د. مؤنس نابع من أن الأستاذ الحكيم لم يدخل أبدا في معارك نشأ عنها خصومة بينه وبين أقرانه مثلما كان يحدث مثلا بين العقاد وطه حسين ، ولكن السر كما يقول الحكيم : سرها عند الله تعالى ، والذي أعرفه فيما يخص بي أني لا أحمل نحو أحد شعورا بالضرر والأضرار . واذا كان عندي نقد بالنسبة لأحد فاني أنقده من أسلوب ودود ولا من أسلوب العداوة . ومن يغرس المحبة كبذرة في بساتين مثمرة يجني السعادة والطيبة فانه يحصد المحبة وليس العداوة . وأما المعارك التي اضطر الى دخولها فانها لا تجرح أحدا لأني أجعلها موضوعية . والهدف منها الوصول الى حلول ايجابية واجابات مفيدة ، ولا تنقلب معارك يقصد بها التجريح والاساءة .

ارجو دعواتك

ولكن توفيق الحكيم اذا تركنا طبيعته كانسان لا يبغى معاداة أحد الا أنه لا يستطيع أن يبعد عن نفسه غضبين ، غضب مودة من محبيه ، وغضب عدم الرضا عن بعض مؤلفاته ، والاختلاف معه فى الرأى ولكن بما لا يفسد للود قضية .

●● ومن غضب المودة عتاب الشيخ عبد المنعم النمر ، والذى لم يكن له سؤال يسأله غير السؤال عن كتاب له « الاجتهاد » أهداه الى الأستاذ الحكيم وأشار اليه فى أحد مقالاته ولكنه لم يكتب عنه ، ويسأل .. هل قرأته أم مازلت بعيدا عن قراءته ؟

يجيب الحكيم بلباقة ودبلوماسية : قراءاتى قليلة اليوم لأنها تجهدنى أشد الاجهاد ، لأن الكتابة عندى عمل يقتضى منى المجهود الذى لا أحتمله اليوم كثيرا على الرغم من أنى أتناول من الأدوية كل يوم ما يساعدنى بأمر الأطباء على التركيز الذهنى الذى أستطيع به أن أكتب شيئا يمكن أن يقرأ ، وأرجو من دعواتك يا أيها الشيخ النمر أن يسمع الله دعاءك لى بتقويتى التى تسـاعدنى على قراءة كتابك القيم فى « الاجتهاد » ، والكتابة عنه بما يستحق .

يالمكر والخبث

وما يكاد الحكيم يخرج من سؤال الشيخ النمر له عن كتابه حتى يقفز الكاتب الأديب أنيس منصور ممسكا بدبلوماسية شيخ الكتاب « نعم ولكن ليس الآن » على طريقة الدبلوماسية الأسبانية ، ليبدى أنيس منصور استعداده للانتظار الى ما بعد « الآن » فيحجز مقدما فصلا فى كتاب لم يؤلفه الحكيم بعد .. فيقول ..

●● لى ملحوظة لأستاذنا الحكيم بشموخه الفكرى والأدبى

واستاذيته ، وهي أنني أرجو منك اذا الفت كتابا جديدا في الفكر ان يكون لي فضل فيه ؟

فيضحك الحكيم قائلا وكأنه لم يفاجأ بهذا المطلب ..

هذا ما كنت أود أن ألقيه على « العقاد » لو كان حيا : كنت أصوغه كالآتي « لقد أرسل (أنيس منصور) بكتابه الضخم « فى صالون العقاد » أشعة مكثفة أضاءت وجه « العقاد » ، فاذا كتب العقاد كتابا جديدا فأى أشعة يمكن أن يرسلها الى وجه « أنيس منصور » ، فغضب « العقاد » وقال ثائرا :

ياللمكر والخبث ! .. تقصد أنى أنا « القمر » الذى أضاءت وجهه أشعة الشمس ، وأن على القمر أن يرسل بدوره أشعته لتضىء « الشمس » ؟! .. قلت : وماذا فى ذلك ؟ .. ان القمر أشعته تضىء العشاق والحالمين ، أما الشمس فأشعتها تضىء العمالقة والعباقرة أمثال « العقاد » ، .. فابتسم ورضى .

●● ولكن الكاتب الأديب ابراهيم الوردانى لا يرضى الا أن يسأل عن نفسه ورأى الحكيم فيه ..

ما رأيك فى ابراهيم الوردانى ؟

فتكون اجابة شيخ الكتاب مدحا وعتابا ومطلبا فيقول :

« ابراهيم الوردانى » محبوب . وله أحباب كان يجتمع بهم فى ندوة الجمعة وانتقل منهم من انتقل الى الدار الآخرة ، ويمنعه من ذكرهم والحديث عنهم بحثه عن أرقام تليفوناتهم هناك !

من ثورة ١٩ الى عودة الوعى

غير أن مثل هذه الدبلوماسية فى الخروج من مآزق المطالب لا تنقذ شيخ الكتاب حين يؤلف كتابا لا يرضى عنه المختلفون معه

فى الرأى فما يكتبه وثيقة لا يمكن الاعتذار عنها مثل كتاب « عودة الوعى » وقرينه « وثائق فى طريق عودة الوعى » ، التى ينتقد فيها الحكيم عصر عبد الناصر الذى طرد وزيرا من أجله وضع توفيق الحكيم فى قائمة التطهير ضمن موظفى العمالة الزائدة حينما كان الحكيم رئيسا لهيئــة الكتاب ، فأبقى ناصر الحكيم وأقال الوزير ، كما منح الحكيم قلادة النيل أرفع وسام لا يهدى الا لرؤساء الدول ، ومع ذلك وضع الحكيم كتابه « عودة الوعى » انتقادا لعصر عبد الناصر الذى وضعه فى أعلى مكانة ، بينما لم يكتب شيخ الكتاب ، كتبا مماثلة ينتقد فيها ما بعد عهد عبد الناصر ، مما يراه الشاعر أحمد سويلم ملحظا يؤخذ على الحكيم ، فيقول فى سؤاله اليه ..

● ● الفنان يعبر دائما عن رأيه من خلال فنه ولهذا يمكننا ان نتعرف على موقفه من الواقع من خلال قراءة أعماله الفنية ، أما حينما يتحول الفنان الى مؤرخ ومنظر سياسى ، فنحن أمام تحول ظرفى من حقنا أن نواجهه بتعليل هذا الموقف .. حدث هذا مع الأستاذ الحكيم حينمـــا فاجأنا ب « عودة الوعى » و « وثائق فى طريق عودة الوعى » ، مما جعلنا نندهش ، واندهشنا أكثر حينما لم نجده يفعل الشىء نفسه فى عهود تالية مع تأكده من تكرار نفس ما أورده فى عودة الوعى ، فى هذه العصور .. فلماذا وقد اتخذت هذا التحول لم تستمر فى الحديث عن العهود التالية بنفس تحليلك الخاص فى عودة الوعى ؟

وهل توافقنى على أن « عودة الوعى » كانت كسرا فى جدارك الفنى حيث كنت تستطيع أن تصوغ كل انتقاداتك بأسلوبك الفنى الذى استمتعنا به فى عودة الروح وبنك القلق والسلطان الحائر .. وغيرها ؟

تظهر على شفتى الحكيم نصف ابتسامة وكأنه يردد « ضمح

النوم » عنوان كتاب أديبنا يحيى حقى ، مؤكدا أن مايساله سائله فيه قد قام به ولكن لا أحد يقرأ ..

« هـذا حدث بالفعل وموجود بتفاصيله فى كتاب لى ضخم « ٦٠٠ صفحة » باسم « حكم مصر » أو « شجرة الحكم السياسى من ١٩١٩ ــ ١٩٧٩ » تجده فى المكتبات وفيه الجواب عن هذا السؤال ، وعرضت فيه مراحل مصر السياسية من بعد ثورة ١٩١٩ وصورة الديمقراطية المزيفة كما وصفتها ، وكما تنبأت بنهايتها بالثورة المبـاركة كمـا سميتهـا لأول مرة ، ثم مجىء هـذه الثورة ١٩٥٢ واستقبالها بتحمس شديد ، وما جرى فيهـا بالوثائق على قـدر الامكان ، فاقرأ هذا الكتاب تجد الاجابة . كما تجد أن أسلوبه قد جمع كل أساليب المؤلف من سياسية وفنية « قصص ومسرح » ، أما أن الكاتب المبدع فى الرواية والمسرحية يجب عليه أن يستخدم فقط فى انتقاداته وانطباعاته الاجتماعية والسياسية أسلوبه الفنى ، فهذا ما تجد خلافه عند « برنارد شو » فى انجلترا ، و « سارتر » فى فرنسا ، و « جوتة » فى المانيا ، و « تولوستوى » فى روسيا .. فكل هؤلاء الاعلام مع شهرتهم فى الابداع الفنى ــ رواية ومسرحا وشعرا ــ لهم كتب مشهورة فى الاجتماع والسيـاسـة بعيدة فى أسلوبها عن أسلوبهم الفنى المبدع .

لم أستفد بحياتى

واذا كان الحكيم متهما بأنه لا يكتب عن عهد الا بعد انتهائه كما فعل مع عهد عبد الناصر . ونفى الحكيم ذلك بدليل انه انتقد عهد السادات والسادات لا يزال حيا ، وأكبر مواجهة معه فى تلك الوثيقة التى تصدر فيها الحكيم كتاب مصر ، مطالبين السادات بأن يحسم أمره للحرب التى طال انتظارها بينما مصر تعيش فى حالة

من اللاسلم واللاحرب ، ولم يكن أحد يعلم أن الرجل يعمل فى
وصمت من أجل الاعداد لحرب العاشر من رمضان .

فان الكاتب والروائى محمد جلال يسأل عن هذا التحول
سياسة الحكيم من المهادنة مع النظام فى عهد عبد الناصر الى الم
المباشرة مع نظام السادات ، فيقول :

● لحظتان فى عمر شيخنا الكبير توفيق الحكيم ..

الموقف الوسط .. التعادلية ، والبرج العاجى ، والهـ
الى الرمز .. أى الوقوف على شاطىء الأمان فى بحر السلطة الـ
الى حد الخوف أحيانا ، ثم اللحظة الشجاعة التى ألقى فيها
المفكر الكبير بنفسه فى بحر السلطة العاصف ، فكتب وثيقته
التاريخية الى الرئيس السادات ..

● ● فأى اللحظتين أفضل ، وهل لو عاد العمر من
بالمفكر الكبير .. فهل تكتب عمرك الفكرى بسطور الخطر أم
بالجلوس على شاطىء الأمان فى بحر السلطة العاصف ؟

ويرى الحكيم أن مسئولية اساءة فهم موقفه ترجع الى
كتبه ، انها هى المسئولة عن تصوير مواقفى الشخصية ، «فالتع
توحى بمعنى الموقف الوسط حرصا على الأمان ، فى حين أن
الحقيقى عندى هو عدم طغيان قوة على قوة ، كما أن « البرج الع
يوحى بمعنى الهروب من المجتمع خوفا من الزوابع ، فى حـ
كان المقصود به يوم نشر فى الثلاثينات هو الارتفاع عن الخص
الحزبية التى دمرت الحياة السياسية .

أما موقفى فى العريضة التى كتبتها الى السادات ، فهـ
أثر اعلانه عن عجزه عن الرؤية الصحيحة للموقف الحرج لمصر
انه يعيش فى الضباب ، وعلى كل حال فان الذى يوضح حقيقة

السياسى هو كتابى « حكم مصر » أو « شجرة الحكم السياسى من ١٩١٩ الى ١٩٧٩ » ٠

أما اذا عدت الى الشباب النشيط لأسلك نفس الطريق أم لا ، فاننى أرى أن أعيش عيشة عملية نشيطة ولا أركز على حياة الفكر ، وسوف أمارس العوم فى البحر المالح وفى بحر السياسة المالحة أيضا ، وفى الواقع أننى أفضل أن يواجه الانسان أى موقف سواء كان عاصفا أو غير عاصف ، ليعرض الحقيقة التى يراها ، والا يكون قد خان مهمته فى اظهار الحقائق ، وقد فعلت ذلك مما هو واضح تفصيلا فى الكتاب الذى أشرت اليه ، ولم أهرب أبدا وان كنت قد ابتعدت عن الأحداث السياسية ، ولو كنت أنتمى لحزب سياسى لظهر وجودى فى بحر السياسة ، ولكننى ابتعدت عنه ليس خوفا من المواجهة ولكن لأن بحر السياسة كان غير صحى ، من يرتده ويسبح فيه تكون له أغراض ومصالح ومطامع فى الحكم ، مما جعلنى أبتعد عنه خوفا من البلل لأنه بحر ملوث ٠ لا أقول ذلك اليوم وأنا فى نهاية حياتى رغبة فى أن أدافع عن نفسى لأن شعورى الآن عكس ذلك ، وهو الضيق والندم على أنى عشت طويلا بدون أى عمل ظاهر فائدته العملية للوطن ، لذا اذا كنت تجد اننى هربت وجلست على شاطىء الأمان من بحر السلطة العاصف ، لطبيعة فى النفس أو خوف ، فان ذلك لا يغضبنى ، ولكنه فى الحقيقة يؤكد عندى الشعور ٠ بأننى لم أستفد بحياتى الفائدة المطلوبة لأن اهتمامى بالناحية الفكرية والتأملية واهمالى للناحية العملية لم يكن قط عن خوف لأن الخوف سهل التغلب عليه بأى شىء ، أو نحرص على الا نقع فى مضار ، ولكن الخطورة هو أن نكون قد جهلنا وضعنا ، أو أن نكون قد أمضينا حياتنا فى التطبيل لكل عهد ، أو السباحة مع التيار ، أو نميل مع كل ريح حيثما تميل ٠

لذلك لم أنزل بحر السياسة للسباحة فيه ، ربما هروبا أو

خوفا لا أعرف ، وانما الذى أعرفه أن حياتى لم تسفر عن أى شىء له أهمية فى نظرى ، لذلك أشكر الأستاذ محمد جلال لهذا السؤال الذى دلنى على الموقف الذى أشكو منه وهو أن حياتى الطويلة قد اتجهت اتجاها بعيدا عن الصواب فى أشياء كثيرة ٠

اعادة كتابة عودة الروح

ـ واذا كان شيخ الكتاب قد نسى مثلا أن مؤلفاته قد أضاءت سماء جيل بل أجيال ، وقد أشعل فيها الضوء فى ظلام الفكر ووضع أساس المسرح العربى الحديث بما قد صار له بسببه من مكانة عالمية . واذا كان الحكيم قد نسى أن كتابا مثل « عودة الروح » قد تأثر به جيل ثورة يوليو وقائدها ، فان أحدا لم ينس ، ولذلك تسأل د٠ نعمات أحمد فؤاد المترنمة بحب مصر وتاريخها ٠

● كتبت بالأمس كتابك بالقلب المصرى « عودة الروح » فى مرحلة معاناة ومحنة قومية ، ومصر الآن تمر بمعاناة من لون آخر ولكنها ليست اقل عذابا وجراحات ٠ فهل لو كتبت « عودة الروح » مرة اخرى فماذا تقول٠٠ ما هى الخطوط العامة لكتاب عودة جديدة ؟

ويشك الحكيم فى قدرته على ان يكتب عودة جديدة للروح ٠٠

« أكتب الآن ذلك ؟! ارجعونى عشرين سنة مرة أخرى ٠٠ أنا مخلوق متهدم فى طريقه نحو التسعين ٠٠ وقد تفككت أجزاء قواى ٠٠ وصلتى بالمجتمع لا تسمح ٠٠ وأكاد لا أفارق مسكنى ومقعدى ٠٠ البركة كل البركة فى أجيال الشباب والرجولة ٠٠ فعليها أن تنجز ما نعجز عنه نحن الآن ٠٠ وهو وصف مصر الحديثة ففيها من العيوب والمعوقات والانتكاسات ما يملأ المجلدات ٠

● ولكن هذه الاجابة لا تكفى فيكرر شيخ الصحفيين حافظ محمود نفس السؤال ولكن بصيغة جديدة ٠٠

لو أنك فكرت فى اعادة تدوين كتابك العظيم « عودة الروح » سواء كان هو بذاته أو كان جزءا ثانيا له ·· فما هى الفكرة الجديدة أو القديمة التى تركز عليها فى هذه الحالة ؟

فيتوقف شيخ الكتاب أمام مسألة كتابة جزء ثان لعودة الروح ، ليوضح أن الجزء الثانى قد كتبه فعلا وان لم يأخذ النقاد بالهم ، وما دام قد سئل فانه يعلن لأول مرة :

« كتابى « عودة الروح » له ما يكاد يشبه الجزء الثانى ، ولكنه ليس كذلك ، لأنه ليس استكمالا لحوادث أو لمكان ·· بل هو مجرد انتقال نفس البطل « محسن » من مكان الى مكان ، ومن سن الى سن ، ومن قضية الى قضية ، وهذا ما حدث فى كتابى « عصفور من الشرق » ، فالبطل فيه هو نفس بطل « عودة الروح » ، ولكن السن مختلف والمكان مختلف والقضية مختلفة ·· فالبطل « محسن » فى « عودة الروح » مصرى فى صباه تشغله قضية عودة الروح الى مصر ·· وشعار الكتاب ما جاء فى كتاب الموتى الفرعونى « انهض يا « أوزوزيس » ، أنا ولدك « حوريس » جئت أعيد اليك الحياة ، لم يزل لك قلبك الحقيقى ، قلبك الماضى » ·

أما فى « عصـــفور من الشرق » فنفس البطل « محسن » وقضيته وانتماؤه ليس مصر فقط ·· بل هو فى سن الشباب المفكر ينتمى الى الشرق العربى ، ودينه الاسلام ، وشعاره المكتوب على الكتاب هو اهداء الى « السيدة زينب » قريبة الرسول وبنت الحجاز العربية ·· وقضيته بذلك أصبحت قضية الشرق العربى الاسلامى فى مواجهة أوربا بعقيدتها وحضاراتها المختلفة ·

فمن الممكن اذن أن نقول ان « عودة الروح » هو الجزء الأول المصرى ، وان « عصفور من الشرق » هو الجزء الثانى العربى ·

باريس تفقد شخصيتها

● ● وعن « عصفور من الشرق » يسأل الأديب الناقد خيرى شلبى ٠

لو كتبت « عصفور من الشرق » مرة اخرى هل ستظل وجهة نظرك كما هى أم ستتأثر بمـا لحق بالحضـارة الغربية والروح الشرقية ٠٠ من ايجابية فى الغرب وسلبية فى الشرق ؟ ٠

فيقول الحكيم ٠٠ « عصفور من الشرق » لم يكن فى الحقيقة اشادة بالغرب على طول الخط ولا انتقاصا من الشرق بل العكس هو الصحيح ، فانى كتبت كل ما يمكن من تقدير صحيح للغرب فى حالة انهيـاره بالروح المـادية ، على الرغم من اعجابى ببعض انجازانه ، ثم اشدت بالروح الشرقية وبعظمة الاسلام والدفاع عنه حتى عندما وجدت انه سيتأثر بمادية الغرب ، الى حد أن بعض الكتاب الأوربيين عندما قرأه ونقده وصفنى بأننى مؤلف رجعى لأنى هاجمت الغرب مهاجمة شديدة ٠ والآن عندما أرى المجتمع الغربى وخاصة باريس وقد زرتها أخيرا وأنا فى الثمانينـات وجدتها قد فقدت شخصيتها الذاتية التى شاهدتها فى شبابى فى العشرينات ، وأصبحت باريس فى الثمانينـات متأثرة بالحضـارة المادية التى نفرتنى منها ، ولذلك لم أذهب فيها الى مسرح لأنى وجدت أغلبه « عروض » مما يعجب السائح الأمريكى ، كما لم تعجبنى أصناف الطعام فى المطاعم لأنى وجدت أن الذوق الأمريكى فيها ٠

أما الشرق فهو مضطرب فى أفكار متناقضة دون أن يهتدى الى شخصيته الخاصة التى كنا قد بدأنا نبحث عنها من أول العشرينات فرحنا نراجع تراثنا القديم ونضعه فى القوالب الحديثة ، وما أخشاه اليوم أن الأجيال الجديدة لا تسير فى هذا المسار ، بمعنى انهـا

لا تحاول أن تستخلص شخصية مصر بوضع الجسور بين تراثها القديم والاردية العصرية فى الزمن الحديث ·

●● وبحثا عن موقع ثقافتنا وسط المتناقضات ، يسأل الموسيقار مدحت عاصم ، توفيق الحكيم مذكرا اياه بخطاب قديم ·

كنت قد بدأت حياتك الفكرية بتوجيه خطاب الى طه حسين ، نشرته مجلة « الرسالة » وفيه تتساءل ·· أين موقع ثقافتنا ·· هل هى ثقافة أوربية ، أم ثقافة اغريقية ، أم ثقافة عربية ·· والى أين نتجه بثقافتنا كما ينبغى أن تكون ؟

وأنا أعتقد أن هذا السؤال لا يزل الى يومنا هذا مطروحا ·· فما هى هوية الثقافة فى بلدنا ، هل هى أوربية عالمية ، أم هى عربية ، أم هى اسلامية ·· أم علينا أن نقول انها ثقافة مصرية تجمع شتى الروافد لتصب فى نهر مصر العظيم ؟

فيجيب شيخ الكتاب بأن سائله قد أجاب عن السؤال « وحملت عنى مشكورا عبء الاجابة التى خلاصتها ··

علينا أن نقول أنها ثقافة مصرية تجمع شتى الروافد لتصب فى نهر مصر العظيم » ·· ولقد كنت فى مبدأ الثلاثينات قد عرضت أثناء مناقشاتنا أنا وطه حسين فى موضوع « التيار الثقافى » ·· الذى يجب أن تسير فيه ثقافتنا المعاصرة ·· وانتهت مناقشتنا على الاتفاق بين طه حسين وبينى على أن ثقافتنا يجب أن تشمل هذه التيارات الثلاثة جميعها ، وهى ما لخصته عبارتك بقولك : ثقافة مصرية تجمع شتى الروافد لتصب فى نهر مصر العظيم » ·

●● ولكن هل فى امكان المثقف المصرى المعاصر الذى عليه أن يقوم بعملية التزاوج بين ثقافته المصرية والثقافات الأخرى ، هل يصلح لقيادة حركة التنوير ؟

هكذا يسأل الأديب الناقد د· سمير سرحان ، ويجيبه شيخ الكتاب قائلا : حركة التنوير مضى عهدها ولقد كانت موجودة فى العشرينات والثلاثينات لأنها كانت استجابة لرغبة المجتمع كله وهى التحرك نحو العقل والنضج العقلى والثقافة العليا · فافتتاح الجامعة المصرية في ذلك الوقت كان فتحا للعقول ، وكان الأساتذة العظام وعلى رأسهم المثقف الفيلسوف أحمد لطفى السيد ، لم يكونوا مجرد ملقين لدروس تؤدى للنجاح والوظيفة ، بل كانوا أضواء تحمل مصابيح تنير العقول سواء داخل الجامعة أو خارجها ، وكانت المؤلفات آنذاك تهدف للتنوير والتثقيف والرقى الفكرى والحضارى الذى كان مطلوبا لمصر فى ذلك الوقت ، والتى كانت أهدافها أن تشعر العالم بأنها جديرة بالاستقلال التام الذى تطالب به ·

اذن كان التنوير هدفا عاما ومطلبا عاما لمصر والمجتمع المصرى ·

أما اليوم فقد تغيرت رغبة الجماهير لأن الجماهير اليوم ليست متجهة الا الى شيء آخر وهو « المتعة » وكيف نمضى وقتا طيبا فى مشاهدة فيلم أو مسلسل أو شيء مما يدخل السرور والراحة والامتاع للنفس ·

اذن تغير المجتمع ، من مجتمع يطلب التنوير الى مجتمع يطلب المتعة ويبحث عن الوسيلة التى تضحكه ، والوسيلة التى تأتى له بأكبر قدر ممكن من الفلوس بأقل ما يمكن من المجهود ، فالمجتمع الآن لا يريد التنوير بل يريد المتعة ·

عفريت مخيف

● ولا شك كما يقول الشاعر محمد التهامي أن الانصراف عن التنوير الى المتعة والمادة راجع الى التغيير الذى طرأ على البنية الثقافية للانسان المصرى لذلك نريد تبيانا حقيقيا للتغيير الذى طرأ على هذه البنية حتى يبدو جليا الفرق بين الجيلين · السابق واللاحق على نحو يمكن التوصل منه الى تصوير أدوات التعامل الثقافى والفكرى ·

ويرى الحكيم أن « الخطر الذى يهدد الأجيال الجديدة هو عفريت مخيف اسمه « التليفزيون » وهو ما لم يكن موجودا فى الأجيال السابقة ·· فجيل الماضى هو جيل « الكتاب » أى القراءات ، أما جيل اليوم فهو جيل « التليفزيون » أى جيل المرئيات ·· وبمعنى آخر : القراءات هى الفكر والتأملات ·· والمرئيات هى الفرجة والمعلومات ، ولا قيمة للمعلومات اذا لم تقترن بتفكير وتأمل وبحث وهو ما يغرسه الكتاب فى العقل ·

● ● ويسأل الشاعر محمد التهامى أيضا ·· بمناسبة الصلة الوثيقة جدا بينكم وبين الثقافة العربية والثقافة الفرنسية ·· الى أى مدى يمكن المزج بين الثقافتين امتزاجا يؤتى ثمرة عربية مصرية فى أهم خصائصها مستفيدة أكبر الفائدة من الثقافات الطارئة ؟

يقول الحكيم : يجب أن يتم زواج مثمر ، كزواج الرجل العاقل بالمرأة العاقلة ·· كلاهما مستقل بشخصيته وجسمه ولكنه قد ينتج وليدا جديدا بخصال استمدها من هذا الزواج الصالح السعيد

● ● هل يعتبر ما توصلتم اليه شخصيا هو النموذج الأمثل أم تنتظر تطورا جديدا مغايرا ؟

هكذا سأل الشاعر التهامى وأجاب الحكيم :

لا أظن أن مزجى بين ثقافتى العربية والفرنسية ، هو النموذج الأمثل ، فأنا مجرد تجربة ، وهذه التجربة تحتمل الصواب والخطأ ، وأخطائى كثيرة ٠٠ وصوابى لا أعرف عنه الا القليل ٠٠ وما أنتظره من تطوير سوف تقوم به الأجيال الجديدة باذن الله تعالى ٠

أعيدونى لسن الأربعين

اذن فلا زال شيخ الكتاب عنده أمل فى الأجيال الجديدة ، ولهذا يسأل الناقد د٠ نبيل راغب ٠٠ وما رأيك فى كتاب المسرح والرواية الذين برزوا فى السبعينات والثمانينات ؟

يقول الحكيم : لم أحضر فى السبعينات والثمانينات أى مسرح لا فى مصر ولا فى الخارج لأن صحتى كانت قد بدأت تمنعنى من ذلك ٠٠ وهذا نفس ما حدث فى المطالعات ٠٠ كل ما أستطيع أن أقوله هو التمنى لهذه الأجيال بالتفوق بالابداع الرفيع وقد نتسمحناها ونكرر النصح ٠٠ وهو الاهتمام كل الاهتمام بتكوين القدرة على هذا الانتاج الرفيع بالثقافة الشاملة ٠٠ الثقافة ٠٠ الثقافة ٠٠ الثقافة ٠

● وما دام الحكيم لم يحضر مسرح السبعينات والثمانينات ولا قرأ لجيلهما و لايملك سوى النصح لهما بالثقافة فلا شك فى قراءته لجيل الأربعينات الذى يسأله عنه الناقد د٠ محمد عنانى ٠

ما رأيك فى جيل الأربعينات من تلاميذك كتاب المسرح ٠٠ هل قرأت لنا شيئا وما رأيك ؟

قال الشيخ الكتاب : جيل الأربعينات يعيش جيله ومجتمعه وأنا لابد أن أصدقه فى ذلك لأنى مختلف عنهم فى العمر والظروف ، فلابد أن يكونوا هم على صواب ، الشىء الوحيد فقط الذى ممكن أن

أنصح به مما سبق أن كررته هو أن يهتموا بالثقافة الشاملة لأنها هى ركيزة للشخصية المبدعة ٠

● ● ويسأل د٠ عنانى ، الأستاذ الحكيم : ما هو الفرق بين ابداعك فى الأربعينات من عمرك وابداعك فى الثمانينات ؟

ويجيب الحكيم : الابداع ليس مرتبطا بالسن والعمر ولكنه مرتبط أيضا بظروف المجتمع الذى نعيش فيه وننتج ٠٠ ففى الأربعينات من عمري كان المجتمع المصري فى حالة نهضة تنوير تحتاج الى تقوية العنصر الفكرى والعقلى فى الأدب ولذلك رأيت أن المسرح فى ذلك الوقت لا يمكن أن يحترم الا اذا دخل فى منطقة النهضة الفكرية ، والأدب ٠ بأن يكون فى كتاب مقروء يلتحق بالفكر أما فى الثمانينات فقد اتجه الابداع الفنى الى وسائل جديدة وخاصة بدخول التليفزيون ، وأصبح العرض المسرحى أهم من القراءة فى كتاب ، ولذلك لا يمكن أن أتكيف مع هذا المجتمع بالابداع الفنى الا اذا أعدتنى الى سن الأربعينات من العمر وأكون شاكرا لو استطعت ذلك ٠

● ● ويسأل د٠ محمد عنانى أيضا ٠٠ هل يا ترى لو كتبت مسرحية الآن هل تختلف فى الروح عما لو كتبتها فى الأربعينات ؟

يقول الحكيم : طبعا تختلف فى الروح :

لا أؤيد العمليات الجراحية

● ● ولا زال سؤال الاضافة أو التعديل ان حدث ذلك لمؤلفات الحكيم ، يشغل بال البعض فيسأل الكاتب الأديب جمال بدران :

ـ عندما يعاد طبع بعض كتب الأدباء ، يحبون الاضافة اليها

أو تعديلها ‥ فهل لو افترضنا أن الأستاذ الحكيم أعاد النظر في « اهل الكهف » أو أى عمل آخر تعتز به ‥ هل تفضل أن تبدع فيه شيئا جديدا أم تعدله أم تبقيه كما هو ؟

أجاب شيخ الكتاب : اعادة النظر في المؤلفات القديمة قد تكون ممكنة في الأفكار التي يحدث عليها المجتمع تغييرات تقتضي اعادة النظر ، أما الأعمال الابداعية فهي كملامح الوجه ‥ التغيير فيها يغير ملامحها ، وهو لا يحدث كثيرا الا بالعمليات الجراحية اذا وجدت ضرورة لذلك ٠

ولكن مجرد تغيير ملامح العمل الفني يفقده شخصيته لأن الشخصية لا تقاس هنا بالخطأ والصواب ، وهناك أعمال خالدة بقيت خالدة لضعفها وبعض النقص في ملامحها ٠ لذلك فأنا لست ممن يؤيدون العمليات الجراحية في الوجه الحي سواء للشخص أو للعمل الفني ٠

في انتظار النوم الأبدى

● ● ولا زالت العودة لـ « عودة الروح » رائعة الحكيم تحظى بأكبر قدر من الاهتمام فيسأل الناقد السينمائي سامي السلاموني

– لماذا لم تتكرر طوال التاريخ المديد لمفكرنا الكبير توفيق الحكيم تجربة روائية بحجم وقيمة « عودة الروح » و « يوميات نائب في الأرياف » ، فلم ترتفع الى مستواهما ، سائر أعماله الأخرى وخاصة في مجال المسرح ‥ فهل يرى الكاتب الكبير ان ابداعه في الرواية كان أعمق وأكثر فنية ، واذا كان هذا الافتراض صحيحا فلماذا لم تواصل العطاء في مجال الرواية ، وتركت الكتابات الصحفية – رغم قيمتها – تستغرق معظم جهدك مع أنها لا تخلد خلود « عودة الروح » ، ويوميات نائب في الأرياف ‥ هل لأنك

رأيت أن التطورات والتحولات السياسية الحاسمة فى مصر بعد فترة انجازك لهذين العملين الكبيرين لم تعد تسمح بهذا النوع من الابداع الفنى بقدر ما نفرض على الفنان نوعا من التأمل الفكرى أو حتى السياسى الذى غلب على معظم كتاباتك بعد ذلك ؟

قال الحكيم : الكتابة الابداعية الصادقة فى نظرى ليست فقط هى التى تصدر عن رغبة الكاتب المبدع ولكنها فى كثير من الأحيان وخصوصا اذا صدرت عن كاتب مرتبط ببلد له ظروف سياسية معينة ، فان هذه الظروف هى التى ينشأ منها الأدب الخاص به وبغيره •

كما أن النبت والزرع الذى نراه نابتا فانه يكون مرتبطا بأرض معينة لها ظروفها ، لذلك كانت « عودة الروح » و « يوميات نائب فى الأرياف » ، هى مجرد نبات ظهر فى أرضية واقع تاريخى اجتماعى بالذات أدى الى ظهور هذا النبات ، فاذا لم يظهر شىء من ذلك بعدئذ فهو راجع لأن الأرض أو الظروف لم ترغمنى على اظهار هذا النبات وربما أظهرت ذلك عند غيرى من الكتاب فلست وحدى فى هذه الفترة •

● ● ويسأل أيضا الناقد السينمائى سامى السلامونى ••

ـ لماذا لم يفكر الكاتب الكبير فى تسجيل معايشته الخصبة للحياة الفنية فى مصر منذ وقت مبكر جدا فى أى صـــورة أدبية تختارها وأنت الذى قدمت صورا عميقة منها وشديدة العذوبة وكنت أكثر قربا من قمم الحياة الفنية فى مصر بعد ذلك مما كان يتيح الفرصة لنوع من السرد الفنى الجميل كما عايشه مفكرنا الكبير •• فلم لم تسجله ؟

ـ **يجيب الحكيم الفنان :** الكتابة عن الحياة الفنية فى مصر أو غير ذلك من الموضوعات •• لم أعد أذكر •• هل كتبت ذلك فى

صفحات متناثرة أو لم أفعل .. وعلى كل حال فانا الآن بذاكرة لا تسمح بتذكر شيء من ذلك ، أو في صحة تسمح بالبدء في عمل جديد لم أفعله .

وأنا في انتظار الراحة التامة بالنوم الأبدى .

تشرشل يلعب في الحرب الكبرى

ولكن رغم انتظار الحكيم للراحة الأبدية ، الا أنه لا يضيع وقتا ، فهو لا يزال مستمرا في الكتابة في أهرام الاثنين ، فيسأله الكاتب الأديب جمال بدران :

ـ بمقارنة أستاذنا الحكيم بالمبدعين الغربيين مثل « برتراند راسل » و « برنارد شو » ، نجد أنه مثلهم وصل لمديد العمر ولا يزال يكتب ويبدع ..

فما هو سر هذه الاستمرارية .. هل سبب ذلك عند المبدعين الغربيين انهم يعيشون في مستوى معيشى مرتفع وحياة مرفهة . وهل يمكن أن نطبق هذه الأسباب في تفسير استمرارية أستاذنا في الكتابة والابداع رغم سنوات عمره ال ٨٨ ؟ .

ويؤكد الكاتب الكبير أنه لا يوجد سر في هذه الاستمرارية في الكتابة « غير انى طوال حياتى لم أعرف لى عملا يشغل وقتى غير ذلك . فأنا ليس لى هواية تنشغل الفراغ ، وهذا خطأ كبير لم أتوقع الحاجة اليه ، فلو كنت مثلا أحب الرحلات ، أو لعب الشطرنج ، أو الطاولة ، أو الاستمتاع بمشاهدة كرة القدم ، أو نحو ذلك .. لكان ذلك أراحنى من تركيز حياتى في شيء واحد هو القراءة والكتابة والكتابة مع الأسف مجهدة لى لأنها لابد أن تكون نتيجة قراءة أما الكاتب الغربى فهو محظوظ لأنه ربى على شغل وقته بأشياء أخرى

غير العمل الجاد ، فلابد له من ساعات فراغ فى الرياضة والهواء الطلق فى الجبال وغير ذلك .

وليس الأدباء فقط ولكن حتى السياسيين من أمثال تشرشل الذى كان مشغولا بالحرب الكبرى ومع ذلك لا ينسى يوم الراحة فى الأسبوع ، فيذهب ويلعب لعبة « الجولف » ليجدد فيها حيويته وهو فى أخطر ساعات تمر بها بلاده .. لأنهم تربوا هناك على احترام وتقدير ساعات الفراغ فيما يقوى صحتهم وعقولهم ، ونحن لم نفطن بعد الى ذلك . لهذا فأنا نادم لأننى لم أرتب حياتى على أن تكون ساعات الفراغ ضرورية لتجديد نشاطى فى غير القراءة والكتابة اللتين لا أجد غيرهما أشغل بهما الفراغ ، وزادت على ذلك أعباء الصحة الواهنة لشيخوخة تحبب الى الموت وتنقذنى من الحياة .

● ويرتبط بسؤال الاستمرارية فى الكتابة مما أوضح حكيمنا أنه لا غيرها يعرف هواية تشغل وقت فراغه ، سؤال الشاعر فاروق شوشة ..

متى ينبغى للاديب فى رأيك أن يتوقف عن الكتابة ؟

ـ يقول الحكيم .. يتوقف الأديب عن الكتابة عندما لا تستطيع يده أن تحمل القلم ، وكثير من الكتاب سقط القلم من أيديهم وبعضهم ظل يكتب الى أن مات ومنهم العقاد .. فطالما أن الفكر متألق ، وعند الأديب ما يقوله ، ويستطيع أن يحمل القلم ، فلابد ان يكتبه ولا يبخل به على الآخرين ، لأنه طالما الأديب منتجا فليخرج بانتاجه على الناس ما ظل على قيد الحياة . وكما أجعل شعار مقالاتى بالاهرام الحديث القدسى « اذا قامت الساعة وفى يد أحدكم فسيلة فليزرعها » وهذا دليل على ضرورة العمل والانتاج حتى آخر لحظة ، أما الذى يتوقف عن الكتابة ويقول ليس عندى ما أكتبه ، فهذا عجز والعجز عذر .

● ولأن أستاذنا الحكيم هو مؤسس المسرح العربي، فان الناقد المسرحي جلال العشري يسأله ..

ـ أستاذنا الحكيم أنت رائد المسرح العربي بلا منازع ولكن مسرحياتك وان وجدت صدى في نفوس المثقفين فانها لم تجد مثل هذا الصدى في نفوس جمهور المسرح .. فهل أنت كاتب مسرحي للمسرحيين أم أنك لا تكتب لجماهير الفن المسرحي، أو بعبارة أخرى .. هل أنت كاتب للكتاب أم كاتب الشعب ؟

يجيب توفيق الحكيم .. حياتي المسرحية تنقسم الى شطرين منفصلين : الشطر الأول هو الكتاب المسرحي الجماهيري في العشرينات ، وقد بدأ العمل فيها ١٩٢٢ بعد بناء طلعت حرب لمسرح الأزبكية بعامين ، وكان أول اتصالي بالجماهير في مسرحيتي التي أخرجت على هذا المسرح في نوفمبر ١٩٢٤ ، وكان « أهل الفن » وقتذاك أشبه بالمتسولين .. فقد طلب مني الملحن المشهور « كامل الخلعي » خمسين قرشا مكافأة له على ألحانه في مسرحية غنائية لي ، وكتب بخطه وامضائه ايصالا بالمبلغ يوجد محفوظا حتى الآن في متحف الفن .. كان هذا هو عالمنا المسرحي .. بينما كان زملاء جيلنا طه حسين والعقاد في عالم الكتابة السياسية والأدبية يتمتعون بالاحترام في المجتمع .

الى أن ذهبت الى فرنسا ١٩٢٥ فوجدت كتاب المسرح هناك تدرس مسرحياتهم الخالدة في الجامعات ، فعجبت وبحثت . فاتضح لي أن أعمالهم التي تدرس وتخلد ملتحقة بالأدب والفكر .. وهنا حدث التحول عندي وبدأ الشطر الثاني من حياتي فركزت اهتمامي بالثقافة الشاملة المتعمقة لأنتج أدبا فكريا محترما يوضع في كتاب ، خصوصا وأن الذي عرفني بشوامخ المسرح الخالدين هو الكتاب ،

وليس العرض المسرحى الذى لم أشاهد أكثره على المسرح •• ففى فرنسا قلما يعرض « شكسبير » أو « جوته » أو « ابســـن » • فالكتاب وحده كان هو طريق معرفتى بهم وبالاحترام الذى يحيط بأسمائهم ، لذلك جعلت هدفى منح الاحترام للفكر المسرحى بادخاله فى الأدب المقروء ، وأصبحت عندى عقدة من خشبة المسرح •• على أنى حاولت أحيانا التوفيق فى بعض مسرحيات بين الكتاب والخشبة ، ولكن الاخراج لم يساعدنى ، وفهمت لماذا كان « برنارد شو » يخاف على مسرحياته من اخراجها ويحذر المخرجين وكيف كان « تشيكوف » يسقط لولا أنقذه المخرج المثقف « ستانسلافسكى » •

● ● ويسأل الكاتب والناقد د• سمير سرحان عن رأى الأستاذ الحكيم فى المسرح الآن ؟

ـ فيجب الاستاذ : المسرح المصرى الآن كائن غريب الشكل لا نعرف له رأسا من ذنب ، وكل اعلانات المسرحيات فى التليفزيون تثير الالتفات ولا تدل على المستوى •

● ● ويرصد أديبنا الكبير نجيب محفوظ الفرق بين مسرح الدولة ومسرح القطاع الخاص فيسأل شيخ الكتاب : هل أجد لديك تحليلا موضوعيا لازدهار المسرح الخاص وتراجع مسرح الدولة فى هذه الفترة الأخيرة من الزمن ؟

يقول الحكيم : المسرح الخاص يعرف جمهوره وماذا يريد منه هذا الجمهور ، أما مسرح الدولة فى مصر فلم يعرف بعد ما هــو المطلوب منه ، ولا ماذا يريد منه الجمهور •• ولم يدرس ذلك أحد دراسة عميقة موضوعية مع كثرة الاجتماعات الرسمية وغيرها •• ولكن الحاضرين من رجال المسرح كان كل منهم يبحث فيما يريده

هو تبعا لما يناسبه. أما عندما أنشىء المسرح القومى فى الثلاثينات أيام الشاعر خليل مطران فقد قامت دراسة عميقة من كبار العقول ودعى اليها مدير المسرح القومى الفرنسى الشاعر « اميل فابر » وأنشىء المسرح « مسرح الدولة » على أساس أنه يمثل الثقافة العليا فى « الأدب العربى » والآداب العالمية مع ترك المسارح الخاصة تقدم ما ينتظره جمهورها .٠٠ ولقد قرأت بعد ذلك رأيا لأحد المتخصصين العالميين الكبار يقول : يجب أن يكون فى كل دولة ثلاثة أنواع من المسارح : المسرح القومى للكلاسيكيات والمسرح العام الجماهيرى لكل الألوان المناسبة لكل المشـــاهدين ، ثم المسرح التجريبى لاكتشاف الاتجاهات الجديدة التى لا يغامر الجمهور العادى الكبير بحضورها ، ولذلك توزع الجماهير حسب طلباتها ٠٠ من يريد الثقافة يجد أين يجدها ٠٠ ومن يريد تمضية ليلة ممتعـــة يعرف أين يذهب ٠٠ والباحث عن الجديد يحب استطلاع أين يجده ٠

أما فى بلادنا فلم يحـــاول أحد تطبيق ذلك بجدية لسبب واحد : وهو أن كل مسرح وكل ممثل يريد اقبال الجماهير فقط بأى شكل ٠٠ ولذلك نجد حتى مسرح الدولة يمارس هذا الخلط بدون تخصص ، فظهر ضعفه الى جانب المسرح التجارى المتخصص فى وسائل جذب الجماهير ٠

نبوءة دورينمات

• وبناء على هذا يسال الكاتب المسرحى الكبير نعمـــان عاشور :

كيف ترى مصر المسرح المصرى بعد الاوضاع الحالية ؟

يقول الحكيم : لا أعرف أين يتجه لأننى لو كنت متفرجـا لكنت فى حيرة ٠٠ أين أذهب هذا المساء ، فاذا أردت أن أشاهـــد

مسرحيه لنعمان عاشور فأين أجدها ، أما في البـــلاد المتقدمة في المسرح فلا توجد مثل هذه الحيرة ، فأنت تعرف مقدما أين تجـــد ما تريده وفي أي المسارح تراه دائما ، وأسأل الله أن نصل لهـــذا الوضع .

●● ولكن الناقد المسرحي فؤاد دوارة يلقى بنبوءة أمـام الحكيم ويسأله الرأى فيها قائلا ..

ـ ما تعليقك على النبوءة التى تنبأ بهـــا الكاتب المسرحـــى السويسرى « دورينمات » أثناء زيارته لمصر ، بأن المسرح في طريقه للانقراض في مواجهة أجهزة العصر الحديث كالتليفزيون والفيديو ؟

ولكن هذه النبوءة لا يأخذها شيخ الكتاب مأخذ الجد دائما « لاننى اذا قلت فى سنـــة يوم ولد المسيح ، عن المسرح الاغريقى « لسوفوكليس » و « أروبيدس » و « أرسطوفان » ، انه بعد مائة عام فقط سيكون ليس له وجود الا فى الكتب ، فقد مرت ألفا سنة لا تجد ما يمنع فى بعض المسارح المحترمة من أن تمثل هذا المسرح الاغريقى ، الذى كان أيضا الركيزة التى أقام عليها مؤلفون عظـام مسرحياتهم ، وبعض هذه المسرحيات عرضت فى أفلام سينمانيـــة ولا يستبعد بعد سنة ألفين وخمسمائة أن يبعث المسرح الكلاسيكى الاغريقى من جديد فى أثواب جديدة ، أما اليوم وبالنظرة الجديدة لعصرنا فانى مع دورينمات تماما ، ولكن ما يدرينا فى المستقبل ألا يستمر أسلوب المرئيات من تليفزيون وفيديو الا مائة عام ثم يحدث رد فعل يجعل الناس تشتاق لأن تســـتمتع بعقـولها ومشاعرها الكلاسيكية .

●● ولان النقد أساس أى نهضة فنية أو مسرحية يسـأل الأديب الناقد خيرى شلبى ..

ـ أنت والنقد ٠٠ هل استفدت منه أم تعتقد أنك لم تنقد بعد بالشكل اللائق ؟

ـ فيما يختص بالنقد فاننا فى أدبنا القديم والحديث لا نعطى النقد أهميته التى تكشف عما يقصده المؤلف خصوصا فى اطــار جيله ومن جاء بعده ٠٠ فكل ناقد يريد أولا أن يكون مبدعا كما لو كان النقد فى ذاته لا يكفيه فى حين أن النقد مهم جدا لانه المصباح الكاشف الذى يستطيع أن يصور بدقة ملامح الحركة الأدبية فى جيل من الاجيال ٠

● ● وعن النقد أيضا يســأل الكاتب المسرحى الكبير نعمان عاشور ٠٠ ما مدى احساساتك فى هذا السن بقيمة النقد الأدبى ؟

يجيب شيخ الكتاب : النقد الأدبى لا يكون له قيمة الا اذا وجد الناقد الأدبى الذى نثق بنزاهته وسعة ثقافته وهذا يتعذر وجوده فى كل زمان وخاصة فى بلادنا ، فمنذ العشرينات والناقد المسرحى على الاخص يحابى ويجامل ويهاجم تبعا لحبه أو كرهه أو علاقتــه بالمؤلفين والممثلين والممثلات ٠

● ● وعما يمكن أن يستفيده جيل عن جيل من تجربة يسأل الفنان التشكيلى الكبير صلاح طاهر ٠٠ فيما يختص بالتجربة الفنية للفنان التى عادة تكون المادة الخام للعمــــل الفنى ٠٠ هل يمكن لقيادة فنية أو أستاذية فنية مرت بتجربة ما أن تعطى هذه التجربة لفنان ناشىء أو شاب لا زال فى بداية ممارسته لموهبته ٠٠ وهــل تغنى تجربة الاستاذ اذا اعطاها لتلميذه عن أن يجــرب ويمر فى التجربة التى هى المادة الخام للعمل الفنى ؟

يقول الحكيم ٠٠ التجربة لا تعطى ولا تستعــار ، ولابد لكل شخص من تجربته هو الشخصية ولكن الخبرة الفنية هى التى يمكن

يستفيدها التلميذ من أستاذه وهى التى انتفع بها المصور الخالد « رفائيل » من أستاذه « بيروجينى » .

● ● وقبل أن نغادر محطة التجربة والنقد والمسرح يسأل أستاذ الأدب العربى د. حسين نصار ..

ـ تعتبر الى جانب كونك رائدا للمسرح فى عمومه ، ورائدا للمسرح الذهنى خاصة .. فهل تعتقد أن فى الجيل الحديث كاتبا من المسرح الذهنى فى مصر ؟

ـ يقول الحكيم : المسرح الذهنى يقوم على قضية فكرية ، والقضية عندى كانت هى الانسان والزمن « أهل الكهف » ، والانسان ودورة الوجود « شهر زاد » ، والانسان والحكمة والقدرة « (سليمان الحكيم) الخ الخ .. وهى مما يدخل فى نطاق عصر التنوير الفكرى « الثلاثينات » بادخال المسرح فى الفكر المقروء الى جانب المقال الأدبى والدراسات الأدبية ، أما اليوم فقد انتهت مهمته ، وأصبح وجوده تاريخيا فقط ، أما الجيل الحديث فأذكر منه « الفريد فرج » الذى أقترب منه بحذر ، ولكن على الرغم من انتمائى للمسرح الذهنى ، احبذ الاهتمام بالمسرح الاجتماعى الذى يصور لنا مجتمعنا أصدق تصوير والذى يمثله « نعمان عاشور » ، ولقد صدق ذلك الناقد الذى قال يوما ان « نعمان عاشور » هو الذى حطم مسرح « توفيق الحكيم » الكلاسيكى .

نجومية التليفزيون

● ● ومن المسرح الى السينما يسأل المخرج يوسف فرنسيس .

عن رأى الحكيم فى « ايفا » على الشاشة و « ايفا » الحقيقية التى كتب عنها الحكيم فى « عصفور من الشرق » ؟

يقول الحكيم .. أظن على الشاشة أجمل .. لانه مضى أكثر من ستين سنة على الاولى ولم أعد أذكرها .

● **ولان المعـروف أن نجم السينما هـو النجم وما غيره الا كواكب ، يسأل الكاتب الأديب ابراهيم الورداني ..**

الكتاب والأدباء أين تضعهم فى قائمة النجومية المصرية الآن ؟

يجيب الحكيم : النجومية الآن أصبحت فى التليفزيون وليس فى الكتاب .. فى المرئيات وليس فى القراءات .

زوبة ألهمتنى معنى الفن :

● **ولا يمكن للحوار مع شيخ الكتـاب أن يكون خلوا من المرأة .. فيسأل الكاتب .. خيرى شلبى ..**

ـ أيهما أكثر تأثيرا على أدبك .. والدتك وكانت سيدة قـوية الشكيمة ، أم زوبة العالمة ؟

يقول شيخ الكتاب : زوبة العالمة .. مع أنها لم يكن لها علاقة بالثقافة كما أتصورها ، ولكنها كانت أقرب الى فنيا ، وألهمتنى معنى كلمة الفن فى سلوكهـا ومهنتها واجتهادها فى تنمية موهبتهـا « بعودها » وبغنائهـا ، وقد حاولت تقليدها فى ذلك ، وأرادت أن تعلمنى « العود » لولا تدخل والدتى القوية الشكيمة ، وهى بعيدة تماما عن الفن وتقديره ، فغضبت وأبعدتنى عنها ، لأن الفن والتعلق به هو شىء غير محترم فى نظرها .

● **وتسأل الكاتبة الصحفية سناء البيسى ..**

ـ فى صومعة راهب الفكر توفيق الحكيم هل هناك اطيـاف لنساء يؤنسن الوحدة ؟

أجاب الحكيم : النساء لا تؤنسن الوحدة دائما ، فالمرأة تدخل وحدها أول الأمر ، واذا دخلت تدخل خلفها كل متاعب الدنيا ٠

تفســير القرآن

● ● والى حديث الدين تسأل أيضا سناء البيسى ٠٠

كنت قد بدأت منذ أعوام فى اجتهاد بتفسير المصحف الشريف ، ماذا اتممت فيه الى الآن ؟

ـ يستغرب الاستاذ الحكيم هذا السؤال متسائلا :

متى فعلت ذلك أو قلته ؟ لست أذكر اننى فكرت فى التفسير ولم يخطر قط يوما عندى ٠

● ● ويسأل الكاتب ابراهيم الوردانى ٠

ـ هل فكر الأستاذ الحكيم أن يحج الى بيت الله ٠٠ ولماذا لم ينفذ ذلك بينما كان كثير السفريات الى خارج البلاد ؟

يجيب الحكيم : لم أجد نفسى أهلا للاقتراب من الحرم الشريف، وليس من رأيى « الحج السياحى » ٠

ويسأل الوردانى أيضا ٠٠

ما رأيك فى ظاهرة الحجاب التى انتشرت فى الشارع المصرى هذه الأيام ؟

يقول الحكيم : الحجاب المنتشر أخشى أن يكون مجرد «موضة» كموضات السيدات ٠

سجادة الصلاة

● ولان العلاقة بين شيخ الكتـــاب توفيق الحكيم ، وشيخ المشايخ فضيلة الامام محمد متولى الشعراوى ، قـــد بدأت بصدام الاحاديث المشهورة للحكيم الى الله ، وانتهت بالصلح عندمـــا رأى الاســـتاذ الحكيم ، الشيخ الشعراوى فى منامه ، فأراد ان تتحقق الرؤيا ، وكان لا يزال يعـــالج فى المستشفى ، فاستجاب الشـــيخ الشعراوى لرغبته وزاره هناك وأهداه سجاده ليصلى عليها • وعندما علم الاستاذ الحكيم باننى سأزور الشيخ الشعراوى لاجراء حـــوار معه بمناسبة عيد ميلاده ال ٧٥ « مما نشر على حلقتين على صفحـات مجلة الاذاعة والتليفزيون » حملنى تحياته لهـذا الرجل واعجابه الشديد به ، ولما جاءت سيرة هدية الشيخ الشعراوى الى الاستاذ الحكيم وهى سجادة الصلاة • تمنى الشيخ الشعراوى أن يكـــون الاستاذ الحكيم مقدرا للسجادة محييا عليها شعائر الصلاة ، ولمـــا نقلت تمنيات الشيخ الشعراوى للاستاذ الحكيم ، قال : السجادة التى أهداها لى الشيخ الشعراوى عند زيارته لى فى المستشفى أيام مرضى ، لم أكن أنا وحدى الذى استعملها للصلاة • بل انى كنت أقدمها لمن يزورنى ويسمح بها • ويطلب أن يصلى عليها ، فهو اذن .. الشيخ الشعراوى ــ يمكن أن يطمئن الى أن هذه السجادة قد جذبت اليها الكثيرين من المؤمنين وأكرر الشكر للشيخ الشعراوى وأســأل الله له الثواب •

● الشيخ الشعراوى :

بين دقادوس والوزارة وأعدائه

● بينما كان سائرا راى بعض الأطفال يشيرون اليه منبهين آباءهم الى أن هذا هو الشيخ الشعراوى مما جعله يتوقف فقال له احد الاطفال : انا احبك ، فسأله الشيخ الشعراوى : ولماذا تحبنى ؟ قال الطفل : لأنك تقول كلاما حلوا .. فقال له : وماذا فهمت منه فأجاب الطفل ؟ بسذاجته وفطرته البريئة : أنا لا أعرف .. أنا مبسوط وخلاص ..

● ● ولما سألت فضيلة الامام محمد متولى الشعراوى داعية عصرنا عن سر هذا الحب من ملايين المسلمين بطول العالم الاسلامي وعرضه ؟

قال : جزى الله المحبين عنى خيرا ، وهذه ظاهرة صحية فى الايمان ، تدل على أن الايمان خلية موجودة فى المسلمين ، قد يكون العطب أصابها ولكن النواة سليمة ، لهذا فهم يفرحون عندما يجدون من يحاول احياء خلية الايمان فيهم ، وهــذا دليل على أن خليتهم الايمانية جعانة لمنهج الله .

● ● هذا من ناحية المتلقين فماذا من ناحيتك أنت كداعية ؟

يعلم الله أن كل كلمة أقولها باحساس صادق مما يفيض به الله على من خواطر يلهمنى بها الحق من خلال التأمل فى قراءة قرآنه .

● ● كيف استطعت تكوين آلتك الفكرية الجبارة ؟

أنا لم أكونها وانما كونها خالقها .

● ● هذا صحيح ولكننى اقصد ان ما تخرجه لجمهورك من علم وفكر هل كان نتيجة قراءات واسعة ؟ .

نعم ، لقد ظللت أقرأ وأستوعب وأفكر وأحلل قبل أن أخـرج للناس أنقل اليهم عصارة فكرى ·

● ● ولكن تاخر ظهورك الى ما بعد سن الستين أليس لذلك سبب ؟

تاخر ظهورى حتى تم نضجى ·

بين دقادوس والاذاعة

● وهــذا النضج العقلى والفكرى الذى ظهر لنـا به الشيخ الشعراوى متاخرا حينما شاء الله له أن يخرج له سببان فحين كان الشاب محمد متولى الشعراوى طالبا فى معهد الزقازيق الدينى ، كلفه شيخ المعهد بأن يلقى لأول مرة درس العصر فى رمضان بمسجد قريته « دقادوس » بمحافظة الشرقية ، فقام الشاب محمد الشعراوى بالاستعداد بمذاكرة حديثين شريفين من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم كما يفعل استاذه شيخ المعهد وجلس لدرس العصر الذى انتهى منه فى وقت أقل مما يقضيه شيخ المعهد فراح يكرر ما قاله ليستوعب الوقت حتى أدركه الشيخ القائم بشعائر الصلاة فى المسجد فأنقذه من ورطته بتحفيظ الجالسين للحديثين الشريفين » حتى ينتهى الوقت وبعدها استفسر هــذا الشاب من شيخ المسجد عن السر وراء استيعاب « الحديثين النبويين » لوقت درس العصر من شيخ المعهد بينما لم يتسع له ، فأفهمه الشيخ أنه لم يقتصر على المادة المكتوبة بل استعان بما استوعبه من علم وثقافة ، ومن هنا انطلق الشيخ محمد متولى الشعراوى الى عالم الفكر والثقافة والاطلاع حتى استطاع تكوين ثقافته الموسوعية التى هى أداة آلة فكره الجبارة ، ولذلك فان الشيخ الشعراوى يقسم لك أنه لم يعد يقرأ أى شىء غير القرآن ، فقد فرغ من مرحلة القراءة الى مرحلة التأمل فى آيات الله ، لقــد

أصبحت لديه الخميرة العلمية ، والماكينة القادرة على استغلال هـذه الخميرة ، وكل هذا حدث على مدى خمسين سنة راحت خلالها آلـة فكره تنضج ، وهذا هو السبب الأول في أن الشيخ الشعراوى تأخر عنا في الظهور الى ما بعد الستين · على أنه كان من الممكن للشيخ الشعراوى أن يظهر لنا في نهاية الثلاثينات من عمره وليس بعد الستين ، وقد ظهـر فعلا لبضعة أيام خـلال مالا يزيد عن الخمسة أسابيع في الاذاعة المصرية ١٩٥٠ حيث كان له حديثان ، حـديث يكتبه لاحد رؤسائه ليلقيه باسمه في الاذاعة مقابل عشرة جنيهات ، وحديث آخر كان يلقيه الشيخ الشعراوى باسمه هو مقابل «١٧٠» مائة وسبعين قرشا تضيع في المواصلات بين القاهرة وطنطا حيث كان يقيم شيخنا الذى كان يكتب لرئيسه الذى لا يخجل من نفسه أن يدعى حديثا باسمه يتقاضى عنه أضعاف · أضعاف ما يتقاضى كاتبه الحقيقى من أجر ، ومع ذلك فمن سخرية الاقدار الا يستمر الشيخ الشعراوى في حديثه للاذاعة لانها أوقفت التعامل معه بعد حوالى خمسة أحاديث ، بناء على تقرير يقول عنه ان « صوته غير ميكروفونى ولا يصلح لالقاء الأحاديث » !

فماذا كان يمكن أن نستفيد من علم الشيخ الشعراوى اذا استمر منذ سنة ١٩٥٠ وحتى اليوم ، ولكن يبدو أن الاقدار لم تكن قد هيأت بعد لشيخنا أن يظهر لنا الا في أوائل السبعينات حيث اكتشفـه المذيع أحمد فراج الذى قدمه للجمهور من خلال برنامجه التليفزيونى الشهير « نور على نور » ليلفت الشيخ الشعراوى اليه أنظار الملايين الذين مست أحاديثه شغاف قلوبهم ليملأها نورا وهدى وايمانا ·

أنا ممنون لاعدائى

ورغم هذا الحب الكبير الذى يحيط بشيخنا من محبة الا أن له معرضين عنه ومعادين له مما جعلنى أسأله :

● ● **أنت تدعو لمحبيك أن يجزيهم الله عنك خيرا فبماذا تدعو على مهاجميك ؟**

فقال الامام الفاضل : أنا لا أدعو على أحد وانما أدعو الله لمن يهاجمونني ويعادونني أن يهديهم الله ، ولكنني ممنون لهم لانهم ان لم يهاجمونني فكأنني لم أفعل شيئا ولكن مهاجمتهم لى دليل على أننى صنعت شيئا ٠

والذى يدعو الى الله وليس له أعداء يبقى نقص ميراثه من النبوة ، لإن الحق يقول « وكذلك جعلنا لكل نبى عـــدوا شيــاطين الانس والجن » ٠

فللانبياء اعداء ، وللعلماء أيضا اعداء لانهم كما قال صلى الله عليه وسلم « العلماء ورثة الانبياء » ، ورثتهم فى ماذا ؟ ورثتهم فى الدعوة الى الله وورثتهم بالتالى فى اكتساب الأعداء لأنه ان لم يكن للنبى أعداء فلماذا جاء ؟ لقد جاء لاصــلاح ما آفســـده المنحرفون والمفسدون والمستنفعون المستفيدون من الفساد ، لذا فهم أول ناس يحاربون النبى ودعوته ٠

وكذلك الداعية لمـا تجد انهم يشتموه ويهاجموه يبقى له ميراث كثير من النبوة ٠

لقد قال أعداء محمد عنه أنه ساحر ومجنون ، وقالوا عن موسى الكثير لدرجة أنه سأل ربه « اللهم أسألك بعزتك وذاتك وجلالك ألا يقول الناس فى ما ليس فى » ، أى يارب لا تجعلهم يتهموننى بما ليس فى ، فقال له الحق « يا موسى كيف أجعل لك مالم أجعله لنفسى » الم يقولوا عن الله انه ثالث ثلاثة ، وقالوا عنه ما لا يعلمون ٠

اذن فمعاداة الناس شىء منطقى لصاحب الدعوة الى الله لانهـا شهادة له انه نجح فى أداء مهمته كداعية ٠

فلا يزعجنى أبدا أى هجوم أو تطاول والحمـــد لله أن أحبابى وأعدائى مستفيدون منى ، فأما أحبابى فمستفيدون منى الهـــدى وأما أعدائى فمستفيدون ممن يؤجرونهم لمهاجمتى ·

ولكن أليسوا يتراجعون ، وآخرهم يوســـــف ادريس الذى هاجمنى فى « فقر فكره وفكر فقره » كتابه الأخير ثم اعتذر · ومهما تكن حجج اعتذاره واهية الا أن المهم أنه تراجع وأرجو أن يكون ذلك اقتناعا بالحق لا خوفا أو هروبا منه ·

أسباب بعيدة وأسباب غريبة :

• وبمناسبة الهروب سألت الشيخ الشعراوى عن أسباب هروب الشباب من العمل فى بلده بينما يرتضى العمل فى بلاد أجنبية أعمالا قد تكون مهينة ؟ ·

فقال فضيلته : لقد كنت فى « النمسا » واستوقفتنى مجموعة من الشباب ليلا والدنيا ممطرة وهم واقفون يبيعون « الصحف » · فقلت لهم « لو رضيتم بمثل هذا العمل فى بلادكم لاغتنيتم » ·

انما هم يستنكفون أن يعملوا مثل هذه الأعمال فى بلادهم ، اذن هل هم طالبو لقمة العيش أم طالبو سعة فى العيش ، ويرفضون بكبرياء ، الامتهان ؟ ·

فالشاب فاهم أنه لما يعمل أى مهنة يبقى ممتهن ، أبدا الاسلام ليس فيه مهنة عيب مادامت تتطلبها حركة المجتمع ، انما البعض يريد عملا من نوع خاص ، ولو قبلوا أن يمارسوا تلك الأعمال التى يقبلون عملها فى خارج بلادهم « كبيع الصحف » و « غسل الصحون » وما الى ذلك سيعيشون معيشة الوزراء ·

وانظر الى العامل عندنا « يوميته » وصلت لعشرة جنيهـــات

فالشباب اذن يستطيع أن يكسب فى بلده لو عمل نفس الأعمال التى يقوم بها فى الخارج ، ولأغناهم الله من فضله ٠

⊛ ⊛ وأسأل الامام الشعراوى عن الفرق بين جيلنا وجيله ٠٠ هل هناك اختلاف ؟

فيقول بصـــوت عميق ونفس طويل : نختلف كثيرا ٠٠ كان آباؤنا يتعبون من أجلنا وكنا نقدر نحن هذا التعب ، أما الآن فالآباء يتعبون من أجل أبنائهم والأبناء لا يقدرون هذا التعب ٠

⊛ ⊛ كيف يتم اعتدال هذا الميزان بين الأبناء والآباء ؟

بأن الناس يكون عندهم شجاعة ايمانية ، لما الولد يبلغ رشده ويبقى قادر أنه يتزوج ، وهذا هو معنى أنه « يبلغ » ، يجب أن يقول له أبوه « مهمتك معى انتهت واعتمد على ذاتيتك ، انما نحن معظمنا يجعل الطفولة تمتد لسن الثلاثين ، تصور « بقى » ان الواحد من سن ١٤ الى سن « ٣٠ » مازال « عيل » ويمد يده لأبيه وأمه ، ويريد بدء حياته بما لم ينته به أبوه ، يريد لما يتزوج يكون عنده « البيت العصرى » فيديو وثلاجة وتليفزيون ملون وكل الأدوات الحديثة ، وهذا غير منطقى ، ولكنه جيل مستعجل راكب أسانسير ، يريد أن يحصل على كل شىء دفعة واحدة ، وذلك لأنه جيل لم يرب التربية السليمة ٠

⊛ ⊛ قلت لشيخنا ٠٠ هل هذا يفسر لنا أســـباب التفكك الأسرى الموجود الآن فى مجتمعنا ؟ ٠

فقال الشيخ الشعراوى : التفكك الأسرى له أسبابه البعيدة وأسبابه القريبة ٠ أما الأسباب البعيدة فلأن الزوجين لم يدخلا على الزواج بمنهج الله ، فلم يختر الزوج صاحبة الدين ، ولم ترض الزوجة صاحب الدين ، والدين هو الذى يجعل الانســـان مأمونا على حركة

حياته ، لذلك فالمقاييس التى يأخذها الزوج فى الاعتبار حين يختار الزوجة • أو الزوجة حين تختار الزوج ، مقاييس موقوتة قد نكون « جمالية » والجمال لا ثبوت له لأن له « ذبول » أما مقاييس القيم الدينية كلما مر بها الزمن تقوى ، لكن المقاييس التى يأخذونها كلما مرت بها الأيام تذبل . لذا لا تجد ألفة بين زوج وزوجته بعدما تنتهى فترة المراهقة وشهر العسل ، فيزهد كلا الزوجين فى الآخر مادام الزوج يطلب له مجالا والزوجة تطلب لها مجالا آخر • فينشأ الأولاد لا يجدون اجتماعا أسريا فلا يكون هناك التقاء بين أفراد الأسرة ، فتجد الأولاد المراهقين يطلبون لهم مجالا فى الشارع وفى الحوارى وعلى المقهى ، والصغير أيضا يطلب له مجالا فى الشـــارع وفى اللعب ، وأيضا شغل المرأة عن رعاية الطفولة •

لأن الطفولة فى الانسان أطول أعمار الطفولة فى الكائن الحى لأن مهمته مهمة كبيرة فيجب أن تكون مدة الطفولة على قدر المهمة التى سيضطلع بها بعد أن يبلغ ، وفى هذه المرحلة الهامة تجد الأب مشغولا والأم مشغولة ، ومن هنا ينشأ التفكك الأسرى ، ولذا قال شـوقى رحمة الله عليه :

« ليس اليتيم من انتهى أبواه من هم الحيـــاة وخلفـــاه ذليلا

ان اليتيم هو الذى تلقى له أما تخلت أو أبا مشـــغولا » •

وهذا هو الذى حدث •• الأم متخلية عن أمومتها فى العمل ، والأب مشغول ، وهما محور الانتقاء ، ولو كانا موجودين وفيه التقاء بينهما على أساس دينى من البداية لا تجد من الأولاد من يجترىء على ارتكاب الخطأ ، فالكبير يستحى ، والصغير عندما لا يرى أحدا عمل عملا مخالفا ، فينشأ لا يعمل عملا مخالفا •

● ● فضيلة الامام ألا تجد أن تكاليف الحياة الصعبة لا يقدر عليها الزوج وحده فتشاركه زوجته بعملها بتحمل أعبائها ؟ .

فقال الشيخ الشعراوى : الرجل الذى يعتمد على المرأة فى تكاليف الحياة رجل أصابه خور فى رجولته ، وأيضـــا لأن الزوجين فرضا لنفسيهما مستوى معيشيا ليس على قدر الدخل ، والمفروض فى كل رجل ايمانى وكل أسرة ايمانية أن تفرض مستوى حياتها على قدر ما يدخل لها من طريق حلال .

على الشباب أن يتمرد على نفسه :

● ● ومادمنا قد تحدثنا عن أسباب التفكك الأسرى ومرجعه كما قال فضـــيلتكم الى انعـــدام المقاييس الدينيـــة فى اختيار كلا الزوجين للآخر ثم انشغالهما بالعمل خارج البيت عن أولادهما فهل لنا أن نعرف طريقة تربية الشيخ الشعراوى لأبنائه حتى يكون ذلك قدوة للآباء فى تربيتهم لأبنائهم ؟ .

قال شيخنا : ربيت أولادى على منهج الله كما أخبرنا بذلك صلى الله عليه وسلم .. ربيته سبعا ، وأدبته سبعا ، وصاحبته سبعا ثم أترك له الحبل على الغارب .. فالتربية فى السبع سنوات الأولى معناها أن أبين له الصواب دون أن أؤدبه على الخطأ ، انما فى السبع سنين الأخرى أؤدبه على الخطأ ، وفى السبع سنوات الثالثة أصاحبه ، وهذه هى فترة المراهقة التى يجب على كل أب أن يقلل فيها من فراغ ابنه لنفسه وفراغه الى مثله من الشباب ، تقول له : تعـــال معى المشوار الفلانى ، ساعدنى فى العمل الفلانى ، المهم انك تشغل ابنك دائما فيما بين سن « ١٤ » الى سن « ٢١ » حتى يكون تحت رعايتك دائما ، فلا ينشغل بشىء قد يفسده ، اذا كان يشرب ســـجائر ، فسيقلل بقاؤه أغلب الوقت معك ، من شربه من السجائر ، واذا كان يذهب لشباب فاسدين ، يبقى قللت ببقائه معك ، من وجوده معهم .

لذلك تلتفت تجد فى الأسرة الواحدة ، واحد « مهـــدى » جدا ، وواحد « معفرت » جدا ، لماذا رغم أن المربى واحد ؟ ذلك لأن الأول السبع سنين صادفت « حادثا » فى البيت ألزمه البيت ٠٠ أمه ماتت ، أو أخوه مات ، وغير ذلك من الأحداث الصعبة ، فمرت عليه السبع سنين الخاصة بالمراهقة ٠ دون أن ينشغل بشىء الا ما وقع له من مصاب فى عزيز لديه ، وبعد أن تنتهى فترة المراهقة يظل ســليما طوال عمره ٠

اذن فعلى كل أب أن يربى ابنه سبعا ، ويؤدبه سبعا ، ويصاحبه سبعا ، ثم يترك له الحبل على الغارب ، لأنه « خلاص بقى » ، اذا لم تستطع أن تقوم بتقويمه خلال ال ٢١ سنة فلا فائدة ٠

● ● اذن يا فضيلة الامام هل الشـــباب فى تطرفه يكون ظالما أم مظلوما ؟ ٠

أجابنى الشيخ محمد متولى الشعراوى بما يشبه لغزا حل عقدته فقـــال :

الشباب ظالم ومظلوم ٠

● ● مظلوم أولا لأن المجتمع الذى استقبله لم يأخذ بيـد الفضائل عنده ، فهو مظلوم بذلك ، لكن هل كل واحد يقبل أن يكون مظلوما ؟ ٠

صحيح يا شباب أنت مظلوم لم تربى جيدا ، لـكن هل معنى ذلك أنه تظل مظلوما ؟ لقد كبرت وصارت لك ذاتية ، اذا قال لك أبوك البس « هذا » تلبس « ذاك » ٠٠ ادخل هذه الكلية ، تدخل كلية أخرى ، وهكذا أصبحت لك ذاتية يا شباب ، فلماذا تكون لك ذاتية فى مثل هذه الأشياء ولا تتمرد على ما خلفه لك من شر ؟ ٠

اريد يا شباب أن تنظر الى الدين من هذه الزاوية ، وتقول أنا لم تحسن تربيتى لماذا ؟ بسبب كذا وكذا ، تقـــوم تتـلافاها فى نفسك ٠

اذن فالشباب مظلوم فى الأولى ولكنه ظلم نفسه فى الثانية لأنه استمر على ما طبعه عليه مجتمعه ولم يتمرد على نفسه كما تمرد على كثير من الأشياء التى مر بها ، فيقول ٠٠ أنا كبرت ، لماذا كبرت هناك فى الأمور التافهة وأصبحت لك ذاتية ٠ وهنا فى الأمور الهامة لم تكبر ، نحن ننصفك يا شباب أنت مظلوم أولا ولكن بعد أن نضج عقلك وبلغت رشدك واستويت تبقى ظالما لنفسك لأنك لم تتخلص مما تركته فيك بيئتك من سلبيات ٠

عجز ٠٠ وجعر

● الحديث عن الشباب يجرنا الى الحديث عن الجمـــاعات الاسلامية وكثرة المتدينين وانتشار الحجاب والنقـــاب ٠٠ ما رأى فضيلة الشيخ الشعراوى فى هذه الظواهر والتى يعتبرها البعض دلالة على صحوة اسلامية ؟ ٠

قال شيخنا : الصحوة الاسلامية موجودة ، لكن أخشى ما أخشاه أن تكون موجة تركب لغير ذى اسلام ٠

● كيف ذلك يا امام ؟

يعنى الصحوة الاسلامية موجودة صحيح ، لكن أنا لا أحب أن يرى الناس أن الاسلام بدأ ينتعش لأن ظنه فى النظم كلها قد خاب فاتجه للاسلام ، مما أخشى معه لو صح هذا الظن أن يجعل أناســا آخرين يدعون الاسلام وهم ليسوا مسلمين ، فيركبون الموجة وهذه هى الآفة ٠

لذا عندما ترى تجمعا يريد أن يحكم الاسلام اتهم القائمين به ، وقل لهم اذا كنتم تريدون أن تكونوا على حق بصحيح فكونوا داعية لأن تكونوا محكومين بالاسلام ·

ثم مسألة أخرى وهى لماذا هذه الجماعات الاسلامية متعددة ، لماذا لا يتفقون ، أن لكل جماعة منهم فقيها وأميرا وأتباعا ، مما يدل على أن السلطة الزمنية مسيطرة على أفكارهم وكل واحد يريد أن يصبح زعيما ، وأيضا كونهم يخوضون فى مسائل الدين وهم مازالوا « عجر » فى مسائل الدين ، لم ينضجوا بعد ، مسألة غير منطقيـة وكلام فارغ ·

⊙ ⊙ ظاهرة أخرى متعلقة بسابقتها وهى كثرة الميكروفونات الزاعقة بالأذان فى كل مكان ·· هل هذا يصح يامولانا ؟ ·

أجاب الشيخ الشعراوى مستنكرا : هذا « جعر دينى » ، اسمه جعر ، والقائمون به والمهيئون له والمســاعدون له ·· آثمون ·· آثمون ·· آثمون ··

لأنه اذا كان فى الصلاة نفسها ، قال الله لرسـوله « لا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا » ، فالجهر محرم ، وقال « ودون الجهر » ، يعنى أقل من الجهر ، فمابالك « بالجعر » ، فما بالك ليس « بالجعر » ، بل « بالمكرفة » ، يمكرفون الأصوات ، ويطلعوها مزعجة خاصة بالليل وهناك المريض والذى يذاكر ·

لقد اتخذوا من الميكروفونات ليس وسيلة أذان واعلام بالصلاة ، بل اتخذوها منابر اعلام بأصواتهم ، وهذا ليس من الدين فى شىء ·

⊙ ⊙ ظاهرة ثالثة هى كثرة بناء المســاجد هل هى ظاهرة صحية ؟ ·

نفى ذلك الشيخ الشعراوى قائلا : هى ظاهرة غير صحية فى الايمان لأن هذا تفتيت لجماعة المسلمين ، لأن مسجدا بجوار مسجد وهذا عامل زاوية وذاك عامل زاوية ، فتعددت المنابر وتعددت الأحكام ، واصبح كل مسجد وكل زاوية بضعة أفراد رغم أنه يجب شرعا أن يجتمع المسلمون فى كل حى وكل منطقة فى المسجد الجامع ، ولكن الذى حدث نتيجة كثرة الزوايا والمساجد أن تفرق المسلمون وتفتتت جماعتهم حتى فى الصلاة .

الحجاب والنقاب والمستهزئين

● ● ظاهرة متعلقة بالمرأة وهى الحجاب والنقاب وقد ثار حولهما لغط وجدل .. ما رأى فضيلة الشيخ الشعراوى ؟ ..

قال : مسالة النقاب والحجاب لم تكن « تعوز » هذه الضجة ، امرأة تريد أن تتنقب ما دخلكم أنتم .. أنا قلت لهم لماذا ثرتم على النقاب ولم تثوروا على المتهتكات .. اذا وقفتم عند هذه وتركتهم هذه ، ونسأل هل المنتقبة فاشلة فى عملها أم تؤديه ناجحة ومتقدمة أم لا . النقاب لم يعقهن والحجاب لم يعقهن .

● ● ولكن فى بعض الحالات ظهر أن رجالا من محترفى الاجرام ارتدوا النقاب للتستر خلفه كما أنه من الممكن أن تؤدى طالبة لزميلتها الامتحان متخفية وراء النقاب ولا أحد يدرى .. فما تعليق فضيلتكم ؟ .

أجاب الشيخ الشعراوى : اذا أرادوا أن يتأكدوا ممن خلف النقاب ، عندهم موظفات ليس لهن عمل ، ويمكن أن يقمن بعملية التأكد من الشخصية ، ولكن لماذا يتأكد من شخصية المنتقبة رجل . ان عندهم بنات كثيرات من غير عمل ، اجعلوهن يتولين هذه المسألة ،

ولن تجد المنتقبات حرجا في أن تراها فتاة مثلها ، ويوم ما تعترض يبقى هذا تعنت منها غير مقبول .

وأنا أعلم أن مسألة النقاب هذه أثيرت حولها الضجة في كلية الطب ، وقيل ان الطبيبة تتعرض للمرضى ويجب أن تظهر شكلها لهم ، فهل يريدونها مرفهة أم طبيبة ، والا علينا ألا نذهب الى متخصص في فن وقد أصابه الكبر ووقعت أسنانه وشاب شعر رأسه وتساقط ، ماذا سترى فيه ! .

اذن فمبررات الثورة ضد النقاب مسألة كذب كلها ، ناس عمالين يبرروا رفضهم لمنهج الاسلام .

● ● بعض الفتيات والسيدات ممن يرغبن في ارتداء الحجاب مترددات خاصة مما يتوقعنه من مشقة السخرية ممن يعرفوهن .. فكيف يقطعن ترددهن ويثبتن على اقتناعهن بالزى الاسلامى ؟ .

ذلك بأن يجعلن سخرية الناس لهن في مقابل عقاب الله لهؤلاء الساخرين ، ويفاضلن بين هذا وذاك ويقارن .. هل السخرية أهون أم عقاب الله أهون .

والذى يجعل الانسان يجترىء على معصية أو يمتنع عن طاعة أنه لا يستحضر الثواب على الطاعة ولا يستحضر العقاب على المعصية ، وكان يجب أن سخرية المجتمع تغرى المسلم على أن يتمسك بدينه ، لأن المجتمع « متغاظ » أنه لا يقدر أن يعمل مثله ، وعندما تجد واحدا يسخر من واحد ويحتقره ليقلع عما لا يستطيع أن يفعل مثله ، فاعلم أن هذا هو النقص ، لأنه ساعة ما واحد ناقص يشوف واحد كامل ، يغيظه ذلك ، كيف أن هذا كامل وهو ليس كاملا فلابد أن يأتى به لناحيته ، فيسخر منه لينحرف مثله ، لكن المؤمن الحق هو الذى يتمسك بايمانه واقتناعه ، وربنا لم يترك هذه المسألة وذكر أن هذه

مرحلة من المراحل ستمر بمن يلتزم بمنهج الله بين ناس لا يلتزمون به ، فقال الحق :

ان الذين اجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون • واذا مروا بهم يتغامزون • واذا انقلبوا الى أهلهم انقلبوا فكهين • واذا رأوهم قالوا ان هؤلاء لضالون • وما أرسلوا عليهم حافظين ، فاليوم « يوم الجزاء يعنى » ــ **الذين آمنوا من الكفار يضحكون • على الأرائك ينظرون • هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون** » •• قدرنا نجازيهم ؟ •

اذن فلازم صاحب الكمال يعرف أنه بين الفاسدين من سيسخر منه ويستهزىء به ، ولكن عليه أن يصبر ويسأل •• من الذى سخر •• انهم المخلوقون ، ومن الذى رضى بما فعلته وسخر بك بسببه الساخرون •• انه الله ، فزن هذه أمام هذه وخذ جانب الخالق تنصر دائما •

رضا النفس وشراهتها

● وسألت الشيخ الشعراوى عن قلة عبادتنا وتأديتنا لواجب الله مما يجعل اليأس أحيانا يتسرب الى نفوسنا مقارنة بالمسلمين الأوائل •• فهل من باب للأمل للمسلم فى طمأنته على جدوى عباداته ؟ •

قال : البدوى الذى علمه الرسول ، الاسلام فى خمس دقائق ، حينما سأله عما افترضه عليه الاسلام ، فأخبره بأركانه الخمسة ، فقال البدوى •• هل هذه فقط ، فلما قال له الرسول انها هى فقط ، قال البدوى « والله لا أزيد ولا أنقص ، فقال الرسول « افلح ان صدق » •

فمسائل الدين مسائل مضبوطة ، أدهـا بقدر ما تستطيع باخلاص الوجه لله ، ثم مسألة القبول أو عدم القبول اتركها لله :

ثم ان هناك مسألة أخرى يجب أن يعيها المسلم وهى ان هناك فرقا بين التدين ، وبين علوم الدين ، فالتدين لا يعوز منك أن نتبحر فى علوم الدين ، فأقول لك ادرس الميراث ثم تمضى حياتك كلها ولا تتعرض لمسألة ميراث ، أو أقول لك من أجل أن تحافظ على صحتك تعلم الطب ، أو يمكن تبنى بيتا أقول لك تعلم الهندسة ، أو يمكن تبقى لك قضية أقول لك ادرس من أجل أن تصبح محاميا ، ليس هذا مطلوب ، انما المطلوب هو أن تعرف مقومات الحياة الاجتماعية ثم تتخصص فى نوع من الحياة تنفع به نفسك وتنفع به غيرك ، واذا تعرضت لشيء لا تحسنه فاسأل أهل الذكر فيه ، فليس مطلوب الا أن يعلمها بعض المسلمين . فالحق يقول « فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين » ، ونحن يا علماء بقى لنا خمسون أو ستون سنة ومازالت أمامنا مسائل مغمضة علينا .

فليعلم المسلم من الاسلام ما به قوام حياته الفردية ثم اذا جد لك شيء اسأل عنه أهل الذكر .

● ● أحيانا أيضا ما ينظر مسلم ملتزم تسير حياته بمنهج الله فيجد نفسه يعيش فى ضائقة من العيش بينما غيره الذى لا يعرف طريقا الى الله يعيش فى سعة ورخاء من العيش . فهل لذلك من حكمة يا امام ؟ .

قال فضيلته : « عال قوى » ، ستمر بك الأيام وسترى من فى سعة العيش ربنا يخضع رقبته لواحد ممن هم فى ضيق العيش ، ويقول له : ادع لى يا عمى ، ويأتى ، يلقى بنفسه على المجاذيب والضعاف ، فلا يجد غيرهم واحة يفيء اليها .

ثم ان فيه فرق بين رضا النفس وشراهة النفس ، رضا النفس معناه انك لو دخلت ولم تجد طعاما فى البيت ، تبحث عن لقمة وحتة جبنة أو فجلة ، وتأكلها وتحمد ربنا ، ثم اذا أتوا لك بديك رومى فليس له قيمة عندك .

والشاعر يقول :

والنفس راغبة اذا رغبتهـــا

وان ترد الى قليـــل تقنـــع

ثم هنا الغاية هي التي توضح سر ضيق عيش المؤمن وسعة عيش غيره ، فمثلا التلميذ الذي لا يزال يأخذ مصروفه ويأكل فول وطعمية ، أو « شوية » سلطة ، أو فول نابت ومخللات .. هو يتحمل ذلك ليرفه حياته فيما بعد حينما يصبح ذا قيمة في مجتمعه ، كذلك الذي يعبد الله يكفيه من الحياة « قوت يومه » ، اذا لم يكن ذا سعة ، وبعد ذلك يرفه نفسه في حياة طويلة لا تنتهي حينما يثاب على طاعته ، في الآخرة .

نحن والفلاح والموظف

●● اذا انتقلنا من الفرد المسلم الى المجتمع المسلم وجدنا كمثال ان مصرنا الغالية رغم كثرة خيراتها فانها تعاني من ضائقة اقتصادية .. هل لذلك من تفسير يا امام ؟ .

قال الشيخ الشعراوي : حين يوجد خلل اقتصادي لابد أن نبحث عن السبب .. من أي شيء ينشأ الخلل ؟ . هنـــاك ثلاث حالات .. أما أننا نستهلك فوق ما ننتج فيأتي خراب ، واما أننا ننتج مثلما نستهلك فيكون الجمود ، وأما اننا ننتج فوق ما نستهلك فيكون رواج .. فأين نحن من هذه المعادلات الثلاث ؟ . اننا نستهلك أكثر مما ننتج ، فلابد أن يأتي الخلل الاقتصادي ويحدث التأخر ، وأساس هذا ناشيء من أن مقومات حضارتنا الحالية هي حضارة « تلصص » لأن الحضارة الحقيقية هي أن ننتفع بمقومات الحضارة من عملنا وجهدنا وانتاجنا ، انمـــا لما ننتفع بالحضـــارة من أشياء نستوردها من عمل غيرنا ، فهذا يعني أننا تجمدنا وأصبحنا عالة على غيرنا .

صحيح اننـــا ندفع ثمن ما نستورده ولكنه بقروض عليهـــا

فوائد ، تتراكم حتى تثقل كاهلنا ، على ان هذه ليست هى المشكلة •
انما المشكلة هى اننى باعتمادى على غيرى أصبحت متلصصا كسولا ،
لا حضارة لى أعتمد عليها فى تقدمى ، لدرجة اننا ونحن بلد زراعى
أصبحنا نستدين ثمن رغيف العيش ، ومن الغريب العجيب أن
الفلاح الذى كنا نعتمد عليه فى رغيف العيش أصبح هو أيضا
يشتريه مثل أهل المدينة من الطابونه ، ومع ذلك نجد عند الفلاح
تليفزيون وثلاجة وفيديو ، وهذه رغم أنها دلائل تقدم فى ظاهرها
الا أنها فى الحقيقة دلائل تأخر وتخلف لأن الفلاح أخذ ارتقاءات
فى غير مجاله وليست من صنعه •

انما لو كانت القرية تنتج رغيف العيش وتكفينا وتغنينا عما
نستورده من طعام ، فان وجود الأدوات الحديثة بعد ذلك فى القرية
يكون تقدما وارتقاء ، لأنك اذا أردت أن ترتقى فلابد أن يكون ذلك
بعرقك ، فاما أن تنتج أدوات الارتقاء ، أو تستوردها مقابل ماتصدره
من انتاجك •• هكذا يكون ارتقاء الأمم ، انما لما استورد أدوات
الرقى وأنا لا أنتجها ولا أصدر مقابلها فلابد أن يوجد الخلل •

ومن الغريب أنك تجد الدول النامية تعيش معيشة فى مستوى
الدول الكبرى فنجد فيها مثلا عدد الوزارات الموجودة فى أمريكا
والموجودة فى بريطانيا ، وأى حاجة يرونها هناك يقلدونها دون النظر
الى أنها تناسبهم أو لا تناسبهم •

والمفروض أن كل الدول النامية تعيش على قدرها ومستواها
وظروفها •• أما محاولتها تقليد الدول الكبرى فمسألة غير منطقية
لأنها بذلك تتلصص على الحضارة وليس لها ساق تمشى بها الى
الحضارة •

● هل لك راى يا فضيلة الشيخ فى قضية الدعم ؟ •

أجاب شيخنا : من العجيب أن تجد رغيف العيش الذى

نستدين ثمنه يأكل منه الغنى والفقير ·· مسألة عجيبة ، ولذلك يجب تحديد من يستحق أن يأخذ رغيف العيش بثمنه الحقيقى ، ومن يستحق أن يأخذه بثمنه المدعوم ··

●● ماذا أيضا من السلبيات التى تراها فضيلتكم ؟ ·

قال الشيخ الشعراوى : الموظف مثلا الذى يحصل على راتبه على أنه حق ضرورى له دون أن ينتج ، واذا طلبت منـه أن يقوم بعمله يقبض عليه حوافز ·

وهذا خطأ تتحمله الدولة لأنها عودت موظفيها على أن يأخذوا دون أن يعطوا من منطلق ان الدولة تقوم بكل شىء ، وعلى هـذا فالموظف يتصور أنه كجزء من الدولة مقرر له المرتب بصفته منتسبا للدولة ·

لقد أصبح الناس يأخذون ولا يعطون ، واذا أعطوا لابد أن يأخذوا أيضا ·

●● وما رأى الاسلام فى هؤلاء الموظفين الذين يتقاضون مرتباتهم دون أن يقوموا بواجبات عملهم ؟ ·

أحمل شيخنا الاجابة بقوله ·· مرتباتهم حرام ـ ثم فصل قائلا ـ يقول الرسول صلى الله عليه وسلم :

« اعطوا الأجـير أجره قبل أن يجف عرقه » ·· يعنى لازم يتعب ، ولكن الذى يحدث أنه يأخذ « أجـره » ، و « يصهين » تاركا الثانية وهى أن « يعرق » ، والمفروض الا يأخذ موظف أو عامل أجره قبل أن يجف عرقه ، فلازم يعرق ، واذا لم يعرق لا يستحق أجرا ، فاذا أخذ أجرا بغير عرق فانما يأخذ حراما وسحتا ·

● ● ومن الفرد والمجتمع والدولة انتقلت بالحوار مع ضيفنا الامام محمد متولى الشعراوى الى العالم الاسلامى وواقع المسلمين الذى لا يسر حبيبا وان كان يسر عدوا ، سألت شيخنا عن تقاتل الدولة الاسلامية فيما بينها وذنب المقتولين فيها وموقعهم من الشهداء ؟ .

فقال فضيلته : تـرى لماذا تتقاتل دولة اسـلامية مع دولة اسلامية ؟ . هل تتقاتلان على نظام اسلامى تريد احداهما اقراره ؟ . اذا صح هذا يبقى قتال مشروع ، انما اذا كان قتالا لمصالح شخصية وأهواء حكام يبقى قتال بلا قضية تتحملها الشعوب ، ولا فائدة الا الضعف والخسران ، ويصبح المقتولون من الجماعتين شهداء حكامهم لأنهم ان لم يطيعوا ويقاتلوا .. قتلوا .

● ● قلت لشيخنا .. سألنى بعض الاخوة المصريين الذين يعملون فى دول اسلامية متقاتلة ان أعرف رأيكم من مدى مشروعية عملهم فى هذه الدول الاسلامية المتقاتلة ؟ .

فطمأنهم شيخنا قائلا : لا وزر عليهم الا اذا كانوا مستأجرين .

● ● وسألت .. ألا يوجد أمل فى تقدم المسلمين ؟ .

قال الشيخ الشعراوى : لا يوجد أمل فى التقدم ان لم يكن عند المسلمين منهج يوحى بالتقدم ، واذا كان عندهم منهج ولا يعملون به فلا قيمة له ، مثل مريض أمامه صيدلية .. فهل شرب المريض الدواء ؟ .

والمسلمون لديهم منهج اسـلامى يتمثل فى القرآن والسنة وما بقى تركه الحق لاجتهاداتهم حسبما تتطلبه حركة حياتهم ، فهل

أخذ المسلمون بالعلم الذى دعاهم اسلامهم الى طلبه ولو فى الصين ، وهل أخذوا بما دعاهم اليه اسلامهم من اخلاص فى العمل ونظام ونظافة ومودة وان يحب الأخ لأخيه مثلما يحب لنفسه • وغيرها من اسس التقدم التى دعا اليها المنهج الاسلامى •• فهل أخذ المسلمون بشىء من هذا المنهج ؟!

اذن •• فلا يلوموا الا أنفسهم •

●● استفسرت عن معنى قوله تعالى عن الآية القرآنية « كنتم خير امة اخرجت للناس » ، فكيف نوفق بين هذه الآية الكريمة والواقع الذى يعيشه المسلمون بما لا يوحى بأنهم خير أمة ؟•

فنظر الى الشيخ الشعراوى نظرة الواثق مما يقول متسائلا :

الا تنظر الى حيثية الخيرية هنا ، لماذا تكون خير أمة أخرجت للناس •• أكمل الآية بعد قول الحق « كنتم خير امة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » •

اذن خيرية الأمة الاسلامية ليست مطلقة ولكنها مرهونة بتحقيق هذه العناصر ، فاذا لم تتحقق انتفت الخيرية عن أمة الاسلام ، وهذا شىء منطقى لأن النتيجة يجب أن تكون موافقة للمقدمة ، انما لو صلح حال المسلمين دون أن يأمروا بمعروف أو ينهوا عن منكر أو يؤدوا واجبات الايمان بالله ، لما كان هناك ضرورة لمعنى الاسلام ، لذلك تجد ان المسلمين لو أخذوا بأسباب القوة لانفعلت لهم وأصبحوا أقوياء ، واذا لم يأخذوا بها ضعفوا وهانوا على أنفسهم وعلى الناس •

فالايمان لا يعطيك ميزة الا اذا أديت مطلوباته ، والجمال فى الكون هو أن تأتى النتيجة وفق المقدمة ، فلما نقول للطالب اذا ذاكرت تنجح واذا لم تذاكر ترسب ، انما لو نجح المهمل فما الداعى

لأن يجتهد المجتهد ، وبذلك يشيع القبح فى الكون لأن النتيجة خالفت المقدمة .

لهذا فرسوب المهمل وعقاب المقصر وقطع يد سارق ورجم زان ، ليس قسوة ولا تشويها ولا قبحا بل هو جمال تستقيم به الموازين فى الكون والمجتمع .

ولذلك مثلا لما نقول لرسامى العالم سنجرى لكم مسابقة فى رسم الشيطان ، فان أجمل صورة ستحصل على الجائزة هى أقبح صورة .

اذن فوجود القبح يكون وجودا جماليا لاستقرار موازين الحياة . لذلك قلنا ان هزيمة المسلمين فى غزوة أحد شىء قبيح ولكن به يتحقق الجمال لأن المسلمين لو انتصروا رغم مخالفتهم لأوامر الرسول لقالوا بعد ذلك خالفناه وانتصرنا فتهون عليهم بعد ذلك التكاليف وبذلك يضيع الاسلام بينهم .

من ذلك يتضح لنا أن ضعف المسلمين اليوم ومكانهم الأدنى بين الأمم طبيعى ومنطقى لأنهم لم يحققوا مطلوبات الله منهم بأن يكونوا خير أمة ، لأنهم لم يلتزموا بشروطها نهيا عن المنكر وأمرا بالمعروف وايمانا بالله .

اذن فلا تناقض مع قوله تعالى : « كنتم خير أمة أخرجت للناس » ومع الواقع الذى يحياه المسلمون لأن الخيرية تنتفى مع انتفاء قيام المسلمين بتحقيق عناصر هذه الخيرية .

الزوج المسلم وشغل البيت

* وأسأل فضيلة الشيخ الشعراوى عن نفسه وهو يعرض عن ذلك ، فعندما طلبت منه حوارا بمناسبة عيد ميلاده الـ ٧٥ ..

قال لى : « عيد ميلاد أيه وبتاع أيه ، اسألوا فى حاجات تفيد الناس » ولكننى بعد مناقشة معه مما عرضنا له من قضايا لا تزال لها بقية فى حوار آخر ممتد عبر خواطر شيخنا كل أسبوع ، فقد حاولت الاقتراب بقدر الامكان مما يخص الشيخ الشعراوى وقد وجدته يقوم بنفسه بواجبات الضيافة ·

فقلت له خدمتك لنفسك هل كانت مصاحبة لعدم وجود الزوجة التى توفيت والأولاد الذين تزوجوا والأحفاد أيضا ؟ ·

قال شيخنا : كانت موجودة زوجة ، وكان موجود أولاد وموجود أحفاد ، ولكننى دعوت الله سبحانه ألا يحوجنى الى أولادى بل ألا يحوج بعضى الى بعضى ·

● ● يعنى نقوم بأعمال البيت بنفسك ؟

ما أقدر عليه أعمله لأنه يريحنى من الغضب على من يعمل لى اذا لم يحسن العمل ، انما أنا مثلا لو عملت لنفسى طعاما يطلع جيد أو غير جيد فأنا الذى آكله ، أو غيرى غسل لى شيئا وطلع غير سليم « أزعل وأعمل زيطة » ، انما أنا حاجة عملتها ان كانت حلوة واللا سيئة فأنا الذى عملتها وأتحمل مسئوليتها ·· هذا أولا ، وثانيا اننى أجد لذة فى هذا ، لأن مثلى جالس فى البيت لا نشاط لى ، لذلك فنشاطى ان أتحرك وأعمل شاى أو قهوة لضيوفى ، أو طاقيتى غير نظيفة أغسلها وأكويها ·

ثم ان ما ندفعه للناس مقابل القيام بهذه الأعمال ، نخرجه صدقة ·

● ● قلت لفضيلته : هل هذه دعوة للزوج المسلم ان يساعد زوجته فى أعمال البيت ؟ ·

فأكد شيخنا ذلك قائلا : يروى عن النبى صلى الله عليه وسلم « انه كان فى مهنة أهله » هات لى « زوج مسلم » وهو داخل بيته بأبهة المكتب وأبهة المنصب ، ووجد زوجته تطبخ فشمر عن ساعده وراح يقشر البصل أو ينظف الثوم أو يخرط ملوخية ٠

تخيل لما زوج يعمل هذا فى مساعدة زوجته « فى مهنة أهله » ، ما الذى يمكن أن يحدثه ذلك فى الأسرة وبين الزوجين من حب ومودة ورحمة ، فهكذا كان الرسول اذا ما دخل البيت صار فى مهنة أهله ، هل تريد شيئا أفضل من هذا ٠

● ● لكن يا فضيلة الامام قد تستمرىء الزوجة المسألة وتجعلها حقا مكتسبا من الزوج لابد أن يعمله حتى ولو كان مشغولا ؟ ٠

قال شيخنا : يبقى لأن الزوج أخطأ اختيار زوجته ، ليس بمقاييس دينية ، انما لو اختارها بمقاييس دينية لقالت له ، وهى تراه داخل يشتغل معها شغل البيت « خليك انت يا خويا انت لسه جاى من الشغل تعبان طول النهار ، أمال احنا قاعدين نعمل أيه ؟ » ٠

● ● ولأن شيخنا كان يقرض الشعر فقد سألته الى أين وصلت مع الشعر ؟

فقال : شغلنا عن الشعر بالقرآن ٠ وقديما قال الشاعر : « اكتفيت بالبقرة وآل عمران » ٠

لأن الذى يقرض الشعر ويستمع له يفتنه جمال الأداء ، ولكن حين تشغل بالقرآن ترى جمالا أعلى ، الا اننا نستعين بالشعر فى شرح القرآن ٠

● ● ومن المعروف أن الشيخ الشعراوى كان يقرض الشعر العمودى ذا الوزن الواحد والقافية الموحدة ، ولذلك سألته رأيه فى الشعر الحديث ؟ .

فقال : من ليس لديه الاستعداد ، والموهبة لكتابة الشعر العمودى فلا داعى لأن يسمى ما يكتبة شعرا حرا أو حديثا أما قضية الشعر الحر فهى قضية ستأخذ وقتها ثم تختفى مثل أى موضه . بدليل انك تجد فى بيوت الأزياء يعودون لما كانت تلبسه أمهاتنا وجداتنا من عشرات السنين ، والذى يؤكد لنا ان الشعر الحديث عمره مؤقت هو .. هل وجدت خطيبا أو كاتبا يستشهد ليؤيد منطقه بأبيات من الشعر الحر .

● ● وأسأل شيخنا عن حكمة الاعلان فى بعض الأحيان عن تبرعاته الخيرية ؟ .

قال الشيخ الشعراوى : الحق يقول « ان تبدوا الصدقات فنعما هى ، وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم » .

واذا كانت صدقة السر تحمى عرضى عند الذى أعطيها له ، فانها لن تحمى عرضى أمام الناس وهم يرونني راكب سيارة ولا أعطى أحدا قرشا فسيقولون أعوذ بالله على بخله » ..

اذن لما قال الحق بالانفاق علانية ، كان يقصد أنه يحمى عرض من أعطاه الله من نعمته ، والمسائل بالنية ، وأيضا لكى أكون أسوة لغيرى انه يعمل مثلى .

● ● وأسأل فضيلته : هل أنت نادم على فعل فعلته أو قول قلته ؟ .

يقول : أنا نادم على شيء واحد وهو أنني قبلت أن أدخل الحكم .

● ● الوزارة يعنى ؟ .

نعم .. وقد سئلت مرة . لماذا لا تكتب اسمك مسبوقا بلقب « الوزير » كما يفعل غيرك ممن تسنموا الوزارة ، فقلت .. لا أحب ذلك لأنها اسوأ شيء فى حياتى لذلك أحب أن أنساها .

● ● ما هو أملك فى الحياة ؟ .

أملى ان تسير حركة الحياة على وفق من خلق هذه الحياة .

● ● دعاء تردده بينك وبين نفسك ؟ .

« اللهم أبقنى ما كانت الحياة خيرا لى » ..

● ● عنوان تريد أن يتصدر ملف حياتك ؟!

« هذا قدرى استقبلته » ..

● اثنا عشر رجلا وامرأة

يسألون نجيب محفوظ

● تحية من أعماق القلب لشخصية نجيب محفوظ .. هذه العبقرية الفذة ذات المعين الذى لم ينضب ولن ينضب ليثرى آفاق النفس والفكر لكل قراء العربية » .. هكذا اراد الفنان التشكيلي الكبير صلاح طاهر أن يحيى صديقه عميد الرواية العربية فى عيد ميلاده الـ ٧٦ هذا الشهر (ديسمبر) بدلا من ان يوجه اليه سؤالا كما طلبنا منه ومن اثنى عشر اديبا وناقدا وصحفيا راى بعضهم ان يحتفل بنجيب محفوظ بتوجيه التحية له بينما طرح البعض الآخر اسئلتهم على مائدة عيد ميلاد الأديب الكبير ليفسر او يحلل او يشرح بعض الجوانب المتعلقة بشخصيته او بالمناخ الأدبى والثقافى العام ورغم ان بعض الأسئلة كانت محرجة الا ان استاذ الرواية العربية كان يجيب عنها بدبلوماسية ولباقة احيانا تتبعها ضحكاته المدوية فى احيان أخرى .

وقد شاء أدب فارسنا نجيب محفوظ الا أن يرد على تحية الآخرين بمثلها أو أفضل منها ولذلك فوجئت به بعد قراءة رسالة الفنان صلاح طاهر يطلب الرد عليها عبر مجلة الاذاعة والتليفزيون ، فقال : « أنا أشكر صلاح طاهر الزميل والصديق القديم فى المدرسة الابتدائية ، فقد عرفت هذا الفنان من أول نشوئه وكنت أتابعه بعد ذلك فى المعرض السنوى الذى كان يقام فى « سراى » بشارع ابراهيم باشا ، سنة بعد أخرى ، أطلع على أعماله الأولى كما اطلعت على أعماله الأخيرة .. وصلاح طاهر مدرسة وعصر » .

ابن حتتنـا

● أما الموسيفار الكبير مدحت عاصم فانه يقرن تحيته بطلب من التليفزيون فيقول : « أرجو لو أن التليفزيون عن طريق الاستاذ فاروق شوشة ، يقدم نجيب محفوظ في برنامج « شريط ذكريات » ، لأنه من القمم الفكرية التى ينبغى أن يقدم لها ما ينبغى من تقدير .

والاستاذ نجيب محفـوظ يتميز بمصريته الحميمـــة فى كل ما يكتب ويقدم ، وقد أحبه المصريون لأنهم قرأوا فيما يقدمه شيئا من ذواتهم الخاصة ، فلم يشعروا بالغربة وهم يطالعون له ، فكانوا كأنهم يقرأون سفر حياتهم وتاريخهم عبر عصور قديمة وقريبة لم يستطع كاتب غير نجيب محفوظ أن يقدمها بهذا الصدق الفنى فى العبارة الرصينة واللغة السليمة الميسرة لكل القراء ، وأعتقد أن خير تكريم لنجيب محفوظ هو المكانة التى وضعه الناس فيها ، وهذا فى رأيى أكبر تكريم .. فتحية الى الصديق العزيز زميل الصبا والشباب وابن « حتتنا » .

ويبتسم نجيب محفوظ وهو يقول « أحيى الأستاذ الكبير مدحت عاصم الذى نعتبره نحن جيلنا فى العباسية ، « عمنا » لأننا تربينا فنيا فى بيته ، فحضرنا ندواته وســـمعنا عزفه وآراءه فى الفن والموسيقى ، وشهدنا الكثير من الجلسات التى كانوا يقدمون له فيها المغنيين والأصوات الجديدة ، ورأينا كيف ينقدهم ويوجههم ، وينقدنا ويوجهنا نحن أيضا ضمنا ، فهو زميل وأستاذ بدون أى مبالغة .

أما عن طلباته التى هى فوق الرأس ، فالحقيقة أن طارق حبيب سجل لى شريط ذكريات زمان مكونا من خمســـة أجزاء وأذيع فى التليفزيون فى حينه ، وقد أصبحت « أقرف » من الكلام عن نفسى فضلا عن أن الصحة والابصـــار لم يعودا يحتمـــلان الاضافة

التليفزيونية ، وهذا ما يجعلني أعتذر « مقدما » للأخ العزيز فاروق شوشة رغم مكانته الكبيرة في نفسي ، ورغم أنني سجلت معه العديد من الجلسات أيام الصحة وحتى أيام الشيخوخة .

.. وأختم كلمتي بأن أدعو للاستاذ مدحت عاصم بطول العمر ليس دعاء لأخ وصديق بل هو دعاء للثقافة ..

طلب يستحق الاهتمام

● كذلك مع تحليل أستاذ الأدب الشعبي الكبير د. عبد الحميد يونس لأدب نجيب محفوظ وتحيته مطلب أيضا : الأستاذ نجيب محفوظ مبدع للفن الروائي في أدبنا ، وهذا النوع الأدبي جعله بالفعل .. أولا : شديد الملاحظة للواقع ، ثانيا : جعل ابداعه أقرب الى فن الهندسة المعمارية لأنه عمل أدبي كبير ومعقد وليس مجرد شعر عاطفي أو قصة قصيرة أو تعبير عن عاطفة عابرة ، ونجد أن نجيب محفوظ واجه مشكلة اللغة أولا في الرواية وثانيا في الحوار ، ومن هنا نجد أنه حل مشكلة الثنائية اللغوية ، لأن حواره يساير الفصاحة وفي الوقت نفسه يساير الواقع الحواري .

الحقيقة الأخرى ان نجيب محفوظ يقوم على الذاكرة الحسنة لأنه مهما كان عمله متواصلا فانه يحتاج خصوصا في فن الرواية الى لمحات من الذاكرة وهذا ما جعلنا نعتبره بالفعل ـ بالنسبة لنا ـ نموذجا يكاد يكون متفردا .

وما أطلبه منه : أن يكتب سيرة ذاتية لنفسه تقوم على نفس الأسلوب الخاص به بحيث أنه يعبر عن الواقع حوله وعن الواقع النفسي له ، ولذلك فنجيب محفوظ يحتاج الى أن يعطي نفسه فرصة لتسجيل ذكرياته بحيث تكون حية شيقة ، لشخصيته باعتباره نجيب محفوظ وباعتباره صاحب ملكات ابداعية .

● وجاء رد نجيب محفوظ : طبعا أنا اشكر الزميل الأديب والأستاذ الكبير د. عبد الحميد يونس وأود أن أرد له التحية في مناسبة مماثلة لأنه يستحق منا كل اجلال وتقدير .

وعن طلبه الغالى جدا على فانه لا شك يستحق الاهتمام والتفكير وأرجو أن أكون عند حسن ظنه .

حياتى روتينية

ولا تزال محاولة اقتحام قلعة نجيب محفـــوظ الشخصية مستمرة ولا يزال هو أيضا صامدا .

● تسأل الصحفية والأديبة سناء البيسى : لماذا يصر الأستاذ نجيب محفوظ على ستر حياته الخاصة عن الجمهـــور الشره الذى لا يكتفى بخلجات الشخصيات التى على الورق وانمـــا يريد أن يتعرف على حياة كاتبه .. فهل هذا الاصرار على البعد بحيـــاتك الخاصة عن الأضواء هو ظلال لشخصية « سى الســـيد » فى بيت الأديب الكبير ؟ .

● وتنطلق ضحكة نجيب محفوظ مجلجلة ثم يوضح « ان الواقع غير ذلك لأن حياتى الخاصة أذعتها فى حلقـــات باذاعتى « البرنامج العام وصوت العرب » كما أذعتها فى حلقات تليفزيونية ، ونشرتها فى كتاب الأخ العزيز جمال الغيطانى وغيرها من الكتب ككتاب لأحمد عطيـــة ، وغيره ، فلا توجد عنـــدى أسرار تنتظر الكشف ، لأن الحكاية كلها هى أننى من هؤلاء الناس الذين ليس فى حياتهم الخاصة ما يستحق الرواية .. لماذا ؟ لأنى للأسف ميـــال للعزلة والاقامة فى مكان واحد ، وحياتى نمطية روتينية ليس فيها هزات ولا مغامرات ولا أسفار مما يجعل السيرة الذاتية نفسها أهم من الرواية .

● وفى محاولة جديدة أخرى ظاهرها البراءة لكنها تخفى وراءها ما سوف يفهمه القارىء حينما تسأل سناء البيسى « الكاتب العبقري الساخر المرحوم محمد عفيفى كان من أقرب أصدقائك اليك وأحد دعائم شلة الحرافيش ، فلماذا تترك الصديق الوفى مدفونا ، لماذا لا تعيد تعريف القارىء العربى به وأنت أكثر العارفين والمدركين بموهبته ؟ .

● وفى هدوء وثقة يقول نجيب محفوظ : أنا فى رثائى لمحمد عفيفى أشرت الى مكانته الأدبية وقلت رأيى فيه بالكامل ، لكن المعرفة التى هى أكثر من هذا واجب أناس غيرى ، وأعتبر كلمة الزميلة العزيزة سناء البيسى موجهة للنقاد ، لأننى أعتبر محمد عفيفى من كبار الأدباء المعاصرين ومن كبار الفنانين وكان يجب أن يكتب عنه ، ويحلل أدبه ومقالاته على هذا الضوء ، وقد ابتدأ حياته بمجموعة قصصية من أجمل المجموعات وختمها بكتاب يعتبر من أروع الكتب الأدبية فى أدبنا المعاصر .

● ومن الأسئلة المحرجة أيضا والتى استطاع نجيب محفوظ أن يجيب عليها بأدبه الدبلوماسى ، هذا السؤال لشيخ الصحفيين حافظ محمود : أى الأسلوبين أكثر قابلية للخلود الأدبى .. أسلوب قصة « أهل الكهف » لتوفيق الحكيم أم أسلوب قصة « ميرامار » لنجيب محفوظ ؟ .

● وبعد أن اغتسلت نفسه بضحكته المعتادة وقد أدرك أن سائله يريد أن يوقعه فى مطب قال الأديب الكبير : « فى الواقع أحب أن أرد على أستاذنا الكبير حافظ محمود ، بأن العبرة ليست بهذا الأسلوب أو ذاك ، فكل أسلوب له ظروفه التى تكونه وكل

مدرسة لها ظروفها النفسية والاجتماعية التى تكونها ، وكل أسلوب يكتب به مئات وكل مدرسة يكتب بها مئـــات ، والذى يخلد هو الفنان ، ومادامت المقارنة بين توفيق الحكيم ونجيب محفوظ فمن أين سنعرف من يستحق الخلود •

وعندما سألت الأديب الكبير عن صديقه توفيق الحكيم قال لى :
« اننى لم أكن سوى تلميذ ملازم لجلسات أستاذى توفيق الحكيم » •

لماذا لم أتجه للمسرح

● ويسأل أيضا حافظ محمود فى مجال لا يبعد عن الأول :
لقد نشأنا معا فى جيل كان يمتاز روائيوه بقدرتهم على كتابة المقال القصصى لكننى الاحظ على مقالاتك الآن أنها أبعد ما تكون عن فن أسلوب القصة ، وأنا لا أعتقد ذلك ولكنى أستجوب فقط •

● ويوضح نجيب محفوظ : « اننى لا أكتب مقالة ، وانما وجهة نظر عبارة عن خاطرة مركزة فى متابعة الأحـــوال لا أكثر ولا أقل ، أما المقالة فتعطى فرصة لاظهار حيوية الفنان فى مجاله ، أما ما أكتبه فهى سطور مركزة أسبوعيا كأنها عناوين متلاحقة •

● واستفسار آخر من شيخ الصحفيين عن فن آخر يقول فيه لنجيب محفوظ : أنت سيد العارفين أن الجيل السابق علينا من الأدباء كانوا يتجهون دائما الى المسرح اما بالتأليف أو الترجمـــة أو النقد ، هكذا فعل شوقى الشاعر والحكيم الكاتب وطه حسـين الناقد ، وقد كنت آمل أن يكون لك أنت وزملاؤك زعماء الرواية فى هذا العصر مثل هذا الاتجاه ، فما هو التفسير لابتعـادكم عن الاتجـــاه للمسرح أهى أزمة المسرح أم أن أزمة المسرح جاءت من انصرافكم عنه ؟ •

● يقول نجيب محفوظ : فى الواقع أننا عاصرنا نهضة المسرح ونحن طلبة ، ولم يكن بعيدا أبدا أن أغلب مواهب جيلنا تتجه اليه لكن لما بدأنا نكتب كانت الأزمة العالمية قد لحقت بالمسرح وجعلته يلفظ أنفاسه ، وابتدأت تحل محله السينما فى الفنون الجماهيرية فكان اتجاهنا نحو الرواية شيئا طبيعيا ، ولا تنس أيضا أن الاستعداد والموهبة لهما دور كبير فى هذا الاتجاه ٠

ويسأل المخرج الكبير صلاح أبو سيف :

● أنت من أبرع من كتبوا السيناريو ومن أدق الناس الذين صنعوا البناء الدرامى السليم وتكوين الشخصيات المصرية الأصيلة كما ظهر فى « لك يوم يا ظالم ، الفتوة ، شباب امرأة ، ريا وسكينة ، بين السماء والأرض » أعمالك الخالدة حتى الآن ، والسينما فى الوقت الحالى فى حاجة الى مجهودات فليتك تستطيع اعطاءها بعض وقتك ؟ ٠٠

● يشكر أولا نجيب محفوظ الدعوة ويحيى الأستاذ صلاح أبو سيف فهو من زملاء العمر ٠

والحقيقة أننى توقفت عن السيناريو من تاريخ قديم منذ سنة ١٩٥٩ عندما عينت مديرا عاما للرقابة ، وبعدها ظللت أعمل فى وظائف تمنعنى من العمل فى السيناريو ، مثل « مؤسسة دعم السينما » و « المؤسسة المصرية العامة للسينما » ، ومؤسسة « السينما والاذاعة والتليفزيون » ٠٠ وهكذا مضت سنوات كثيرة حتى أصبح السيناريو بالنسبة لى ذكرى ، لكننى ألاحظ الآن ان كتاب السيناريو قد كثروا عددا وارتفعوا كيفا ، وآثارهم تظهر سواء فى السينما أو التليفزيون ، وأنا أعتقد أننا على وشك الدخول فى عصر نسميه أدب السينما وأدب التليفزيون ، أى نجعل من

السينما فنا رفيعــــا بكل معنى الكلمـــة وكذلك مسلســـلات التليفزيون ·

هذا السؤال لا أجيب عليه

● **ومن السينما الى الاذاعة والتليفزيون يسأل خبير الفلسفة بمجمع اللغــة العربيـــة د· عاطف العراقي « هل تؤدى الاذاعة والتليفزيون فى مجال القصة الى نوع من الضـــعف أم نوع من القوة ؟ ·**

● **ويرى نجيب محفوظ أن هناك** بعض الأعمال التى تعرض فى التليفزيون شكلا ومضمونا على مستوى رفيع ، وبقية الأعمـال تكتب من أجل الملايين من العوام وتؤدى وظيفة أيضا لها خطورتها ·

● **ونســـأل توضـــيحا للاجـــابة : تحديدا هل الاذاعة والتليفزيون يضعفان القصة أم يقويانها ؟ ·**

● **ويقول نجيب محفوظ :** هذا يتوقف على العاملين بمعنى اذا وجدت قصة تظهر فى التليفزيون على نفس القـــوة تعرف أن الذين نفذوها على نفس مستوى قوة المؤلف ، أقل يكونوا أقل ، أحسن يكونوا أحسن ·

● **ويتطرق د· العراقى الى النقد** « هل تعتقد بوجود حركة نقدية أدبية فى مصر الآن فى مجال الرواية والقصة ، وكيف تبرر شـــهرة كثير من الروايات فى الوقت الذى تعد فيـــه غاية فى الضعف ؟ ·

● **ويعترف نجيب محفوظ انه** « بعــد فترة موات انتعش النقد ، فتقرأ الآن للنقاد الكبار الذين كانوا قد صـــمتوا فبدأوا يكتبون مرة أخرى ، نقرأ للدكاترة على الراعى ، لويس عوض ، عبد القادر القط ، كذلك جيل النقاد من الشـــباب الجدد يكتبون باستمرار ويتابعون الروايات هؤلاء يجب أن نضعهم فى الاعتبار ·

اذن فالحركة النقدية عندنا لا نستطيع أن نقول عنها أنها ميتة أو صامتة لقد جاءت فترة عليها كانت كذلك أما الآن فالنقد نشط ..

أما عن تبرير شهرة كثير من الروايات الضعيفة كما يسأل د. العراقى فهذا سؤال لا أستطيع الاجابة عليه ، لأننى أولا لا أعرف ما هى الروايات التى اشتهرت فى مصر لذلك من أين أعرف اذا كانت قوية أو ضعيفة ، ثم أننى حين أسأل مثل هذا السؤال يجب أن أحدد الرواية الضعيفة وضعيفة « ليه » وشهيرة شهيرة « ليه » فهذا كلام يجب أن أتأكد منه ووقت ذلك نستطيع الكلام .

الحب والفلسفة

● ومن أسئلة أستاذ الفلسفة الى الفلسفة نفسها فى روايات نجيب محفوظ يقول الشاعر عبد الرحمن الأبنودى :

أريد أن أسأل الأستاذ نجيب محفوظ أنه حدثت بعد « اللص والكلاب » انعطافة كبيرة فى ابداعك إظن أنها كانت انتقالا من التعبير الأدبى الى التعبير الفلسفى أى أن عالم التفاصيل التى يتولد عنها القوانين الفنية التى تناطح القوانين الفلسفية ، اختفت من أعمالك لتتعامل مع القوانين الفلسفية نفسها وتبثها من خلال تفاصيل فكرية تأخذ شكل التفاصيل الواقعية .. فاذا كنت مصيبا فى هذه النظرة فهل عنيت أن تميل نحو الفلسفة على حساب الأدب ، أم أنك رأيت أن هذا يعطى الأدب جلالا وهيبة ويضمن له الخلود ، وكيف حدث هذا ، .وما هى مبرراته الفكرية اذا كنت محقا فى نظرتى وفى انقسام أدب نجيب محفوظ الى مرحلتين : مرحلة واقعية ومرحلة فلسفية ؟ ..

● وجاءت اجابة الروائى الكبير على هـذه الملحوظة بأنها « ملحوظة فنان أديب فهى صادقة ، لكننى أحب أن أقول للأبنودى أن الفن يقدم تجارب الانسان كما تعتلج فى وجدانه ، ففى هذه الناحية لا فرق كبير بين الحب والفلسفة ، الحب يأخذ منه ويعطي ويسعد ويتعس ، وكذلك الفكرة فهو لا يعالجها معالجة عقلية منطقية تسمى فلسفة ، ولكن الفلسفة تتحول عنده الى حياة ووجدان ، ولا يجوز أن يحرم الأدب من تقديم التجارب الفلسفية لأنها تحمل الأسئلة التى تؤرق الانسان من يوم مولده الى يوم وفاته ومهما تقدم العلم أو الفن ، وأنا أدعو للأبنودى بطول العمر حتى يقدم لنا شعرا فلسفيا ، وأنا واثق أنه لن يقل جمالا عن شعره الحالى وأنه سيغنى أيضا .

● وبشكل آخر فى نفس الاتجاه سأل جمال بدران مدير الطباعة والنشر بدار المعارف :

« أستاذنا نجيب محفوظ أنت تمثل ثلاث مراحل : الواقعية ، الرمزية ، التفلسف أو المزج بين الواقعية والتفلسف ..

ومرحلتك الأخيرة تمثلك فى دور الروائى الحكيم الذى يفلسف نظرته فى أعمال روائية وأصبح فيها نوع من العمق الفكرى أكثر من الثلاثية .. فهل لو أتيحت لك اعادة النظر فى الثلاثية فهل تكتبها بالأسلوب الحالى تاركا الواقعية مستسلما لما أنت فيه الآن من نظرة فلسفية ؟ .

● وينفى نجيب محفوظ « أبدا لا يمكن فلكل عمر ولكل تجربة ولكل زمان ، طريقته ، وأنا لا أستطيع الآن أن أكتب الثلاثية ولا كان باستطاعتى أيام الثلاثيـة أن أكتب « حديث الصباح والمساء » .

لم أكن مقصرا

● **أما الشاعر فاروق شوشة فله ملحوظة أخرى :**

لاحظت فى روايتك الأخيرة « غلبة أسلوب السرد » على كتابتها مما يعيد الى الأذهان فكرة القص العربى القديم وكأنك تحاكى الصيغ العربية الأولى فى التكوينات القصصية التى عرفها تراثنا العربى ، فهل هذه العودة منكم مقصودة وهل تعلن أنك انتهيت من تجريب كافة الأشكال الفنية المطروحة عالميا فى الصياغة الروائية والقصصية وتريد أن تقدم شكلا آخر له اتصاله الوثيق بالتراث العربى فى القص احساسا منك أنك مقبل على مرحلة جديدة فى كتاباتك الروائية تتجاوز الهرم الذى أنجزته فى كتاباتك السابقة ؟

● **ويؤكد نجيب محفوظ أن** « **الاتجاه** للتراث أو تعمد الاستقاء منه فى الأسلوب أو فى غيره ليس مبدأ من مبادئى لأنى أنظر للتراث كما أنظر للمبادىء المعاصرة نظرة محايدة ، وما ينفع فى موضوعه أكثر فهو الملائم ، وانى لأقاوم ابهار الغرب كما أقاوم سحر الشرق لأجل تحرير ارادتى واختيارى ..

والأسلوب الذى لاحظه الاستاذ فاروق شوشة بحق ، أوجبته كثرة الشخصيات فى الرواية وتتابعها وما اقتفي ذلك من الايجاز ، فيبقى هنا السرد هو الوسيلة المنقذة ، أما العرض الدرامى فقد كان سيغير الوضع تغييرا كليا ، مثلا رواية مثل « أحاديث الصباح والمساء » أو « صباح الورد » لو قدمتها بالطريقة الدرامية التى قدمت بها « الثلاثية » أو زقاق المدق « كانت سوف تأخذ خمسة آلاف صفحة ، بينما الفكرة هنا التى فى ذهن الكاتب هى أن يقدم أسرة ومن خلالها أفراد فكان لابد من التركيز .. اذن فالذى يوحى أساسا بنوع الأسلوب هو الموضوع والهدف ، كونه بعد ذلك يأتى

متوافقا مع أسلوبنا التراثى فهذا يكون من سعادة الكاتب وحسن حظه ٠

● **وعن الغرب والتراث أيضا يسأل الناقد الكبير فؤاد دوارة :**

أستاذ الرواية العربية لعلك تتفق معى على أن الرواية شكل أدبى أوربى على الرغم من أن تراثنا العربى عرف بعض أشكال القصص والحكايات ٠٠ فالى أى مدى كان تأثر رواياتك من حيث الشكل بالرواية الأوربية من ناحية وبتراثنا القصصى من ناحية أخرى ، وكل سنة وأنت طيب وقلمك المعطاء طيب ؟ ٠

● فى الاجابة على هذا السؤال يرى نجيب محفوظ أن مسألة التأثر ومقداره من الصعب تحديدها ، لكن الأمر الذى لا شك فيه اننا عرفنا الشكل الروائى الحديث عن طريق كتابنا الذين سبقونا فى كتابة القصة ومما قرأناه فى صبانا من التراجم ، فى ذاك الوقت كنا قد قرأنا بعض السير الشعبية ، وقرأنا فى التراث لكن لما بدأنا نكتب عرفنا أن الكتابة يجب أن تكون بهذا المنهج الحديث الذى كتب به أستاذنا والذى عرضته الكتب المترجمة فهل كان ذلك مجرد تأثر بالغرب ، ربما لأننا فى ذلك الوقت كنا مبهورين بالغرب ، هل لأن هذا المنهج يعطى فرصة للتعبير أكثر من قصص وحكايات التراث ؟ يجوز لأن تراثنا تسلمته الحضارة الغربية وطورته الى هذا الشكل ، اذن هذه الاضافات لم تكن عبثا انما كانت تحقق أغراضا ٠

لم يعد شيء يثير الدهشة

● ● **وينتقل بنا د٠ محمد عنانى أستاذ الأدب الانجليزى لالقاء نظرة عامة على المجتمع من خلال كتابات نجيب محفوظ**

فيسأله « هل تحس بأن المجتمع يتغير بصورة لا تسمح لك بملاحقة هذه التغيرات وكيف تتصور المجتمع الذى تكتب فيه الآن ٠٠ هل هو الماضى أو الحاضر ؟ ٠

● يؤكد نجيب محفوظ أن « المجتمع قد تغير تغييرا جذريا وكذلك الناس من الصعب على الانسان أن يلاحقه على مدى العمر ، فلابد أن يأتى له وقت ينكمش بحكم العمر والصحة ، وفى الحقيقة هناك عائق آخر يقف دون تحقيق هذا الواقع الى فن ، وأنه بحكم الظروف والديمقراطية والمعارضة والنشاط الصحفى الاعلامى عرفنا جميع ايجابيات المجتمع وسلبياته وتقررت بالدرجة التى أصبحت لا تثير اهتماما ولا دهشة ، بمعنى أننا زمان لما كنا نتعرض لظاهرة مثل ظاهرة « القاهرة الجديدة » ٠ كانت موجودة فى حجمها فلما عالجناها حدث انزعاج كبير ، وتعرضت للمساءلة ، اليوم تحدث مصائب ولا تثير دهشتنا ، فالكتابة عن حاضرنا الآن من الصعوبة بمكان ، واختيار الموضوع خصوصا لمن يتابع الأحداث والمجتمع شىء عسير ٠

الحرية والقهر

● ● وعن الكتابة فى العهود المختلفة يسأل الروائى محمد جلال : مارست عملك كروائى أيام الملك فاروق ، وعبد الناصر والسادات ، ومبارك ، ولا شك أنك تشعر بالحرية الآن ، فهل تاثر الروائى داخلك بالحرية ، أو بمعنى آخر هل شعرت يوما بالخوف وانت تمسك القلم وتكتب رواياتك ؟ ٠٠

● يجيب نجيب محفوظ :

« أنا عادة أكتب فى حرية تامة سواء فى عصر فؤاد « الذى نسيته » أو فاروق أو عصر الثورة ، والمشكلة تأتى عند النشر ،

مكان وراء كل نشر ترقب ، انما من الواقعية أن أقول لك ، انني كنت أتأثر بالجو رغم رغبتي غير المحدودة في التمتع بالحرية ، يعني مثلا الروايات التي كتبتها قبل الثورة هاجمت المجتمع و « عريته » كثيرا لكن كان فيه حدود أقف عندها ، يعني لا أستطيع أن أهاجم هجوما واضحا وصريحا البيت المالك ، اذن كنت من غير أن أشعر الاحظ أشياء كذلك وأنا أكتب الثلاثية وقد كتبت قبل الثورة وتجد أنه رغم أن « ثورة ١٩ » وسعد زغلول هاجموا الملك انما كان أيضا في حدود الاحترام والقانون ، مما لا يمكنني تجاوزه ، فلا أستطيع مثلا أن أستعمل الأساليب والألفاظ التي من الممكن أن تكتب عن البيت المالك بعد ثورة يوليو • اذن كنت أكتب بحرية تامة ولكن لا شعوريا أقف عند حدود معينة ، كذلك في نقدي بعد الثورة كان لي موضوعات اعتبرها البعض جريئة ، واعتبرها الآخرون جنونية •

● ويتابع الروائي محمد جلال بقية سؤاله :

هل يثري العمل الروائي شعورك بالقهر أكثر من شعورك بالحرية ، وهل الكاتب في حاجة للشعور بالقهر ليبدع أكثر وخصوصا أن كل تراث ما قبل الثورة الروسية والفرنسية لازال باقيا حتى الآن بعظمته الفنية ؟ •

● ولا يختلف نجيب محفوظ مع سائله « فعلا الذي يحفز الانسان دائما العوائق والقهر ، القيود هي التي تدفع الانسان أكثر من الجو السلمي ، لأن العوائق تعطيك طاقة المقاومة والمحاربة ، انما لما يكون كل شيء على مايرام فتكون أنت مرتاحا ، فتبحث عن الموضوعات ذات القيود والموانع فاذا وجدت أن المجتمع مهما فعلت يتقبل ، فتبدأ تناوش في أشياء ما وراء المجتمع أو ما فوق المجتمع أو ما وراء المجتمع •

● ولأن نجيب محفوظ قد تناول كثيرا من أنواع الفنـــون بالكتابة فان الأديبة والصحفية سناء البيسى تحـــاول طرق باب مجهول عند نجيب محفوظ فتسأله :

قرأنا لك الرواية والقصة القصيرة والمقال ·· فهل نطقت يوما شعرا ·· متى وأين ؟ ·

● **يجيب نجيب ضاحكا :**

نطقت شعرا فى السن الذى ينطق فيه أغلب المراهقين شعرا ، وهذه محطة يقف فيها الجميع ولا يثبت فيها الا الشعراء الحقيقيون ·

● ولا يمكن أن يترك ضيوف الحوار مضـــيفهم دون أن يسالوه عن الهموم الحالية للثقافة تسال أيضا سناء البيسى :

ما هو دور وزارة الثقافة فى راى أستاذنا نجيب محفوظ فى بلد تحتل فيه الأحذية فاترينات كانت مكتبات ويحمل فيه الفنان التشكيلى أعماله بعد المعرض ليبحث عن مخزن لها ؟ ·

● **يقول نجيب محفوظ :**

الحقيقة أن وظيفة وزارة الثقافة الأولى فى نظرى هى انشـــاء المعاهد واقامة الهياكل كالمسارح والاستديوهات ·· الخ ، وحماية الحرية الضرورية للفرد وخلق المناخ الصالح للابداع ، ومهمة وزارة الثقافة أيضا لا تكتمل الا بالالتحام بجهتين خطيرتين · وزارة التعليم التى عليها أن تربى الناشئة تربية فنية الى جانب التربية الدينية والقومية ، ان حدث هذا سيخلق جمهورا لا شك مع اهتمامه بالحذاء لن يسمح بأن يحل محل الكتاب ، والجهة الأخرى التى تلتحم بهـا وزارة الثقافة هى التليفزيون يعنى الاعلام والصـحافة والاذاعة ، هـذه مهمتها من الناحية الثقافيـة وهى مهمة خطيرة جدا ، ورزير

الثقافة يجب أن يقيم معاهدة « جنتلمان » مع وزير الاعلام على كيفية بث الثقافة الرفيعة والثقافة التى تناسب كل انسان على أكبر نطاق .

● ● ولا يترك الروائى محمد جلال فرصة الحديث عن الثقافة دون أن يعاتب الأستاذ نجيب محفـوظ وهو رائد الرواية الكبيرة « اندهش البعض من هذه السطور التى نسبت اليك فى احدى جرائد المعارضة وقالت رأيا فى وزير الثقافة الجديد (*) بدون علم به .. فهل هذا صحيح ؟ واذا لم يكن صحيحا فلماذا لم تكذب وخاصة أننا فى أيام نفتقد فيها النظرة الموضوعية للأشياء وأنت رائد ينبغى أن تعطى للأجيال المثل الأعلى فى الكلمة الموضوعية ؟ .

● وفى هدوئه المعتاد وبأدبه الجم يقول الأستاذ الكبير نجيب محفوظ :

أنا لم أقل كلمة واحدة ضد وزير الثقافة الجديد ، لقد سألونى عن رأيى فيه وكنت للأسف لم أسمع به فقلت : لا أقدر أقول رأيى ، وعمله سيحكم عليه ، هذا كل موقفى وليس فيه أى تحامل أو أى موقف خاص منه وما نشر خلاف ذلك غير حقيقى ولم أقل أنا لا أعرفه بمعنى أننى أتجاهله ، أبدأ هكذا كانت الصدفة ، « أعمل ايه » ، يمكن هذا عيب ، لكننا وصلنا إلى درجة من السن لا نستطيع معها أن نتابع كل جديد وخصوصا أن الفن التشكيلى ومتابعته تحتاج الى حركة ، يعنى الكتاب يأتى الى البيت ، انما لأجل أن أعرف فنـانا تشكيليا جديدا فلابد أن أذهب لمعرضه وأنا بالكاد أسـتطيع أن أسير خطوتين ، ليس لى موقف اطلاقا ضد وزير الثقافة الجديد ولا أرى داعيا لمثل هذا الموقف ، انما جاء وزير ، انتظر واحكم عليه من خلال عمله مثل كل الوزراء السابقين ، الا يجوز أن هذا الوزير الجديد هو الذى يجدد الثقافة فى مصر ، أهلا وسهلا به .

(*) فاروق حسنى .

● أمنية نجيب محفوظ :

لأولاد حارتنا

بعد سنة من نوبل نجيب محفوظ وقفنا امام الأديب الكبير وخيرناه هل كنت تفضل نوبل التى سببت لك كل هذا الصداع ام كنت تفضل راحة البال فاجاب على الفور اصدقكم القول • صداع نوبل افضل من عدم الحصول عليها لانها اصبحت ملكا للامة وتكريما للادب العربى كله •• ومن هنا بدا حديثنا مع اديب نوبل الذى استقبلنا فى مكتبه وامامه تمثال كبير لشخصه نحته له الفنان سعد مترى فى ذكرى عيد ميلاده الثامن والسبعين والذى يوافق الذكرى الأولى لحصـــوله على نوبل •

●● سألته : الانقلاب الذى حدث فى مجرى حياتك بعــد نوبل نتيجة مطاردة وسائل الاعلام لك فى البيت والأهرام والقهوة •• لو خيرت بين الراحة وبين الحصول على نوبل بمتاعبها فايهمــا ستختار ؟ •

ـ رغم أنى لم أفكر فى حياتى فى نوبل الا أنى لو خيرت بينها ومتاعبها وبين الراحة ، كنت أيضا سأختارها ، لأن الأمانة تقتضى أن أقول لك الصدق ، لأن جائزة نوبل شىء عظيم للانسان كفرد ولأمته ولأدبه ولا يجوز لانسان أن يزهد فيها لأى سبب من الأسباب أيا كانت المتاعب •

●● فى عيد ميلادك الـ ٧٨ ماذا يقول نجيب محفوظ لنجيب محفوظ ؟ •

ـ والله أحمد الله وأردد مع أم كلثوم صبر ونال •

● ● حينما تقف بين يدى الخالق يوم القيـــامة وحدث ان خيرك بين العفو عن الذين كفروك وأهـــدروا دمك وبين أن ينالوا جزاءهم العادل فماذا يكون اختيارك ؟ •

ـ فى مثل هذا الموقف الانسان يطلب السلامة ، فلا يصح أن يطلب فيه غير السلامة سواء له أو لغيره •

● ● اذن أنت ترجو العفو لأعدائك ؟ •

ـ نعم هو كذلك •

● ● كيف تفسر لنا موقفك هذا من الذين هاجموك وأساءوا اليك ؟ •

ـ السر فى ذلك أن العمر عنـدى أغلى من أن أضـيعه فى الخناق ، وأنا طول عمرى تعرضت لصداقة الأصدقاء كما تعرضت لعداوة الأعداء ، فلو كنت تفرغت لعداوة الأعـــداء والرد عليهم والدخـول معهم فى معركة ، لكان نصف انتـــاجى قد راح فى المهاترات ، فأحسن شىء أنك تتوكل على الله وتعرض عما عدا ذلك •

● ● اذن إنت ترفض الشعور بالكراهية ؟ •

ـ فعـــلا لأننى لا أحب أن ألوث نفسى ، لأن الكراهية تلوث النفس ، والدخول فى عداوات عقيمة يضيع الوقت ، والوقت أغلى من أن أنفقه فى الخناق •

● ● ولكن ألا تشعر بالغضـــب على الأقل ممن يعادونك ويهاجمونك ؟ •

ـ الشعور بالغضب أعرف كيف أهدهده وأصرفه وأستمر فى طريقى •

● ● كيف تسيس غضبك ؟ .

ـ بالعقل وبقدر من الحكمة التى اكتسبتها فى حياتى .

● ● الزمن ألم يعد يؤرقك مروره وأنت فى مثل هـذه السن ؟ .

ـ لا بالعكس أنا عرفت طبيعة الزمن وتصالحت معه ولم يعد يؤرقني ، وليس من المحال أن يعيش الإنسان فترات طويلة ، وهناك أشجار فى أمريكا الجنوبية عاصرت أوائل الفراعنة ومازالت تعيش حتى الآن ، يعنى لو كان لها ادراك أو احسـاس كان يمكنها أن تحدثك عن تاريخ الدنيا كلها من يوم أن بدأت الحضارة حتى اليوم ، فاذا أمكن الحياة بهذا الطول بالنسبة للنبات ، وأيضا فيه حيوانات طويلة العمر جدا ، فلماذا لا يحدث ذلك للانسان ، وهل سيكون ذلك لخيره أم لشره ، فان طال عمر الانسـان من غير أن تكون امكانيات الحياة صالحة للخلود ستكون كارثة عليه .

هموم الوطن وهمومى

● ● ما هى همومك الخاصة التى تشغلك الآن ؟ .

ـ والله الحقيقة بينى وبينك أننى كما تعلم أن بصرى وأذنى ، الاثنين صاروا أضعف من بعض ، فحرمت من أن أشهد مسرحيـة أو أرى فيلما أو اشاهد تليفزيونا أو أقرأ كتابا أو مجلة .

● ● اذن كيف تنظم وقتك ؟ .

ـ ما أستطيع ان أفعله هو أن أكتب شيئا ساعة الصبح ، مثل وجهة نظر التى تنشر يوم الخميس فى الأهرام ، وأن أصدقائى يشيرون الى بفصل مهم فى كتاب أو مقـال فى مجـلة فاطلب تكبير حروف

الكلمات فأقرأ ساعة بعد الظهر هذا هو الأساس فى حيــــاتى الآن بالاضافة الى أن هذا هو ثالث موسم يدخل على وليس عندى شيء أكتبه ٠

●● وماذا عن الهموم العامة التى تشغلك ؟

ـ هو فيه غير أن مصر تتغلب على مشكلاتها وأزماتها ، هذا هو همنا الكبير بالليل والنهار ٠

●● المشكلات التى تعانى منهــــا مصر ٠٠ كيف تشخصها وتضع العلاج لها ؟ ٠

ـ انها مشكلات تمثل مقدمات ونتائج حتمية والحقيقــــة أنه لا خلاص لنا منها الا بالاصلاح الشامل السياسى والاقتصادى ، كلاهما يسيران معا فى وقت واحد ، ويجب أن يكون العمل والانتاج عبادة فى هذه الفترة ، حتى نستطيع التوازن ، وأقصد بالتوازن ، توازن الميزانية وتوازن النفس ٠

●● هل ترى أن ذلك يتحقق قريبا ؟

ـ أرى أننا نسير فى هذا الطريق لكن الحقيقــــة لا أستطيع ان أحدد له نهاية لأن المشكلات كبيرة ، وقديمة ، ولكن الأمل موجود ولا شك فى التغلب عليها ٠

نحن واسرائيل والسلام

●● كيف ترى مستقبل السلام مع اسرائيل وهى تضــــع العراقيل أمام امكانية أية تسوية سلمية للقضية الفلسطينية ؟ ٠

ـ والله نحن نادينا بالسلام على أمل أن يشمل الجميع ، وقد تحقق جزئيا بيننا وبين اسرائيل ، وليس ما يمنع أن يتحقق كليا ،

وستظل المسألة معلقة حتى يطمئن الفلسطينيون الى مستقبلهم وأنا أرجو ألا يكون الرأى الذى يقول ان الاسرائيليين يرفضون السلام ، صحيح ، فنحن نعلم أن فى اسرائيل جمهرة كبيرة تريد السلام ، وكذلك على مستوى العالم من اليهود ، والأمل أن يتم السلام الشامل قريبا ، أما اذا حدث المستحيل ولم يتم ، فطبعا يبقى مفيش خيار ويبقوا فرضوا علينا وعلى أنفسهم الهلاك ٠

التلفيقية والتوفيقية

●● يسألك الناقد الأديب الكبير رجاء النقاش عن وجهة نظرك فى أكبر نظريتين تتصارعان فى المجال الدولى هما الرأسمالية والماركسية ؟

ـ والله شىء جيد أن يجىء هذا السؤال من رجاء النقاش لأننا من حوالى عشرين سنة تناقشنا فيه ، وكنت دائما مع الشيوعية فى عدالتها وليس معها فى فلسفتها وأسلوبها فى الحكم ، وكنت مع الرأسمالية فى احترامها لحرية الفرد وللحرية السياسية ، ولكن ليس معها فى اغفال جانب العدالة الاجتماعية ، كل واحدة تأخذ من الثانية وكنت لما أناقش زملائى فى قهوة « ريش » وأقول لهم لماذا لا تتحقق العدالة الاجتماعية مع احترام الحرية السياسية والفردية والتنازل عن فرض فلسفة خاصة على الناس ، ونتركهم لحرية عقيدتهم وآرائهم ، فكانوا يقولون لى ، هذه صياغة تلفيقية وغير ممكنة ، والحمد لله عشنا حتى عصر « جورباتشوف » ورأينا هذه الصيغة تتحقق فى العالم ٠

●● تراجع القصة القصيرة فى العالم ٠٠ ما هو تفسيرك له ؟ ٠

ـ الحقيقة أن القصة القصيرة بالنسبة لهذا العصر السريع والمتغير من أنسب الأشكال منطقيا وأنا أعتقد أنها فى شرقنا مزدهرة

ازدهارا كبيرا يوازى الرواية أو أكثر لكن يقال انها صارت فى الخلفية فى الخارج ، والحقيقة أننى احترت فى تفسير هذه الظاهرة ولم أدر لها سببا لأن كل الدواعى تدعو الى ازدهارها ، خصوصا أن المجـلات والصحف والاذاعة والتليفزيون ترحب بها ، وهى أسهل فى التعاطى من الرواية ، فحقيقة لم أجد تفسيرا الا شيئا واحدا ، هو أن الرواية نفسها صارت نوعا من القصة القصيرة ، فأرضت الطرفين ، يعنى الرواية فى أصلها كانت مثل المسلسلات حيث يقعد الناس بجوار المدفأة يقرأون الرواية فى أربع أجزاء وخمســة أجزاء ، وكل جزء خمسمائة صفحة ، حتى انه لما جاء « ديكنز » وعمل الرواية جزءين ، اعتبروه كاتب قصة قصيرة ، وأنت تقرأ فى العصر الحديث الروايات أو معظمها ، صغير ، وليس مثل النوع الذى كنا نسميه قصة قصيرة طويلة ، لأن الرواية بشــكلها الحالى جمعت بين الرواية والقصة القصيرة ، لعل هذا هو التفسير .

● ● على ضوء هذا التفسير .. هل ترى أن القصة القصيرة فى العالم فى طريقها الى الانقراض ؟

ـ يمكن الرواية القصــيرة أغنت عن الرواية الطويلة والقصة القصيرة .

أرشح هذه الرواية

يسألك الناقد الكبير فؤاد دوارة .

● ● هل يمكن أن ترشح احدى رواياتك لكى تعد وتقـدم على دار الأوبرا ؟ .

ـ يمكن أرشح « رادوبيس » لكن تكون أوبرا أو أوبريت ، وهذا مشروع حلم بتنفيذه المرحوم عبد الحليم نويرة ، ولم تسعفه الظروف .

انا والسياسة

● ● يرى الدكتور نبيل راغب أنك متهم بانه لا لون سياسى لك فانت تجامل اليمين واليسار وصديق الكل بلا تمييز وبلا تحديد مواقف ٠٠ وقد انعكس هذا على رواياتك فى بعض الأحيان ؟ ٠

ـ لا ٠٠ أنا كمواطن ملتزم ، ويتضح التزامى من أنه لا توجد انتخابات فى مصر لم أدل فيها بصوتى اذن أنا مواطن ملتزم ، وظيفتى تلزمنى أن أكون انسانا قبل أن أكون مواطنا ، وأعطى كل انسان حقه ، مثل الطبيب الذى تجده عضوا فى هيئة كذا التابعة للحزب الفلانى ، لكن عيادته تستقبل جميع المرضى ، من جميع الأحزاب ٠٠ لماذا ؟ لأنه فى العيادة انسان ، وفى الحزب حزبى ، ثم أن القيم التى آمن بها فى حياته موزعة على أحزاب وليســت مستقرة فى حزب واحد ، مثلا الحرية أؤمن بها فتظن أننى ليبرالى لكن تجد بجانبــه الايمان بالعدالة الاجتماعية فتظن أننى اشتراكى ، وترى اننى مؤمن « بالمصرى » فتظن أننى ضد العرب ، وهكذا ، يعز فيه قيم أنا أحبها ولا أجد ما تتعارض مع قيم أخرى ، انما كل واحد « راقد » فى تيمة لا يرى من الدنيا غيرها ممكن يوجه لى هذا الاتهام ٠

هل يكتب هؤلاء المقدمة

● ● الذين يخاصمونك فى رواية « أولاد حارتنا » ٠٠ كيف تنظر الى رأيهم ؟ ٠

ـ نجيب محفوظ : أولا أنا أعتقد أن الخصومة التى بينى وبين خصوم الرواية ، وهمية وليست حقيقية ٠٠ هذا هو اعتقادى وأنهم لو قرأوها كما يجب أن يقرأوها لما وجدوا فيها ما يخالف والدليــل على ذلك أنها تقرأ فى جميع البلاد العربية والاسلامية ، ولم يعترض عليها أحد ، رغم أنهم مسلمون مثلهم ، لكن فيه مسئولية أخرى ، وهى بما أنه ليست هناك فى الواقع معركة ، اذن فاننى أكون داخلا

فى معركة وهمية · وأنا أرفض ذلك لسببين : الأول : هو أننى أعرف أن وطنى يواجه مشكلات كثيرة ، ولذلك لا أحب أن أضيف اليه مشكلة جديدة روائية ، ثانيا : ان الأزهر وهو أساس الرفض يلعب فى حياتنا الآن دورا كبيرا وهو شرح الاسلام الحقيقى والتصدى للتطرف والانحراف ، اذن نحن معه فى هذا القارب الواحد الدينى السنى ولذلك لا يصح أن أعمل فيه خناقة ، لا تقوم على أساس ، اذن نترك الأمور حتى يأذن الله بالتفاهم والفهم الصحيح ، من يدرى لعل هذه الرواية تنشر يوما بمقدمة بقلم أزهرى مثل الأستاذ خالد محمد خالد . أو مثل الشيخ الغزالى ، أو د· أحمد كمال أبو المجد ، واذا لم يحدث ذلك فى حياتى ، فسيحدث فى يوم من الأيام ·

● ● هل صحيح أنك ابعدت عن منصبك بوزارة الأوقاف ، فلجأت الى مكتبتها بحى الغورية ؟

ـ لا ·· وانما كان قد تغير عهد ، وكنت فى مكتب الوزير ، فجاءوا قالوا لى : الوزير الجديد ، أتى بالطقم الخاص به ، فاختر لك مكانا غير مكتب الوزير ، وأنا لما كنت أعتبر الوظيفة قيدا مفروضا على ، وأعتبر أن الركنة الحقيقية فى وزارة الأوقاف هى المكتبة ، فقد اخترت المكتبة ، ولم يكونوا مصدقين فنقلونى اليها ، وكانت شهور من أسعد أيام حياتى وكنت مع المرحوم الأستاذ السندوبى . وقاعد وسط كتب فى الحى الذى أحبه وهو حى الغورية ، وانتزعونى منه فخرجت مثلما خرج أدم من الجنة ، ولولا هذه الفترة ما كنت قد قرأت مثلا « بورست » وأثر فى ضمن من تأثرت بهم فى مكوناتى الثقافية ·

● ● عنوان على الملف ؟

ـ اجتهد وتوكل على الله

● كلمة تقولها لمحبيك ؟ ·

ـ انى أحبكم كما تحبونى وأكثر ·

● يحيى حقى :

يطالب بعودة عبد الله النديم الى مصر

لا شك انني لم ادرك الحساسية الزائدة التي يشعر بها اديب مصر الكبير يحيى حقي تجاه أصله التركي عندما سألته سؤالا يتعلق بهـذا الموضـوع عنـدما قابلتـه لأول مرة فرايتـه ينتفض قائلا « اني وان كنت من اصل تركي الا أني أحس أني شديد الاندماج بتربة مصر واهلها وفي بعض الأحيان يرجني هـذا الشعور رجـاء شديدا » وشعرت ساعتها بدفء شـديد رغم انه كان يوما ممطرا شديد البرد ٠

● هذا رجل شديد الاندماج بتربة مصر واهلها ٠ وهذا بطل رائعته « قنديل ام هاشم » يهز شعبنا هزا عنيفا ويقول له « اصح ٠٠ تحرك الجماد » ، ورغم احتكاكه بالحضارة الغربية الا انها لم تبهره فهو يقول ٠ « ان عندي حضارة ان لم تتفوق على الحضارة الاوروبية فهي تماثلها الى جانب ان عندي دين حق هو نظام متكامل » وهو بكل ذلك يؤكد انتماءه للوطن حضارة وعقيدة ، وهو يرى أن جيله لابد وأن يسلم الراية الى الجيل الجديد « ليس كمسالة عاطفية بل كمسئولية وواجب » ٠

والى جانب أنه أديب قصصي وناقد أدبي الا أنه محارب من أجل الارتقاء باللغة العربية فيحب في المستقبل أن يذكر لا ككاتب قصـــة بل كخادم للغة العربية ، ثم يكشف لنا بعدا جديدا في شخصيته وهو حنينه الى التاريخ ولذلك « يتمنى لو كان مؤرخا » ، وهو يحب رغم كل هـــذه المواهب التي يتمتع بها أن يعيش مع « ناس في الظل » لذلك كان اجتذابه الى دائرة الضوء دائما أمرا عسيرا ٠٠ ولكن كان لابد من لقائه في وقت تحتفل مصر كلها بعيد ميلاده الثمانين ٠

هذا هو فارسنا يحيى حقى ـ أطال الله عمره ـ الذى يبدأ حواره معنا قائلا ٠٠

« بسم الله ٠ اللهم وفقنى الى الصدق والخير » ٠

والتقطت الخيط لأسأل مفكرنا الكبير « وأى خير يشغلك الآن ؟ » ٠

فأجابنى بما يكشف عما يريد أن يتحدث فيه قائلا : لا خير فى أمة أهملت تراثها وأعرضت عن آثارها الأدبية والثقافية لأنها جزء من شخصية الأمة وحضارتها ٠

●● ولماذا تذكر هذا الموضوع الآن ؟

ـ لأن الحركة الأدبية لا يمكن أن تدرس فرادى أو جانب دون جانب فهى تقيم بعضها بعضا ، وانما نطلب من بعض الشبان أن يبدعوا ومن بعض الكتاب أن يؤلفوا ونطلب من المهتمين بالحركة الثقافية أن يتساندوا لاحياء التراث الفكرى والثقافى والأدبى ٠ وأن يهتم أصحاب دور النشر بذلك دون أن يسألوا كم سنكسب من أول الأمر ، وفى الواقع أنهم سيكسبون ولكن قد يحتاج الأمر الى شىء من الوقت ٠

●● وماذا يشغلك أيضا ؟

ـ كثرة الكلام عن الخوف من هبوط مستوى اللغة العربية فنجأر بالشكوى ونلطم الخدود سريعا دون أن تكون هناك مجهودات متضامنة تقيم بعضها بعضا للحيلولة دون هبوط لغتنا ٠

●● وكيف يحدث ذلك ؟

ـ يحدث ذلك اذا دبت في الأمة حياة تأنف أن تبقى في الذيل وتأنف أن تظل لغتها غير مخدومة تهبط هبوطا سريعا شنيعا دون أن تحرك لذلك ساكنا ، ولكن لا أحد يسمع ولا يحب أن يسمع ٠

●● أنت ايضا مثل توفيق الحكيم تشكو من انعدام روح الجماعة وتجاهل كل واحد لدعوة الآخر فلا يبنى طابقا فوقها بل طابقا بجوارها دون أن تكون هناك نتيجة ؟

ـ ان ما أشكو منه هو أننا لا نكوم بحثا على بحث بل نضع بحثا بجانب بحث وضربت لذلك مثلا أكثر من مرة وهو الاحتفال بذكرى رفاعة الطهطاوى ، مقالات كل عام عنه متشابهة وأن تمت كتابتها بصيغة أخرى وأسلوب آخر ، ولم يحدث أن أنبرى أحد وذهب الى بلد الطهطاوى أو الى مقره فى باريس أو يبحث لنا عن مصدر جديد نستطيع أن نستكشف به رفاعة أو يحاول أحـد أن يدرس الحياة الاجتماعية فى عهده من نواح جديدة ، لذلك أنا أزعم لك أن أسرة محمد على لم تدرس بعد الدراسة الكافية الوافية التى تكشف لنا عن طبائع أمرائها وأسباب تصرفاتهم التى قد تبدو غريبة فى بعض الأحيان ٠

الحكام الفقراء

●● مثل ماذا ؟

من ذلك السؤال : لماذا كان عباس الثانى نهما فى نهب أملاك الأوقاف ولماذا تبعه فى ذلك أحمد فؤاد ؟ وأنا عندى الجواب أريد أن أقدمه للشباب وحبذا أيضا للمؤرخين ٠٠ فأقول ٠٠ أنت تعلم ان الخديوى اسماعيل كان يملك ثروة طائلة عبارة عن مديريات بأكملها وكان يقال وهذا حق أنه كان من أبرع المزارعين وأقام فى هذه المديريات مصانع ، فلما غرقت مصر فى الديون وكانت هذه

خطة مدبرة من الاستعمار الذى يهدم الاقتصاد الوطنى للبلد ثم سيادة نفوذ رأس ماله الأجنبى ثم وضع اليد على البلد كلها ثم يدخل الجيش بعد ذلك ، فلما حدثت مقدمات ذلك فى مصر نزعت أملاك الخديوى اسماعيل بأن صودرت ، وربما كان هذا هو أول نوع من المصادرة للأملاك فى تاريخ مصر الحديثة ، فنزعت أملاك اسماعيل وأصبح أفقر أفراد الأسرة المالكة ، ثم جاء الخديوى توفيق وهــو رجل طيب جدا وضعيف حقيقة ولكنه كان فى غاية الذكاء وفى غاية الفقر أيضا فلم يشأ ان يكون فقيرا ويفقد العرش أيضا فكانت وقفته المزرية الى جانب الانجليز ضد عرابى ، المهم ان عباس الثانى الذى تولى العرش بعد توفيق كان أفقر أفراد أسرة محمد على رغم أنه الجالس على العرش الذى يسميه بقية الأمراء « أفندينا » ، وهؤلاء الأمراء لم يكونوا يسافرون الى أوربا ولا يعودون منها الا باذنه ، ولا يتزوجون ولا يطلقون الا باذنه ، فكيف يكون هذا الأفندينا هو الآمر الناهى الفقير فى نفس الوقت فكانت طبيعة الأشياء سواء من الوجهة السياسية أو الشخصية أو الغرائز الانسانية انه كان نهما لأن يستحوذ على أكبر قدر من المال ليكون على الأقل « أفندينا » ليس فقط من وجهة المقام بل أيضا من وجهة المال ، فنراه ينهب أموال الأوقاف ، ولحسن الحظ فقد وجد من رجالاتنا من وقف يواجهه وهو الشيخ محمد عبده الذى وقف فى وجه الخديو عباس ، ومن سوء الحظ أن الشيخ محمد عبده وقف موقفا حرجا بين اسماعيل واللورد كرومر ، أى بين رجل ينهب أموال الدولة جالس على العرش مستبد بالحكم يكره كلمة نيابة أو برلمان أو سياسة أو أمة ، وبين عدوه الذى اسمه كرومر ، فهل عدو عدوى صديقى ؟ ظن محمد عبده أنه لن يستطيع أن يقف نى وجه عباس الا اذا وضع يده نوعا ما وهو كاره أشد الكره فى يد كرومر الذى يقف ضد عباس ، وكما جرى القدر على اسماعيل جرى القدر على عباس فصودرت أملاكه أيضا ، وخلفه على العرش حسين كمال لفترة قليلة ! ثم جاء فؤاد الى العرش

فورث فقر أبيه اسماعيل لدرجة اننا كنا نتندر فى ثورة ١٩ ان فؤاد كان مفلسا وكان مديونا لسائق « عربة حنطور » أو « للمكوجى » ، فاذا به يعيد نفس المشكلة التى وقعنا فيها مع عباس وهى أنه كان نهما أشد النهم لاغتصاب أموال الأوقاف ، ومثل هذه الأمور يمكن ان تفسر لنا تصرفات أسرة محمد على التى حكمت مصر لأكثر من قرن ونصف ، فنحن نريد استفاضة فى الأبحاث وتعمقا فيها ويقظة وتحفزا لحركة انبعاث ونهضة تدب فى الأمة لتستكشف أسرار تاريخها الذى لم يكتب ، وأستطيع أن أقول لك ان جوانب كثيرة من تاريخنا الحديث لم تكتب سواء عن أسرة محمد على أو ثورة ١٩ أو ثورة ٥٢ مما لا يزال فى حاجة الى بحث ودراسة نهمة لا تعرف الكلل ولا الملل .

●● اراك مهتما كثيرا بالتاريخ ؟ .

– اننى وان لم أكن مؤرخا الا اننى ما زلت آسفا اننى لم أصبح مؤرخا لأننى كنت أحب هذا .

ندوة الفيلم المختار

●● وماذا كنت تضيف لو كنت مؤرخا ؟ .

– لم أكن سأسلك الطرق التقليدية للبحث بالذهاب الى المكتبات للاطلاع على المؤلفات السابقة ، فهذه طريقة لا يمكن للباحث التاريخى أن يستخلص بها جديدا ، وسأضرب لك مثلا بمسيو « رينو » مدير المعهد الفرنسى بباريس حين يكتب عن تاريخ مصر لا يذهب فقط الى المكتبات بل يذهب الى المحكمة الشرعية ويقول : أرونى قسائم الزواج منذ خمسين سنة ، أرونى حجج الأوقاف منذ خمسين سنة ويقرؤها عقدا عقدا وحجة حجة ، ويستخلص من هذه المصادر صورة للمجتمع المصرى فى ذلك الوقت ، ومثال آخر

« كراكوفسكى » المستشرق الروسى له كتاب اسمه « المخطوطات العربية » ، أقسم لك اننى ما أقرؤه الا ودمعت عيناى وبكيت فعلا لأننى لم أر حنوا وتوقيرا واعزازا ومحبة للمخطوطات العربية وما تخفيه من جهد عظيم وثقافة حقيقية تنطق بها هذه المخطوطات كما وجدته فى كلام هذا الرجل ٠

●● انك تفجر هنا قضية خطيرة تتعلق بأن الأجانب يكتبون عن مصر والتراث العربى بأفضل مما يكتبه أبناء مصر والعروبة ؟ ٠

ـ هذا الكلام قد يساء فهمه لأننى لا أريد أن أدخل فى هذا المبحث العصيب العجيب لأننى لا أريد أن أدخل فى متاهات أو أن أبحث عن قطة سوداء فى حجرة غير موجودة ، ووبال المستشرقين والأجانب وسوء نيتهم معروف لنا وان كان هذا لا يعنى أن نقف بادىء ذى بدء موقف العداء أمام كل ما يرد الينا فهذا هو الخطأ بعينه ، ولا شك ان من المستشرقين من هم حسنو النية ومن هم سيئو النية ، ولكن اللوم علينا نحن لأنه يجب أن نكون أصحاب الخبرة بتاريخنا ، وتراثنا وما فيه من جواهر نمتحنها ونزنها ونقيسها ونعرفها ، لنوسع مجال البحث ونعمقه ، وأن يدب النشاط الى كل المشتغلين بالحركة الثقافية والأدبية استجابة لا لشعور الاستزادة من العلم فقط بل شعورا للأنفة من أن يكون حالنا هكذا أو أن نظل فى هذا الوضع ٠

●● وهل يعجبك الوضع الذى يعيش فيه مجتمعنا اسيرا للتليفزيون والسينما والفيديو بما تحمله هذه الأدوات من مخاطر كان يمكن تجنبها بترشيد استعمالها ؟ ٠

ـ سأضرب لك مثلا من زمان ٠٠ كان فيه واحد اسمه الأب « زهراب » وهو قسيس كاثوليكى وجد أن الوسيلة الجديدة للاتصال بالناس فى ذلك الوقت هى « السينما » فهل الكنيسة

الكاثوليكية تقف عمياء مكتوفة اليدين وتقول « ما شأنى بالسينما، هذه اباحة وكلام فارغ » ، لا .. الكنيسة الكاثوليكية قالت « أنا أستثمر السينما وأصل بها الى العائلات فأدعوها فى جو ألفة الحديث عن السينما ونقول لهم هذا الفيلم يحض على الرذيلة ندعوكم منه وسيسمعون كلامى لأنى مثلهم مهتم ببعض الفنون الحديثة » . فكان الأب « زهراب » ، هذا مهتم باعداد ندوات سينمائية يعرض فيها الأفلام العالمية للجمهور ويشرحها ويفسرها له ويحول السينما بذلك من متعة الى فن أو دراسة ، فأنا لما توليت مصلحة الفنون قلت لأفعل مثلما فعل الأب زهراب وأنشأنا ما يسمى « بندوة الفيلم المختار » وأحضرنا بعض الأساتذة ليتكلموا ويبصروا الناس ، فياحبذا لو عادت مثل هذه الندوة وتبناها « الأزهر » بما له من ثقل دينى ليستثمر هذه الوسائل الحديثة وليصل بدعوته ورسالته الى كل الناس الذين سوف يستمعون اليه ما داموا يرونه مهتما مثلهم بالفنون الحديثة .

تاجر يعيد محمد فريد

● ● ماذا تطلب من المصريين ؟ .

ـ ما أطالب به هو أن يشعر كل مصرى بالأنفة من أن بلده متأخر ويعتبر ان هذه اهانة موجهة اليه شخصيا ولا يعتبر المسألة نظرية أو بحثا عن حداثة أو أصالة وهل نأخذ من الغرب أو لا نأخذ منه ، انما يجب أن يؤرق كل مصرى أن بلده لم تصبح من الدول المتقدمة ويأنف لهذا أشد الأنف ويسأل : لماذا أنا فقير . لماذا أنا متخلف . لماذا أنا متأخر . كيف أقبل هذه الاهانة . يجب أن أهب وأقوم وأعمل ما أستطيع لأرد عن نفسى كل عوامل التخلف ، ولا تسألنى هل هناك أسباب للشعور بهذه الأنفة ؟ . لأن هناك

أكثر من ألف سبب ، ويكفى ما حدث لبلادنا منذ الحملة الفرنسية من تكسير لأسنتها وحضارتها واغتصابها بجميع الوسائل واهانتها ونحن واقفون رافعى الرأس لا نشعر بأى حرج .

● ● فماذا تريد اذن ؟ .

ـ أريد أن يتفقد فى نفوسنا وأبحاثنا شىء يشبه النار تسرى فى هذه الأمة ، وبهذا الشكل نستطيع أن نجد يوما من الأيام شاعرا يقف ويهب ويحرك هذه الأمة ، أو كاتبا قصصيا يحس حقيقة بنبض هذه الأمة ويحاول أن يشرحه لنا ويبشر بما نريده ، حتى تدب الحياة فى أوصالنا .

● ● هل بقى شىء من همومك الفكرية التى تشغلك ؟ .

ـ أود أن أتكلم عن شىء قرأته وهو أن احدى دور النشر ستطبع مجموعة « الأستاذ » التى كان يصدرها « عبد الله النديم » ، فى شكل كتاب . وبذلك يتيسر للقارىء الاطلاع على هذا الأثر الأدبى دون حاجة الى أن يحج الى بعض المكتبات والله يعلم أين تقع وأين تقوم .

● ● وماذا يثير فى نفسك مثل هذا الخبر ؟ .

ـ أثار فى قلبى جرحا لأنه سبق لى زيارة قبر عبد الله النديم فى استانبول وأتمنى نقل رفاته الى مصر ويا ليت مجلتكم تتبنى هذه الفكرة وترسل مبعوثا صحفيا ليرى القبر الفقير الذى يدفن فيه النديم ويصوره ويكتب عنه ، وتبدأ حركة تبرعات تتولاها وزارة الثقافة وتدرس قيمة الفكرة ، هل هى فكرة وطنية ، هل يستحق عبد الله النديم نقل رفاته الى وطنه مصر التى كافح وجاهد خطيبا للثورة العرابية من أجلها ، لقد فعلت أفغانستان ذلك مع رفات الأفغانى ونقلته الى وطنه ، وفعلت مصر هذا مع المجاهد الوطنى محمد

فريد الذى تبرع تاجر من طنطا بتكاليف نقل رفاته الى مصر ، وما أجدرنا بالوفاء لعبد الله النديم بأن تتضافر الجهود الشعبية والحكومية لنقل رفاته الى مصر . ولعل هذه الدعوة تجد أذنا صاغية وقلما يتحرك وانسانا يهتم وفاء لرجل من أبناء بلدنا كافح وجاهد فى سبيلها •

الوصايا

ومن أضواء قنديل أديبنا الكبير يحيى حقى حاولت خلال حديثى معه ان أستفيد من خبرته وتجربته ، بما يمكن ان ينصحنى به فى عملى الصحفى ، بعد أن كان الأستاذ الكبير قد التزم الصمت ، فلم يبخل على بنصائحه ، فتواصل الحديث بعدما كان قد انقطع •

فقال « بلا جدال أن تعريف الصحفى مثل تعريف المثقف الذى يأخذ من كل أدب بطرف ، أو من كل شىء بطرف ٠٠ وزمان كان الصحفى يكتب فى كل شىء ٠٠ اليوم أصبحت فيه تخصصات ٠٠ فيه صحفى جالس ٠٠ فيه صحفى متجول ٠٠ فيه صحفى سياسة خارجية ٠٠ فيه صحفى سياسة داخلية ٠٠ فيه صحفى أدب ٠٠ وحتى لو قلنا أدب ، ففى أى عصر من العصور ، فأنت مثلا اذا كنت ناويا العمل فى المجالات الأدبية فتأخذ العصر الحديث مثلا ، تحدد من سنة كذا لسنة كذا ويكون لديك كل ما يتعلق بالفترة التى اخترت أن تتخصص فيها ، ستقول لى ــ والكلام ما زال لأديبنا يحيى حقى ــ ان هذا شغل الناقد وليس الصحفى ٠٠ صحفى ممكن والصحفيون كثيرون ٠٠ ولكن نريد ان نقول اننا نريد الذهاب اليك لما نتكلم عن الأدب فى مرحلة أنت استوعبتها فى الأدب القديم أو الحديث •

ويضيف الأستاذ يحيى حقى ٠٠ مكملا نصائحه التى قد تكون

خاصة الا انني أراها مفيدة للصحفي والأديب والقارئ أيضا ..

يقول : أيضا اللغة ، مهم جدا أن يكون لديك لغة وتجددها بالاطلاع بها باستمرار ... ثم فيه دراسة كبيرة جدا عن « السيكلوجي » .. علم النفس .. ضروري جدا انك تكون عارف شخصية ونفسية الشخص الذي تتحدث اليه .. يعني «ولا مؤاخذة» لما قرأت على « القائمة دي » أنا خفت (يقصد قائمة الأسئلة التي حملتها اليه) .. يعني غلط كبير جدا انك تدخل على الشخص الذي سوف تسأله ومعك قائمة أسئلة بهذا الشكل (مشيرا بذلك الى كثرتها وتنوعها وشمولها) .. انها تخوف .. كأنك ستدخلني الامتحان .. فانت خوفتني .. وكان المطلوب انك تجتهد وتحضر في رأسك بعض الموضوعات التي تريد الحديث فيها بحيث انك تجعل الحديث ارتجاليا .. وسأحكي لك حكاية طريفة .

حكاية طريفة

هذه الحكاية كما يقول الأديب الكبير يحيى حقي . هي : انه زمان كان فيه واحد اسمه الأب « زهراب » من الكنيسة الكاثوليكية ، أراد استثمار السينما كوسيلة للوصول الى العائلات ، بدعوتها في جو ألفة يتم فيه الحديث عن السينما خلال ندوات تعرض فيها الأفلام العالمية ، ويتم شرحها للجمهور ، وتنبيه الحاضرين الى أن الفيلم الفلاني « سيئ » حتى لا يدخلوه ، وان هذا الفيلم جيد ليقبلوا عليه ، ولأن المتحدث هو راعي الكنيسة .. رجل دين .. فكأن حديثه يجد صدى لدى الحاضرين لأنهم يرونه وهو رجل دين مهتم بالسينما مثلهم .

يضيف الأستاذ يحيى حقي — وهذا ما أريد من الأزهر أن يقوم به . ان يستثمر السينما للاقتراب من الناس ، فيهتم بالسينما مثلهم ، لتوعيتهم وتحذيرهم من السيئ من الأفلام وحثهم على

ويعود أديبنا يحيى حقى الى ذكرياته حينما كان رئيسا لمصلحة الفنون فأراد أن يتبع تقليدا فيما أسماه « ندوة الفيلم المختار » التى يحضرها الجمهور ليستمع الى بعض الأساتذة المتخصصين من أجل خلق وعى سينمائى ، فكنت ـ والكلام لمحدثنا يحيى حقى ـ أرى أن الأستاذ المتحدث الذى يدخل ومعه ورقة يتكلم منها ، لا أحد ينصت اليه ، أما الذى يقف « يرتجل » الكلام ، فالناس تسمعه . لذلك فنصيحتى اليك انك فى أحاديثك الصحفية تجعل كلامك ارتجاليا وتدرس شخصية من تريد التحدث اليه دراسة كاملة ، وبعد ذلك تمسك قضية أو قضيتين أو ثلاثا على الأكثر وتثيرها فى حديثك معه .. أيضا لا تحاول أن تستعرض معلوماتك بجانب الشخص الذى تتحدث معه .. ولا تتحدث كثيرا .. انما أسئلتك تكون مختصرة جدا حتى تفتح للمتحدث مجال الكلام ، لأن أنت لما تتكلم كثيرا سيصبح فى آخر الأمر حديثا مع ابراهيم عبد العزيز لا مع يحيى حقى ! . لأنك فى الحديث أبديت آراء لا أول لها ولا آخر .. أنا أكلمك فى غاية الصراحة .

الفرملة

وأطمعتنى صراحة أديبنا يحيى حقى فى المزيد ، فقلت له : زدنا يا أستاذنا ؟ فقال : الأمانة مهمة جدا .. يعنى أنا وقعت على مثل سيىء جدا لواحد صحفى « فبرك » .. يعنى استمع لبعض آرائى فأخذها ونشرها فى مجلة .. أنا لا أعرفها ولا قال لى أنه سينشرها فى هذه المجلة .. لذلك الأمانة مطلوبة جدا .. ونقل خبر من واحد لواحد .. لابد فيه من الحذر ، لأنه يجوز أنا أكلمك كلام أخوى عن فلان .. فهذا ليس للنشر .. فيجب ان تعرف حدود

ما ينشر وما لا ينشر ، فحتى لو أردت أنا الاساءة الى فلان ، أنت لك الحق أن تفرملنى ·· ولا تكتب هذا الكلام ، فأنا أعطيك الحق فى المبادىء ، والمبادىء تعطيك الحق انك تفرمل محدثك فى رأيه ان وجدت فيه اساءة ، قالها ربما فى ساعة انفعال وغضب ·· يعنى لا أريدك تكون آلة تسجيل ، لكن تكون حكما فى آخر الأمر ·

ويستكمل الأديب الكبير يحيى حقى وصاياه : من المهم جدا أن تبتعد عن الاثارة لأنه لا لزوم لها ·· قلت : انت تريد اذن ان تكون السيادة للأخلاق ؟ · قال : يعنى نوع من الحياء ، لأن بعض الصحفيين يحبون استثارة الناس ، ويتلذذون ان واحدا ينطح فى واحد · لا ·· هناك كلام يقال للتسجيل والنشر ، وهناك كلام خارج الحديث ·· فهذه تأخذ بالك منها ، وسيشكرك محدثك بعد ان تنشر كلامه محذوفا منه أى اساءة ، حتى لو كان ما قاله لك بحق ·

قلت : ولكن ما بالنا نرى فى بعض الأحيان ان بعض الأدباء والنقاد يخوضون معارك ضد بعضهم البعض على صفحات الصحف ؟ ·

قال الأديب الكبير يحيى حقى : معارك أدبية لا بأس ، انما لما تصل الأمور للتعرض للمسائل الشخصية فلابد أخذها بحذر ، وان تستعمل فى مثل هذه المسائل ان كان لابد من الحديث فيها ، كلمات مثل « ربما ·· يجوز » ·· يبدو ·· قد ·· الخ » لأن الانسان قد ينسى نفسه ·

الترزى الأعور

وكلما تقدم الوقت أصبح الحديث مع أستاذنا يحيى حقى ممتعا وشيقا ، فقلت له : وفى مجال قول كلمة الحق ·· بماذا تنصح ؟ ·· قال : اذا أضرت كلمة الحق ، أحدا ، فلا تقلها أبدا ·

قلت : رغم أنها كلمة حق ؟ .. قال : لست موكلا على الناس ولا على الدنيا وأنت لن تصلح العالم .

وهنا وجدتني أختلف مع محدثي الأستاذ الأديب يحيى حقي فقلت له : لو كل واحد سكت وقال أنا لن أصلح العالم فبهذه تكون سلبية غير مطلوبة ؟ . قال الأديب الكبير موضحا مقصده : نحن نريد أن تقال كلمة الحق بما لا يحدث ضررا ولا جرحا .. فهناك مائة وسيلة للقول ، وهذا يذكرني - يضيف الأستاذ يحيى حقي - بقول الشاعر الذي خاط عباءة عند ترزي أعور ، فقال : ليت عينيه سـواء ، فهل هو يمدحه أم يذمه « ماتعرفش » لأنه هل يقصد بأمنيته للترزي أن عينه العورة تبقى صحيحة ، أم ان الصحيحة تصبح عورة ؟ .. فهناك اذن وسائل كثيرة لأن تقول كلمة الحق دون ان تجرح من تتحدث اليه .

● يحيى حقى

بعد ٦٥ سنة حصلت على ما أستحق

اديبنا الكبير يحيى حقي بعد حصوله على جائزة فيصل الدولية
أوضح أهم القضايا التي تشغله واهمها الشباب الذين آثر ان يوجه
اليهم حديثه من خلال هذا الحوار :

● قال أديبنا الكبير يحيى حقي :

ـ استطعت والحمد لله التخلص من بعض علل الشيخوخة ، منها التبرع بالنصيحة ، فأنا أعلم ان النصيحة تبدو دائما عطاء من يد عليا الى يد سفلى وتخفى كثيرا من الزهو بالنفس ، ولكن لابد لى ان اسمح لهذه العلة بأن تمسك بى هذه المرة لأننى أشعر بحاجة ملحة الى توجيه كلامى الى الشباب بنية خالصة بريئة لا أقصد بها النصيحة ولكن أقصد عرض حالة تستحق منهم الاهتمام وهى ان حصولى على جائزة الملك فيصل جاء بعد جهاد شاق دام أكثر من خمس وستين سنة ، وكنت بعد كتابة أى قطعة أشعر بجزل روحى لو دام حتى ثانية واحدة فانه يعتبر من أكبر نعم الله على الانسان ، وأقوم من هـذا العمل كأننى خرقة مبللة من شدة الجهد الذهنى والعصبى بل والبدنى الذى بذلته لأنى لم أدخل الفن من بابه الواسع بل من أشد الأبواب ضيقا وهو العمل المضنى ، وكان فى ذهنى دائما المثل العليا للابداع الفنى فى الآداب العربيـة والغربية ، وكنت أحاول الاقتراب منه ليس ارضاء لنفسى وحدها بل احتراما للقارىء .

واقلب كل جملة أكثر من مرة لأجعلها معبرة عن غرض وتكون فى الوقت ذاته ـ مهما قصدت الوصول للأعماق سهلة الوصول الى

القارىء الذى أكن له احتراما كبيرا وكأننى أقسمت بينى وبين نفسى الا إغشه أو أموه أو أكذب عليه ، وقد تبينت فى وقت ما انه حتى قواعد النحو ليست مسائل جدلية أو نظرية بل المقصود بها وضوح العبارة .

وأضرب مثلا بذلك ضمير الغائب المفرد الذى قالوا لنا انه يعود الى أقرب اسم ، ليس من قبيل الكذب أو « الفشر » اننى لم أنتظر أى ثواب على عملى سواء كان ماديا أو مرضيا للنقاد أو القراء ، بل كان همى الأوحد هو تجويد القطعة التى أكتبها ، واذا بى فى نهاية العمر يهبط على الجزاء كأنه رحمة الله قد ادخرت لى خلال خمس وستين سنة . فليس من قبيل النصيحة ان أقول هذا الكلام للكتاب الشبان ، ولكن لعرض حالة أتمنى منهم تأملها ، فاذا هزتهم هذه الكلمات ولو بشكل طفيف فعليهم أن يحاولوا فعل ما فعلت ، أى الاخلاص للعمل واستبعاد أى جزاء منتظر فورا ، ومداومة العمل بدون يأس .

وأقول لهم انكم فى عمر تتمتعون فيه بتمام صحة الحواس كالنظر والسمع واللمس والشم ، وارادة تفوق ارادة الشيوخ فلا تضيعوا دقيقة واحدة فى سأم وشكوى أو محاولات تصل فى بعض الأحيان الى حد التخاصم وتبادل الاساءة .

احبوا الفن واخلصوا له وتوكلوا على الله .

نداء الى اساتذة التاريخ

● ● أستاذنا الكبير : المبدعون الشبان كثيرون ولكن الملاحظ ان الحركة النقدية راكدة فلا نشعر بهم او نسمع لهم صوتا ؟ .

- قلت فى ندوة فى باريس اننى اشعر بحالة ركود فى

النشاط الثقافى فى مصر ، فانبرت لى د٠ هدى وصفى ، وكأنها تتهمنى سرا بأننى لا أتابع الحركة الأدبية ، وقالت لى : كيف تقول هذا وعندنا كم كبير من شبان موهوبين تظهر لهم ابداعات كثيرة متلاحقة ؟

فقلت لها : لا قيمة لهذا اذا لم يكن فى البلد حركة نقدية علمية تلاحق هـذا الإنتـــاج وتقدره ولا تكتفى بابداء الرأى ثم الانصراف ، كأنهم ممن يقال عنهم لم يكد يسلم حتى ودع • وقد شـعرت بحنو شديد للأستاذ محمد جبريل حين سمعته فى برنامج « مع النقـــاد » فى البرنامج الثانى ، وقد ناقشه ثلاثة من النقاد ومدحوه مدحا شديدا لماذا به يقول لهم فى آخر الندوة : سيضيع هذا المديح فى الهواء ولكن أمل الشبان فيكم (ولست أدرى هل يرضى صديقى محمد جبريل عنى ان اعتبرته من الشبان) ان تعلنوا هذا الثناء فى وسائل النشر المكتوبة التى تبقى ولا تضيع فى الهواء وأضيف على كلامه بأن أملى فى تبنى هؤلاء النقاد لكل نابغة من هؤلاء الكتاب والأخذ بيدهم ومساعدتهم على موالاة النشر •

وربما كان فى ذهنى امتعاض مؤلم وموجع من هذا الركود الذى أشعر به حين علمت ان وزارة الخارجية التركية أفرجت أخيرا عن وثائقهـا قبل السنوات الخمسين الأخيرة كمـا تفعل انجلترا وأمريكا ••• الخ صدقونى توثب ذهنى وقلبى وأعصابى الى أمل مسارعتنا فورا للاطـلاع على هـذه الوثائق لأن تاريخنـا الحديث ستنكشف كثير من أسراره بفضل هذه الوثائق لسابق ارتباطنا بالباب العالى ، ثم لم أسمع ان مؤرخا واحدا فى مصر انتبه لهذا ، وبدأ يبذل جهدا لتحريك مسعى للحصول عليها ، وقد قلت أكثر من مرة اننى لا أعتبر المثقف مثقفا الا أذا كان على علم بتاريخ بلده •

وأقول للشبان لا أحيلكم الى التاريخ الفرعونى أو البطلمى أو

اليوناني أو الروماني أو حتى بدء الفتح الاسلامي ، بل تكون لحظة الابتداء هي لحظة حملة نابليون على مصر ، وبدء هذه المشكلة التي لا نزال نعاني منها وهي الصدام بين الحضارتين الغربية والاسلامية ، وأطالبهم بالتعمق في دراسة هذا التاريخ ، وهذا أهم رافد لابداعهم في الفن .

فيا أستاذ فلان ، وفلان ، وفلان ... الخ من أساتذة التاريخ أنتم أساتذتنا الأجلاء الذين نعتز بهم ونفخر بهم ، أناشدكم التحرك لحصولنا على هذه الوثائق ونشرها في أقرب وقت ، ولا أقبل أن يقال انه ليس لدينا من يجيد التركية وقت ان كانت تكتب بالأحرف العربية ، وأسأل ماذا فعلت أقسام اللغات الشرقية في جامعاتنا وحتى اذا لم نجد من يجيد قراءة اللغة التركية أو فهمها — ففي تركيا أساتذة أجلاء يجيدون اللغة العربية ويمكننا الاتفاق معهم على القيام بهذا العمل سواء من جانبهم وحدهم أو بالمشاركة مع من نعثر عليهم لدينا من الخبراء باللغة التركية .

هذا خير لكم

● ● ماذا أيضا من هموم أستاذنا الكبير ؟

يقول اديبنا يحيى حقي :

— هناك هموم ثقافية أخرى لا تنفك تقض مضجعي . منها طريقة تعليم اللغة العربية .

فخير لكم الا تحضروا مجلسي وأنا أستمع لمناقشة رسائل الماجستير والدكتوراه من أقسام اللغة العربية في جامعاتنا ، فأجد كثيرا من المتقدمين لهذه الشهادات العليا لا يحسنون نطق اللغة وكتابتها ، والجميع صامتون يتقبلون هذا الوضع المهين وقد عقدوا أذرعهم على صدورهم !!

● د . حسين فوزى :

ويلاد الثلاث تسعات

هذا حوار مطول تم مع د. حسين فوزي على مدى عدة ساعات ويرجع تاريخه الى شهر مارس ١٩٨٣ وقدمته للنشر في مجلة « المصور » التي كنت اعمل بها في مبتدا حياتي الصحفية ولكنه لم ينشر حتى الآن وقال لي سكرتير التحرير وقتها عندما سالته عن سبب عدم النشر لهذا الحوار وحوارات اخرى « ان الموضوعات الصحفية التي اكتبها اكبر من خبرتي في الصحافة » ، وكأنه من المفترض الا يتفوق الانسان الا بعد ان يتدرج ويتسلسل . وهكذا بدات الحوار .

●● ما هي حكاية سندباد معك ؟

ـ السبب بسيط جدا .. فبعد ثلاث سنوات من اشتغالي كطبيب عيون فكرت في المستقبل ماذا سيكون ، هل الأمر مجرد مكاسب مادية وفلوس وخلاص ؟ .. وجدت أن هذا طريقا لا يجعل لي قيمة ، وفي أثناء تفكيري هذا سمعت أن هناك بعثة لدراسة الأحياء المائية فأثار ذلك عندي ما أكنه في نفسي من حب للبحر رغم أنني مولود في حواري القاهرة ، فقررت أن أتقدم الى معهد علوم البحار الذي نظم هذه البعثة وذلك كي أدرس البحر فيما يسمى « بالكونغرافيا » ، ولما عرف زملائي الأطباء . ذلك سخروا من فكرتي هذه ، وقالوا لي : أوتريد أن تعمل « سماكا » ؟! قلت لهم : انني ذاهب لأستكشف عالما جديدا .. فحاولوا اغرائي بأنني سأكون من المرشحين في بعثة طبية الى لندن لمدة سنة ، قلت لهم ان سنة لا تكفيني ، قالوا انهم سيعملون على عدم النجاح في الكشف الطبي

اذا تقدمت لمعهد علوم البحار ، فقلت لهم : اننى لا أقبل التهـديد وسأخلع الملابس البيضاء .

ومضيت فى طريقى لدراسة علوم البحـــار ، وكان ذلك من الأشياء التى جعلتنى أميل الى قصص « سندباد » لأنها قصص بحرية فعكفت على تحليلها فوجدت طبعا أن شخصية سندباد خيالية قامت برحلات خيالية ذات وقائع عجيبة ولكنه خيال مقبول على أية حال يقع فى سبع قصص بعد استبعاد قصة تطرف فيها الخيال الى أكثر من الخيال المقبول فى غيرها ! لقد أحببت « سندباد » وتسميت به وصار هو معلمى ودليلى فى التاريخ قديمه وحديثه والمعاصر منه ، فمثلا السندباد القديم هو رحلة عبر التاريخ فى الزمان والمكان ، أما سندباد الغرب فقد كان سندبادا حقيقيا لأنه أنا ، فقد ذهبت الى الغرب فعلا وتجولت هناك فكانت رؤيتى رؤية معاصرة .

● ● مصر بين عهد عبد الناصر وعهد الســادات .. كيف يقيم لنا سـندباد مصر د . حسين فوزى هذه الفترة من تاريـخ مصر ؟ .

ــ لقد قابلت عبد الناصر مع مجموعة من الأدباء والمفكرين حينما زارنا فى الأهرام ، وقال لى : أنه قرأ كتابى « سندباد الى الغرب » وأعجب به . فقلت له : اننى أريد أن أقول لك يا سيادة الرئيس كيف تربى جيلنا ، كان أهلنا وأصدقاء أهلنا ومدرسونا يقولون لنا ثقوا بأنفسكم وأحبوا بلدكم لأنها أصل الحضـارات ، والأجانب يعرفون ويعترفون بذلك ، وكانوا يقولون لنا أيضا اذا أردتم أن تحبوا بلدكم أنظروا الى أوربا واعملوا على تقدم بلدكم . فقال عبد الناصر موافقا على ما قلته : طبعا لا يوجد بلد يستطيع أن يفعل شيئا من غير تكنولوجيا . فسكت ولم أرد لأننى لم أكن أقصد بكلامى أن نستورد التكنولوجيا لأنها ليست الأساس ولكن قصدت بكلامى أن نبنى الفرد فى بلدنا ونعطيه الثقة بنفسه أمنا من الخوف لأن الخائف لن يحب

الا نفسه ولن يكون همه أن يبنى بلده بقدر ما يكون همه ضـمان لقمة عيشه ٠

●● التكنولوجيا اليست ضرورية ؟

ـ التكنولوجيا تشترى بالمال ، ودول البترول لديها الأموال التي تشتري المعدات الحديثة ومعها خبراؤها من الأجانب ، ولـكن التكنولوجيا في نظرى هى تطبيق أحدث ما وصل اليه العلم بالانسان المصرى نفسه والانسان العربى نفسه والا فانه سوف يأتى يوم ينتهى فيه البترول ، ويشح المال ، وماذا بعد هل ينتهى مع نهايته المجتمع العربى أيضا ، ان الضمان هو الانسان العربى نفسه ٠٠ ابنـوا الانسان العربى وحرروه من الخوف وأعطوه الثقة بنفسه كى يحب بلده وعندئذ انظروا ماذا ستكون النتائج ٠

●● نعود الى تقييمك لعهد عبد الناصر ؟

ـ عبد الناصر رجل همام وله طاقة جبارة ولكنه بشتت هـذه الطاقة فى حروبه الخارجية ، ولو وجه هذه الطـاقة الى داخل مصر لأصبحت مصر اليوم على أكبر درجة ممكنة من التقـدم والازدهار اقتصاديا على الأقل ٠

ولكن على أية حال فقد خرج بنا عبد الناصر من نظام حكم فاروق الفاسد الى نظام حكم معقول ، ولكنه ألغى دستور ١٩٢٢ الذى أعاده الشعب بدمائه ، وجاءت بعد ذلك مجموعة الدساتير الباهتة ٠

غير أن دستور ٢٣ كان صورة من الدستور الفرنسى ولكن من كتبوا هذا الدستور لاحظوا أن فرنسا جمهورية ومصر ملكية فعملوا على حل هذا الاشكال بالنظر الى بلجيكا وهى ملكية مثلنا ودستورها صورة مشابهة للدستور الفرنسى ، فأصبح الدستور الفرنسى صورة فرنسية بشكل بلجيكى ، فلما قامت الثورة وقامت الجمهـورية لجأ العهد الجديد الى التغيير ووضع قواعد جديدة تتناسب ومرحلة التحول

في مصر ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فان الملك فؤاد ومن بعده فاروق لم يلتزما بدستور ٢٣ وضربا به عرض الحائط ، ولكن لماذا يضرب به عبد الناصر عرض الحائط أيضا ؟ .. ما أريد أن أقوله أنه يجب أن يكون هناك استقرار في مصر وهذا الاستقرار لن يتحقق الا بوجود دستور لا يخضع لهوى الحكام يغيرونه من وقت لآخر حسب أطماعهم وأهوائهم والا فما الحاجة إلى الدستور اذا كان سيتغير كلما جاء حاكم من الحكام .. فمن الضروري ألا يتغير الدستور الا باستفتاء الشعب استفتاء حقيقيا لا صوريا .

●● ماذا تقصد بالاستفتاء الصورى ؟

ـ انها مشكلة أخرى من مشاكل الدول المتخلفة وهناك اصطلاح مشهور يسمى هذه الدول « بلاد الثلاث تسعات » ـ يقولها د. حسين فوزى ضاحكا ـ .

●● قلت أنه مع قيـــام ثورة يوليـو حدثت تغييرات .. ما تقييمك لهذه التغييرات التى حدثت ؟ .

ـ لست ضد التغيير ، ولكن هل كانت ضرورة التغيير تقتضى مثلا الغاء اسم مصر ليسمى الاقليم الجنوبى كمديرية من المديريات فى ظل الوحدة المصرية السورية ١٩٥٨ والتى عرفت باسم الجمهـورية العربية المتحدة ، لقد كنت أخجل من كتابة هذا الاسم أمام توقيعى فى سجل الزيارات فى الدول الأجنبيـــة ، فكنت أتخلص من هذا الموقف الذى يلغى مصريتى ، بأن أكتب اسمى د. حسين فوزى ـ وبجواره ـ القاهرة .

●● ماذا تهم الأسماء فى سبيل غاية عظيمة مثل الوحـــدة العربية ؟ .

ـ الوحدة العربية حقيقة قائمة على عاطفة لا يمكن انكارها . أما الوحدة السياسية ومحاولة قيام وحدة عربية على أساس سياسى

انما يؤثر على تلك العاطفة الموجودة بين العرب ، وتتحول المسألة الى مطامع ، واننى أتساءل .. لماذا يطالب بعضنا بالوحدة العربية بينما هى موجودة بالفعل .. بفعل الاسلام واللغة العربية .

●● أنت اذن ضد الوحدة العربية ؟ .

ــ لم أقل بهذا ولكن تجارب الوحدة أثبتت فشلها ، فلماذا نكرر الفشل .. ونحن لا نتعلم من الفشل .. سأعود بك الى ما قبل انشاء جامعة الدول العربية نجد أن المودة بين العرب كانت موجودة ، ومنذ أن قامت هذه الجامعة بدأت الخلافات العربيـــة تظهر بصورة واضحة ، أريد أن أقول : ان الوحدة العربية موجودة ولا تحتاج الى ابراز بالأشكال الرسمية التى تعمق جذور الخلاف أكثر مما تحلها ، فهل تريد دليلا على الوحدة أكثر من أن ما يحدث فى فلسطين أو لبنان أو أى دولة عربية أخرى تهتز له كل الشعوب العربية ؟ دعك من أنظمة الحكم فهى زائلة ولن تبقى الا الشعوب تجسد رمز الوحدة العربية بمشاعرها وأحاسيسها .

●● بمناسبة الحديث عن الوحدة العربية .. كيف تنظر اذن الى التكامل المصرى السودانى ؟

ــ لا يوجد شىء اسمه تكامل مصرى سودانى لأن مصر والسودان دائما قلب واحد وشريان حياة واحد .. هل تستطيع أن تقـــول عبارة التكامل المصرى ، ان مصر وحدة لا تتجزأ كذلك مصر والسودان كل منهما يشكلان كلا واحدا ، واذا قلت مصر وسودان ، تمـــاما كأنك تقول : مصر العليا ومصر السفلى ، أو الوجه البحرى والوجه القبلى ، وليست مصر والسودان فقط بل كل الأمة العربية ، ولم يحدث انقسام وفصل شعب عن شعب آخر الا بفعل الاستعمار لأن وجود أمة عربية واحدة لم يكن من الأمور التى ينظر اليها الاستعمار بعين الرضا ولا يزال .

● ● في مواجهة اعداء الأمة العربية المتربصين بها الا يجب توحيد العرب للتصدي لهذه التحديات ؟ •

ـ اذا كنت تقصد بمفهوم الوحدة الشكل الرسمي بانضمام دولة الى دولة ذات رئيس واحد وحكومة واحدة فهذا خيال ويجب الا نسير ضد طبائع الأشياء ، وخذ من التاريخ ما يدلك على ذلك : هل تستطيع أن تقول انه بعد انتشار الاسلام وفتح الأندلس وسقوط الدولة الأموية ، ان الوحدة العربية ظلت قائمة ، أو بمعنى أصح هل ظلت الوحدة الاسلامية قائمة ؟ لقد قامت دولة عباسية في الشرق ، ودولة أموية في الغرب أقامها من فروا من مذابح العباسيين . ثم وجدت دولة فاطمية ثالثة في مصر ، وبدأ العالم العربي الاسلامي ينقسم • ما أعنيه هو أن عصر الامبراطوريات قد انتهى ولن يعود •

● ● اذن كيف ترى الوحدة العربية بمفهوم هذا العصر ؟

ـ أن تتكتل جهود العرب لاستثمار امكانياتهم المادية والبشرية لخيرهم وخير أجيالهم القادمة لأن امكانيات العرب البشرية والمادية ضائعة ومهدرة لأن العرب لا يفكرون الا في يومهم دون أن يفكروا في غدهم •

● ● صورة العرب في الخارج •• كيف تراها من خلال زياراتك المتكررة لفرنسا كواجهة للغرب الأوربي ؟ •

لأوربا مصالح عند العرب فيما يتعلق بالبترول ، فماذا تنتظر ممن يكون له مصلحة عندك ، والفرنسيون ـ كأوربيين ـ أشعر من خلال معرفتي بهم كأنهم ولدوا سياسيين ، فهم لا يحبون الذم حتى لو انتقدوا العرب فهم يحترمونهم على الأقل من الناحية السياسية نظرا لمصالحهم البترولية عندهم ، وقد قرأت في جريدة « الفيجارو » الفرنسية مقالا اندهشت له : انهم ، ينزعجون كلما انخفضت أسعار البترول ، رغم أنهم من المفروض أن يبتهجوا بذلك ، ولكن اتضح

لى انه كلما ظلت أسعار البترول على ارتفاعها فإن صادرات فرنسا الى دول البترول تكون فى زيادة مستمرة ، فاذا ما انخفضت أسعار البترول انخفضت معها صادرات فرنسا بما يضر باقتصادها ، وقس على ذلك بقية دول أوربا .

عصر السادات

● ● تحدثت عن عصر عبد الناصر فماذا عن عصر السادات ؟

ـ السادات « العبقـــان » كبير وفى غاية الذكاء والنباهة ، فحاول أن يتلافى أخطاء عبد الناصر وسلبياته فى الوقت الذى يسمح فيه بابراز تلك الأخطاء والسلبيات مع اظهار أنه غير موافق على هذا الأسلوب فى الحديث عن عبد الناصر وأنه يتحمل المسئولية عن كل قرار من قراراته كما كان يعلن دائما ، وهذه هى سياسة الوجهين ، ولكن هذه السياسة « اتلخبطت » فى أواخر أيامه ولم يستطع أن يسير فيها الى النهاية ، فأفلتت الأمور من يده ولم يعد يستطيع السيطرة على أعصابه أمام منتقديه ، رغم أنه رجل كتوم وأغواره عميقة ولا نستطيع أن تتبين من خلال ملامح وجهه اذا كان موافقا على الموضوع الذى تطرحه أمامه أم لا .

● ● وكيف خرجت بهذا الانطباع عن شخصية السادات ؟

ـ كان ذلك أيام الضجة التى ثارت حول هضبة الأهرام عندما أرادوا تحويلها الى منطقة سياحية تستغلها شركات أجنبية ، فقد جاءتنى الدكتورة نعمات أحمد فؤاد ، ومعها زوجها وهى فى غاية التأثر والانفعال طالبة منى أن أتدخل بقلمى لعمـــل أى شىء فى سبيل انقاذ المنطقة الأثرية بالأهرام ، قائلة : ان هذه جريمة قومية فى حق مصر والتاريخ . فكتبت مقالا بهذا الخصوص ولكن رئيس تحرير جريدة الأهرام على حمدى الجمال رفض نشره .

وكان السادات قد دعا الى عقد مؤتمر للصحافة المصرية وبعض الصحفيين ، وقد وجهت إلى الدعوة رغم أنني لست صحفيا فوجدتها فرصة إذا أثار السادات موضوع هضبة الأهرام أن أعلن عن رأيي .

وركبنا في سيارة رئيس الأهرام على حمدى الجمال والدكتورة بنت الشاطىء وأنا ، وراحت بنت الشاطىء تحدث على حمدى الجمال بشأن موضوع المقـــال الذى رفض نشره لى ، ولم أشـــترك فى المناقشة ، ثم ساد الصمت لأكثر من منتصف الطريق حتى وصلنا الى مكان عقد المؤتمر الصحفى بالقناطر الخيرية ، وعندما شعرنا بأن هناك حركة غير عادية مما يعنى قرب حضور السادات ترك على حمدى الجمال مكانه ، ويبدو أنه شعر أنني سأثير موضوع هضبة الأهرام فأراد أن ينبهنى الى عـــدم الـــكلام ، وأن أدع الحديث للصحافة الأجنبية ، فكتمت ضيقى فى نفسى وتظاهرت بموافقته ، وأنا أنوى إذا جاءت الفرصة أن أعبر عما ارتأيته من رأى تعبيرا عن وجهـــة نظرى بشأن هضبة الأهرام ، وحدث بالفعل أن دافعت عن هـــذه الهضبة بكل ما جاء فى مقالى الذى لم يسمح رئيس تحرير الأهرام بنشره ، ولم يتكلم السادات ولم يظهر أنه موافق على ما قلته أو غير موافق ، ولكن الحملة التى قادتها الدكتورة نعمات أحمد فؤاد أتت بنتائجها وتوقف المشروع السياحى الذى كان سيخرب منطقة الأهرام الأثرية .

● ● وماذا كان رد فعل رئيس تحرير الأهرام على حمـــدى الجمال ؟

ـ قال لى انتى كذبت عليه لعدم التزامى بعدم الكلام مع السادات فى موضوع هضبة الأهرام . فقلت له : ألا يكفى أنك منعت نشر مقالى وتريد أن تفرض على ألا أتكلم أيضا ؟! .

● ● من من رؤساء تحرير الأهرام الذين عاصرتهم ترك في نفسك أثرا طيبا ؟ .

ـ الانسان موقف أولا وقبل كل شيء ، أذكر أنه بعد هزيمة ٦٧ توقف صدور الملحق الأدبي الأسبوعي للأهرام والذي كنت أكتب فيه وغيري من الزملاء ، فقد رأى محمد حسنين هيكل رئيس التحرير وقتها أنه نتيجة لظروف الهزيمة فلابد من التقشف ، فشعرت أن وجودي في الأهرام يمثل عبئا خاصا وانني دون أن أكتب شيئا أتقاضى مكافأتي كاملة ، فوجدت أن هذا الأمر لا يجوز وغير مقبول فذهبت الى هيكل وقلت له هذا الرأى فغضب مني وقال : إبق مكانك يا دكتور .. ارجوك .. نحن نتشرف بكم ولا تقل مثل هذا الكلام مرة أخرى .

وفى ذلك الوقت كانت الدكتورة بنت الشاطيء عائدة من المغرب حيث تقوم بالتدريس هناك ، ووجدتها مجتمعة مع توفيق الحكيم وهما يتحدثان فى موضوع عدم جواز حصولهما على مكافأتهما فى الأهرام ـ بعد توقفهما عن الكتابة نتيجة لالغاء الملحق الأدبى الاسبوعى الذى كانا يكتبان فيه ـ مراعاة لظروف البلد الاقتصادية ، فقلت لهما : لا تحاولان فقد تحدثت الى هيكل برأيكما فطلب منى عدم التحدث فى هذا الموضوع مرة أخرى .

● ● نعود الى السادات .. ما رأيك فى مبادرته السلمية ؟

ـ أحب أن أذكر أنه قبل مبادرة السادات السلمية بزيارة القدس كانت هناك مبادرة من المستشار الألمانى « فيلى برانت » لمحاولة مد جسور السلام بين العرب واسرائيل وذلك بأن اقترح عقد اجتماع بين شباب ومفكرى العرب واسرائيل ، وأن يكون مقر الاجتماع فى برلين ، ووجه المستشار الألمانى الدعوة لعقد هذا

الاجتماع وكنت ضمن المدعوين ، ثم جاءني خطــاب آخر يخبرني بتأجيل موعد الاجتماع الى حين اشعار آخر حتى تكتمل الترتيبات اللازمة لانعقاده ، وقبل أن تخرج مبادرة المستشار الألماني الى حيز التنفيذ كان السادات قد قام بمبادرته الى القدس .

والسلام مع اسرائيل ناجح لولا أصوات المتطرفين الأعلى من أصوات المعتدلين ، ويشجعهم على ذلك وجود حكومة يسيطر عليها المتطرفين ، وأعتقد أن المثقفين الأسرائيليين لا يحبون « مناحم بيجن ـ رئيس وزراء اسرائيل » عندما أجرى الحديث فى مارس ١٩٨٣ ـ ويرون أن تصرفاته لا تخدم اسرائيل قدر ما تضر بها ، وهذا هو اقتناع الكثيرين من الآباء والأمهات والأبناء الذين يعرفون ماذا تمثل الحرب بالنسبة لهم من آلام وتفكك أسرى .

● ● كتاب قرأته ولفت انتباهك ؟ .

ـ القرآن بلغته الشعرية العجيبة التى تجد فيها توازنا بشكل مخصوص .

● ● ملاحظة عامة على العالم الذى نعيش فيه ؟ .

ـ العالم باستمرار يتقدم ، واذا توقف تأخر .

● ● وسندباد يختتم رحلاته .. كيف يلخص لنا نتائج هذه الرحلات ؟ .

ـ كلمة واحدة هى « الانسان » لأنه أهم شىء فى التاريخ ماضيه وحاضره ومستقبله ، مكانا وزمانا ، فهو سـيد المخلوقات بخيره وشره وهو كل شىء لأنه صانع الحضارة والتاريخ فهو المبدع وهو المفكر فى الفنون والآداب والفلسفة .. فى العلوم وتطبيقاتها ، وفى الكشف عن قوى الطبيعة وما حققه له هذا الكشف من الهيمنة على الطبيعة .

● خالد محمد خالد :

هذا الجيل من الشباب مدلل !

●● اعيدوا الى صممي انه سر نجاحي ـ احذروا النجاح فانه قبر مذهب للموهبة ـ المفكرون مقصرون فى حق مواطنيهم ـ هــذا الجيل من الشباب مدلل أكثر من اى جيل آخر ـ على المراة ان تختار بين العمل أو الامومة ـ هذا العالم ان لم يستحق نعمة الحياة فمن الخير لنا وله أن نزول ويزول معنا ـ أعز امنياتى ان أعيش وفى يدى قلم صادق مخلص شجاع اموت وهو فى يدى ..

.. أنها كلمات واحد ممن يعملون فى صمت بعيدا عن الاضواء والشهرة مصداقا لوصية يوصينا بها ويطبقها على نفسه وهى : دع الشهرة والاضواء وفز أنت بالمجد .. انه خالد محمد خالد المفكـر الاسلامى الكبير الذى اثرنا معه قضايا متعددة .

سألناه : كيف يمكن للفكر أن يقود الحكم ، وهل ضاعت قيمة الكلمة ولم يعد لها صوت أو صدى ، ولماذا انقلبت الموازين فأصبح الضحك على الناس فهلوة ، والطيبة . هبلا .

وأسئلة كثيرة أخرى اجابنا عنها مفكرنا الكبير بعد أن ظـــل يعتذر ويعتذر حتى تم اللقاء وجرى هذا الحوار .

●● هل تعتزل الشهرة والاضواء يأسا من أنه لا فائدة من أى شىء ؟

أجاب المفكر الكبير خالد محمد خالد : لا ليس كذلك انما أنا أعنى عدم الاستسلام لغواية الشهرة .

ان الذى يستسلم لغواية النجاح والاضــواء والشهرة يفقــد

الكثير ـ لا سيما اذا كان كاتبا أو مفكرا ـ يفقد الكثير من استقلاليته لأنه يتخلى عن أقدس واجباته وهو التبتل فاذا استسلم الكاتب أو المفكر لغواية النجاح وغرور الشهرة فانك تراه وقد ولى وجهه دائما شطر هؤلاء الذين يريد عندهم الشهرة ويزيد عندهم النجاح ، وأذكر بهذه المناسبة قصة فيلم سينمائى أجنبى رأيته منذ سنوات كان بطله ملاكما أو مصارعا ولم تشب حياته هزيمة قط وكأنه أصم ولكن المعجبين به لا سيما من ذوى اليسار والثراء قرروا أن يجروا له عملية جراحية ترد عليه سمعه اذ كان صممه هذا طارئا اعتوره فى طفولته • وفعلا وجدوا الجراح الكبير الذى رد اليه سمعه ، فاذا به يهزم هزيمة ساحقة وتأتى المباراة الثانية والثالثة ويمنى فيها بالهزائم ، وفجأة تراه ينطلق كالمجنون الى عيادة الطبيب ويأخذ بخناقه وهو يصيح رد على صممى ! ••

هذه قصة مدلولها رائع ومفيد جدا وهى تظهر كيف أن هذا البطل عندما كان يمارس موهبته بعيدا عن غواية الشهرة كان مالكا لموقفه ولزمام أمره ولقوة ارادته ، لتفرغه المطلق لما كرس له ، فلما صك التصفيق أذنيه وأدار رأسه بعد ان استرد سمعه تشتتت قواه الباطنة وأصبح موزعا بين هذه الضوضاء الصاخبة •

وليس معنى ذلك أن كل انسان يناله حظ كبير من الشهرة أو من النجاح يكون معرضا للمصير المماثل •

وأنا أذكر عبارة قيمة للأديب الفرنسى الكبير « ديهاميل » وكان مع كونه أديبا كبيرا كان طبيبا كبيرا يقول : احذر النجاح فانه قبر مذهب للموهبة ، وهو طبعا لا يرفض النجاح ، كمزية يستحقها من يعمل مخلصا فى حياته ، انما يعنى غواية النجاح ، وقلما بل نادرا ما تجد انسانا ارتقى الى ذرى النجاح والشهرة ثم لم يستسلم

لغوايتهما .. اذا وجدت انسانا من هذا الطراز فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

● ● لماذا يظلم هذا العصر جيلنا فى وقت غابت فيه الأسوة الحسنة ؟

أولا انا لا أرى هذا الظلم الذى تتحدث عنه ، ان أولى من كلمة الظلم هنا كلمة التدليل ، فشباب هذا الجيل مدلل أكثر من حظ الاجيال السابقة .

● ● كيف يكون الشبان مدللا فى ظل أزمات يعانى منها كعدم قدرته على الزواج لعدم وجود مسكن .. أليست مثل هذه أمور تشكل ازمات نفسية تنفى وجود أى تدليل ؟

ـ أنا لم أقصد بكونه مدللا أنه يحيا حياة هانئة رغيدة مستقرة وانما قصدت أن وسائل اللهو والترف التى تتاح له الحياة معهـا وان لم يمتلكها تجعله لا يعنى بالبحث عن تلك السكينة التى فى ظلها تتكون الشخصية المفكرة الواعية المثقفة ، أنه يعيش فى ضوضاء ملهية ، وحظه من العمل الجاد والهادف غير كثير .

● ● وهذا يعنى غياب الأسوة الحسنة ؟

ـ ليس على وجه الأرض مجتمع مؤمن أو ملحد خير أو شرير ، صالح أو فاسد ، يخلو من القدوة الحسنة ، وقد ألهم الله كل نفس فجورها وتقواها ، والحلال بين والحرام بين ، فأنت اذا كنت طاهر النوايا ذكى القلب قوى الارادة تستطيع أن تكون قدوة ذاتك اما أن نتهم المجتمع بخلوه من القـدوة الحسنة فهـذا والحقيقة ضـدان ونقيضان .

● ● اذن فما سبب ضياع هذا الجيل ؟

– أولا هذا الجيل ليس ضائعا ، واذا كان هناك بعض جوانب الضمور والنقص فى شخصيته فذلك راجع الى اعتبارات شتى أولها المناخ الذى ولد تحت عباءته ، وشب فيه هذا الجيل .

● ● أنكم بهذا معشر المفكرين تبرئون ساحتكم من مسئولية جيلنا ؟

– من تمام الحقيقة أن أوافقك على المسئولية التى يحملها بعض المفكرين لا جميعهم تجاه هذه القضية ، والشباب أيضا مسئول عن نفسه ، أن جيل الشباب المعاصر يقترب من الضياع بقدر ما يبتعد عن الثقافة ، فاهتماماته الثقافية ضحلة ومشكولة ، وأذكر ان جيلنا كان خيرا منه فى هذا المقام ، انى أضرب مثلا عن نفسى وأنا تلميذ فى الرابعة عشرة من عمرى ذهبت لاشترى أول كتاب خارج عن نطاق الكتب المقررة فاتجهت الى عدة مكتبات لأتخير كتابا أطالعه مطالعة حرة أو بتعبير أصح أستهل ثقافتى العامة ، وأذكر أننى بعد استعراض العشرات من الكتب اخترت كتابا سياسيا عميقا وهو قطعا كان فوق مستوى سنى ، ذلك الكتاب هو (مذكرات لورد جراى) ولورد جراى هذا كان وزيرا لخارجية بريطانيا فى الحرب العالمية الأولى ، فتصور فتى فى الرابعة عشرة من عمره يختار مثل هذا الكتاب الذى كتب لمستويات أعلى بكثير عن مستوى عمره وفكره وثقافته ، كنا فى مجموعنا أعنى مجموع جيلنا وليس كله طبعا يحدونا طموح عظيم لكى تكون لنا أفكارنا وثقافتنا وشخصيتنا ، وكان سبيلنا لهذا هو الاقبال على القراءة والازدحام حول المحاضرين فى الأندية ومدرجات الجامعات ، وكنا نتنفس هواء نقيا طلقا ، هو هواء الحرية التى هى أثمن ممتلكات البشر منذ أبيهم آدم الى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

● ● ولكننا افتقدنا الضمير وانقلبت الامور فاصبحت الطيبة « عبطا » وسذاجة ، وأصبح من يضحك على الناس يسمى « فهلوى »

وشاطر » والذى « يكشر » فى وجه الناس يسمى حازما .. لماذا انقلبت الموازين ؟ .

ـ هذا يمثل اختلالا خطيرا فى الموازين ، وهو لا يضار به الشباب وحدهم وانما يلحق الاذى بالامة كلها ودحض هذا الوباء ونفيه عن حياة المجتمع واجب الحاكم والمفكر والكاتب والصحفى والمذيع والمعلم ، بل يجاوز هؤلاء جميعا حتى يصبح واجبا على كل مواطن .

● ● ولكن أدوات الفكر والتى من المفروض أن تقود مقاومة مثل هذه السلبيات صارت الى انحدار تعجز معه عن القيام برسالتها؟

ـ لا أوافق على استخدام كلمة « انحدار » ولعل أصدق منها ان تقول كلمة « توقف » ، وهذا التوقف كان واضحا فى فترة ماضية حيث كانت ظروف القهر تضطر كثيرا من الكتاب الصحفيين بخاصة الى المسايرة والمجاراة ولو على حساب الصدق والحقيقة ، بيد أنه كانت هناك قلة نادرة حفظت عهدها مع الله ومع الحقيقة ومع الوطن فلم تساير ولم تصمت بل جهرت برأيها وباقتناعها فى غير تهيب أو تردد .

● ● والآن هل تغيرت الصورة القائمة ؟

ـ الآن قد بدأ ما سميناه بالتوقف يتحرك .. صحيح ان حياتنا الفكرية الماثلة ليست بعد فى المستوى الذى ينبغى أن تبلغه ولكن فيما أظن علينا ان نتوقع حياة وخصوبة وتألقا أكثر فى المستقبل القريب ان شاء الله .

● ● اذا كان الحكم قد قاد الفكر فى فترة ما فكيف يمكن للفكر ان يقود الحكم فى هذه المرحلة ؟

ـ هذا السؤال يفضى بنا الى قضــية كبيرة ففى ظل الحكم الديمقراطى الصحيح والوثيق يسهل جدا على الفكر أن يقود الحكم ذلك لانه عندئذ يملك من حرية التفكير وحرية التعبير ما يمكنه من أن يقود بفكره مجتمعه كله وليس حكومته فحسب ، هذا اذا كان فكره يتضمن الرشد والصواب لكن فى ظل حكم ديكتاتورى مستبد ينكمش الفكر كثيرا لأنه حتى اذا أراد المفكر أن يدفع من حياته ثمن كلمته النزيهة وفكره المتحدى والشجاع فان نظام هذا الحكم يحول بينه وبين نشر أفكاره ، هذا اذا لم يرسله وراء الشمس كما يقول التعبير الشائع .

● ● ولماذا اعتزالك الكتابة لفترة طويلة ؟

ـ أولا أنا لم اعتزل الكتابة انما كنت فى أجازة غير طويلــة منحنى اياها المرض لكننى ولله الحمد أكتب سواء كانت بعض المؤلفات التى كان أحدثها كتاب « الدولة فى الاسلام » ، أو بعض المقــالات وهى قليلة لا سيما فى الفترة التى صاحبنى فيها المرض وأنا دائمــا أذكر أو أتطلع الى أمنيــة تكاد تكون أعز أمنيــاتى فى الحياة فأنا أريد أن أعيش وفى يدى قلم صادق مخلص شجاع وان أموت وفى يدى هذا القلم .

● ● وماذا يكتب هذا القلم وماذا يقول فى وقت أصبح فيه عمل المرأة يطغى على واجبات الامومة الضائعة ؟

ـ فى الحقيقة قد نلتقى بهذا العرض فى حالات فردية قلت أو كثرت ، بيد ان الأمر ليس كذلك بصفة عامة فهناك الكثير جدا من الامهات اللاتى يستطعن التوفيق بين تبعات الأمومة وبين ممارســة العمل سواء كان هذا العمل سياسيا كأن تكون عضوا فى البرلمان مثلا ، أو كان يندرج تحت أى من المهام كأن تكون طبيبة أو مهندسة أو معلمة الى آخر هذه الاعمال .

● ● ولكن ثمة معان كثيرة اضاعتها المساواة بين الرجل والمرأة مما أدى الى اختلاط الامور بين كون الرجل رجلا فى مجاله والمرأة امرأة فى مجالها ؟

ـ ماذا تقصد بكلمة المساواة ؟ ان ما تتمتع به المرأة المصرية من حقوق هى أهل له وليس ثمة داع يحرمها منه فالمرأة كما نعلم نصف المجتمع . وفى عصرنا الحديث يفضى عمل المرأة ومساهمتها فى الحياة الى خير مفيض يعود عليها وعلى بيتها كما يعود على وطنها ، ولست أعرف حقا نالته المرأة المصرية تحت كلمة المساواة يمكن ان يزرى بها أو يضعها موقف التحدى لدينها واخلاقيات مجتمعها .

● ● الا ترى أن ما تحصل عليه المرأة بعملها لا يكاد يكفى احتياجاتها الشخصية من ملابس وزينة وغيرها مما يضيع الهدف الذى من أجله قد تعزو خروجها الى العمل لمساعدة اسرتها ؟

ـ هذا افراط فى التشاؤم وسوء الظن فانت تستطيع أن تتعرف فى سهولة ويسر الى عشرات الألوف بل مئات الألوف من السيدات النقيات اللاتى لم ينحرف بهن العمل الجاد عن طريق الاستقامة والشرف .

● ● وأين ذهب الرجال أليسوا مكلفين بنفقات الاسرة حفظا للمرأة من كل مصاعب الحياة لتتفرغ لرسالتها كأم ؟

اننا نعانى الحياة ، وليس دفع المرأة للعمل هو الرغبة فى اللهو والعبث وازجاء الفراغ وانما يدفعها اليه حاجتها الملحة لأن تنمى دخل زوجها وأسرتها حتى يستطيع أهل هذا البيت ان يواجهوا تلك المعاناة وان يتخففوا من بعض أعبائها .

● ● واذا تعارض واجب العمل مع واجب الأمومة فكيف يكون الاختيار ؟

ـ اذا تعارض واجب الأمومة مع العمـــل فاننا من غير ريب تضع مسئولية الأمومة فوق أية مسئولية أخرى ٠

● ● مسئولية البشر تجاه بعضهم البعض فى هـــذا العصر المأساوى ٠٠ ألا ترى أنها مسئولية ضاعت وأصبح مصير الانسانية يدعو الى القلق ؟

ـ أنا من طبيعتى التفاؤل وترانى دائمـا مع القول المـأثور « اشتدى أزمة تنفرجى » والعالم خلال تاريخه الطويل مرت به من الخلافـات والتناقضات والحروب والاهـوال والكوارث الطبيعيـة والكوارث التى يصنعها لنفسه ثم نجى منها جميعا ٠ واتخذ من بعضها مزية وواصل سعيه الى مستقبله ومصيره ، وحتى اذا كان هذا العالم يدنو من نهايته فليس فى ذلك ما يحملنا على القنوط والتشاؤم فانه اذا كان يستحق الحياة سيبقى واذا كان لا يستحق نعمة الحياة فمن الخير لنا وله أن نزول ويزول ٠

خالد محمد خالد

يدافع عن نفسه

اتهم الناقد الأدبي مصطفى عبد الغنى في رسالته للدكتوراه الكاتب والمفكر الاسلامى الكبير خالد محمد خالد بانه قد تحول من التمرد الى المهادنة وذلك في معرض حديثه عن مواقف خالد محمد خالد قبل الثورة وبعدها فيما تضمنته رسالته عن دور المثقفين في السياسة من عام ١٩٤٥ الى عام ١٩٦٧ ، وقال مصطفى عبد الغنى في بيانه امام لجنة المناقشة عن خالد محمد خالد « انه بدا متمردا منذ كتاباته الأولى على الثورة ، وراح يؤكد هذا الموقف طيلة الستينات بموقفه في اللجنة التحضيرية وبكتابيه الهامين « في البدء كانت الكلمة » و « ازمة الحرية في عالمنا » ، ففي جميع الحالات بدا تمرده - بالنسبة للنظام على الأقل - مشروعا داخل النظام لا خارجه ، خاصة وانه لم ينتم الى تنظيم حزبي أو ايديولوجي يخاف منه ، وعلى هذا النحو فانه يحسب في خانة « المؤيد » رغم « تمرده الظاهر » .

وقد قرأنا ما تضمنه البيان وما ورد في رسالة الدكتوراه خاصة فيما يتعلق بخالد محمد خالد ، فجاء هذا الحوار الذى يفند به ما جاء بالرسالة موضحا الكثير من الحقائق .

مؤرخ تحت التمرين

● ● أ. خالد : ما هو تعليقكم بشكل عام على الرسالة وكاتبها ؟

- أود ان اهنىء الأستاذ مصطفى عبد الغنى باجازة الدكتوراه التى ظفر بها في الموضوع الذى تطلب منى الآن مناقشته ، وكنت أود أن أهنئه بالرسالة كما هنأته بالجائزة ، ولكن للأسف لم تتح لى هذه الفرصة ، وأنا اناقش الرسالة بطبيعة الحال من خلال البيان أو

ملخص الرسالة الذى تلاه على اللجنة قبيل مناقشته ، ومن هـــذا البيان الذى تلوته على مشكورا أرى أن الأستاذ مصطفى عبد الغنى لم يكن ذلك المؤرخ المهيأ لكتابة التاريخ ، فهـو اذا أردنا انصـافه نقول قد يكون مؤرخا غدا واذا أردنا انصاف الحقيقة نقول انه اليوم « مؤرخ تحت التمرين » .

ويضيف الأستاذ خالد قائلا :

ـ الأغلاط التاريخية حتى الشكلي والبديهي منها الذى ما كان ينبغي ان يفوت مثقفا يعد رسالة تأريخية وتاريخية بصفة خاصة ان يقع فيها ، فهو مثلا يقول انني شجبت عنف الأخوان فى الأربعينات ، ولم أكن خلال الأربعينات كاتبا لا فى الصحف ولا مؤلفا للكتب ، ولم أكن محاضرا . فاين ومتى شجبت هذا العنف ، ثم يقول : ان كتاب « من هنا نبدأ » صدر عام ١٩٤٩ ، والحقيقة انه صدر فى مارس ١٩٥٠ ، وقد تبدو هذه الأخطاء التاريخية يسيرة لمن يتحدث حديثا عاديا فيتذكر وينسى ، لكن بالنسبة لمن يعد رسالة تاريخية ما كان ينبغي له أن يعجز عن استدعاء الزمن القريب الذى حمله هذه الأخطاء التاريخية ، ثم يتحدث عن الضجة الكبيرة التى احدثها كتاب « من هنا نبدأ » فى مجال الفكر فيقول ان هذه الضجة حدثت فى الأربعينات ، والأربعينات تنتظم من أربعين أو واحـــد وأربعين الى خمسين ، أيضا هنا منزلق تاريخى لا يقبل من رجل يعد رسالـة تاريخية عن التاريخ القريب ، وما كان أيسر عليه أن يعرف المواقيت التاريخية الصحيحة لهذا الذى اشار اليه جميعه ، فما أحدثه كتاب « من هنا نبـدأ » لم يكن فى الأربعينـات ، وانمـا كان فى بدايـة الخمسينات حيث انه صدر كما قلت فى مارس ١٩٥٠ ، ولبث بين المصادرة وتحقيق النيابة ونظر القضـاء له ثم الافراج عنـه وتبرئة المؤلف من التهم الذى أرادت لجنة الفتوى بالأزهر أن تلاحقه بها ،

وأيضا من الاتهام بالشيوعية التى أرادت النيابة ان تطوقه بها ، وتوج المرحوم الأستاذ حافظ سابق رئيس محكمة مصر الابتدائيـة يومئذ ـ رحمه الله رحمة واسعة ـ توج وثيقة الافراج والبراءة بقوله : ان هذا الكتاب تمجيد لدين الله ودفاع عن حقوق الشعب •

هـذه الأخطاء التى تعتبر شكلية بالنسبة للانسان لا يمكن اعتبارها كذلك بالنسبة لرسالة جامعية تعد وتوثق فى اناة وبصيرة واحاطة •

فرصة ضائعة

●● كيف ترى اذن موقف المثقفين من الثورة ؟

منهم من اعتقل وسجن ومنهم من قال لنفسه : انج سعد فقد هلك سعيد ، ومنهم من راح يوازن الأمور ، وكانت اخطاء الثـورة بل جرائمها لم تظهر بعد على مسرح الثـورة من عـدوان وتعذيب وقسوة وكبت لحرية الرأى وحـرية الكلمة وحرية المعارضـة وكل أنواع الحريات ما عدا الحرية الاجتماعية التى سارت الثورة فيهـا شوطا ، وكان منهم من استقرأ التاريخ وعلم ان كل يوم يمر بشعب قامت فيه ثورة يشرف ويهيمن عليها قادة أو ضباط من القـوات المسلحة فان هـذا اليوم يمثـل فرصة ضائعـة لحق الشـعب فى الديمقراطية التى فيها طمأنينته وسلامه ، كما هو فى نفس الوقت فرصة مواتية لدعم الحكم العسكرى الذى يهيمن على هذه الثـورة ، أما وقد تعرض الأستاذ مصطفى عبد الغنى لى بالذات وانتهى بعبقريته التاريخية الى أننى قد بدأت متمردا وانتهيت مؤيدا ، فهذه مناسبـة لأن أصحح له أخطاءه •

الدين للشعب

● نبدأ بأحاديثك في الاذاعة وكتاباتك في الجمهورية ؟

ـ خالد محمد خالد : صاحب الرسالة يقول انني في الاذاعة وفي « الجمهورية » هاجمت عصر ما قبل الثورة ، ولم يحدث في حياتي قط أن تنكرت لتاريخي وتاريخ آبائي وشعبي المجيد في مقاومته للاستبداد وفي احتضان قضية الديمقراطية على الأقل بدءا من سنة ١٩ حتى فجر ٢٣ يوليو ، لكن كنا ننقد الأخطاء حتى والحكومات في الحكم قبل الثورة ، فلما بدا أن الثورة تجنح الى الديكتاتورية وكان ذلك بعيد قيامها وأدركت اننا والثورة معنا أمام خطر داهم ومزلزل ان لم يأت اليوم فسيأتي غدا ، استأنفت دوري وواجبي ومسئوليتي ككاتب ، وفي أحاديث الاذاعة بدأت تباشير هذا الاتجاه ، فبعد مقابلة مع الأستاذ محمد فتحي رحمه الله الذي كان قد اختير يومئذ مديرا للاذاعة وقال لي في هذا اللقاء : لقد اتعبتنا ان لنا أسبوعا كاملا نفتش عنك في القاهرة كلها ، وأذكر انني أجبته باسما : لو انك بحثت في أحياء الكادحين والبسطاء لوجدتني من أول يوم .

قال لي : ان مجلس قيادة الثورة مهتم جدا ان يكون لك حديث اذاعي أسبوعي ورحبت قطعا واخترت عنوانا لسلسلة أحاديث « الدين في خدمة الشعب » الذي تحول فيما بعد الى عنوان « الدين للشعب » وانتظم كثير من مقالاتي التي تنشر تحت هذا العنوان ، وأول حديث على ما أذكر « حقوق الانسان من حقوق الله » ، ومر ، وجاء الحديث الثاني « ليس في دين الله اقطاع » ، ومر ، وجاء الحديث الثالث « حق الشعب في الحرية والسلام » ، ومر ، ثم حديث « حق الشعب في المعارضة والمقاومة » . وحديثين آخرين لا أذكرها الآن ، المهم انه بعد الحديث السادس مباشرة منعت احاديثي في الاذاعة ، فلماذا منعت من قوم كانوا حريصين أشد

الحرص على أن يكون لى حديث أسبوعى مذاع ؟ لأنى بدأت أنبه الى أشياء لا يريدون ان يتنبه الرأى العام اليها ، هذا أول نقد لواقعة تاريخية ضل فيها قلم الأستاذ صاحب الرسالة ٠

أما عن الجمهورية فقد كانت لها قصة وقد ذكرتها فى كتابى « دفاع عن الديمقراطية » ، وخلاصتها اننى تلقيت ذات يوم مكالمة تليفونية من الأخ الأستاذ حسين فهمى ، وكان قد اختير رئيسا لتحرير الجمهورية ، وكان المشرف العام رحمه الله السيد أنور السادات ، قال لى ان البكباشى انور السادات يسعده أن نشرب معه فنجان شاى الساعة كذا ، أو الموعد الذى تختار ٠ قلت فليكن اليوم ان شاء الله ٠ وذهبت والتقيت بالسيد السادات رحمه الله رحمة واسعة ، أولا حمل الى رجاء أو رغبة البكباشى جمال عبد الناصر فى أن أكون بين كتاب الجمهورية ، فأنا اعتذرت بانى أحس أن دورى سيكون دور معارضة وأنا ضيق الكتابة فى الصحف لأننى أؤثر أن أدخر جهدى ككاتب للكتب والمؤلفات فهى أبقى ، وأخذنا نتحاور فى هذا فقال لى : هذه ليست فقط رغبة جمال ولكنه قرار اجماعى من مجلس قيادة الثورة لازم تكتب ٠ طبعا قالها تكريما ودعابة ، واتفقنا على الكتابة ، وكنت أرسل لهم مقالا أسبوعيا ، وكان يشترك فى مقالات الأسبوع : طه حسين ، وأظن عبد الرحمن عزام ، ومحمد خطاب عضو مجلس الشيوخ ، المهم اننا كنا سبعة نغطى أيام الاسبوع ، وطلبوا بعض المقالات تكون عندهم حتى يختاروا المقال الأول للعدد الأول ، وفوجئت بان العدد الأول يحمل مقالى ، وليس فى هذا ما يعنى تفضيلى على الدكتور طه حسين ، انما يعنى اعتبارات ثورية وجدوها مناسبة لجريدة « الجمهورية » جريدة الثورة ، ثم علمت فيما بعد أن أنور السادات ، وحسين فهمى كان من رأيهما ان يحمل العدد الأول مقال أستاذنا طه حسين ، وهذا كان حقه طبعا ، وعرض الأمر على جمال عبد الناصر ، وبعثوا له بسبعة مقالات فاختار مقالى ،

وأذكر أن عنوانه كان « لكي نربح الثورة لا خطوة الى الوراء » ، وأظن أن هذا هو الذى رجح اختيار عبد الناصر لهذا المقال ، ومضينا نكتب عدة مقالات ، وبدأت سلسلة مقالات اظنها كانت ستكمل خمسة مقالات أو نحو ذلك ، تحت عنوان ثابت هو « الاخوان والشيوعيون والثورة » ، وكانت هذه المقالات نقدا للثورة تجاه موقفها من الاخوان وموقفها من الشيوعيين ، وهنا قيل لى « توقف » ، وكان السبب المباشر أثناء محاكمة فؤاد سراج الدين باشا وتهالكت الخناجر عليه لتمزقه حتى من الذين كانوا ينعمون بظله أثناء سلطانه وأنا أذكره كوزير داخلية سنة خمسين... واحد وخمسين ، وأذكر معه ما اسميه ربيع الحرية الذى لا ينسى ، يقولون انه كان يصادر الصحف : نعم كان يصادرها شكلا ويعلم انها بعد ساعتين من المصادرة سيطلق القضاء سراحها ، وكانت أغلب الصحف المصادرة تهاجم الملك ، وكان ينقصها فقط كلمة الملك أو كلمة فاروق ، وخذ عينة منه لأخينا الراحل رحمه الله أبو الخير نجيب فى مقاله الخالد « التيجان الهاوية »، والقضية التى حمل لواءها اخونا عافاه الله ، واطال عمره الأستاذ احسان عبد القدوس هو والأستاذ حلمى سلام ، قضية « الأسلحة الفاسدة » والاتهام مصوب . أساسا وبطريقة مباشرة الى القصر والملك وحاشيته باعتبارهم سماسرة هذه الأسلحة الفاسدة ، وجاء وقت اتهم فيه سراج الدين بممالأة العمل ضد القصر وهو وزير الداخلية ، بل ان النحاس باشا اتهم بانه على تفاهم مخبوء مع الاتحاد السوفييتي لتحويل مصر الى جمهورية ، أو لنشر الشيوعية فى مصر ، وقام بتوجيه هذا الاتهام الأحمق ، زعماء المعارضة وكتبوا به عريضة للملك حملها الرجل المفكر الأديب د. محمد حسين هيكل رحمه الله ، بجلالة قدره وذهب بها للقاء الملك الذى حولها للنحاس باشا ، وبالتحقيق فى هذا الاتهام اتضح ان رجلا نصابا ضحك على زعماء المعارضة وباشواتها وباع لهم وثيقة مزورة بعشرة آلاف جنيه ، وكان من الممكن ازاء مثل هذه الاتهامات أن يغطى سراج الدين موقفه

على الأقل أمام السراى ، بمصادرة الصحف التى تسب القصر والملك ، وللقضاء كامل حريتـه فى الافراج عنهـا ، يصادرون الصحيفة أو المجلة ، والساعة التاسعة أو العاشرة يكون القضاء قد افرج عنها ٠

فأنا أذكر للرجل هذا الموقف ، ولكن ليس معنى هذا أنه لم تكن له أخطاء ، بل كنا نناقشه فيها أولا بأول باقسى الأساليب وفى كل الصحف ، ثم رأيت كما قلت الأنياب تنهشه وهو فى سجنه ، فقررت ان اكتب مقالا اشرح فيه وجهة نظرى تجاه هذا الرجل فى العامين ٥١ ، ٥٢ ، فكتبت مقالا كان عنوانه « كان للحرية نصيرا » وكان من المفروض ان ينشر غدا فلم ينشر ، فاتصل بى الأستاذ حسين فهمى وقال نريد مقالا آخر للأسبوع القادم ، فقلت له : لا ٠٠ فقال لى : تعال لنجلس سويا لنتفاهم فى موضوع مقالك ٠ وذهبت وأنـا أذكر الواقعة كأنها تحدث أمامى الآن ٠٠ فتح حسين فهمى درج مكتبه واخرج المقال وثنى صفحاته حتى وصل الى الصفحة الأخيرة وكان ثلثها الأدنى أبيض فأرانيها من بعيد وقال لى : لا تؤاخذنى أنا غير مسموح لى أن تقرأها أو تعرف من الذى وقعها ؟ ٠ فنظرت الى ثلث الصفحة الأبيض وقد رأيته مليئا بكلمات كرؤوس الدبابيس دقيقة جدا ، ولو كتبت بخط كبير بعض الشىء أو عادى فانها تملأ صفحة أو أكثر ، وأدركت طبعا أن هذا تعليق أو تفسير لرفض المقال ، وقلت له : اذن أنا لن أكتب ٠ وأخذنى الرجل فى الحقيقة يحاول اقناعى ، واتفقت معه على أن تكون هـذه أول وآخر مرة يعترض فيها على مقال لى ، واستأنفت الكتابة حتى جاءت مجموعة المقالات التى ذكرت عنوانها « الاخوان والشيوعيون والثورة » وبعد مقالين على ما أظن ، أوقفوا نشر بقية المقالات ، وانتهت علاقتى بصحيفة « الجمهورية » ٠

اسقاط القيصرية

● ● وماذا كان موقفك من قضية الديمقراطية ؟

خالد محمد خالد : أصدرت كتاب « الديمقراطية أبدا » ، جاعلا شعاره « ان أفضل علاج لأخطاء الديمقراطية هو المزيد من الديمقراطية » ، ومتحدثا عن الجيش ، والواضح من الكتاب انني انادى بعودة الجيش الى ثكناته مشكورا على ما فعل وترك الديمقراطية السليمة تأخذ مجراها ومسارها ، وقلت ان فترات الانتقال (وكانت الثورة قد قررت فترة انتقال حكم مطلق) فى التاريخ تحذرنا من نفسها ، موسولينى طلب فترة انتقال سنة واحدة ، ولم تنته هذه السنة أبدا الا بعد أن شنقه ابناء شعبه فى نهاية الحرب العالمية الثانية ، اتاتورك طلب فترة انتقال ، هتلر طلب فترة انتقال .. كل الطغاة يطلبون فترات انتقال ثم يسكرهم مذاق الحكم والسلطة فتتحول فترات الانتقال الى حياة دائمة ، فصلت هذا فى كتابى ، ثم قلت اننا كشعب لم يكن هدفنا اسقاط قيصر بل اسقاط القيصرية أى لم يكن هدفنا اسقاط ملك انما اسقاط كل الرموز التى يرمز اليها هذا الملك من استبداد ، من سلطة مطلقة ، فالقيصرية لا قيصر هى هدفنا ، وأعتقد أن هذا الكتاب فى حينه حمل عن الأمة كلها حتى الذين كانوا يحملون فى دخائلهم وسرائرهم هذا الرأى ولا يطيقون الافصاح عنه ، أقول ان هذا الكتاب بصورته تلك وبموضوعيته وبمواجهته حمل عن الأمة كلها خطيئة ما حدث يومها من صمت أو من حسن ظن بالثورة فى تصرفاتها الأولى تجاه الديمقراطية .

وعدت الى مؤلفاتى أكتب ، الى ان جاءت سنة ٥٦ ، وأعلن دستور ٥٦ ، فكتبت مقالا وحملته الى أخى رحمه الله الشيخ أحمد حسن الباقورى وقلت له : ان الدستور الآن يواجه مؤامرة صمت مهينة له .

● فلماذا لا يتكلم الناس بشجاعة وطمأنينة على مصائرهم ، على كل حال أنا كتبت مقالا ، وجئتك لتخبر الأخ أنور السادات أنه ليس من حقه ٠أن يحذف منه كلمة ، فاما أن يرفضه كله أو يقبله كله • فذهب اليه ثم ذهبت اليه وأعدت عليه نفس العبارة وقلت : اذا كانت هناك وجهة نظر نتناقش فيها ولا تحذف من المقال كلمة من وراء ظهرى • وأخذ السادات يقرأ المقـال فلما انتهى منه ابتسم وأذكر أنه قال : يا أخى خوفتنى •• هذا المقال لو مضروب فى سبعة لازم ننشره • ونشر المقال ، وفى اليوم التالى كنت عنـد الشيخ الباقورى أطرى شجاعة أنور السادات فضحك وقال : يا شرقاوى يا عبيط •• هو لم ينشره الا بعد أن تلاه كلمة •• كلمة على الرئيس عبد الناصر الذى قال له : لا تحذف منه كلمة • ونشر المقال الذى كنت أركز فيه على مناقشتى للدستور والاتحاد القومى الذى اعتبرته حزبا واحدا ، فخرجت الصحف بمؤتمر صحفى للأستاذ فتحى رضوان عليه رحمة الله ، تحمل مانشيت بعنوان « الاتحاد القومى ليس حزبا واحدا » •

ومضت الأمور الى أن اتصل بى الشيخ الباقورى بعد نشر المقال بشهر أو أكثر قليلا • وقال لى ان الرئيس عبد الناصر يريد أن يلقاك كصديق ، كما قال لى ، وسيكون اللقاء عندى فى البيت • وذهبنـا فى الموعد المضروب ، وأخذنا نتناقش ساعتين أو ساعتين ونصف السـاعة ، وكانت كل المسـاحة الزمنية مخصصـة للديمقراطية ، وناقشت عبد الناصر وناقشنى فيها ، ونشرت هذا الحوار فى كتابى أيضا (دفاع عن الديمقراطية) ، وعدت لأعكف على مؤلفاتى وبالذات كانت المؤلفات الاسلامية التى تبرز نفس القيم السياسية التى أدافع عنهـا سـواء من تأريخى للسير أو كتابتى للموضـوعات ، وحتى جاءت اللجنة التحضـيرية وأبليت فيهـا بلاء حسنا أنا وأخى الشيخ محمد الغزالى ، ودار الحوار طويلا بينى

وبين الرئيس عبد الناصر رحمه الله ، على مدى ليلتين ، ولما وجدته يتوسع فى سعى الديمقراطية ليدخل نظامه تحتها ، فقمت بتحديد علمى للديمقراطية ، قلت له : ما هى الديمقراطية ، أنهـــا قدرة الشعب على التغيير ، تغيير حكامه وتغيير قوانينه بالاقتراع الحر .

وبعد ذلك صدر كتاب أزمة الحرية فى عالمنا ، وناقشــت فيه الميثاق ، قلت فيه اننا لو أحصينا ما قاله شعراء البشر فى تمجيده ما أدركوا شأو الميثاق ولكن هذا الكلام سيحدث ، ولكى نترجمه الى افعال ماذا نفعل ؟ ، وكنت كما قال الأستاذ مصـــطفى مرعى رحمه الله ، أول من نادى أن تكون الصحافة سلطة رابعة ، وكنت أتصور أن وضعها هذا سيمكنها من مهمتها ويجعلها بمنأى عن تطاول السلطة التنفيذية ، وحدث أنه بعد صدور الكتاب ، أن الأســـتاذ مصطفى مرعى ألقى محاضرة عن الكتاب فى نقابة المحامين . ثم أصدر كتابا أيضا لتفنيد فكرتى عن أن تكون الصحافة سلطة رابعة ، واقتنعت برأيه وأعلنت خطئى فى المناداة بأن تكون الصحافة سلطة رابعة ، وجاء هذا الاكتشاف بعد التجربة التى وضع الســـادات رحمه الله ، فيها الصحافة كسلطة رابعـــة ، حيث وضعها كأى مصلحة حكومية وموظفوها كأى موظفين فى أى مصلحة ، فأدركت أن ما أردته من هدف فى أن تكون الصحافة سلطة رابعة ، بعيد المنال ، فأعلنت خطئى وشكرت الأستاذ مصطفى ، وكان هذا الاعلان أظن ، فى مقال أو مقالين نشرا فى جريدة « الشعب » .

● ● كيف أعارض ثم أؤيد ؟

ــ هذه القصة . أنا محتاج فيها الى منظار كبير جدا من المراصد الفلكية لكى أرى موطن التأييد ، ولكن يبدو أن أخانا مصـــطفى عبد الغنى لا يفهم الثورة الا تمردا بالحق وبالباطل ولا يفهم التمرد

الا « نباحا » وضوضاء ، أنا بالنسبة لهذا المفهوم لست ثائرا على الاطلاق ولم أكن كذلك ولا أود أن أكون كذلك ، لأنى بطبيعتى لست « عنترى » المزاج ، ولست من يقف ليقول للناس انظرونى ، أنا أذهب الى القيام بمسئوليتى عن اقتناع بغير تردد وفى غير شراسة ، يعنى وأنا أناقش عبد الناصر فى اللجنة التحضيرية قلت كل ما كنت أريد أن أقوله وبخاصة فى الحوار الثانى معه ، عن الديمقراطية واضعا فى اعتبارى أننى أناقش رئيس دولة وأنا أعرف كيف أكون مؤدبا فى كل مواقف نقاشى وحوارى ، فاذا كانت الثورة عنده ، والحوار عنده ، أبدية التمرد ، تعنى أن يكون الانسان متوقحا ، ويكون « نباحا » فله ما يرى ٠

هذا مثل أضربه ويمكن أن يقاس عليه كثير من مواقف اخوانى الكتاب والمثقفين ، انما اهتمامى بموقفى بصفة خاصة يرجع الى جعلى فى قائمة الذين عادوا مؤيدين ٠ كيف أعارض الثورة فى بداية ارهاصها بالديكتاتورية ثم أؤيدها وقد لبست كل دروع الديكتاتورية ، وأخذت جرائم السجون والمعتقلات والمخابرات تزكم الأنوف ٠ بأى منطق وبأى حق يستسيغ وهو كمؤرخ لفترة لا تحتاج منه الا لعشر التفاتة الى الماضى القريب والقريب جدا ليرى الحق ناصعا ، كيف يستسيغ لنفسه أن يطلق الأحكام جزافا ؟ وقد كان بودى « لو علمت) أن أحضر مناقشة هذه الرسالة لأرى موقف اللجنة الممتحنة من هذا الهراء التاريخي الذى قيل (قلت ٠٠ لقد حضرت المناقشة وانتقدوا الرسالة بالفعل) أضاف خالد محمد خالد قائلا ولو أن من حق صاحب الرسالة أن يأخذ اذن اللجنة ، اذا نشرها فى كتاب ، لو كان ذلك من حقها لوجب عليها أن تلزمه بنشر مناقشتها له ، حتى تبرأ مما ألحق هو بالتاريخ ، وباخوة أعزاء مناضلين أحرار من سوء ٠

الانتفاع بالمعارضة

● ● كيف تحلل ما جاء فى الرسالة بشأن المثقفين والمناصب الرسمية ؟ •

ـ خالد محمد خالد : انه كثير التناقض مع نفسه . فبينما يشجب نضال بعض أو نضال كثير من المثقفين ، أعنى مصداقية هذا النضال ، اذا به يقول انهم زحفوا الى المناصب الرسمية ليسيطروا عليها ، طبيعى أنه مادام مثقفا وبدا ولو من وجهة نظره مثقفا ثوريا ، فانه عندما تطوع له السلطة من خلال وظائف رسمية شغلها بقصد السيطرة عليها ، فلابد أن يكون وراء سيطرته ، سيطرة أفكاره وسيطرة مبادئه من خلال هذه المناصب •

ثم قوله بأن الشيخ المرحوم أحمد حسن الباقورى آثر دور الصمت فى النزاع القائم بين عبد الناصر ونجيب ، فهذا خطأ تاريخى أسمح لنفسى أن أصفه بأنه شائن ، وبخاصة عندما يرد فى رسالة جامعية تاريخية ! ، الشيخ الباقورى من أول لحظات الثورة واختياره بين وزرائها ، ربط مصيره تماما بجمال عبد الناصر مقتنعا بأن الثورة كلها كان مهندسها الأول والحقيقى هو جمال عبد الناصر ، فلم يلزم الصمت ولا ما يجره الصمت من مخاتلة • ثم يريبنى منه قوله بأننى كما قال « أوضع فى خانة المؤيد رغم تمردى الظاهر » ماذا تعنى هذه العبارة ؟ انها بكل مقاييس اللغة بل والانشاء ، تعنى أن تمردى الظاهر كان تمردا مصطنعا يخفى وراءه تأييدا كامنا •• ما هذا المنطق وبم يجاب عنه الا بأنها سفطة نغفرها لصاحب الرسالة •

أيضا ماذا يعنى بأن تمردى كان داخل النظام لا خارجه ، ما هذه المعميات والفوازير ، ما معنى أن أعارض النظام من الداخل ولا أعارضه من الخارج ، ماذا يقصد ؟ هل يقصد أن أشد رحالى الى

اوربا واشهر هناك بالنظام وبالثورة ؟ ان كل ما كنت أستطيعه وما أملكه هو قلمى ، وكنت أقول ما أقتنع به فى حـــدود النمط الأخلاقى الذى اخترته دائما لكتاباتى ، لعله يريد أن يتساءل وان لم يجب ، وكان من واجبه كمؤرخ أن يجيب ، عن سر الفرصة التى أعطيت لى فى حرية الكلمة أكثر مما أعطيت لغيرى والتى فاخرنى بها الرئيس الراحل جمال عبد الناصر رحمه الله ، أثناء حوار اللجنة التحضيرية ، عندما قال : أنت الوحيد الذى لم يقترب أحـــد من حريته ، وأنت كنت تكتب فى الأهرام ما تشاء وأنت الذى خرجت من الأهرام باختيارك ولم يخرجك أحد • هذه حقيقة ، عبد الناصر كان ربما يستحى أن يقصف قلمى أو لأنه كما علمت بيقين كان من قرائى المولعين بتتبع مقالاتى وكتبى منذ صدر « من هنا نبدأ » و «مواطنون لا رعايا» ، ثم مقالاتى الأسبوعية بمجلة «روز اليوسف» الغراء ، ثانيا لأنه كما أشار الأستاذ مصطفى عبد الغنى نفســه ، رآنى بعيدا عن كل تنظيم وكل هيئة وكل حزب ولست من أصحاب الشلل ، وعندما سقطت فى حجره كوزير للداخلية أسرار الكتاب والمؤلفين وجد أن موقفى ممعن فى الاستقلالية واننى لا يقودنى شىء قط سوى اقتناعى ، فزاده ذلك احتراما لقلمى ، وأنا شخصيا كلما ذكرت عبد الناصر من خلال علاقتى بالثورة أقول انه الرجل الذى سخره الله لحمايتى • وهذا حق • ففى بعض الأحيـــان كان يطلب منى أن أعتقل ولو لبضعة أيام وبخاصة بعـــد مناقشات اللجنة التحضيرية ، حتى لا تنتقل عدوى الشجاعة لدى بعض الناس بعد حوارى ومناقشتى للرئيس عبد الناصر رحمه الله ، وقد قص على أخى الراحل الكبير الأستاذ فتحى رضوان بعد خروجه من الوزارة ، فقال ان شخصية كبيرة سياسية وقانونية اتصـــلت به تليفونيا وقالت له : لقد أعلنت كوزير للارشاد أن نقد الدستور مباح ومرحب به وقد أرسلت مقالا فى نقده الى جريدة الأهرام ومضى عليه الآن

أربعة او خمسة أيام لم ينشر ، وحين سألتهم قالوا ان الرقيب منع نشره • فقال له الأستاذ فتحي رضوان انه لأول مرة يعلم بهذا الموضوع وسيتحدث فيه مع الرئيس عبد الناصر • وفعلا تحدث فيه مع الرئيس عبد الناصر ، وقال له : لا تبال به ، قال : فقلت للرئيس : وأى بأس فى نشر مقاله لقد نشرنا مقال خالد محمد خالد • فقال له : خالد محمد خالد غير موتور •• انه يعارض الثورة ويناقشها وقلبه عليها • هذه واقعة حكاها لى الأستاذ فتحى رضوان ، وتدل على أن الرجل لم يضق بمعارضتى ، بل جاءت فترة كان ينتفع بهذه المعارضة ، وبمقترحاتى فى كتابى « الديمقراطية أبدا » وكثيرون من عهد سلامة موسى كانوا يطالبون بالعدل الاجتماعى وبالاشتراكية ، ولكننى فيما أذكر كنت الوحيد من بين اخوانى الذى قنن هذا العدل الاجتماعى بالنسبة للعمال فطالبت فى كتاب « الديمقراطية أبدا » فى الفصل الخاص بديمقراطية المجتمع بأن يكون العمال شركاء فى الأرباح بنسبة (٢٥٪) وأن يكونوا شركاء فى ادارة الشركات والمصانع ، وهذا ما نفذته الثورة بالفعل فى قوانينها ، وأشياء كثيرة فى بعض كتبى الأخرى ، لم تجعل عبد الناصر فقط يطمئن الى معارضتى بل يأخذ بكثير منها فى بعض الأحيان ما عدا طبعا قضية الديمقراطية تركها لى أسرح بها •

● ● وماذا كان موقف عبد الناصر منك وأنت تقف فى خانة المعارضة ؟ •

خالد محمد خالد : حدثنى الشيخ الباقورى رحمه الله رحمة واسعة قال لى : انه ذات يوم قال لى الرئيس جمال عبد الناصر : تعرف يا شيخ أحمد أنا كنت أضيق بخالد المعارض بعض الشىء ، أما الآن فأنا أفضل خالد المعارض على خالد المؤيد • لأنه كان فعلا قد بدأ ينتفع ببعض وجهات نظرى واقتراحاتى •

وقد قال أخونا الكبير أحمد حسين رحمه الله رحمة واسعة ، كان يقول ويكرر أثناء زياراتي له : ان عبد الناصر في منتهى الذكاء حينما يتركك تقول ما تشاء لأنه يعلم أن النقطة الوحيدة البيضاء في تاريخه يشكلها أن ترك خالد محمد خالد يقول ما يشاء ويعارض كما يشاء ويشجب من الثورة ما يشاء • تلك كانت وجهة نظر أحمد حسين ، وأنا لا أستبعد هذا خصوصا وأن المعارضة آتية من طرف لا يريد هدما ولكن يريد تقويمها لا تهديمها وتحطيمها •

(قلت : هل يعني هذا ان الآخرين كانوا موتورين ؟) •

قال خالد محمد خالد : لا أقول ذلك ولا ألقى الله بهذه الشهادة ، هذا رأى عبد الناصر وتكييفه لموقفهم انهم كانوا ضده ويحقدون عليه ويتربصون به ، وهو يتحمل مسئولية هذا الشعور ، أما أنا فلا أقول ذلك قط ولا أنفيه ، ربما أنفيه لبعض الأفراد الذين أعلم أنهم لم يكونوا يحقدون عليه ولم يكونوا هدامين ، ولكنهم أخذوا بمجرد الظن أو بالتقارير المبالغ فيها أو الزائفة لبعض رجال المخابرات يومئذ •

صنع القرار

● ● ما تعليقك على ما قاله صاحب الرسالة حول عدم تحويل الدولة لآراء المثقفين الى قرارات ؟

ـ **خالد محمد خالد :** نحن نأخذ على الأستاذ مصطفى عبد الغني : وصاحب رسالة نال بها درجة الدكتوراة أن يربط بين ما يقوم به المثقفون من دحض ورفض وبين عزوف الدولة عن تحويل آرائهم الرافضة والداحضة بل والبناءة المقترحة ، الى قرارات ، أي علاقة بين واجبك كمثقف بأن تصدح بكلمة الحق اذا لم يأخذ الحاكم بها ، أنت لست في مكانة السلطة بحيث تحاسب على القرارات التي تتخذها هذه السلطة ، أنت رجل لا تحمل الا سلاحا واحدا

هو قلمك ورأيك واقتناعك ، وكلما كثر عدد المخلصين الشجعان من حملة الأفكار والأقلام كلمـــا اقترب اليوم الذى يجعـــل لأقلامهم وأفكارهم كثيرا من النفوذ بين الشعب بل وبين السلطة نفســـها ، وقديما قال نابليون « الأفكار أقوى من الجيوش » • فالاستخفاف بمعارضة أو ثورية بعض المثقفين لأن ما طالبوا به لم يتحـــول الى قرارات سلطوية ، هذا ربط غريب جدا بين المعارضة التى لا تملك الا كلمتها ، وبين القرار الذى لا تملكه سوى السلطة بكل أجهزتها . هذا كما يقولون خلط فى الأوراق ، أيضا ما كان ينبغى أن يخدع أو ينخدع له أخونا الاستاذ مصطفى عبد الغنى •

حتى الرسل كان الله يقول لرسوله « عليك البلاغ » لأنه قضى ثلاثة عشر عاما لا يملك من السلطة نقيرا حتى يصنع الاتجـــاه أو القرار ، خلال ذلك كان يقول له « ما عليك الا البلاغ » • فلما هاجر الرسول عليه الصلاة والسلام الى المدينـــــة وبدأ ينشىء المجتمع ويؤسس الدولة وأصبح صنع القرار من حقه ، بدأ يصنع القرار • فالكاتب الذى كل سلاحه قلمه وفكره ليس مسئولا قط عن القرار ولا يثبط من عزمه ولا يهون من شأنه أن مقترحاته وأن طلباته لم تتحول الى قرارات •

ليتهـــا دامت

●● ما هى علاقتك بالاخوان وعلاقة الصوفية بهم ؟

ـ **خالد محمد خالد** : أما عن علاقتى بالاخوان فأنا لم أكن عضوا عاملا بها فى يوم من الأيام ولكن كنت من الذين يحرصون كل الحرص على حضور درس أو محاضرة الثلاثاء التى كان يلقيها فضيلة المرشد الراحل الامام حسن البنا •

والاخوان كدعوة اسلامية كان يسعد كل مسلم أن يكون من

جنودها وأعضائها ، ولم تبدأ مسيرتها تتعرض للمتاعب الا عندما أقحم بعض الشباب أنفسهم عليها بتكوينهم الجهاز السرى الذى قام ببعض الاغتيالات والذى أساء الى الدعوة اساءة بالغة مما جعل الأستاذ البنا رضى الله عنه ورحمه يكتب فى « المصرى » كلمة تحت عنوان « ليسوا اخوانا وليسوا مسلمين » ٠

أما ربط صاحب الرسالة بين فترة التصوف التى تعممت بها ، والتى أقول دوما كلما ذكرتها « ليتها دامت » ، فقد كانت تغنينى عن الاستظلال بأى دعوة أخرى ، كانت تفيض علينا من الثراء الروحى الشىء الكثير من الغدق الذى لا يرغب الينا أى اتجاه آخر ، لكن لأن الاخوان فى ذلك رغم أن دعوتهم كانت دعوة شاملة تضع السياسة والعبادة فى مجال واحد ومسئولية واحدة الا أنها كانت فى كثير من مناهجها صوفية النزعة ، بل ان الأستاذ حسن البنا رحمه الله وزميل عمره الأستاذ أحمد السكرى أطال الله بقاءه ، وهما اللذان أنشآ جماعة الاخوان ، كانا صوفيين وكانا من مريدى ومن تلاميذ الشيخ الرصافى رضى الله عنه ، فلم يكن هناك فارق بين مناخ التصوف والروحانية فى الجماعتين ، الجمعية الشرعية التى كنت أنتمى اليها وجماعة الأخوان المسلمين قبل أن يقتحمها كما قلت هذا الشباب المتطرف والعنيف ٠

مجهر الحقيقة

● ● هل لكم ملاحظات أخرى ؟

خالد محمد خالد : يهمنى أن أشكر الأستاذ مصطفى عبد الغنى اذ أعلن أن تمردى كما يسميه ، بقى متماسكا طوال الستينات ، وبطبيعة الحال طوال الخمسينات التى سبقتها ٠

ونحن نذكر له رغبته فى الخير ٠ ونقول نشكر له رغبته لأنها

بقيت مجرد رغبة . ولم تشهد الرسالة تنفيذها ولا انجازها على الأقل فى بعض الشواهد والوقائع .

هذا كل ما أستطيع قوله الآن فى سؤالك اياى عن رأيى فيما جاء فى رسالة الدكتوراه ، بالذات فى البيان الذى ألقاه صاحب الرسالة أمام اللجنة ، وكل ما أرجوه وقد هنأت صاحب الرسالة بنيله جائزة أو شهادة الدكتوراه أن يتيح لنا الفرصة أن نهنئه بالرسالة حين يهم بطبعها فى كتاب فيعطى الحقيقة التاريخية بعض وقته وبعض ذكائه وبعض حرصه على أن يقدم كما قال مفردات تاريخية صحيحة وصادقة تحت مجهر الحقيقة التى نبحث جميعا عنها ، ونولع جميعا بها .. والله ولى التوفيق .

● أمينة السعيد وقصة الثائرة الهادئة
وهدى شعراوى والملكة فريدة

في بيت عريق في الوطنية نشأت أمينة أحمد السعيد الشهيرة بأمينة السعيد التي تعتبر من أوائل الفتيات اللاتي تعلمن في مصر ·· تعلمت من أمها زينب ، الوفاء ، وتعلمت من أبيها الطبيب « أحمد السعيد » المشاغبة والثورة التي تشربتها في جو معبأ بالثورة التي انتشرت في مصر ١٩١٩ ، وواصلت تعليمها الجامعي وكانت من أوائل الفتيات اللاتي اشتغلن بالصحافة لتصبح أشهر صحفية وأول سيدة تصل الى منصب رئيس مجلس الادارة ، لدار صحفية عريقة كدار الهلال التي استقرت فيها منذ زمن طويل حتى الآن في بابها الأسبوعي « اسألوني » بمجلة « المصور » ، وهو من أقدم الأبواب الصحفية التي تعالج ما يرد اليها من هموم ومشاكل القراء ·· وأمينة السعيد صاحبة تاريخ سياسي فقد كان الوزراء ورؤساء الوزارات أصدقاء لوالدها الطبيب المنتمي للحزب الوطني ·· وقد شاركت في المظاهرات الوطنية وكانت تلميذة وفية لهدى شعراوي رافقتها وزاملتها واستمرت تحاول أن تؤدي دورها في خدمة نهضة المرأة وتحريرها ·· ومع أمينة السعيد كان هذا الحوار الذي تكشف فيه عن صفحات من ذكرياتها المخفية بين فصول من التاريخ الذي عاشته أو اقتربت منه أو سمعت عنه ممن تثق فيهم ·

●● كيف كانت نشأتك في كنف أب كانت له شخصية خاصة انعكست على تربيتك ؟ ·

ـ ولدت في أسرة متطرفة في وطنيتها ، فقد فتحت عيني على ثورة ١٩ وعلى والدي قائد من قوادها وكان في ذلك الوقت يعمل في أسيوط عاصمة الصعيد ، وان لم يكن صعيديا في نشأته ومنبته ، ولكنه عندما تخرج كطبيب اختار أن يمارس مهنته في

الصعيد ، وكان والدى ينتمى الى الحزب الوطنى ، فلما قامت ثورة ١٩ اشترك فيها بروحه ، وأظن أن الأستاذ فكرى أباظة كان يعتبر نفسه تلميذا أو ابنا من أبنائه ، وذكره فى كتابه « الضاحك الباكى » الجزء الثانى وكان والدى خطيبا من الدرجة الأولى وكان كاتبا له أسلوب رائع حتى خطه كان جميلا جدا ، فكان يجمع ما بين الروح الثورية وفى نفس الوقت كان طبيبا ممتازا يعرفونه فى الصعيد ويحبونه ، لدرجة أنه فى حادث معين كان له تمرجى ، عزيز عليه وشاب مثله ، وحدث أنهم انتدبوا والدى كطبيب شرعى للكشف على أحد القتلى ، وكانوا يذهبون راكبين حمارا لعدم وجود مواصلات فى ذلك الوقت ، وفى منتصف الليل أثناء سيرهم وكان ذلك فى موسم الذرة ، وهو موسم القتل الذى يختبىء بين عيدانه القتلة ، أحسوا بتحرك عيدان الذرة واهتزازها فى طريق سيرهم فعرفوا ان فيه ناس يهمهم منع الطبيب من الوصول الى جثة القتيل ، ويقضوا عليه قبل وصوله ، ففزع « التمرجى » جدا لدرجة أنه فى خمس دقائق ، انقلب شعر رأسه الى أبيض ناصع وهو فى عز الشباب ، وظل شعره هكذا حتى نهاية حياته ، فنهره والدى متعمدا أن يكون صوته عاليا لكى يسمعه المجرمون المختفون خلف أعواد الذرة ، وقال له : لماذا أنت خائف هكذا ٠٠ لا يوجد أحد يفكر فى قتل أحمد السعيد « الحكيم » .

وكان والدى محبوبا جدا من الناس لأنه طيب ومحسن ، وكان يعطى للمحتاجين من جيبه ، حتى المدرسين عندما يذهبون للكشف عنده ، كان يقول لهم : وأنتم حيلتكم ايه ؟ خذوا الدواء هدية منى ٠ بالاضافة الى رفضه أن يتقاضى أجرا عن كشفه عليهم ٠

فكان محبوبا لدرجة أنه عندما سمع المختفون صوته واسمه ، توقفت حركة أعواد الذرة ووصل عند الفجر وقام بمهمته ولم

يتعرض له أحد ، فالى هذا الحد ينجى العمل الطيب صاحبه ، ويبقى دينا حتى فى عنق القتلة والمجرمين ٠

وحين قامت ثورة ١٩ شارك فيهـــا والدى ، وكان من بين المعتقلين ، حيث أبعدوه عن أسيوط واعتقلوه فى القاهرة ، وكنا جميعا بنات ولم يأت أخى الذكر الا بعد انتهاء الثورة وقبل وفاة والدى بسنة أو بسنتين ، على ثمانية بنات ، كان والدى فخورا بنا ويحبنا حبا نادرا فى تلك الأيام ٠

وأذكر حادثا متعلقا بأختى « عظيمة » حكاه لى ، نجيب باشا الهلالى عندما التقينا فى بيروت ، حين سمع بوجود أمينة السعيد ، ابنة صديقه فى أسيوط وشريكه فى جهـــاد الثورة ، وقد أتيت لحضور أحد المؤتمرات ، قابلنى بترحاب وقال لى : هل تعرفين لماذا سميت أختك عظيمة بهذا الاسم ؟ ٠

قلت له : لا ٠

قال : أنا كنت أزوركم يومها ، حين كانت أمك تضع مولودتها ، فجلست أنا ووالدك تحت فى المضيفة (الصالون) ، وانتظرنا طويلا أن يحضر أحد من فوق ليقول لنا ان الست وضعت ، فلم يحضر أحد فقلق والدك ، فصفق بيديه فجاء له الخادم ، وقال له اصعد لتطمئننا على الست ٠ فقال له : انها قامت بالسلامة ٠ قال له : وأنت تعرف ٠ قال : نعم ٠

قال له : ولماذا لم تقل لى ٠ قال الخادم : أصلها أنجبت بنتا ٠ وكانت البنت رقم « ٨ » ٠

فقال والدى : أنجبت بنتا ٠٠ عظيم ٠٠ عظيم ٠٠ سموها عظيمة ٠٠ وقل لأمها أن يكون هذا هو اسمها ٠

هذا المثل يدلك الى أى حد كان والدنا يعتز ببناته ويحترمهن ، صحيح أن أربعة منا ماتوا فى زهرة العمر ، ولم يبق سوى كريمة ، عزيزة ، أمينة ، عظيمة . لكن والدى فى سبيل ارضاء أمى واسعادها ، كان يعتبرنا هدية من أمى له ، وكان يعاملنا معاملة الصبيان وأعطانا القوة التى كان يعطيها الأب لابنه الولد بحيث اننا طلعنا كما ترى ، أو على الأقل أنا طلعت مشاغبة مثله .

وحين أفرج عنه بعد ثلاث أو أربع سنوات من الثورة ، سمع ان فيه مدرسة بنات افتتحت لأول مرة فى القاهرة ، وكانت مدرسة لغات ، فاغلق عيادته فى أسيوط وكان يكسب منها ذهبا ، وضحى بكل هذا ورحل بنا الى القاهرة لندخل هذه المدرسة ..

روح المشاغبة

● ● هذا عن الوالد الكريم الطبيب احمد السعيد .. فماذا عن الأم ؟ .

ـ أمى كانت أصغر من والدى بخمسة وعشرين سنة ، كان عمرها ١٢ سنة عندما رأته لأول مرة وهو طبيب ، وكانت مريضة بالقلب ، لأنه حدث فى فرح أخيها أن الخديو أرسل موسيقاه الخديوية للمشاركة فى الفرح ، كتقليد متبع بالنسبة للأعيان المرموقين ، وكانت الفتيات والسيدات يتفرجن من الشبابيك .. فوقع الكرسى بها الى الخلف فأغمى عليها ، فجاءوا لها بمياه مثلجة رشوها عليها لكى تفيق ، فكانت النتيجة اصابتها بروماتيزم فى القلب ، فبدأ الطبيب أحمد السعيد يعالجها ، وكان يراها ملاكا صغيرا نائما فى السرير ، لأنها كانت رائعة الجمال ، فتعلق بها ، ولم تكن لفروق السن فى ذلك الوقت أى اعتبار ، فلما تحسنت صحتها على يديه ، قال لوالدها : لقد عالجتها نصف علاج .. أعطها لى فى بيتى أكمل العلاج .

. وكان هذا هو مدخله لخطوبتها · فقال له : خذها يابنى على بركة الله ·

ولأنها صغيرة أرادوا أن يخففوا عنها وطأة الانتقال من بيت الى بيت ، فقالوا لها ان « عمو » الدكتور عنده « براد » شباى يضرب موسيقى ·· وهو يحتفظ لك به عندما تذهبين عنده ·

ففرحت بالزواج لهذا السبب ، ولا أذكر فى حياتى أن والدى قال لأمى : يا زينب · انما كان يقول لها : ياست زينب هانم · وأيضا عمرى ما سمعت أمى تقول له : يا أحمد · بل تقول له : يادكتور أحمد بيه · هكذا كان الاحترام المتبادل بينهما ، والذى انعكس علينا نحن أيضا ، فكان ينادينا بأسمائنا طالما لا يوجد أحد غريب فى البيت ، واذا وجد لا ينادينا بأسمائنا مجردة ، فيقول لى مثلا : يا أمينة هانم · أو : ياست أمينة · لدرجة رأنا فى أولى جامعة ، أذكر أن « فريد زعلوك » وكان سياسيا وبطلا من أبطال الجامعة كان يقود المظاهرات وأنا معه ، وضربت بالكرباج من البوليس ، وحدث ذات يوم أن دق التليفون ليكلمنى ، وهذه مسالة غير مألوفة فى ذلك الوقت سنة ١٩٣٠ ، وكان يريد الاتفاق معى على ما سوف نفعله بالنسبة لنشاطنا السياسى ، ورد عليه والدى ، فقال له : من فضلك ممكن أكلم زميلتى الآنسة أمينة ·

فنادى على والدى : ياست أمينة ·· ياست أمينة ·· تعالى كلمى زميلك على التليفون ·

فتعجب زميلى من أن والدى ينادينى : ياست أمينة · فقلت له : يعنى تريد أن يقول لى يابنت يا أمينــة ؟! · انه لا ينادينى وحدى بكلمة : ست ، وانما كل اخواتى يناديهن جميعا كذلك منذ الطفولة ، ولم يكن زميلى مصدقا ·

حدث أيضا ان محمد باشا محمود رئيس الوزراء ، ورئيس حزب الأحرار الدستوريين فيما بعد ، كان صديقا لوالدى ، رغم أنه حزب وطني ، ولكن صداقته كانت تمتد لكل الأحزاب ، فجاء محمد باشا محمـــود الى بيتنا وكنت حصـــلت على الابتدائيـة « البناتي » التي فيها طبخ وأشياء خاصة بالبنات ، وطلب والدى من الشغال أن ينادينى لأسلم على الباشا ، الذى قدمنى والدى اليه قائلا : ابنتى أمينة السعيد حاملة الابتدائية .

فأنا لم أصدق نفسي والتفت خلفى لعل « أمينة » أخرى غيرى موجودة هى التى يتحدث عنها أبى ، وصعدت الى أمى وكانت معها أختى كريمة وقلت لهم عما حدث . فقالتا فى صوت واحد : بابا قال كده للباشـــا ؟! . ولذلك قالوا له : ايه أمينـــة وايه يعنى « ابتدائية » بناتى لا طلعت ولا نزلت لكى تتحدث عنها لرجل عظيم كمحمد باشا محمود والذى وصل الى أعلى مستويات التعليم ؟ .

فنظر الينا باستنكار قائلا : هو فيــــه كم بنت فى مصر حصلت على الابتدائية حتى لا أفخر بابنتى ؟ .

هذا الجو يوضح لك مناخ الحب الذى عشت فيـــه دائما من المودة والشجاعة .

ولما أنهت كريمة وعزيزة الدراسة فى مدرسة الحلمية ، ولم تكن بعدها دراسة أخرى أرسلهن على حسابه الى انجلترا لاستكمال دراســتهن ودخلن الجامعة ، ولما جاء دورى أنا كانت الجامعة المصرية قد فتحت أبوابها لنا .

●● روح المشاغبة التى تعلمتيهـــا أو ورثتيها من والدك اعتقد أنها ظهرت فى تصرفاتك مع المدرسين حين يغضبونك ؟

ـ كنت أهجوهم بشعر مكسر ، وحدث ذات مرة أن أحـــد المدرسين ضبطني وأنا غاضبة في الحصة أكتب هجاء له ، وكنا في نهاية السنة الدراسية ، أقول له ما معناه :

« وداعا أيها العـام

ونعما بيوم الرحيل ،

لقد كنت عاما صبت فيه علينا الرذائل ،

ولم تتق الله فينا » .

وعلى هذا المنوال مضيت أعبر عن غضبي .

فضـــبط المدرس ما أكتبـــه وقال لى : أليس من العيب أن تكتبى هذا ؟

وأقول لك الحق : لقد كذبت وقلت له : هـــذا الكلام ليس عليك يا أستاذ وانما على أحد غيرك . قلت ذلك رغم أننى لا أحب الكذب ، لشدة جرأتى ، فلا أخاف من الحق أو أن أقول الحق ـ حتى الآن ـ حتى لو علقونى فى المشنقة ، ولكنها قفشة المفـــاجأة من المدرس وأنا صغيرة لا أدرك جيـــدا ، هى التى جعلتنى أقول له ما قلت رغم أنه المقصود .

لأنه رجل

● ● من العجيب أن والدتك لم تحتمل وفاة والدك فتبعته الى الرحيل ؟ .

ـ مرض والدي ، ولم يكن باستطاعة أحد خدمته سواي ، حيث كانت أخواتى خارج البيت حيث تزوجن ، ولم يبق سوى « عظيمة » وكانت فى الطب ودراستها ومسئوليتها صعبة وكبيرة ،

فى حين أننى كنت بكلية الآداب قسم اللغة الانجليزية ، وبامكانى أن أتغيب ، لخدمته ، وبمجرد أن مات والدى ، دخلت أمى السرير ولم تغادره الا الى القبر ، فقد أتينا لهـــا بطبيب القــلب العظيم « أنيس سلامة » ، الذى سألناه عما جرى لها ، فقال ان حالتهـا الصحية لم تتقدم أو تتأخر ولكنها فقدت الرغبة فى الاســـتمرار فى الحياة .

فقد كان والدى بالنســـبة لها هـو « موتور » الحيـــاة ، لأن قلبهــا المريض لم يـكن يتحمــل أن تنجب ثمانية بنـات ، وولد أنجبته قبل وفاة والدى بفترة بسيطة ، وهى مريضة بالقلب ، وكنت أسمع دائما .. تعالوا الست مريضة .. الست حياتها فى خطر . فلم نتمتع بأمنا ، لأنها كانت دائما مريضـــة ، ولكنهـا عاشت من أجله واستمرت تنجب لعلها تأتيه بالولد ، ولم تتحمل الحياة بعده ، فكان أربعين والدى هو يوم جنازتها .

وكانت تلك مأساة لنا فاضطررنا أن نربى بعضنا ، الكبيرة تربى الصغيرة ، ونحن جميعا لتربية أخونا الأصغر الذى نجح فى حياته وتزوج ، وأذكر أن والدى اذا حدث وقسا عليه كنا جميعا نحتج ، وتقول له ، كريمة : لماذا تفعل معه هكذا واذا فعلنا نفس الشىء تدللنا .

فكان يقول لنا : لأنه رجل .

فقالت له كريمة ذات مرة : ربنـــا يعطيك طول العمر .. لكنك لن تعيش لنا طول العمر .. واذا وجدنا مفضـــلات عليه سيكرهنا فلازم نعيش نحب بعضنا الى أن نموت .

وهذا ما حدث فعلا ....

● ● أقاربك خاصة أخوالك لهم صفحات وطنية لا شك إنها انعكست على تكوينك بالاضافة الى تأثيرات الأب والأم ؟ ٠

ـ « خيلانى » اشتغلوا بالحركة الوطنيــــة فى فترة مبــكرة وطردوا الى سويسرا ، ومنع جــدى من مساعدتهم ماليا ، وكادوا يموتون من الجوع سنوات وسنوات ، وحين قامت الحرب العالمية ، انضموا للجيش التركى الذى كان ضــــد الانجليز ، وهربوا الى تركيا للمشاركة هناك فى الحرب ، ولم يعد خالى « توفيق طلعت صبور » هو وأخيه عباس ، الا بعد ١٣ سنة من النفى ، والاثنين استفادا من دراستهما للطب ، وصارا طبيبين ناجحين ٠

أصغرهم كان اسمه « مختار » ٠ كان الصديق الحميم « لابراهيم الورداني » فى جمعية اســمها لا أذكر ايه ٠٠ السوداء ، كانوا يشترون مسدسات ، ويتمرنون فى الصحراء ، على ضرب الانجليز ٠

وفى يوم من الأيام جاء « محمود اسماعيل » أحد الثــلاثة الذين أعدموا فى مقتل « السردار » ، وكان صديقا حميمــا لخالى مختار ، وكان هذا الرجل « كمسارى » فى القطار المســـافر من القاهرة للصعيد ، هذه مهنته ، وفى نفس الوقت هو عضــو فى الجمعيات السرية ، التقى بخــالى فى قهوة « البسفور » التى كانت موجودة بميدان الأوبرا ، التى كانــوا يجتمعون فى ركن منهــا ، وقال له : أما حصلت حاجة يا مختار ونحن ذاهبين الى الصعيد أمس وأنا أفتش على الدواوين الساعة « ١ » بالليل والقطار ماشى يقفز من أحد الدواوين وأنا أفتح بابها ، رجل يحمل مسدسا اتضح لى أنه « الهلباوى » صاحب فضيحة الدفاع عن الانجليز فى حادثة « دنشواى » ٠

وكان الهلباوي هذا معرضا للقتل من الوطنيين ، وأضاف هذا « الكمساري » الوطني : لقد وجدت في يده مسدسا لم أره من قبل . وراح يصفه له .

فقال له خالي : أنا عندي واحد مثله في جيبي سأمرره لك من تحت الترابيزة لترى إن كان مثله أم لا .

فقال له : انه مثله تماما . وسأله ان كان به رصاص .. وطلب منه تفريغه منه . ففعل ، ونسى الرصاصة التي في الماسورة ، وراح زميله يجرب المسدس وهو معتقد أنه فارغ من الرصاص ، فانطلقت الرصاصة المنسية في بطن خالي ، فأمسك بورقة وقلم وهو يموت وقال انه صاحب المسدس وأنه هو الذي أعطاه له وطلب منه أن يفعل ذلك ، حتى لا يقبض عليه بسببه .

في مثل هذا الجو نشأت في حي اسمه « الجمرا » بأسيوط في بيت كبير ، وأمامنا بيوت « الهلالية » ، وأمام بيتنا ثلاث شجرات « لبخ » التي فيها الزهرة الحلوة التي أسميها « ذقن الباشا » ذات الرائحة الجميلة . وكان كل بيت محترم له « فرن » خاص به فوق السطوح وله « الخبازة » الخاصة به ، بحيث « نأكل الخبز » « طازة » أولا بأول ، وبجوار البيت حوالى خمسين فدان أرض فضاء ، اتخذ منها الانجليز مخزنا « لتبن » « بغال السلطة » وفيه كباسات لوضع هـذا « التبن » في « بالات » . وقد قامت « صالحة » الخبازة الخاصة بنا باشعال النار فيهـا ، كما حكت أمي — فقد وضعت كوب الكيروسين » وخبأته تحت « طرحتها » ، وسكينة ، وأشعلت النار ، التي ظلت ثلاثة أشهر لا يخمد لها لهيب ، وقد تحطمت شبابيك بيتنا الزجاجية وأحترقت أخشابها .

ولما سمحت لنا السلطة الانجليزية بالالتحـاق بوالدنا في

القاهرة ، قام بتاجير « ذهبية » لنا لنصطاف فيها لنعوض أيام الضنك فى غيبته ، ولما عدنا الى أسيوط بعد ثلاثة أشهر وجدنا « التبن » لا تزال النار مشتعلة فيه وهى أشبه « بالفوانيس » ، فلم تنطفىء النار بعد تماما ، ولأن الصعايدة عندهم وفاء وفى نفس الوقت لا يستطيعون دخول بيتنا فى غير وجود رب الأسرة ، كانوا لكى يؤنسوننا ويشعروننا بالأمان يجتمعون أمام بيتنا أمام « شجر اللبخ » ويقوم الخادم بانزال الكراسى لهم ويطوف عليهم بالمشروبات ، وكانوا من كبراء الناس ، كالهلالى باشا ، ومحمد كامل مأمور مركز أسيوط ، وغيرهم .

وفى يوم من ايام ثورة ١٩ دق التليفون عندنا ، وكان المتحدث علام باشا محمد علام مدير مديرية أسيوط ، أو المحافظ بلغتنا الآن ، فسأل عن « محمد كامل » وأخبره الخادم بوجوده . فلما رد عليه ، أخبره بوجود مظاهرة عنيفة ، ومظاهرات الصعايدة كانت أشد المظاهرات عنفا ، لدرجة أنهم كانوا يقفزون فى قطارات الانجليز بأعواد القصب ويقتلونهم بها .

وطلب مدير المديرية من المأمور ، ألا يتعرض للمظاهرة رغم أنها متجهة لقسم البوليس ، لأننا لا نريد أن نوسع المسألة .

فقال المأمور : يافندم حضرتك عارف إن قسم البوليس به أسلحة قد يستولون عليها .

فقال المدير : مهما حدث .. استعمل كل الوسائل الودية ولكن لا تتعرض للمظاهرة .

والذى حدث أن الصعايدة هجموا على مركز البوليس واستولوا على الأسلحة كما توقع المأمور محمد كامل ، الذى قبض عليه وتم تقديمه لمحكمة عسكرية انجليزية ، وقال أنه تلقى أوامر

من مدير المديرية بعدم التعرض للمظاهرة فتمت مواجهة بمدير المديرية الذى أنكر الواقعة وقال : أنا لا أذكر أننى قلت له هذا .

وتم اعدام المأمور يوم أول رمضان ، وكان محمد كامل هو أول شهيد للثورة .

وكانت أمى خلف الباب أثناء مكالمة المدير مع المأمور ولكن لا يمكن فى ذلك الوقت أن يسمح لامرأة بالوقوف أمام المحكمة أو يسمح لها بالشهادة ، وحاولت انقاذ المأمور ، وشاع أنها يمكنها أن تدلى بشهادتها وأقوالها فى هذه القضية ، فقامت السلطات الانجليزية بترحيلها ونحن معها لنلحق بوالدى فى القاهرة ، حتى لا تدلى بشهادتها .

ومرت السنوات ، حتى العيد الخامس والثلاثين لثورة ١٩١٩ ، فكتبت فى « المصور » قصة أسميتها « الثائرة الهادئة » ، أحسن ما كتبت وكنت أقصد بهـا أمى ، وان لم أصرح بذلك ، ولكنى أشرت الى أنها « زوجة الحكيم » ، وهو لقب والدى الذى أطلقوه عليه تمييزا له عن بقية الأطباء .

وقد وجدت أهالى أسيوط قد أرسلوا الى بعد نشر هـذه القصة ، أنهم استعادوا الذكرى العظيمة لوالدى ، وأن عندهم شارع اسمه « العدلية » وهو شارع هام ، أطلقوا عليه اسم شارع « أحمد بك السعيد » ، ووضعوا خريطة هذا الشـارع فى علبة بالصينى والصدف اهدوهالى ، تكريما لهذا الرجل .

وعندما أيدنى أهل أسيوط فى قصة المأمور الشهيد محمد كامل والتى نشرتها ضمن قصة الثائرة الهـادئة ، قلت لهم عيب عليكم الا يوضع اسم هذا الرجل فى قائمة الشرف » ، فأجابونى أنهم فعلوا ذلك ، ثم فوجئت بابن هذا الشهيد وقد صار سفيرا ،

وبحث عن بيتى وجاءنى يسألنى عن قصة أبيه الحقيقية لأنه نشأ وحوله الناس يقولون له ان أبيه قد أعدم لخيانته وصاروا ينادونه : يابن الخائن • وقال لى ان رأسه واخوته فى التراب فى طفولتهم ورجولتهم • حتى نشرت هذه القصة فردت لهم اعتبارهم • وقلت له : ليست لى مصلحة سوى قول الحقيقة التى ظلت أمى ترددها حتى آخر نفس فى حياتها •

وقد انعكست هذه الأجواء بطبيعة الحال على تكوينى ، ولذلك كنت أكثر طالبة فى الجامعة تشترك فى المظاهرات ، وضربت وسط الطلبة بالكرباج ، أثناء الاحتجاج على ابعاد طه حسين عن الجامعة لرفضه منح الدكتوراة الفخرية لكريم ثابت بناء على طلب السراى ، وانتهزنا فرصة افتتاح الملك فؤاد للجامعة بصفة رسمية ، وقمنا بالمظاهرات ، وكنت من القيادات ، ورحنا نصرخ يسقط فؤاد • فؤاد • الى درجة أنه كان سيغمى عليه وسط السفراء الأجانب الذين خافوا على أنفسهم وانصرفوا مبتعدين وهم يبرئون أنفسهم بأنه لا دخل لهم فى شىء مما حدث •

مع هدى شعراوى

● كان لهدى شعراوى تأثير كبير من الناحية السياسية عليك •• فكيف حدث هذا ؟ •

ــ وكان لها تأثير اجتماعى أيضا ، فقد كانت سيدة عظيمة لم يرد مثلها حتى الآن ولن يرد لها مثيل ، فقد كانت تملك كل المقومات التى تجعلها قائدة ، فهى ثرية ثراء فاحشا أنفقت منه على أعمال الخير والكفاح فى سبيل المرأة ، وفتح مدارس لتعليم البنات •

وفى يوم غضبت على بنات الذوات اللاتى يعملن معها فى

الجمعيات والأسواق الخيرية ، ويتكلمن مثل الخواجات وهن مصريات ؛ فجاءت لزوجة منصور باشا فهمى ، الفيلسوف الكبير وعميد كلية الآداب بعد طه حسين ، وكان اسمها « انصاف سرى » متعلمة فى انجلترا ، وقالت هدى شعراوى لها انها تريد عمل تابلوه ، أو لوحة حية للصحافة العربية ، ولكنها تريد بنات يتكلمن بلدى مثلى ومثلك بحيث لما يسمعهم الجمهور يعرف انهن مصريات . وأجابت طلبها ، وكنا فى مدرسة شبرا الثانوية ، فجاءت بى أنا وزميلة اسمها « سعاد » والتى خالها مصطفى كامل . وعقد لنا امتحان فى القراءة ، وانتهت التصفية على واختارتنى هدى شعراوى لجريدة « البلاغ » المصرية القح ، ولفونى بالعلم المصرى ذى الهلال والثلاث نجوم ، وكنت أتقدم « التابلوه » وأنا أنشد الشعر وأقول مثلا :

انا البلاغ المبين

جندى قومى الأمين

سلاحى الحق ولى فيه مقود لا يلين .

قصيدة عظيمة ، كان يقوم بتحفيظها لى « حبيب جاماتى » ، الذى كان يقول لى : اتكلمى عدل ما تبقيش مثل الشوام .

وكل واحدة قالت قصيدة وطنية فى جريدتها .

واستمرت العلاقة مع هدى شعراوى التى تمسكت بى ولم تتركنى حتى بعد زواجى وموت أمى وأبى ، كانت كل يوم تبعث لى سيارتها ، لأذهب اليها عصرا ، وتجلسنى بجوارها لتملينى ماتريد املاءه ، وتحفظنى ما أريد أن ألقيه نيابة عنها فى المحافل التى تتطلب الخطابة ، وقد أعجبها صوتى والقائى لأقول عنها ما تريد أن تقوله مكتوبا . فخطبت أمام الملكة فريدة ، والملكة

نازلى ، وأمام أحمد ماهر ، الذى كتبت هدى شعراوى لأجله خطبة سياسية عنيفة لاعتقاله بعض الناس ، وقد القيت الخطبة ، وصرخت فيه ونظرت له بغضب ، فصفق لى جمهور الحاضرين •

وثارت هدى شعراوى على سعد زغلول ، لأنه رفض الذهاب مع الأحرار الدستوريين ومحمد باشا محمود فى بعثة واحدة للتفاهم بشأن القضية المصرية ، وصمم ، اما أن يسافر وحده واما لا ، فاعتبرت ذلك أنانية منه ، رغم أن زوجها على باشا شعراوى كان له رأى آخر •

كذلك وقفت هدى شعراوى أمام فاروق وقفـــات خطيرة ، حضرتها •

مثلا •• أيام كانت فريدة زوجة لفـــاروق ، جاءت الأميرة « شويكار » طليقة أبيه ، بعد أن مات زوجها الملك فؤاد ، الذى طردها ومنعها من دخول البـــلد ، لأن أخو « شـــويكار » الأمير سيف الدين انتصر لأخته فى خلافاتها مع الملك « فؤاد » ، الذى انتهى به الأمر بتطليقها ، فاعتبر الأمير « سـيف الدين » ذلك اهانة ، فضربه بالرصاص ، الذى أصاب رقبته بعاهة مستديمة جعلته وسط الكلام « يشهق » ، وأودع الأمير سـيف الدين فى مستشفى المجانين ، لأنه من الأسرة المالكة ولا يعقل أن يسجنوه أو يعدموه ، ولما عادت الأميرة « شويكار » بعد وفاة « فؤاد » ، أرادت أن تسترد أمجادها القديمة ، فالتفت حول الملك الجديد « فاروق » تقيم له الولائم وتأتى له بالنساء وترضى عنده الشهوات ، وأعتقد أنها لعبت دورا كبيرا فى افساده ، وفى يوم من الأيام كنـــا فى الاتحاد النسائى ، وكانت سكرتيرة « شويكار » ، « مارى كحيل » موجودة ، فقامت هدى شعراوى من وسط الاجتماع وقالت لها : اسمعى يا مودموازيل مارى اذهبى وقولى لأميرتك ياتمشى عدل وتنعدل

وتبطل خراب البيوت والا سياجاتها الى آخر الدهر . ذلك في وقت كانت الأميرة شويكار قد استعادت نفوذها وأصبحت كأنها الملكة تقريبا بعد أن وقع فاروق ولا يزال « عيل » في يديها :

.. فصرخت سكرتيرة « شويكار » وهى مفزوعة وخرجت تجرى وتولول :

واغضب هذا الملك فاروق وقاطعها ، ولم يهمها شيء .. لكن عندما جاءت الملكة فريدة وطلقت الملك فاروق ، وليس هو الذى طلقها ليتخلص منها كما يعتقد الناس ، بل هى التى صممت على الطلاق لسوء سلوكه ، جاء اسماعيل باشا تيمور مبعوث السراى ، يطلب مقابلة هدى شعراوى ، وكانت وقتها مريضة بالذبحة ونائمة فى السرير .. وكنت عندها فى ذلك الوقت ، وحاولت اثناءها عن القيام لمقابلة مبعوث الملك الذى جاء يبلغها رسالة منه ، وقلت لها : « يا طنط » ــ فهكذا كنا نناديها ــ كيف تقومين .. هذا غير ممكن وأنت عندك ذبحة . فقالت : لا .. سأقاوم .. هذا مندوب ملك جاء يقول ان الملك بعثه ليبلغنى رسالة .

وقامت لمقابلة مندوب الملك ورفضت أن يصعد لحجرة الصالون الملحقة بحجرة نومها منعا لارهاقها ، فقال لها رسول الملك فاروق على لسانه :

« أبوس ايديك انك تروحى تعقلى فريدة .. قولى لها مفيش ملك يطلق .. عيب .. كل الملوك تخطيء .. وكل الملكات تعفو أو يعملوا نفسهم موش شايفين .. وكل شيء له نهاية وأنا مستعد أعمل كل شيء يرضيها ...... وهى تطلب وأنا أنفذ .

وذهبت هدى شعراوى الى الملكة فريدة فى الاسكندرية فى اليوم التالى بالقطار ، فصرخت الملكة فى وجهها وصوتت ولطمت • الى درجة ان هدى شعراوى جاءت تقول لى : البنت دى مهووسة •

وحكت لى عن رفضها العودة الى الملك وقد صـــممت على الطلاق ، ويوم حدث هذا وقفت بجوارها هدى شعراوى ، وجمعتنا فى أربعين سيارة فى مظاهرة كبيرة جدا ، اتجهت الى منزل والدها الذى أقامت فيه مع ابنتها فادية ، فى الزمالك • وبقية الأولاد ظلوا فى السراى مع أبيهم ، وهنأناها بالطلاق ، والناس خلفنا يهتفون هتافات غير أخلاقية :

خرجت الطهارة من بيت الدعارة •

وبكت « فريدة » تأثرا عندما رأتنا •

ورغم مواقف هدى شعراوى هذه ، الا أنها يوم ماتت ، بعث الملك فاروق بأكبر رجاله للسير فى جنازتها ، وكانت أكبر باقات من الزهور هى التى جاءت من السراى •

● د . مهدى علام :

كنت معلما للملك فاروق

هو واحد من اولئك العلماء الموسوعيين فبعد أن تخرج من مدرسة دار العلوم العليا أرسل فى بعثة علمية الى انجلترا فاستكمل دراساته العليا فى جامعات اكسترا ، ولندن ، ومانشستر ، وقد شملت دراساته الأدب الانجليزى ، واللغة العبرية ، واللغة الفارسية ، واللغة الألمانية ، وعلم النفس ، وحصل فى هذه الدراسات على دبلومات عالية وعلى درجة الدكتوراه ، وعمل أستاذا بدار العلوم وجامعة الأزهر وجامعة مانشستر واستاذا للنقد الأدبى بالمعهد العالى للتمثيل ، واحد مؤسسى كلية الاداب بجامعة عين شمس التى شغل فيها كرسى الأستاذية للغة العربية وآدابها ، واللغة الإنجليزية وآدابها ، وعميدا للآداب ، وعميدا لمفتشى اللغة العربية بوزارة المعارف ، ومستشارا لوزارة الارشاد القومى (الثقافة) ، ومستشارا للمؤتمر الاسلامى ، وعضوا مؤسسا لمجمع البحوث الاسلامية ، وعضو المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ، وعضو المجلس الأعلى للثقافة ، وعضو المجلس القومى للثقافة والآداب والاعلام ، ونائب رئيس مجمع اللغة العربية ، ومناصب علمية رفيعة تولاها الدكتور محمد مهدى علام صاحب عشرات المؤلفات وقد كرمته الدولة فحصل على جائزتها التقديرية فى الآداب ، ووسام الجمهورية من الطبقة الثالثة ، ثم حصل عليه مرة أخرى من الطبقة الأولى ؛ وفضلا عن نشاطه العلمى فقد كان له نشاطه السياسى ممثلا لمصر فى عدة مؤتمرات ورئيسا لوفدها فى جميع المؤتمرات التى عقدت لحركة التضامن الافريقى — الآسيوى ، وحركة عدم الانحياز ، والحياد الايجابى — فى مختلف بلاد العالم — من سنة ١٩٥٧ حتى سنة ١٩٦٣ ، ولم يغب د. محمد مهدى علام عن المساهمة فى احداث الوطن من أجل الاستقلال عن المحتل الانجليزى فكان ابان ثورة ١٩١٩ العضو الممثل لدار العلوم فى لجنة المدارس العليا السرية التى كانت تتلقى توجيهات سعد زغلول عن طريق عبد الرحمن بك فهمى السكرتير العام للجنة الوفد المركزية التى كانت تصدر المنشورات

السرية وجريدة « المصرى الحر » السرية ، والتى كان يكتبها مهدى علام وزميله عبد العزيز عز العرب مندوب مدرسة المهندسخانة ، اللذان كانا هما حركة الاتصال بين عبد العزيز بك فهمى واللجنة السرية ، حيث كان كل منهما يذهب اليه فى بيته متنكرا فى ثياب باعة الجرائد ، ثم مر الدكتور مهدى علام بتجربة نادرة فى حياته حينما اختارته وزارة المعارف ليكون معلما خاصا للأمير فاروق ، ولى العهد وقتئذ ليقوم بتدريس اللغة العربية له ساعة فى الصباح وساعة بعد الظهر ، ولكنه لم يستمر فى هذا العمل الخطير الا سنة واكثر قليلا ، نتيجة لاصطدامه مع احد الباشوات الذى كان مشرفا على تربية الأمير ، الذى رفض الآراء الثورية للدكتور مهدى علام فضلا عن معارضته فى تزييف التاريخ الذى طلب منه تزييفه .

انها رحلة عمر حافلة للدكتور محمد مهدى علام منذ مولده فى ٣ أكتوبر سنة ١٩٠٠ بقاهرة المعز ، ومعه كان هـذا الحوار الثرى الذى بدأناه بالسؤال عن الجانب الوطنى من حياته ؟

فقال الدكتور محمد مهدى علام :

فى اليوم التاسع من مارس ١٩١٩ علمنا أن مدرسة الحقوق قامت بالاضراب ، فأردنا أن نقوم نحن أيضا بالاضراب فى كلية دار العلوم ، ولكننا كنا تحت الأحكام العرفية فى ذلك الوقت حيث كانوا يغلقون علينا باب الكلية من الساعة الثامنة الا الثلث ولا نخرج الا فى الثالثة والنصف ، وذات يوم كسرنا الباب وخرجنا ، ومنذ ذلك اليوم هيأ الله لى أن أقوم بدور ، وهو أن أكون مندوبا لدار العلوم فى لجنة ألفت بأسرع ما يمكن ، ولأنه لم تكن هناك جامعة فى ذلك الوقت ، فقد أطلق عليها اسم لجنة المدارس العليا وكان هناك مندوب من كل مدرسة عليا فى هذه الجمعية ، وقد اختفينا معظم الوقت نعمل تحت الستار ؛ لأننا كنا نحرر المنشورات السرية ونطبعها ثم نعطيها لمن يوزعونها ، وقد أخطأ كثيرا من الناس حين نسبوا عملها

الى عباس العقاد حين نشر طه حسين كتابه « الأيام » وذكر فيه أن من ضمن أعمال عباس العقاد أنه كان يحرر المنشورات السرية ، وقد صححت هـذا فى الجرائد وقتها ، وذكرت أن الذين حرروا المنشورات السرية هم لجنة المدارس العليـــا ، وهم مندوبون عن الزراعة والطب والحقوق والهندسة ، ومنهم ابراهيم عبد الهادى (عن الحقوق) ، وعبد العزيز عز العرب (عن الهندسة) ، وكان لنا اتصال بسعد زغلول عن طريق عبد الرحمن فهمى السكرتير العام للجنة الوفد المركزية ، ذلك الرجل العظيم الذى خرج من الحكومة المصرية بسبب أنه ضرب المفتش الانجليزى حين كان مديرا للجيزة ٠

وكنــا نتابع كل الحركات القائمــة على الثورة ، وكان لنا مندوبون وممثلون فى كل المديريات التى تسمى الآن بالمحافظات ، وقد كانوا فى غاية الأمانة والوطنية ، لأننا بعد أن نطبع المنشورات كنا نوزعها عليهم عن طريق بعض موظفى البريد ، وكان هذا دون أى أجر ٠

وأذكر فيما يتعلق بطبع هــذه المنشـــورات أننــا فى أول الأمر كنــا نأخذ المنشور مخطوطا باليد ونذهب الى احدى المطابع الأهلية لنطبع منه عشرة آلاف أو عشرين ألفا ، وكان هذا كافيا وقتهــا ٠

وفى يوم من أيام بدء الحركة قبل أن يكون هناك نشاط كبير للشرطة فى مراقبتنا ، أخذت المنشـور بعد أن أقرته اللجنة بعد عرضه عليها ، وذهبت فى شيء من الأمن والطمئنينة الى مطبعة فى شارع درب الجماميز بالقرب من مدخل باب الخلق ، وكان رئيس المطبعة يقدر ثمن الورق ويتبرع هو بالطبع وطلب منى أن أحضر بعد يومين لأخذ المنشورات ، وعندما عدت وجدت زحاما شديدا على المطبعة ، وبالبحث وجدت أن هذا الرجل قد قبض عليه بسبب

هذه المنشورات ، وتمنيت لو ألقذته ، وعندما خرج به الضابط جريت ووقفت أمامه راجيا منه أن يشير الى ، ولكنه أشاح بوجهه عنى ، فظننت أنه لم يرنى ، فظهرت أمامه من الناحية الأخرى ، ولكنه فعل ما فعله فى المرة الأولى وأبعد نظره عنى ، وسار به الضابط وسرت وسار الناس حتى ادارة الأمن أمام دار الكتب ، وكان اسمها محافظة القاهرة فى ذلك الوقت . واختفى صاحب المطبعة داخل ادارة الأمن ، وعدت آسفا حزينا ، وأبلغت اللجنة بما حدث ، وسرنا فى عملنا .

وفى الحقيقة أغلقت عدة مطابع بهذه الطريقة ، ولكن هذه الحادثة بالذات كانت لها معقبات فيما بعد .

وأتذكر ونحن فى سنة ١٩٣٢ أى بعد هذه الحادثة بأكثر من خمسة عشرة سنة أن كنت أطبع كتابا لى اسمه « فلسفة الكذب » ، فى مطبعة فى « الخرنفش » خلف شارع الخليج ، اسمها مطبعة « شرف » ، وتعرفت على وكيلها الحاج أحمد . وفى ليلة من الليالى كنا نتبادل تجارب الكتاب ، ونشرب القهوة ، فسألته اعجابا بحروف المطبعة : متى فتحتم هذه المطبعة ؟ فقال لى : فتحتها بعد خروجى من السجن ، ولكنى لم أكن مجرما . فقد كنت سياسيا .
فقلت له : كيف ؟

فقص على القصة أنه فى يوم من الأيام جاءه غلام وأعطاه المنشور ، ثم قبض عليه بسبب ذلك ، وقص القصة كلها عندما كنت أظهر أمامه ، وكان يشيح بوجهه عنى . وقال لى : هذا الغلام لم يكن سيخفف على شيئا بل سيزيد أنه ستوقع عليه هو أيضا العقوبة .

فأنا قلت له : أتعرف هذا الولد ؟ . قال : لا . فقلت له أنا

لو عرفته ماذا تفعل معه ؟ · فقال : سأقبله · فقلت له : أنا ذلك الولد · وتصادقنا منذ ذلك الوقت ·

الهروب من المخبر

●● كيف كنتم تطبعون منشوراتكم السرية بعد أن اغلقت معظم المطابع الأهلية ؟

ــ احترنا فى طريقة طبع المنشورات ، ولكن عن طريق عبد الرحمن فهمى وهو رجل ذو نفوذ فى الحكومة المصرية ، تمكن عن طريق الجمارك أن يهرب لنا مطبعة المانية يدوية · وقال لنا : لم يبق أمامكم الا أن تتعلموا جمع الحروف وطبعها · وكانت أول مشكلة قابلتنا هى المكان الذى نضع فيه هذه المطبعة ، فاهتدينا الى رجل مطبعجى كان يسكن فى شارع هو جزء من الدرب الأحمر وشارع الحسين ، وكان يسكن فى منزل له بدروم كبير ، وافق على وضع المطبعة فيه ، لأن وجود مطبعة عند مطبعجى شىء طبيعى بعكس وجودها فى منزل أى واحد منا ، مما يثير الشبهات · ولكن حدث شىء لم أدر له سببا الى اليوم ، وهو أن هذا « المطبعجى » غالى فى طلب ثمن الورق ، ولم نكن نملك سوى مصروفنا الخاص ، فأبلغنا الأمر الى عبد الرحمن فهمى · فقال لنا : اشتروا أنتم الورق · وبسذاجة وحماقة ذهبت لاشترى الورق من شارع بين السورين ، وكان مليئا بالمحلات التى تبيع ورق الجرائد ، وأنا أعرف هذه المنطقة جيدا ، لأنى أسكن قريبا منها ، وكنت أتبع طريقة المساومة ، وهى أن اذهب الى محل وآخر حتى أهتدى الى الثمن المعقول والأرخص ، الى أن أهتديت الى المحل الذى اشتريت منه الورق ، غير أنى لاحظت أنه فى كل مرة من المرات التى أدخل فيها المحلات ، أجد شخصا غريبا لم أكن أشك أنه من البوليس السرى الذى يبحث عنى ، ولم أتيقن من صحة

فكرتى الا بعد أن اشتريت الورق ودفعت ثمنه ، وكانت العادة أن يوضع الورق على عربة يد يجرها حمال ليذهب بها الى المكان الذى يريده الزبون ، وصحبنى الحمال بالورق ، ولاحظت أن هذا الرجل الذى كنت أراه ورائى فى كل محل أدخله ، يتتبع خطواتى ، ولم يكن لدى شك أنه يريد أن يعرف أين توجد المطبعة ـ ويؤسفنى أن أقول ان السلطة الانجليزية مع الشرطة المصرية فى ذلك الوقت كانت حريصة على أن تعرف مكان تلك المطبعة التى تنشر المطبوعات السرية والجريدة السرية التى اسمها « المصرى الحر » وكانت تصدر كل شهر •

ولم أدر ماذا أصنع ، وفكرت فى أن أخرج من المنطقة الى شارع فى الخلف اسـمه « درب سعادة » التى تقـوم معظم مبانيـه على انحناءات ، فكنت أسبق العربة قليلا وأدخل فى منحنى وأجرى ، فى الوقت الذى لم يكن الحمال ولا من يراقبنى قد وصل الى المنطقة التى سبقت اليها ، وبقيت هكذا من عطفة الى عطفة ، الى أن تأكدت أنه لا يتبعنى ، وتركت الحمال بالورق ، مع المخبر السرى ، وجريت دون أن أدرى ماذا حدث بعد ذلك ، ولكننا خفضنا من نشاطنا فى طبع المنشورات ، ولم نجد حلا سوى أن ندفع الثمن الذى يطلبه المطبعجى الذى نطبع عنده فى مطبعتنا التى نحتفظ بها عنده فى بدروم منزله •

وأحب أن أشير الى أن نشاطنا قد مر بمرحلتين ، سرية وهى التى حدثتك عنها ، وأخرى علنية سابقة عليهـا كنا نقود فيهـا المظاهرات ، ولى قصائد وأناشيد كنت أكتبها للطلبة ليرددونها ، ومنها هذه الأبيات :

نحن شـبان البـلاد	**نحن أوطـان شـداد**
ما لنا غـير الجهـاد	**فلنمت ولتحيـا مصر**

سعد .. هيا امحو الحماية ولنقم للنيل وايـنة
ثم علمنـا الرمنـاية اننـا للنيـل زخـرا
فلنمت ولتحيـا مصر
مصر والسـودان طـورا لا تـدع للغير شـبرا
ليسـير النيـل حـرا ان طعـم النيـل مـرا
فلنمت والتحيا مصر

●● رغم هذا النشاط الوطنى العلنى والسرى .. ألم يقبض عليك ؟

ـ لقد تتبعت الشرطة نشاطى وكثيرا ما كانوا يفتشون منزلى بمعدل مرة أو اثنتين فى الشهر ، واستولوا خلال ذلك على كل الانتاج الوطنى ، غير أننى أتذكر حدثا له أهمية كبيرة جدا فى حياتى ، فبعد أن عدنا الى الدراسة بعد سنة من الاضراب ، وجاءت إمتحانات النقل ، حدث فى يوم السبت فى أول يوم للامتحان التحريرى أن لاحظت من شرفة المكان الذى توجد به لجنة الامتحان دخول ثلاث ضباط وثلاثة عساكر الى مدرسـة دار العلوم ، وطبيعى أنه لم يكن لدى أقل شك فى أنهم حضروا من أجلى ، لأنه معروف أننى الذى يقوم بالعمل السياسى فى المدرسة ، فانقطعت عن الكتابة ، وحدث لى « رعاف » . والسبب فى هذا لم يكن خوفا من سجن أو غير هذا ، لأننى كنت معرضا للسجن فى أى يوم من الأيام ، ولكن الذى ضايقنى هو أن يحدث هـذا فى يوم الامتحان ، خصـوصا وأن القانون ، « قانون دانلوب » كان يحارب « دار العلوم » محاربة خاصة ، فكان من بين قوانينها أنه لا يسمح بتصلف درجة فى أى

مادة ، بل يفصل الطالب ولا يعيده ، لأنه كان مقصودا ألا يقبل أحد على التقدم لهذه المدرسة ، لأنه قد عبر عنها فى تقرير من التقارير : أن هذه المدرسة هى شعلة نار تتقد فى سبيل احراق الجيش البريطانى .. ولا أمان لنا ما دامت هذه المدرسة باقية » .

فالذى آلمنى أن يحدث هذا التحرك ضدى فى أول يوم من الامتحان ، بينما قبل الآن لم يكن الشعور بالحبس أو غيره حاضرا ولا مخيفا بالدرجة التى حدثت لى فى ذلك الوقت ، وجاء لى « رعاف » ونزل الدم من أنفى . وأتذكر أن الذى كان يراقب علينا هو زكى بك المهندس ، وكان واحدا من الأساتذة الذى كانوا يعاونوننا فى الحركة ويعرفون الكثير من أسرارنا . فجاء لى وهو طبعا قد شاهد الذين حضروا ، وقام يمسح لى الدم ويقول : لماذا لا تكتب ؟

فقلت له : لماذا أكتب ؟ لقد انتهى كل شيء .

فقال : لا .. عليك أن تظل تكتب الى آخر كلمة ودقيقة ..

واذا استدعيت فاخرج .. وأنت لا تدرى ربما يكون مستقبلك كله متوقف على آخر ما تكتب فى الورقة . وكانت الورقة فى علم النفس الذى كان يدرسه لنا هو ، فكففت الدم وأكملت ما استطعت تحت الظروف الموجودة الى أن استدعيت لحجرة رئيس الامتحان ، فوجدت عنده بعض الضباط ، فخاطبنى بلغة تجمع بين الشدة والرأفة ، وقال لى ان المدة التى مضت منذ أن دخلوا الى أن استدعيت أنا ، كان هو على التليفون مع « راسل » باشا حكمدار العاصمة وأنه قال له : إن أوامر الحكومة المصرية لا يصح أن تتناقض ، ففى الوقت الذى أصدرت فيه الحكومة أن مهدى علام عليه أن يؤدى الامتحان اليوم ، تصدر أمرها فى نفس الوقت

بالقبض عليه ، فهذا تناقض يا سعادة الحكمدار لا يمكننا أن نوافق عليه خصوصا أن هذا الطالب هو أول فرقته ».

ثم قال لى رئيس لجنة الامتحان انه اتفق مع الحكمدار على أن يفتشوا بيتى ، واذا وجدوا فيه ما يديننى ، فهو طبعا لا يدافع عن المجرمين ، واذا لم يجدوا شيئا فسأعود الى المدرسة . وقال لى : وانا أعدك بأنك تكمل الامتحان بعد عودتك وسأعوضك عن الوقت الضائع فيما بين الذهاب والعودة من المنزل .

وكان صاحب هذا الموقف الذى لا أنساه هو « أسعد بك براده » الذى قال لى : ان علينا أن نطيع الأوامر ...

وفى هذا الوقت لاحظت أن أحد الضباط الذين كانوا موجودين قام بصرف زميليه الضابطين الآخرين ، وبقى هو . وهنا قال له « سعد براده » : ما هو مهدى علام نخله . فأنا تباطأت قليلا . فقال لى : هل تحب أن نرسل انذارا الى المنزل ؟ . فقلت له : شكرا أنا آخذ احتياطى على كل حال . وخرجت ولم يكن فى ذلك الوقت عربات وانما كان هناك الحنطور ، فركبنا فى الحنطور ، وطوال الطريق كان الضابط صاحب أعلى رتبة فى الثلاثة ، يقول للضابطين الآخرين : أنت تجلس هنا . وأنت تجلس هناك . قائلا لكل منهما : فتح عينك جيدا . الى أن وصلنا الى البيت ولم يكن معنا سوى عسكرى واحد . طلب منه هذا الضابط أن يلاحظ الباب والشبابيك بحيث لا يدخل أحد أو يخرج .

وفتحت الباب ودخلت ، وادركت أن صوت الحنطور والخيل قد أحدث ضجة ، فاذا بوالدتى نازلة من الدور الأول ، وعندما دخل الضابط كان أول شىء يقوله لى هو : والدتك موجودة ؟؟ !! . فغلى الدم فى رأسى ، وظننت أنه يسخر منى لأننى فى قبضته . فرفعت يدى أريد أن أضربه وأنا أقول له لتعلمنى أنا ضابط ضابط . وقبل أن

تقع يدى على وجهه ، كانت والدتى قد وصلت . فاذا بالضابط يتركنى ويذهب اليها ويأخذ يدها ويقبلها . وقالت له : ماذا تفعل هنا يا عبد العزيز ؟ . فقال لها : «علشان البلوه السوده اللى عندنا» !

فاتضح أن هـذا الانسـان أحد أقاربنا الذى لا أعرفه لقلة اختلاطى بهم . وسأل والدتى :

●● هل هناك غرفة محددة لمهدى علام ؟

فقالت له : نعم .. له غرفة فيها سرير ومكتبة .

فقال : سأكتفى بتفتيش هذه الغرفة . وقال لى :

اسمع .. أنا على أمر تفتيش ويحدث أحيانا أنهم يعملـون مراجعة .. من أجل هذا ساعدنى على أن نظهر أننا فتشنا تفتيشا حقيقيا . فقلت له : اذن نبهدل الدنيا . فقال : نبهدل الدنيا .

وأخذ يضع يده على رف الكتب ويلقى به على الأرض ، ويفتح أدراج المكتبة ويقلب ما بها ، الى أن جعل الحجرة شـيئا من أبشع ما يمكن . ثم قال لى : ابحث لى عن كتاب تكون فيه رائحة السياسة حتى لا أخرج بيدى فارغة لأنه ليس معقولا مع سمعتك الموجودة لدينا أن أخرج دون أن أجد عندك شيئا عن السياسة .

فاخرجت له كتـاب « ملاحظات سـعد زغلول على الجمعية التشريعية » ، وأيضا أخرجت له « مراسلات مصطفى كامل مع مدام جولييت آدم » .

فقال : لم يبق الا أن نعمل محضر من نسختين ، واحدة ستظل معى وواحدة معك .. وأريدك أن تأخذ بالك لأننا فى بعض الأحيان نأخذ معنا قنابل ونضعها فى منزل من نريد القبض عليه .. ولكن

طبعا لن آفعل معك شيئا من هذا ·· فاذا حدث تفتيش آخر تأخذ بالك ·· وتطلب محضر من نسختين ·

وكتبنا المحضر وشربنا القهوة ونزلنا ، فقال للعسكرى على سبيل التمويه ·

هل دخل احد أو خرج ؟

وقال لى : ان الوقت الذى مضى سوف أعوضه لك ·

فقد كان عندى ورقة أخرى فى الفلسفة تبدأ بعد نصف ساعة · وأخذنى معه وقال لى : سوف أعود بك الى مكانك مثلما أخذتك وعلى نفقة الحكومة · واعترف لى أنه كان المفروض أن يقبض على منذ يومين ، ولكنه ارتبك لصلة القرابة التى بيننا ، ولكنه لم يجد مفرا من تنفيذ الأوامر ولذلك عمل ترتيباته للقبض على أول يوم للامتحان ·

وأوصلنى الى أسعد بك ، وأكملت اجابتى ·

وبعد أن انقطعت أخبار الثورة وسافرت فى بعثة الى انجلترا ، وعدت فوجدت هذا الضابط « عبد العزيز عوض » يحضر عندنا كل ليلة هو وأصدقاء والدى ، يتبادلون القراءة والمناقشات ويشربون القهوة حتى بعد العشاء ، وكان والدى يصلى بهم العشاء ، ثم يصعد للنوم ، ويبقى الباقون وخصوصا أصدقاء اخوتى الكبار ، وكان والدى يسمح لنا بلعب الشطرنج أو الدومينو والطاولة فى بيتنا خيرا من أن نتناوله فى الخارج ، وظل الضابط « عبد العزيز عوض » يحضر الى أن جاء فى ليلة من الليالى وهو خارج فقال لوالدى وهو يسلم عليه : « أشوف وشك بخير يا عمى » · فقال له والدى :

خير ؟ ماذا حدث ؟ • فقال له : أنا منقول • قال والدى : ترقية ؟ • فرد قائلا : لا •• سأقوم بعمل وكيل نيابة فى محكمة مخالفات فى الموسكى وهذا باختيارى •

(وكانت محكمة المخالفات فى ذلك الوقت تنظر ثمانين أو تسعين قضية فى الساعة الواحدة) • فقال له والدى : لماذا اخترت هذا • قال عبد العزيز : أنا ضابط مباحث وأهم عمل عندى هو المخدرات وأنا بين نارين ، نار الرشاوى المقدمة لى لأترك التجار • ونار الذين يضطهدوننى لأننى أضطهد التجار •• وأضاف قريبى الضابط : شىء آخر وهو أننى لم أر فى حياتى ورقة بمائة جنيه • (وكانت فى هذه الأيام تساوى ألف جنيه حاليا) • وقال : وأنا لا أدرى لو ورقة بمائة جنيه وضعت فى يدى ماذا سأفعل ؟ اذا أخذتها سأقع فى الفخ واذا رفضتها فالنتيجة نفس الشىء سأقع فى فخ من يضطهدوننى ، فأنا أطلب السلامة وأخرج من هذا المجال وأذهب كوكيل نيابة فى محكمة المخالفات •

وظلت علاقتنا بالضابط عبد العزيز عوض ، مستمرة . الى أن انتهى به الأمر وأصبح مديرا لمديرية الفيوم ، أى محافظة بلغة هذه الأيام !

حوار مع سعد زغلول

●● ما هى علاقتك بسعد زغلول وهل حدث يوما أن قابلته ؟

— علاقتى بسعد زغلول هى علاقة الانسان بزعيمه ، ولم نكن نلتقى به لأنه طوال مدة الحركة الأولى كان هو والوفد فى باريس ، فلم تتح لى فرصة لقائه الا فى سنة ١٩٢٥ بعد أن تخرجت وسافرت فى بعثة الى انجلترا عدت أثناءها الى مصر فى أجازة لمدة شهرين ،

وفى ذلك الوقت كانت وزارة سعد زغلول الوفدية الأولى قد سقطت وكان سعد شبيها بسجين بيته ، وفى أول ليلة وصلت الى مصر ذهبت اليه فاستقبلنى استقبالا كريما جدا لأنه كان يعرف عن اسمى ونشاطى وان لم ألتق به من قبل ذلك ، وبقيت معه فى منزله نحو ساعة ، وأنا مفتون من الفرح لأن هذا الزعيم العظيم ظل يتحدث معى ساعة تقريبا ، الا أن العجيب أنه طوال هذه المدة لم يتكلم معى فى السياسة ، وكلما حاولت أن أنحرف بالحديث نحو السياسة كان يصرفنى عنهـا ويكلمنى عن شئون التعليم . ثم قال لى :

أنا أوصيك وصية .. أنا أعرف ما قمت به فى خدمة الأمة سياسيا والآن أنت لك وظيفة أخرى هى وظيفة العلم لأن السياسة الآن بها رجال مأجورون (هذه هى عبارته) هم يأخذون مرتبات للتكلم فى السياسة . (وكان يقصد بذلك طبعا أعضاء مجلس النواب ومجلس الشيوخ الذين كانوا موجودين فى ذلك الوقت). ثم قال لى : دع السياسة لهم والتزم أنت العلم الذى أرجو أن يخدمه الله على يديك . وعندما أردت أن أستأذن منه اعتقادا منى بأنى أطلت الجلوس وكنت قد أخبرته أننى بين بعثتين وأننى فى أجازة لمدة شهرين وهذه هى أول ليلة لى ، الا أننى وأنا قائم لتحيته قال لى : نشوفه وشك فى خير .

فخفت لأن معنى هذا أنه لن يرانى بعد اليوم مع أن هذه أول ليلة للقاء معه فى أجازة طولها شهران ، وظننت أنه ربما حدث منى شىء أغضبه أثناء الحديث معه ،

● ● فقلت له : هل أنا أغضبت دولتك يا صاحب الدولة فى الحديث ؟

فقال : لا .

فقلت : لماذا تقول لى نشوف وشك فى خير وأنا فى خلال الشهرين الأجازة سأزورك كل ليلة ؟

فقال : لا ٠٠ لا تفعل ٠٠ انك اذا فعلت ذلك لن تعود الى انجلترا وسيحال بينك وبين ذلك ٠٠ فأنا أرجوك ألا تعود الى زيارتى مرة أخرى لأن منزلى مراقب وأى شخص يتردد على سيأخذ البوليس السرى اسمه ويتعقب عنوانه وأخشى أن يحول هذا بينك وبين عودتك الى البعثة ٠

● ● فقلت له : اليس لى أمل فى رجاء واحد وهو أن ألقاك مرة أخرى ؟

فقال : على شرط أن تكون ليلة سفرك عائدا الى انجلترا ٠٠ ففى الليلة التى ستصبح بعدها على الباخرة تحضر ، ففى هذه الحالة لا يدركون اللحاق بك ٠

قلت له : سأفعل ذلك ولكن طول مدة الأجازة سأمر كل ليلة من هذا الشارع وأنظر على هذا البيت وأتمثل بقول الشاعر :

يا بيت عاتكة الذى اتغزلـــه

حضر العـدا وبك الفؤاد موكل

انى لأمنحك الصـــــدود واننى

قسما اليك مع الصدود أميل

وقبلت يده وقبلنى ، وكانت آخر مرة لقيته فيها ٠

عندما طلبوا منى تزييف التاريخ

● ● كانت لك تجربة فريدة كمعلم للغـة العربيـة للأمير فاروق قبل أن يصبح ملكا ٠٠ فكيف حدث هذا الأمر ؟

- هـذه مسالة كانت تتعلق بالسراى التى طلبت من وزارة المعارف اختيار أستاذ متخصص فى اللغـة العربية بشروط خاصة ليكون المعلم الخصوصى للأمير فاروق . وكانت هذه الشروط أن يكون ذلك المعلم من أصل طيب وذو خلق حسن وليست عليه أى شائبة ، وأن يكون متخصصا فى علم النفس وهذه كانت تنطبق على ، لأن دراستى المتخصصة فى البعثة كانت علم النفس . . .

● ماذا تذكر من ملامح هذه الفترة أثناء تدريسك لفاروق ؟

- كان فاروق شابا ذكيا مهذبا مطيعا ، ولكن لم تكن الخدمات اللازمة لتعليمه فى أيدى الذين يفهمون هذا ، بل كان فى أيدى قوم من الباشوات لا يفهمون أى شىء من التربية ، ولذلك لم أتفق معهم على الأسلوب الذى ينبغى أن يتبع ، ولهذا لم أستمر أكثر من سنة ونصف .

وكان من أهم الاختلافات بينى وبينهم أن فاروق كان التلميذ الوحيد الذى يتبادل عليه خمسة أساتذة فى اليوم الواحد ، وهذا علميا غير جائز ، لأنه كان لا يعقل على ولد فى سن العـاشرة أن يتبادل عليه :

مهدى علام للغة العربية والدين والتاريخ

شفيق زاهر للرسم والحساب

مستر هانواى للغة الانجليزية

مسيو رايينا للغة الفرنسية

ابراهيم خيرى باشا لركوب الخيل

وكان عدد الدروس الأسبوعية لهؤلاء الزملاء نسبيا محدودا لكل منهم ، أما أنا فكان على أن أذهب اليه كل يوم ساعتين ، ساعة

فى الصباح وساعة بعد الظهر · وطبعا لم تكن هناك قوة بشرية فى مثل سن فاروق تتحمل كل هذا ، صحيح أنه كان مقبلا على العلم ولكن كان من الصعب عليه أن يركز بسبب ضغط خمسة معلمين عليه ، لذلك اقترحت انشاء مدرسة خاصة للأمير ولى العهد يجمعون فيها معه ثلاثة أو أربعة أو خمسة من مثل سنه من الطبقة التى يريدون أن تختلط به ، ليتبادلون معه الدروس ، وتتجاوب غرائزهم ويتنافسون مع بعضهم البعض ، وبهذا يخف عن التلميذ الوحيد ضغط استقباله وحده لخمسة أساتذة كل يوم · وبالاضافة الى أن هذا الاقتراح كان معيبا ومهينا فى نظر الباشا المشرف على تربية الأمير ، فاننى زدت الأمر سوءا عندما قلت : ان هذا النظام كان متبعا فى تعليم أولاد الخديو عباس السابق . وبذلك اتضح أن آرائى ثورية . وانتهت مدة انتدابى للتدريس للأمير ·

لقد كنت أعارض فى تزييف التاريخ الذى طلب منى تزييفه ، بأن يكون الملك فؤاد والد فاروق ، هو الذى ولى الملك بعد الخديوى اسماعيل والده · ولما قلت ماذا أفعل بتوفيق ، وعباس الثانى ، وحسين كامل · فقيل لى بكل جرأة : اقطع الأوراق الخاصة بهم من كتاب التاريخ ·

ولما شكوت من أن فاروق لم يكن قد رأى من الحيوانات غير الحصان والكلاب والقطط ، وأن من اللازم أن يزور حديقة الحيوان · قالوا : على شرط اخلائها يوم زيارته من الناس ·

ولما قلت : أنه محروم من رؤية الناس وهذا سيىء الأثر عليه ·

قيل : اننى لا أحتفظ بما يجب له من العزلة اللائقة به ·

وهكذا عزلوا الملك طفلا وعزلوه عندما اعتلى العرش ، وأودوا به فى النهاية ·

تحت قبة مانشيستر

●● حين كنت في انجلترا رفضت أن تتاجر بلغتك العربية .. كيف حدث هذا ؟

ـ عندما كنت منتدبا ضمن عملية التبادل الثقافي بين مصر وانجلترا سنة ١٩٣٦ ، كأستاذ زائر بجامعة مانشيستر ، نظير عودة أستاذ زائر من انجلترا الى القاهرة ، وفى خلال هذا الانتداب الذى استمر أربعة عشرة سنة فى انجلترا لم آخذ مرتبى من انجلترا وانما كنت آخذه من مصر مرسلا الى عن طريق السفارة ، وكذلك كان الأستاذ الانجليزى فى القاهرة يأخذ مرتبه من انجلترا ، وكان تبادلا ثقافيا حقيقيا ، ولم يكن من شأنه أن أتاجر بلغتى فى انجلترا . لدرجة أن كثيرين من التجار الانجليز والأطباء كانوا يحضرون لى ليدرسوا اللغة العربية لمدة شهر أو نحو ذلك ، فكنت أطلب منهم أن يلتحقوا بالجامعة تحت قسم اسمه « الدراسات غير المنتظمة » ، لا يحصلون منها على درجة علمية وانما يدرسون نتيجة مبلغ صغير يدفع ، وقد خاطبنى فى هذا أحد رؤساء الجامعة وقال لى : ما هذه المبالغ التى تحولها علينا وهى مبالغ تافهة من وجهة نظر الأطباء والتجار الذين سيذهبون الى البلاد العربية ليكدسوا الأموال .. خذهم أنت وادرس لهم وخذ منهم ما يستحق .. فقلت له : أنا هنا تحت نظام التبادل الثقافى لأنشر اللغة العربية والدراسات الاسلامية باسم مصر .. فأنا لا آخذ مليما واحدا .

والحمد لله بقيت طوال هذه المدة وأنا أقوم بخدمة اللغة والدين والثقافة تحت قبة جامعة مانشستر .

السياسة الاجبارية

●● بدأت حياتك فى السياسة وانتهيت بعيدا عنها ألم

يحدث خلال ذلك أنك رغبت في الاشتغال بالسياسة أو طلب منك العمل بها فى وقت من الأوقات ؟

ــ الجزء السياسى الذى اتصلت به بعد ذلك هو الجزء الاجبارى الذى كان علينا جميعا أن نمارسه تحت سلطان الاتحاد الاشتراكى الذى كان يفرض علينا أن تجتمع لجنة العشرين من المجمع كله أعضاء وموظفين ، وترسل لنا بعض التعليمات وهى من « أزفت » ما يمكن ، وكنا نحتقرها أشد الاحتقار . فتخيل أن مجمعا علميا رفيعا بهذا المستوى تلقى اليه تعليمات خاصة فى الشئون الاقتصادية متعلقة بالتموين ، وكان مطلوبا منا أن ننشر بين الناس ما نحافظ

به على سمعة الحكومة حتى لا يتهمها أحد بأنها لا تقوم على مصلحة الشعب . يعنى أن تكون دعاية بالنسبة للحكومة فى كل مكان ، ولذلك كانوا يجمعوننا لهذا الغرض سواء فى مجمع اللغة العربية أو فى بيوتنا !

كنت لاعبا قديما

● ● لك مؤلفات هامة في فلسفة العقوبة وفلسفة الكذب .. فما الذى تقصده بهاتين الفلسفتين ؟

ــ فى فلســفة الكذب بحثت أولا عن نشــأة الكذب عند الانســـــان ، ثم بحثت عن الكذب فى الديانة اليهودية والمسيحية والاسلام ، وبحثت عن علاج الكذب عند المصابين به ، ولم يكن فى اليهودية أو المسيحية هــــذه الوفرة السخية فى تحريم الكــذب والاحتياط فيه كما وجدت فى الاسلام .

أما فلسفة العقوبة ، فهى من ضمن موضوعات علم التربية الذى يدرسه أستاذ التربية ، خاصة فيما يتعلق بعقوبة الطالب وهى مســألة مهمة جدا . ولذلك هناك خطأ فظيع جدا فى ترك عقوبة

التلاميذ والطلبة لتوم لا يفهمون فى هذا الشيء ، ولهذا ألفت كتابى الذى حرمت فيه العقوبة البدنية أولا ، ثم جعلت العقوبة تتدرج من الغضب الى اللوم الى التأنيب الى المقاطعة ، الى الدرجات المختلفة .

●● ما هو جوهر نظريتك عن العفو فى القرآن ؟

- ليس هناك دين عني بالعفو عناية الاسلام به ، فمع أنه يقول أن الله شديد العقاب ، فانه يقول ان الله غفور رحيم ، وقد جمعت كل ما فى القرآن الكريم عن العفو ، وأخرجت منه نظرية العفو فى الاسلام ، أى أنه لا يوجد دين بمثل هذه السماحة والعفو كما فى الدين الاسلامى مقارنة بالأديان الأخرى .

●● لك نظرية أيضا فى الصدقة ما الذى اعتنيت به فيها ؟

- لقد جمعت كل ما فى القرآن الكريم والحديث الشريف عن الصدقة (وهى شيء غير الزكاة المفروضة) التطوعية ، واستخرجت منها احدى عشرة نقطة للنظرية أهم شيء فيها أن النبى صلى الله عليه وسلم ، نهى عن أن يطلب الانسان صدقة ، وقال من طلب الصدقة أو سعى لها يأتى يوم القيامة مزعة لحم ، يعنى وجهه يتساقط من الخجل من أنه كان يطلب الصدقة ، ومع ذلك كان يحث الناس على أن يخرجوا الصدقة والبحث عن المستحقين لهـا لاعطائهم هـذه الصدقة .

●● هل هناك فلسفة معينة اتبعتها فى حياتك ؟

- نعم وهى عبارة لقنتها لأولادى :

(كم احتمينا عما اشتهينا لغرض أسمى لدينا) .

هذا هو التلخيص لموقفى من الحياة ، اننا قد نشتهى أشياء ولكننا ننكرها ولا نمارسها لأسباب أسمى منها .

● ● هل أنت راض عما يقوم به المجمع اللغوى فى خدمة اللغة العربية ؟

– نعم بالتأكيد وفضله لا ينكر سواء كان على لغة الصحافة أو على لغة الكتابة ، وأشد الناس انكارا لفضل المجمع ، الصحفيون الذين استفادوا من كل جهد قام به المجمع الذى قدم عشرين مجلدا فى مصطلحات اللغة فى جميع أنواع المعرفة من كيمياء وطبيعة وفلك ورياضة ، وغيرها ، وكذلك مصطلحات الكرة عن « الأوفسايد » و « التسلل » « حامى المرمى » و « الباك » و « الحكم » . هذا من انتاج المجمع ، بل من انتاجى أنا شخصيا ، وأنا طالب ، لأنى أدخلت الكرة فى « دار العلوم » ، وكنت أرفض اصطلاحات الكرة باللغة الأجنبية ، فكنت بواسطة أستاذين وأنا معهم نجتمع ، وأترجم لهم اللفظ الكروى الأجنبى وهم يقترحون بعض الأسماء ، وفيما بين سنة ١٩١٦ و ١٩١٨ استطعت والأستاذان أحمد السكندرى ، وفؤاد السعيد أن نضع المصطلحات العربية المستعملة فى الكرة ، والتى قبلها المجمع حين عرضت عليه ٠

● أنت اذن لاعب كرة قديم ؟

– نعم كنت لاعبا وأنا طالب فى مصر ثم عندما كنت أدرس فى انجلترا ٠

● ● هل للالتفاف الحميم للناس حول الكرة دلالة معينة عندك ؟

– فى بدئه كان راجعا الى قلة النشاط عند الأولاد ، فلم يكن على أيامنا شىء من المتعة كالتى على أيامكم من سينما أو مسرح أو تليفزيون . لم يكن شىء من هذا متوفرا لنا ، سوى القراءة والكرة ، فكان لابد أن نتنفس ومن ضمن تنفسنا لعبة الكرة ، وأخذت أنا

هذا واستمررت فيه ، وعندما ذهبت الى انجلترا لعبت لجامعتى التى كنت فيها ، أما اليوم فان التفاف الناس حول الكرة ، أكثر ما فيه حب التقليد أو أنهـا موضـة الذى لا يتكلم فى الكرة ولا يتعصب لفريق يعتبر متخلفا ٠

●● دائما ما يقال ان نشاط المجمع لا يلقى الدعاية الكافية ؟

– نحن لا نستطيع أن ننقطع عن عملنا الداخلى الذى هو عمل الربان لكى نقوم بأعمال دعائية لعملنا ٠

●● هل أنت راض عما مضى من سنوات العمر وما أديته فيها؟

– أعتبر أن عدم الرضى دليل على عظمة الانسان ، ولكننى راض عن حياتى لأننى لم أفعل شيئا أندم عليه أبدا ٠

●● هل كان زواجـك عن حب أم لم تـكونوا فى زمنكم تعرفون مثل هذه الأمور ؟

– أنا اخترت زوجتى ، وكانت فى شارعى وحارتى ، وكنت أراها ونحن ذاهبان للمدرسة ، وكانت أصغر منى بخمس سنوات ، وكان عندها حياء ، ولم يكن هناك اختلاط ، بل معرفة انتهت الى الزواج الذى استمر ستين سنة حتى رحيلها ، بعد أن أثمر زواجنا ولدا هو الدكتور حسام ، وبنتاهى الدكتورة ثريا ، اكتفيت بهما قبل أن يتحدث أى انسان عن تحديد النسل ٠

ومن الطريف أن أذكر أنه فى الوقت الذى ولد فيه طفلى رأيت الشمس تسطع مما أوحى لى بمطلع قصيدة أقول فيها :

فى انبـلاج النهـار أشرقت يا طفـل

كمـا يشرق الضيـاء حاليـة

مثل عمر النهــــار فى الصبح تبــدو

ثم تنمـــو مع النهــــار فتيـــــا

●● هل بقى من آمالك شيء لم تحققه بعد ؟

ـ كثير جدا فى خدمة العلم لا أستطيع أن أذكره ، ومعى بحوث أرجو أن تتم ، ولا تظهر الا عندما تتم ·

●● ما العنوان الذى تضعه على ملف حياتك ؟

ـ خادم الأمة   د · محمد مهدى علام

● د · ابراهيم مدكور :

من استجواب الأسلحة الفاسدة
الى تعريب العلم كله

● د. ابراهيم بيومى مدكور

رجل شاءت السياسة أن تلعب دورها فى حيـــاته وهو طالب فسلبته حقه فى البعثة ونقل الى « كوم امبو » بدلا من لندن ولكنه أبى الا ان يضيف الى ثقافته الشرقية ثقافة غربية فاستقال من وظيفته وسافر الى فرنسا على نفقته ولم يكد يمضى عام حتى رد اليه حقه وضم الى البعثة مرة اخرى ومن باريس حصل على ليسانس الآداب من جامعة السوربون (١٩٣١) . وليسانس الحقوق من جامعة باريس (١٩٣٣) ، ودكتوراه الدولة فى الفلسفة (١٩٣٤) ، فهو كاتب ولغوى وفيلسوف ومصلح اجتماعى وسياسى اعتقل وسجن فى ثورة ١٩١٩ ، وقضى خمسة عشرة سنة عضوا بمجلس الشيوخ نقد فيها نظام الحكم وتبنى استجواب الأسلحة الفاسدة ودعا الى تحديد الملكية الزراعية وكان يريد بالسياسة ان تقوم على مبادىء ثابتة واصول واضحة تحارب الطغيان وتتنزه عن الأهواء ، ولذلك آثر الاستقلال على الحزبية ، واشترك فى عدة لجان خاصة كلجنتى المالية والأوقاف والمعاهد الدينية ، التى اضطلع بأعبائهما ، وكم أثار اعتراضه على بعض الاعتمادات والمشروعات من سخط وغضب ، واتصل اتصالا عمليا بالحياة الاقتصادية فأشرف على بعض المؤسسات المالية والصناعية وافاد منها خبرات وتجارب واســعة ، والى جانب نشـــاطه الســياسى له نشـــاطه العــلمى فهـــو يدرس ويحـــاضر ويكتب ويؤلف وتتلمذ على يديه عدد غير قليل ممن اضحوا أساتذة ورؤساء اقسام فى المواد الفلسفية والاجتماعية بكليات الجامعات العربية المختلفة ، ومع د. ابراهيم بيومى مدكور كان هذا الحوار من قرية ابى النمرس بمركز الجيزة التى ولد فيها حتى مجمع اللغة العربية الذى صار رئيسا له ، أو « الدينامو » كما يطلقـــون عليه ، أو « شيخ الفلاسفة » كما يسمونه .

يقول د. ابراهيم بيومى مدكور عن رحلة البداية :

أنا نشأت كما نشأ الكثيرون فى أوائل هـذا القـرن ، فكان « كتاب القرية » كما يسمونه هو المعهد الأول الذى التحقت به ، وكان كتاب سيدنا يضم بين عشرة أو خمسة عشر طفلا ، وكانت الصلة بين تلميذ الكتاب وسيدنا ، أوثق مما بين تلميذ ومدرس فى فصل عدد تلاميذه أربعين أو خمسين ، وغالبا ما كان شيخ الكتاب من أبناء القرية وله صلات عائلية بالبيت يتردد عليه وربما كان قارىء القرآن فيه ، أو قارئا لشهر رمضـان ، كل ذلك ممـا كان يوثق العلاقات بين التلميذ وبين المعلم . ولم أقم فى الكتاب طويلا الا بضع سنوات تعلمت فيها شيئا من الكتابة والخط لم يكن موضع عناية فى كتاتيبنا القديمة ، ولكن تمكنت من حفظ القـرآن وأنا لا أجـاوز الثالثة عشرة من عمرى .

● ● ألا نستطيع أن نقول اننا فى عصرنا هـذا نفتقد دور الكتاب ؟

ـ لا نظن أننا نفتقد دور الكتاب ، لأنه أصبح لا يؤدى الرسالة التى ينبغى أن يؤديها ، لذلك أنا لا أؤيد من ينادون بعودة الكتاب لأن الانسان فى القرن العشرين فى سـنة ١٩٨٩ يجب أن ينشأ ابنه وأطفاله تنشئة تختلف كل الاختلاف عن أبنـاء العقد الأول أو الثانى من هذا القرن ، لأن هؤلاء كانوا يعيشون فى جو يكفى أنهم يستطيعون القراءة والكتابة ، ولكننا الآن نعيش فى العالم ، لا فى موقعنا ولا فى مكاننا ، واذن فيجب أن أعد الناشىء حتى الثامنة عشرة اعدادا يجعله صالحا للحياة فى القرن العشرين ، فى حضارته ، فى مخترعاته وتطوراته ، وابن العشرين لا يقنع بأن يقف على بيانات تتصل بقريته وحدها ، بل يريد أن يكون على صلة بالعالم العربى والعالم الأوربى ووسائل الاتصـال من اذاعة مسموعة أو مرئيـة

وصحافة ، الخ · كل ذلك جعل آفاق الانسان المعاصر غير الآفاق التى كان يعيش عليها بالأمس ، ربما كان لا يعرف أبناء القرية المجاورة ولكن الآن لابد أن يكون ابن القرن العشرين ، مع ضرورة أن يحفظ كل ناشيء جزءا من القرآن لتقويم اللسان وتذوق اللغة وبث الروح الدينية ، ولكن أن أحفظ الناشئين جميعا القرآن كله فما كان هذا فى عهد الصحابة ولا فى عهد التابعين ، فليس من متطلبات التعاليم الدينية أن تحفظ القرآن كاملا ، بل يكفى أن تحفظ منه قدرا ، هذا الى أن نطاق المعلومات الذى كان يرضى به ابن سنة ١٩١٠ فى الوقوف عند بعض قصص الأنبياء وما يتصل بذلك ، أصبحنا الآن لا نعد أنفسنا مواطنين الا اذا عرفنا تاريخ الحضارة المصرية والحضارة العربية والحضارة الغربية ، وكل هذا لا يمكن أن يتم الا اذا أتحنا أبواب هذه المعرفة لهؤلاء ، وقدرا من القرآن ·

● ● الى أى مرحلة انتقلت بعد ذلك بعد مرحلة الكتاب ؟

ـ شاءت الأقدار أن ينشأ فى القرية التى ولدت فيها ما نسميه المدارس الأولية ، وكان من حسن حظى حقيقة أنى نعمت بأستاذين وأنا فى سن الثالثة عشرة بدأت معهما استكمال بعض الدراسات الأساسية للناشيء من حساب وعلوم وجغرافيا وتاريخ وما الى ذلك ، مع درس فى المطالعة والقراءة ، وكل ذلك كان سهلا ويسيرا بعد أن مررت بمرحلة حفظ القرآن التى تعد الدرس الأول فى كسب اللغة وتفهمها ، فقد كنت أعيش حقا فى بيئة اسلامية صادقة تؤدى حقوق الله من صلاة وصيام وزكاة ، وعناية خاصة بليالى رمضان ، وكم كان لهذه الليالى من أثر فى نفسى ولا سيما بعد أن فقدت تماما فى ريفنا ومدننا ، ولكنها فى العقود الثلاثة الأولى من هذا القرن كانت هذه الليالى مزدهرة جقا ، وكنا لا نقف فيها عند بيت واحد بل ننتقل من بيت الى آخر مجاملة واظهارا لشعائر الاسلام ، وأذكر أننى بدأت

الصوم ولم ابلغ العاشرة ، وكنت حريصا على أن أستمر فى ذلك ، ولم يعارض والدى أو والدتى حين عرفوا قدرتى على هذا ، وكان من عادتنا الأسرية أيضا تناول الطعام سويا غداء ، وعشاء ، وهذا لون من التربية الأسرية الذى نفتقده الآن ، وكان الشيخ عبد العظيم زاهر لحسن حظى يسهر معى فى بيتى وبين أهلى لمدة أعوام ، وكان صديقا أحب أن أتابع أخباره ، وأسعد بالاستماع اليه ٠

أمر آخر أحب أن أوجه النظر اليه وكان له أثر فى نفسى ، وهو أن والدى كان مسئولا عن قريته « أبو النمرس » بالجيزة ، وكان يعقد فيها جلسات مكونة من شيوخ القرية لكى يفصلوا فيما قد يجد من خلاف أو منازعة بين بعض الاطراف ، وكانت محكمتهم عادلة دائما ، ولا أظن أن قريتنا طوال هذه المدة قد لجأت فى خصومة هامة الى القضاء أو الى الادارة ، وكان لذلك أثره فى نفسى ، فقد غرس فيها حب المصالحة مع الدفاع عن الحق دائما ، وأعتقد أن مواقفى السياسيه البرلمانية ، قد تأثرت بذلك كله ٠

كان طبيعيا اذن فى هذا الجو أن أحفظ القرآن فى سن مبكرة ، ولعل هذا هو الذى دفعنى لأن ألتحق بالمعاهد الدينية ولم أبلغ الخامسة عشرة ، فالتحقت بالمعاهد الدينية فى جامع ابراهيم أغا والسيدة فاطمة النبوية والمردانى ، وكلها فروع مما يسمى المعاهد الدينية فى أقسامها المختلفة ، ومررت فى هذه المرحلة بعدد من الشيوخ اذكر من بينهم المرحوم الشيخ مخلوف ، ثم قدر لى فى هذه الفترة أن أعنى بالأدب العربى وأن ألقى بعض محفوظات على شيوخنا لدرجة أنهم فى جامع « المردانى » يفسحون لى المجال لألقى ما حفظته على جمع الطلاب عامة ، وكانت الدراسة موزعة بين كراسى ذات فصول ، لكل شيخ كرسى ، وهذا الكرسى فى جانب ، وفى الجانب الآخر كرسى شيخ آخر ، وكان لشيوخ الأزهر هؤلاء أثر كبير في نفسى ،

ولا أزال وأنا شاب أذكر المرحوم الشيخ شلتوت ، والشيخ المرحـوم محمد عبد اللطيف دراز ، الذى كان معنيا بالأدب العربى وبالحفظ الشامل المأثور ، وقد ألقيت أمامه قصيدة أبي العلاء :

ألا فى سبيل المجد ما أنا فاعل .

وكان تعليقه لى :

أن لك حنجرة يتمناها الخطباء .

وعلى كل حال لم يطل مقامي في المعاهد الدينية أكثر من ثلاث سنوات خرجت منها بزاد اقرب الى التمكن من اللغه العربية قراءة وكتابة ، ورجوعا الى بعض المصادر وخاصة الكتب الأزهرية التى منها ما كان ملخصات ، وما كان متونا وشروحا ، ونظام المتن والشرح نظام أزهرى قديم معروف .

● ● اشـتركت في لجان كثيرة لتطوير الأزهـر .. فكيف كانت رؤيتك لهذا التطوير ؟

ـ كانت نظريتى ولا تزال .. يجب أن يكون التعليم العام فى البــلد على وتيرة واحـــدة حتى لا نخلق مواطنين مختلفين فى لغتهم وطريقة تفكيرهم ، انما نريد أن نعد المواطنين بأسلوب تربوى وتعليمى وثقافى ، ومن هنا كانت دعوتي الى أن يعمل الأزهر تخصصه كما يشاء ، لكن فى المراحـــل العامة الابتدائية والاعدادية والثانوية يجب أن يتلاقى مع المدارس الأميرية على بساط واحد وعلى طريقـــة واحـدة وأن يكون التعليـم الدينى أو قدر من التعليـم الدينى مشتركا بينهما بنفس القدر ، لأنه ليس لازما أن يكون كل أبناء الأمة علماء فى الأزهر ، بل قد يكون قدر منهم كذلك ، والقدر الآخر يعد ليتاجر ، أو ليصنع أو ليزرع .. الخ . لكن لابد لهم من زاد فيمـا يسمونه التعليم الأساسى ، أو مرحلة تكوين المواطن الصالح الذى

لابد أن نربيه على الأقل سبع أو ثمان سنوات ثم نتركه للحياة ، اما أن يستمر فى التعليم العالى واما أن يتوقف عند هذا الحد ، وهذه المرحلة الأولى كنت أحب أن توحد فى البلد جميعا لكى يخرج الناشىء المصرى سواء فى المعاهد الدينية أو فى المدارس الأميرية ، على ثقافة واحدة وعلى دعامة فكرية واحدة .

أما الدراسات التخصصية فى الأزهر فنرجو لها أن تستكمل كل عدتها بحيث تخرج محدثا في الحديث ، وفقيهـا متخصصا فى الفقه ، ولغويا متخصصا فى اللغة ، ولا مانع من أن تخرج طبيبا على مستوى الطبيب الذى يتخرج من كلية طب القاهرة أو كلية طب عين شمس ، وهنا أحب أن أقول أن الدرس التخصصى لابد له من لغة أجنبية على الأقل الى جانب اللغة العربية ، لأننى أريد للطبيب الأزهرى أن يعرف الانجليزية أو الفرنسية الى جانب اللغة العربية لأن العلم لا وطن له ، والمتخصص يجب أن يكون على صلة بالثقافات المختلفة .

بين الدراسة الأزهرية وباريس

●● بعد الدراسة الأزهرية .. اين كانت محطتك التالية فى رحلتك العلمية ؟

ـ قادتنى الدراسة الأزهرية الى أن أفكر فى معهد آخر فاتجهت الى ما كان يسمى حينذاك مدرسة « القضاء الشرعى » ، فقد دخلتها وأنا فى سن السادسة عشرة أو السابعة عشرة تقريبا ، وأعتقد أن هذه هى الحلقة الهامة فى حياتى الثقافية ، ذلك لأنى قضيت فيها خمس سنوات اتصل فيها بكبار الشيوخ وكبار الاساتذة : أحمد أمين ، وعبد الوهاب عزام ، وعبد الوهاب خلاف ، الى غيرهم من شيوخ أجلاء درست معهم الفقه الاسلامى ، والأدب والتاريخ الاسلامى ، وكم وددت

أن يقدر لهذا المعهد حياة طويلة لأنه كان مرحلة انتقالية بين الدرس الأزهرى الذى يقوم على المتن والنص ، الى دراسة موضوعية تعنى بالفكرة كيفما كانت وتعرضها عرضا كاملا ، لا شك أن هذا المعهد استطاع أن يعرض صورا من الأدب العربى ومن كتب الفقه والتفسير فى صورة تتلائم مع روح العصر وطريقته ، وقد قضيت فى مدرسة القضاء الشرعى خمس سنوات خلفت فى نفسى آثارا لا أزال أعيش عليها حتى اليوم ، ذلك لأنها فوق الدرس الممتع والبحث الدقيق العميق على أيدى أمثال عبد الحكيم بن محمد وعلى الخفيف ، وأحمد أمين ، كان لهؤلاء الى جانب درسهم ، قدوة لها أثرها ووزنها ، وأكتفى الى أن أشير الى بعض أمثلة منها ما أذكره للمرحوم عاطف بركات ناظر مدرسة القضاء الشرعى فى ذلك الوقت ، والذى تعود أن يمر على فصول الدرس مستمعا أو ملاحظا أحيانا ، ففى درس من دروس عبد الحكيم بن محمد أبدى ملاحظة لم يقره عبد الحكيم عليها ، ولم يتردد فى أن يرد عليه اعتراضه ، ومثل آخر لا أزال أذكره وهو درس المواريث على أيدى المرحوم على الخفيف ، وكان درسا رياضيا بقدر ما كان درسا فكريا ، وكان الخفيف ، جامعا بين هاتين الناحيتين .

أما أحمد أمين فقد كان أستاذ الفقه وكانت له حصة كاملة كل يوم خميس سميناها حصة « المربى » ، التى كان يقدم فيها أحلى ما صادفه فى حياتنا المعاصرة فى صور يقدمها لنا نفيد منها ، ونحذو حذوه فيها ، وكان يحدثنا فى هذه الحصة عن ملاحظاته الاجتماعية ، وتجاربه الشخصية ، وكم كانت مفيدة هادئة ومهذبة . وكان الأستاذ أحمد أمين صديقا وزميلا ، وهو الذى خاطبنى فى الانضمام الى المجمع وكان سنى صغيرا فقلت له : « لسه بدرى » . فقال لى : معلهش ما بدرى الا بكره !

وكنت أود أن استمر فى مدرسة القضاء الشرعى « الى النهاية

لولا أن الأقدار قضت « بأن تغلق ، نتيجة المنافسة بينها وبين المعاهد الدينية ، ومهما يكن من أمر فتلك مسألة تختلط بالسياسة التعليمية، ولكن نسينا أن مدرسة القضاء الشرعى أنشئت بايماء من الامام محمد عبده ، الذى أراد بها أن تكون معهدا اسلاميا يجارى العصر ويواجه متطلباته ، ولكن قضى الله ولا راد لقضائه أن تغلق مدرسة « القضاء الشرعى » بعد أن أتممت فيها ما يسمى « القسم الابتدائى ومدته خمس سنوات وحصلت فيها على الشهادة الأهلية » كما كانت تسمى فى ذلك التاريخ » ·

وقضى الغاء هذه المدرسة أن يحول الذين حصلوا على هذه الشهادة الى مدرسة « دار العلوم » التى كانت ثمرة أخرى من ثمرات « محمد عبده » ، وقد أنشئت فى آخريات القرن الماضى وعاشت ولا تزال قائمة حتى اليوم ، وقضيت فيها أربع سنوات . وما أن انتهت مهمتى فيها حتى اتجهت نحو التعليم ، وقدر لى أن أكون مدرسا للغة العربية فى مدرسة « النحاسين » الابتدائيه ، هنا · ولكننى كنت مرشحا لبعثة تقدمت لها ، وتمت كل الاجراءات وتأهبت للسفر ، ولكن أبت السياسة الا أن تتدخل فى هذا الموضوع ، ذلك لان والدى كان عضوا فى مجلس الشيوخ وعضوا فى الهيئة الوفدية ، وفى ذاك التاريخ كانت حكومة المرحوم محمد باشا محمود الذى اجله واقدره ، ولكن للسياسة لغتها ، وكأنما شاءت أن تضغط على عضو الشيوخ بأن تضيق على ابنه فى بعثته وترتب على ذلك أن ألغيت البعثة لان عضو الهيئة الوفدية لم يقبل أن يغير موقفه السياسى لأى سبب كان ، وسار فى طريقه ، وترتب على هذا أنى انتقلت من بعثة الى لندن » الى « كوم امبو » لأعمل مدرسا هناك ، ولكننى استقلت وقضيت وقتا طويلا وأنا أصمم على أن أتابع دراستى ، فتغير بى الطريق وذهبت الى فرنسا بوسائلى الخاصة ، وقضيت فى باريس نحو خمس سنوات ، وكانت معلوماتى بالفرنسية

محدودة جدا . ونزلت في فندق نصف عربى ونصف فرنسي قضيت فيه بضعة أيام ، ورأيت أن هذا لا يلائمنى فى شىء ، والنتيجة هى أن غيرت هذا الفندق الذى يطرقه عادة القادمون من العالم العربى . ومع هذا أبيت الا أن أحبس نفسي في فندق آخر لا اتكلم فيه الا باللغة الفرنسية ، وكان لى صديق هو « الغمراوى محمد الغمراوى » ـ رحمه الله ـ كان زميلا لى فى مدرسة القضاء الشرعي سابقا ، وكان اماما للسفارة المصرية في باريس ، وهو الرجل الوحيد الذى كنت أتحدث معه اللغة العربية آثناء تناول طعـــام الغداء . وكان نازلا فى نفس الفندق ، أما فيـــا عـــدا ذلك ، فكان صديقي وجليسي وزميلى ، الكتاب ، وقد وصلت فى فبراير عام ١٩٢٩ ، وقضيت فى ذلك تسعة أشهر ، وشاءت الأقدار أن أخرج من باريس الى ضواحيها ، ومن حسن حظى أنى نزلت على أسرة فرنسية لديهـــا بعض الحجـرات للضيوف ، فعشت معها معيشة أحد أفراد الأسرة ، ولم يكن فى الأسرة الا « بنت » صغيرة وأمها ، أما الزوج فقد توفى ، وكانت هذه السيدة تدير البيت .

ولهذه السيدة فى الحقيقة فضل كبير فى لغتى الفرنسية ، وفى علاقتى بالفرنسيين لأنها كانت من البلد ولهـــا علاقـات ، فزرت أقاربها واتصلت بالأوساط الفرنسية على اختلافها ، وهذا الأمـــر أحب أن أوجه النظر اليـــه بالنسبـــة للمبعوثين لأنهم بين أمرين : أما المعهد ، واما الفسحة والرياضة أو الجلوس فى بعض المقاهى والأندية ، وكثير منهم لا يعرف الحياة فى البلد الذى عاش فيه معرفة كثيرة ، وبفضل هذه الأسرة التى عشت فيها تمكنت من أن أعـرف فرنسا فى سهلها وجبلها ومياهها ، وطوفت فى أقاليمها المختلفـة شمالا وجنوبا ، وكان الهادى فى هذا التوجيه ويشجعنى عليه هى تلك السيدة التى عشت معها .

وكان الاتصال بأفراد هذه الأسرة وقضاء بعض الوقت معهم فى

طعامهم وشرابهم ، عاداتهم وتقاليدهم ، جعلنى حقيقة أقف بدقة على الحياة الفرنسيه وعلى عادات أهلهـا فى صـلتهم وقرابتهم المختلفة ، وأعتقد أن هذا نفسه هو الذى مكننى من أن أتابع الدرس ٠ وهنـا أحب أن أشير الى أن دراستى قامت على ما يسمى الليسانس ، وقد حصلت على جزء منه فى العام الأول وأكملته فى العام الثانى وبدأت أتابع دراستى المتخصصة ، فيما يتعلق بالاعداد للماجستير والدكتوراه' وهنا أيضا أحب أن أشير الى نقطة هامة وهى المكتبة الأهلية فى باريس ، فقد عشت فيها نحو عامين أو يزيد ، وعن طريقها اتصلت ببعض الباحثين الذين يقصدونها من العالم الخارجى ، من ألمانيـا وبلجيكا وايطاليا ولندن ، حيث لهم دراسات يحرصون على أن يطلعوا على مراجعها الكاملة من هذه المكتبة ، وهذا نفسه مع دراستى التى قمت بها ، دفعتنى الى أن أعالج شيئا من اللغـات القديمة ، وشيئا من اللغات الحديثة غير الفرنسية ، فاتجهت نحو الانجليزية ، ومكننى هذا ، أنه كان لى صديق وزميل كريم ـ رحمه الله ـ وهو الاستاذ محمد خلف الله أحمد ، الذى كان يدرس فى « لنـــدن » ، فزرته وقضيت معه بعض الوقت ، ووصلنى بالحياة الانجليزية ، ولعل هذا هو الذى مكننى من تكوين زاد لا أعده زادا كـاملا فى اللغـــة الانجليزية ، ولكنـه على كل حـال مكننى من أن أرجع الى المصـادر الانجليزية التى تتصل ببحثى ، وقد تابعت هذا ونميته على مر الزمن ٠ وما تم بالنسبة للانجليزية تم أمر آخر مثله يتصل بالألمانية مدة عملى فى رسالتى للدكتوراة ، فقد اتصلت بباحثة ألمانية قصدت المكتبة الأهلية ، لأن لها عملا فيها ، وعن طريقها اتجهت نحو اللغة الألمانية ، وقد قمت برحلة الى ألمانيا قضيت فيها بعض الوقت ، مما زودنى أيضا بزاد من اللغة الألمانية ٠

اما اللغات القديمة فكان ما أسهل معالجتها مع أهل البـلد

نفسه فى باريس ممن يجيدون اللاتينيـــــة ، وأغلبهم من رجال الدين ، كما تزودت بشيء من اللغة اليونانية .

وقد دامت رحلتى العلمية خمس ســـنوات ، قصــدت ألا أقطعها الا برحلات فى أوربا ، ولا أفكر فى العودة الى الوطن رغبة فى أن يتوفر لى الوقت الكافى لاستكمال معلوماتى عن الحياة الأوربية وأهلها وعاداتهم وتقاليدهم سواء فى الشـــمال أو فى الجنوب .

ويوم أن أكملت ذلك وأيقنت بأن الرســـالة قد تمت على وجهها ، حاولت أن أحصل على ما يسمونه دكتوراه الدولة التى تستلزم بحثين أعددتهما وتقدمت بهما .

وما ان عدت الى مصر واتصلت بكلية الآداب بجامعة القاهرة عام ١٩٣٥ ، حتى شعرت بأن الروح التى عشت فيها فى جامعات باريس ، تكاد تتفق مع ما كانت عليه كلية الآداب فى ذلك التاريخ ، ولم يكن ذلك غريبا لأنه كان على رأسها الدكتور طه حسين وهو نفسه قد عاش فى نفس الجو الذى عشت أنا فيه فى باريس ومن هنا لم أحس بغرابة ، ففى كلية الآداب دراسة للغات الانجليزية والفرنسية واللاتينية . كل هذا أردت أن أوجه به النظر ، الى أن هذه الافادة من الاقامة فى بلد أجنبى اذا ما استطعنا أن نرتب عليها نتائج عملية فى حياتنا ، كان فى ذلك نفع كبير .

● ألم تنبهر كشرقى بالحياة الأوربية عنــدما ذهبت الى باريس محملا بعادات وتقاليد مختلفة ؟ .

ـ لا أظن ذلك لأننى كنت وأنا فى القاهرة على صلة بالأوساط المختلفة التى كان فيها عدد غير قليل من الغربيين ومن هنا لم تكن الحياة الأوربية جديدة على لأنى عشت معها قبل أن أقصدها ، هذا

الى أننى لم أشأ أن أشغل بالأماكن التى تمثل شيئا من الشعبية أو الحياة العادية فى باريس . وانما قصدت أن أنفذ الى الصميم لا الى المظهر الخارجى . ولعل « مونبرناس » وهى لوكاندة أو مقهى ، كمكان يقصده عالم غير قليل من المبعوثين ، ويقضون أيامهم فيه ، لا أظن أنى زرته لأكثر من نصف ساعة أو ساعة ، على موعد مع شخص ألقاه هناك ، وكانت اقامتى اما مع الفرنسيين أتبادل معهم أحاديثهم ، أو مع الكتب الفرنسية وغير الفرنسية فى دور العلم المختلفة .

● ● علمت أنك أثرت فى الأسرة الفرنسية التى أقمت معها طوال اقامتك فى باريس .. فما مظاهر هذا التأثير ؟

ـ أذكر لهذه الأسرة أنهم لم يأكلوا بعض الأطعمة التى لا أتناولها ولا أقبل عليها خصوصا لحم الخنزير الذى حرموا دخوله البيت طالما أنا موجود به . فاذا ذهبت الى مكان آخر لزيارة أو رحلة ، فانهم يسمحون لأنفسهم حينئذ بتناوله ، وقد جاملونى فى شهر رمضان كل المجاملة الى درجة أنهم كانوا شبه صائمين ، لأنى صائم .

● ● ما هدفك من حصولك على أكثر من شهادة .. وكيف نظمت وقتك للظفر بهذه الشهادات العلمية ؟ .

ـ الهدف من هذه الشهادات هو التكوين الثقافى ، أما الثقافة الفلسفية فهذه كانت رسالتى ، أما الثقافة القانونية فهى جزء مكمل للحياة العامة ، وفى الواقع كان لدى وقت يسمح لى بهذا ، وكنت أحب أن أتابع بعض المحاضرين فى دراستهم وأبحاثهم ، وهنا أحب أن اوجه النظر الى ملاحظة هامة ، فمن أساتذتى فى « السربون » رجل كان أستاذا لمادة « علم النفس » ويدهشك أن

تعلم أنه ما كان يدرس المادة ، وانما كان يوزع أعمـــالا على طلابه لاعداد دراسات فيها ، ثم يناقش بعضهم البعض وهو يشرف على هذا الحوار ، وهذه طريقة أعجبت بها وتابعتها ، وحاولت أن أطبقها يوم أن كنت قائما بالتدريس فى كلية الآداب بجامعة القاهرة ، وهو أن أدفع الطلاب الى الرجوع للمصادر والافادة منها مباشرة ٠

● ● يطلقون عليك شيخ الفلاسفة ٠٠ فلماذا ؟ ٠

ـ هو تصرف منهم متروك لهم ، ولعله يرجع الى الســـن لا شيء أكثر من ذلك ، وقد عشت فى أسرة فلســفية مع المرحوم مصطفى عبد الرازق ، وزاملنى الدكتور أبو العلا عفيفى ، ثم جاء بعد ذلك الجيل الثانى ، عثمان أمين ، وأحمد فؤاد ، ومحمـــود الخضيرى ، الذين كانوا أشبه بالأصدقاء منهم بالتلاميـــذ ، ولكن انتقل كل هؤلاء تقريبا الى الدار الآخرة ، فلا غرابة بحكم الســن أن يحكم على بعض الأصدقاء أو بعض الأشخاص ، بأن يسموننى « شيخ الفلاسفة » ، ولا أحاول أن أستخدم هذه المشيخة على أى صورة كاملة ، وأنا يسعدنى دائما اذا ما جاءنى واحد من الشباب ولديه مشكلة وأحب أن أعاونه ٠

أمين الخولى يقود المظاهرة

● ● كيف بدأت حكايتك مع السياسة التى شـــغلت من حياتك جزءا ليس بالقليل ؟ ٠

ـ كانت البيئة التى نشأت فيها بيئة سياسية لا شـــك فى ذلك ٠

ذلك لأن والدى رحمـــه الله ، دخل أولا ما سمى « مجالس المديريات » ، وهى تمثيل شعبى شبيه كل الشبه بما نحاوله الآن

من المجالس الاقليمية أو المحلية فى محافظاتنا المختلفة ، وكان من نتائج هذا أن أسهمت مجالس المديريات ، ومنها مجلس مديريات الجيزة الذى كان فيه والدى ، فى بعث الحركة التعليمية الشعبية ، بانشاء مدارس أولية ، وهى التى صارت ابتدائية فيما بعد سواء للبنين أو البنات ، وقصدت أن أنوه الى هذا لأن تعليم البنت بدأ منذ ذلك التاريخ ، وكل ما كان هو أن خصصت مدرسة للبنت ومدرسة أخرى للفتى ، وسار كل فى طريقه ، وكان الرعيل الأول من مثقفى الفتيات انما نشأ عن هذه الطريقة ، التى أخذت سبيلها بعد ذلك الى المدارس الثانوية والعادية والجامعية ٠٠ الخ ٠

وشاءت الظروف أن تقوم ثورة ١٩١٩ ، ووالدى عضو فى الهيئة الوفدية ، وأنا على صلة بالأحداث السياسية فى نواحيها المختلفة ، وخاصة فيما كان يسمى « لجنة الطلبة » وكانت هذه اللجنة أول ما أنشئت حين كنت طالبا بمدرسة القضاء الشرعى وكان يرأسها ابراهيم عبد الهادى ؛ الذى زاملته فى هذه اللجنة ، وخرجنا ذات مرة نحن أبناء مدرسة القضاء الشرعى وعلى رأسنا أمين الخولى الذى كان مدرسا صاحب طلابه وتلاميذه فى هذه المظاهرة ، ولا أزال أذكر كلمته أو نداء من نداءاته التى يقول فيها :

اضربونا بالمدافع ما لأمر الله دافع ٠

اضربونا بالرصاص فالحياة بالقصاص ٠

والذى حدث فعلا أننا ضربنا بالرصاص ، ولم يصبنى من هذا الرصاص شىء ، الا أننى اعتقلت وقضيت فى سجن « الخليفة » بضعة ليال كخدمة أو تهديد فى نظر من شاءوا اليه ٠ ولكن السجن فى نظرنا كان تعطيلا لنشاطنا ، ومع ذلك لم تطل مدته بالنسبة لى لأن حكمدار العاصمة الانجليزى استعرض تاريخى فلم ير فيه موقفا كان القصد منه الهدم ، ولكن كان القصد منه البناء ،

وهو نفسه الذى اقترح الافراج عنى دون رجاء ، وقد كان بامكان والدى أن يتدخل فى هـــذا ، ولكنه فى ذاك الوقت لم يـكن من السياسيين المرغوب فيهم ، لأنه كان من سياسيى المعارضة ٠

مواقف فى مجلس الشيوخ

● ● دخلت الحياة النيابية فى سن مبكرة وكان لك نشاط بارز فيها ٠٠ فكيف حدث هذا ؟ ٠

– أحب أن أقف قليلا عند حياتنا النيابية لأنى كنت حقيقة مؤمنا بها ، وشاء القدر أن أدخلها وأنا شاب ، أى على الأقل لم أكمل سن الأربعين ، وقد حدث أن نزلت على رغبة الأسرة فى الانتخابات ، وأحب أن أنوه بأمر له شأن ، وهو اعتقادى أن المعركة الانتخابية ان استخدمت استخداما اصلاحيا وتربويا وتعليميا يمكن أن تؤدى رسالة لها شأنها فى النهضة الفكرية والثقافية والاجتماعية بوجه عام ٠

وأحمد الله أنى أخذت نفسى بهذا ، فكانت دعايتى الانتخابية سماعا للشكاوى ومحاولة معالجتها ، وأذكر أننى كنت أتردد كل يوم على مصنع السكر فى الحوامدية ، لأن عددا ليس بالقليل من العمال موزعين على المنطقة الداخلة فى الدائرة الانتخابية ، وكان لى معهم حديث كل مساء فى حدود الساعة الرابعة بعـد الظهر ، ساعة خروجهم من عملهم ، فأجلس معهم نحو الساعة أو ما يزيد ، يستمعون الى وأستمع اليهم ، وفى كثير من لقاءاتى ما كنت أحب أن تكون الدعاية الانتخابية مجرد لقاء شخصى بل قصدت بها أن تكون لقاء مع جماعات تتحدث فى همومنا المحلية والقومية ، وعيوبنا بوجه عام ، وكيف السبيل الى مطالبنا ٠

كل ذلك فى رأيى اذا ما أطلعت به الدعاية الانتخابية اطلاعا سليما لا شك أنها ستكون أداة من أدوات التنوير والنهوض والاصلاح ٠

ودخلت مجلس الشيوخ وأنا لم أبلغ السن القانونية ، والذى حدث أنه قدم طعن فى ، وحين ذهبت الى لجنة البت فى الطعون بمجلس الشيوخ ، وقدمت لهم استقالتى ، قلت لهم : أنا نزلت عند رغبة الأسرة ، ولكنى الآن حر وأملك أن أعفيكم فى أن تنظروا فى هذا الطعن لأنى حقيقة لم أبلغ السن القانونية بعد ٠

فكان جواب لجنة الطعن ما يأتى :

دخلت بجهدك الانتخابى وأصبحت بيننا وأمرك موكول الينا ونحن الذين نقول لك تخرج أو لا تخرج ٠٠ هذه كلمتنا ٠

وترتب على ذلك أنهم حفظوا الموضوع أربع سنوات كاملة ولم ينظروا فيه الا بعد أن بلغت السن القانونية ، ومع هذا استطعت أن أؤدى رسالتى البرلمانية منذ أن دخلت المجلس ٠

وحقيقة كان من حظى أنى سعدت بزمالات تعلمت منها الكثير وأفدت الكثير ٠

أذكر على سبيل المثال من زملائى فى مجلس الشيوخ ، زكى محمد زكى ، وعبد القوى أحمد ، فضلا عن لطفى السيد الذى كان يوما ما عضوا ، وكذلك حسين رشدى ٠

والأمر الذى أحب أن أنوه به وأن أقف عنده قليلا ، وهو أن الأداة البرلمانية الحقة هى فى رأيى ذلك الدرس والبحث الذى يتم فى لجان المجلس ، وكان من حظى برلمانيا أنى اشتركت فى بضع لجان أعتقد أنى تعلمت فيها كثيرا ، وواجهت المشاكل المصرية مواجهة

عملية ، فكنت عضوا فيما يسمى « لجنة الأوقاف والمعاهد الدينية » ، ومنذ أن كنت فيها كنت أرى أن « الوقف » يجب أن يقف عند « الميراث » ، أما الأوقاف الأهلية ، فلا محل لها ، ومن حسن الحظ أن جاء وزير عدل ومشرع هو المرحوم صبرى أبو علم ، وآمن بأن الأوقاف الأهلية كانت مهمة أصبحنا فى غنى عنها لأن الابن الذى لا يحسن التصرف فى شئونه لن تنفعه أى حماية ، وباختصار نجحنا بأن انتهينا من هذه الأوقاف الأهلية ، وكان ذلك من المواقف التى وقفتها فى اللجنة الخاصة وفى مجلس الشيوخ ، وكان ذلك مقدمة لما سمى « الاصلاح الزراعى » أو « تحديد الملكية » ٠

وفى حديثى عن الأوقاف لا يفوتنى أن أشير الى أن « لجنة الأوقاف والمعاهد الدينية » كانت تنظر فى بعض التشريعات المتعلقة بالمعاهد ، فكان من بين هذه التشريعات اعطاء المعلم أو المدرس رخصة أن ابنه يعفى من بعض قيود القبول فى معهد من المعاهد أو فى مدرسة من المدارس ، وأذكر أن المرحوم « على ماهر » كان رئيس هذه اللجنة التى كنت فيها ، فأبديت ملاحظتى قائلا : أنه الأولى بالشيوخ أن يضربوا المثل لغيرهم الا يكونوا هم موضع الاستثناء ٠ ولم يتردد على ماهر ـ يرحمه الله ـ فى أن يأخذ بهذا الرأى ، ووقفت عنده اللجنة جميعا ٠

وكانت « لجنة الأوقاف » هذه تنظر فى بعض الأوقاف الخيرية ، وكان للسراى مطامع فى هذه الأوقاف ومن بينها وقف « المطاعنة » ، الذى كان فاروق يريد أن يضع يده عليه ، ومن هنا عارضنا وعارضنا ، ولكن الأمر مر بمجلس النواب فى ذاك التاريخ ووافق عليه ، وجاء فى مجلس الشيوخ ورفضناه ، ولكن السياسة تدخلت فى الأمر وأبعدته عنا وتم التصرف فيه من الخارج ٠ ولكن الذى لا نزاع فيه أن هذه المواقف لم ترق لدى السراى ، ذلك لأنها كانت

لها مطالب أخرى ، ولم نجاريها فيها لأنهـا لم تكن عادلة ، فعلى سبيل المثال ، أهديت جملة طائرات من الحرب العـالمية الثانية للملك ، فأنشأ بها شركة طيران ملكية خاصة ، وتقدم الملك للبرلمان يطلب الحصول على اعانة لهذه الشركة تقدر بثلثمائة ألف جنيه ، ومر الاقتراح في مجلس النواب ، ثم جاء مجلس الشيوخ ، وكان ممثل الطلب في اللجنة المالية أحد كبار رجال السراى ، ومع ذلك نجحت اللجنة ونجحنا في رفضه ، لأننا رأينا أن شركة مصر للطيران هي أولى من أى شركة جديدة لا كيان لها .

كل تلك أمثـلة لمواقفنـا التي جعلت من السراى طرفا آخر يراقب كل ما يقال وما يكتب .

وحدثني يوما الأمين العام لمجلس الشيوخ فصارحني بأن لديه تعليمات أن يسجل كل ما أقوله لكي ينقله الى السراى . ومع هذا لم يتغير من الأمر شيء ، الا أني كمـا قال لي علي ماهر وحسـين رشدي ، أنني رشحت للوزارة حينذاك ، وكان الاعتراض الأول من جانب السراى .

● ● لعلك تذكر أن أخطر استجواب تبنيته كان ذلك المتعلق بالأسلحة الفاسدة ؟ .

ذلك لأن العملية لم تكن عملية لله خالصة ، ولكنهـا كانت عملية انتفـاع كما هو الشأن في هـذه الأمور التي تتم وراء الكواليس .

فقد استوقفت صفقة الأسلحة الفاسدة ، « ديوان المحاسبة » ، وكان المسئول عن هذا الديوان في ذلك التاريخ ، صديق عزيز هو ابن محمد باشا محمود ، الأستاذ محمود محمد محمود ، هذا الصديق حدثني في أمر هذه المخالفة ، وشاء هو أن يكتب فيها ، فقلت

له : خير لك أن تقدم الأوراق الينا لأن ديوان المحاسبة انما أنشيء ليعاون الحياة البرلمانية في رقابتها .

وجلست وزميل لي هو المرحوم مصطفى مرعى ، مع المسئول عن « ديوان المحاسبة » ، وجمعنا كل البيانات ، وترتب على ذلك أننا تقدمنا بالاستجواب ، وسألني مصطفى مرعى : نبقى اثنين في الاستجواب ؟ فقلت له : لا .. ليكن واحدا وليكن أنت .

ولكن حين عرض الاستجواب ، اضطر هو للرحيل الى أوربا ، فكان لابد أن أتبنى أنا هذا الاستجواب وقلت فيه ما قلت .

●● لماذا استقلت من الوفد وهل كان لذلك علاقة بمصادرة كتابك عن الأداة الحكومية ؟ .

ـ المصادرة كانت من السراى ، أما الخلاف مع الوفد فقد كان خلافا على المنهج ، فقد بدأ الوفد كحركة وطنية أدت رسالتها ، أما « الوفد » كحزب لاصلاح اجتماعي أو سياسي ، فقد كنت أنادى وينادى معى بعض أعضاء « الوفد » أنه آن الأوان أن يكون لحزب كبير كهذا برنامج خاص ، ولم يكن الاستعداد متوفرا في ذاك التاريخ في القيادة الحزبية .

أما بحثى الذى كنت أنتقد فيه الأداة الحكومية ، فقد عرضته على « صبرى أبو علم » وقرأه وكان تعليقه : « كم كنت أتمنى أن يكون لى بحث كهذا » ، ولم يكن ذلك محل خلاف مع « الوفد » ، ولكن السراى هى التى أمرت بتفتيش البيت ، وما الى ذلك ومصادرة الكتاب ، الذي قالت الاشارة التليفونية عنه انه كتاب في حجم دفتر التليفون ينتقد الحكومة في تصرفاتها .

●● هل تذكر مقالك سنة ١٩٢٩ بعنوان « من لندن الى كوم امبو .. هكذا تكون تصرفات الحكومة » .. فما هى ظروفه ؟.

ـ ظروفه فى منتهى البساطة ترجع الى علاقتى المغضوب عليها من السراى ، بسبب أننى ابن عضو مجلس الشيوخ الذى رفض أن يساير اتجاهات السراى ، وترتب على ذلك الغاء البعثة كما حدثتك من قبل ، فكتبت هذا المقال الموضوعى الذى أنتقد فيه تصرفات الحكومة .

الاعتذار عن رئاسة الأهرام

● قمت بتاليف جمعية باسم « نهضة مصر » .. كان من اهدافها معالجة المشكلة السكانية . فما هى حكاية هذه الجمعية ؟ .

ـ ليست المشكلة السكانية فقط ، بل كنت أعالج الحياة السياسية عامة ، وهو ما اختلفت مع « الوفد » عليها ، وهو ما حاولت أن أحققه عن طريق « جماعة النهضة المصرية » ، ولسوء الحظ أننا كنا مبطئين فى قراراتنا ، وترتب على ذلك أن اخواننا الضباط سبقونا الى الميدان وقضوا على محاولتنا ! .

وكان من هدفنا أن نعمل هيئة سياسية لها كيان ولها برنامج لا يخضع لارادة « محمد » و « على » ، لمجرد أنها ارادة فلان ، وانما هيئة تخضع للصالح العام ، ومعنى هذا أننا كنا لا نقر بكل ما تقوله « السراى » .

وكان من أهداف جمعيتنا تحديد الملكية ، الأمر الذى جاء به العهد الحاضر ، ولكن أنا كنت قد تقدمت الى مجلس الشيوخ بمشروع قانون لتحديد الملكية على أن يبدأ بمائتى فدان من الآن ولا يزيد عليه ، لكن على ألا ينقص شيء من الملكية القائمة ، ندعها وستنتهى الى هذه النتيجة ، على أن تكون الملكيات الجديدة حدها مائة فدان فقط .

●● هل كان ما يثار اليوم عن تحديد أو تنظيم النسل يثار بالأمس من أن هذه مسألة مع الدين أو ضده ؟ •

ـ كانت الآفاق بالأمس أوسع من اليوم ، ويكفي أنني من الجيل القديم ، وذريتي ثلاثة ، ولد وبنتين ، وأبنائي الثلاثة وقفوا عند تحديد النسل ، وهذا التحديد لا يتعارض مع الدين مطلقا ، هذا غلو غير مطلوب •

●● دعيت لرئاسة تحرير جريدة الأهرام ولكنك اعتذرت•• فلماذا ؟ ••

ـ أنا اعتذرت لأنني لم أشأ أن أسيء للأهرام ، والأهرام ملكية خاصة ، فعندما مات « انطون » ، رغبت السيدة صاحبة الجريدة أن أقوم بهذا العمل ، فوافقت مبدئيا ، ثم سمعت أن السراى معترضة على هذا لأنها تخشى أن أستخدم هذه الصحيفة الكبيرة ضدها ، ومن هنا اتصل بى ابراهيم عبد الهادى وكان وقتها فيما يسمونه سكرتير عام فى القصر الملكى ، وصارحنى بهذه الحقيقة ، وقال لى : ربما تسيء السراى الى الأهرام بسبب هذا التعيين ، فأنا صارحت الأهرام بهذا وقلت لهم : من الخير لكم أن أعفيكم من قلمى ومن وجودى •

قلت لمحمد نجيب

●● لماذا لم تستمر فى العمل بالسياسة بعد الثورة ؟ •

هذه مسألة ستدخلنا فى السياسة أكثر من اللازم ولكن ساقول بأختصار أن الدعوة الجديدة أو الثورة كانت لها أهداف ورسالة نشأت لتؤديها على النحو الذى تراه • وهنا أحب أن أشير أننى كنت وزيرا فى وزارة على ماهر مع اثنين من الأصدقاء هما

محمود محمد ، « ومريت غالى » ، وكنا نحن الثلاثة متفاهمين على أن نسير مع هذه الوزارة ان سارت ، آملين أن نعمل شيئا نعالج به شكوانا والملاحظات التى وردت فى كتاب « الأداة الحكومية » المشار إليه من قبل ، رغبة فى الإصلاح ، وكنا نأمل أن يمتد بنا الزمن مع على ماهر ، ولكن فى الوقت نفسه كنا نتوقع أنه لن يعمر طويلا ، ولكننا كنا مصممين اما أن تكون الوزارة مدنية وسنبقى ، والا فلا داعى لأن نعكر الجو اذا اشتركنا فى وزارة عسكرية ربما كانت لها أهداف وتجارب أخرى ، وفى الوقت الذى كان على ماهر يحدثنا عن استقالته ، قال لى : قد يفكرون فيكم ، فقلت له فليفكروا ما شاءوا ٠

وانصرفنا ٠ وحدث فعلا أنهم اتصلوا بى على أمل أن أدخل وزارة محمد نجيب بعد استقالة وزارة على ماهر ، وفاتحنى محمد نجيب ٠ فقلت له :

كان يسعدنى أن أشترك ولكن قد تكون لنا اتجاهات أو آراء تختلف مع ما تريدون ، ولا نحب أن نعطل عملكم ٠٠ فسيروا فى طريقكم ، وبعد هذا اذا أتيحت لنا الفرصة فى مناسبة اخرى لن نتردد ولكن ثقوا كلما دعوتم الى اصلاح سنكون عونا لكم فى هذا الاصلاح ٠

والحقيقة أن العقلية والسليقة ، كانت تختلف عما درجنا عليه ، فلم نشأ أن نعقد الأمور عليهم ، ومن هنا اعتذرنا واعتذر الزميلان الآخران ، ولكن اشترك بعض الزملاء الآخرين ولكننا نحن لم نشترك ٠

● ● ومنذ ذلك الحين وأنت تعتزل الحياة السياسية ؟

ــ لم أعتزلها بل كنت على صلة بها ، فقد طلب الى مثلا أن

أشترك فى مجلس اسمه « مجلس الانتاج » والذى كنت فيه مع المرحوم « حسين فهمى » والذى اعتكف زمنا ، فتوليت أنا الأمر ، ولهذا المجلس يرجع الفضل فى كثير من المشروعات التى قامت بها الثورة ، مثل مشروع مديرية التحرير ، ومشروع خزان أسوان الذى كان له معارضون كثيرون ، ولكن هدف تكوين ثروة مائية تعاوننا فى التوسع لاستصلاح الأراضى البور ، شجع والحمد لله أن يؤدى خزان أسوان رسالته التى ما كان يمكن أن تؤدى عن طريق آخر ، لا سيما فى الساعات التى قضيتها فى الوزارة التى تسمى « وزارة الانشاء والتعمير » حيث كنت بصدد التفكير فى خزان آخر أبعد من خزان أسوان لجمع كمية من المياه التى تذهب فى الصحراء أو تذهب الى البحر • اذن فقد كنت من أعوان التخزين قبلها ، وقد سبق أن عرض على وأنا عضو فى مجلس الشيوخ فى اللجنة المالية ، أن نقوم برفع الخزانات الأخرى الموجودة فى السودان وزيادتها • فقد كنت مؤمنا بأن الماء هو مصدر الحياة ووسيلة الاستزراع والاستنبات للأراضى فى صحراء مصر الفسيحة •

مع الحرب العظمى وضد حرب فلسطين

● ● وقفت الى جانب اشتراك مصر فى الحرب العالمية الأولى بينما وقفت ضد اشتراك مصر فى حرب فلسطين •• فبماذا تفسر لنا الموقفين ؟ •

ـ رأيت اشتراك مصر فى الحرب العالمية لأنه سيأتى الدور على مصر للصراع بين طرفين دوليين ، مما لابد أن ينتج عنه معركة فى بلدنا ، ومن الخير أن ندافع عن بلدنا ولا يدافع غيرنا عنها • أما فيما يتعلق بمعركة فلسطين فحقيقة الأمر هى أننى لم أكن موافقا على دخول مصر فيها لأننا لم نعد أنفسنا الاعداد الكافى

للدخول في هذه المعركة ، لهذا ما كنت أحب أن ندخل معركة فيها هزيمة ، أو فيها صلح أشبه ما يكون بالهزيمة ، ومن هنا كان موقفي لأسباب خاصة بنا في موقعنا هنا في العالم العربي ، ولكن لاعتبارات ملكية كانت السراي هي صاحبة هذا الهوى ، وكان يمكن أن ندافع عن فلسطين دون أن ندخل الحرب ، على وجه أكمل مما حدث ، بأن نؤجل هذا الدخول ، ونعد أنفسنا لنحارب حربا حقيقية ، ولكن المسألة كانت مسألة زعامة لا مسألة معركة يعد لها ويحسب لها حساب ، وتكرر هذا عدة مرات ، ولكن من حسن الحظ أننا صححنا خطأنا وعدنا الى الصواب وأعددنا لحرب أكتوبر في وقت كان يظن اننا لا نعد لشيء ، وآمنا بأن من واجبنا أن نتابع السير كي نحقق لفلسطين حقوقها التاريخية ، وهذا ما يسير الآن بلا نزاع . لكن حركتنا الأولى التى أحدثناها كانت وثبة دون تأهب .

المرأة ليست في المجمع فلماذا ؟

● ● كانت أول كلمة لك في مجلس الشيوخ تدور حول حق المرأة في الحرية وضرورة فتح الطريق امامها للاسهام في الحياة العامة .. ألم يكن غريبا أن تقول مثل هذا الكلام في مجلس الشيوخ ؟ .

ـ بالعكس .. فمن حسن الحظ أنني قلت هذا في مجلس الشيوخ لأنهم جميعا آباء ويحسون بالفارق بين بناتهم بالأمس وبناتهم اليوم ، وفي البيت الواحد تكون البنت الكبرى غير متعلمة ، ولكن البنت التى جاءت بعدها استكملت تعليمها ، وهنا نجد الفرق ، وكم يأسف الأب لأنه فاتته الفرصة في أن يعد ابنته الكبرى كما أعد الصغرى ، فكان طبيعيا أن يكون هذا الحديث الى هؤلاء الشيوخ الذين مروا بهذه الأدوار وأدركوا الفروق بين النواحي

المختلفة ، هذا الى أن المسألة يراد بها أن نأخذ موافقة هؤلاء كي لا يتردد من دونهم سنا ٠

وعندما اتصلت بكلية الآداب كان عدد البنات أربع أو خمس ، انتهيت بها في وقت من الأوقات الى أن صار عندى في وقت من الأوقات فصل من الفصول ، نصفه من الفتيات والنصف الآخر من الصبيان ، وكان من أحسن الاتصالات أننا خرجنا فى رحلات فى منتهى الأدب والصداقة والاطمئنان ، يحافظ فيها الزميل على زميلته بقدر ما يحافظ على شقيقته ٠

واذا كانت بنت الشارع تخطىء فهذا لأنها لم تمض فى مثل هذا الاختلاط الصحى ، واذا كانت هناك بعض حوادث فردية فى التعليم الثانوى أو حتى فى التعليم الجامعى فلا يصح أن نأخذ من الحالة الفردية مقياسا نطبقه على المجموع ٠

●● ما تعليقك على ما يجرى فى بعض الجامعات من الفصل بين الطلبة والطالبات فى المدرجات على أساس أن هذا من الاسلام ؟

ـ هذا غير صحيح ، فالرسول كان يلقى درسه للسيدات كما كان يلقيه الى السادة ، وكان للمرأة نصيبها ، وكما نعلم فان الرسول قال عن عائشة : خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء ٠

فاذا أنشأنا الفتى والفتاة تنشئة سليمة ، كانوا أعون على أنفسهم وعلى حفظ حقوقهم من محاولة أى فرد آخر أن يحمى هذه الحقوق وأعتقد أن تجربتنا فى تربية المرأة الآن وفتح الباب أمامها ، برهنت على أن النظرية التى قالت بفتح الباب أمام الفتاة ، كانت نظرية صحيحة ، ولكن ليس معنى هذا أن أضيع عليها حق الأمومة وحق أبنائها بل بالعكس ، فالفتاة المتعلمة تعليما كاملا تستطيع أن تؤدى رسالتها العلمية كما تؤدى رسالة الأم مع أبنائها ، وهى أعون

على أن تؤدى رسالة الأمومة على وجه أكمل من الوجه الآخر ، المهم أن تعد الفتاة اعدادا يمكنها من أداء رسالتها .

●● رغم أن طه حسين ولطفى السيد كانا من انصار دخول المرأة مجمع اللغة العربية الا انها لم تدخل الى مجمع الخالدين حتى الآن .. فلماذا ؟ .

ـ أنا شخصيا أأسف كل الأسف أننا لم نحظ بالوصول الى هذه الغاية ، ولكن مبدئى فيها ليس أقل من مبدأ لطفى السيد وطه حسين . كل ما هنالك وهو أخشى ما أخشاه أن بين المجمعيين الآن من هم فى سن أقرب الى الشباب حيث بينهم من لم يبلغ الستين ، هم أقل تقبلا للاختلاط ممن هم فى سن السبعين ، أو الخالدين ، وعلى كل حال أتمنى أن يأتى يوم قبل أن أفارق المجمع اللغوى بالقاهرة ، ويكون لى فيه زميلات من السيدات المصريات الأديبات الصحفيات اللغويات ، وبين العلماء الآن سيدات مصريات فى مستوى رفيع جدا ، ويسعدنى أن أقول لك أن بعضهن اشترك فى جلسات المجمع كخبيرات فى النواحى العلمية وكن مثالا ممتازا لغة وعلما ، وأعتقد أنه الأوان لكى يكون لها نصيب فى المجمع . وعندنا سيدات أمثال بنت الشاطىء ، وسهير القلماوى ، وهما سيدتان عظيمتان ، رشحتا معا لعضوية المجمع ، واعتقادى أنه لو رشحنا واحدة فقط فسيكون حظها أفضل .

تعريب العلوم

●● ما هى قصة دخولك المجمع ؟ .

ـ كان ذلك فى عام ١٩٤٦ ، ويمكن الذى وجهنى الى هذا هو المرحوم أحمد أمين الذى حدثنى فيه ، فكان ردى عليه هو : ألا ترى أنى أصغركم سنا ؟ .. خليها لبكرة . فقال لى : بكره والنهارده زى بعض .

ـ وباختصار تم دخولى المجمع ، وكنت فى الدفعة الثالثة من الدفعات التى تغذى بها مجمع اللغة العربية ، ومنها عبد الرازق السنهورى ، وأحمد زكى ، وأعترف أنه فى الفترة ما بين سنة ١٩٤٦ و ١٩٥٢ ، كان عملى فى مجلس الشيوخ يشغلنى ، ولم أتوافر على أعمال المجمع الا بعد عام ١٩٥٢ ، ولا شك أن تجربتى فى المجمع ربطتنى بزملاء كرام منهم على سبيل المثال لطفى السيد ، وعبد الحميد بدوى ، وطه حسين ، وأحمد أمين ، مما كان له شأن فى حياتنا الجامعية والاجتماعية ، فكنا نخرج من هذا الى مشاكلنا المختلفة على الأقل فى أنديتنا وفى أحاديثنا ، وصحبة الكرام فيها ما فيها من كسب ومتعة ٠

● ● ما الذى يساعد على عالمية اللغة العربية ؟

ـ أن يكتب العلم كله باللغة العربية ، وأن ينقل ما نكتبه الى لغات أخرى ، فأنا من أنصار تعريب العلم الى اللغة العربية لكى يكون لنا انتاجنا العربى الى جانب انتاج غيرنا فرنسيا كان أو انجليزيا وأمريكيا ٠ وقد أخرجنا جزءين من المعجم الطبى العربى ، وقد كان الطب يدرس عربيا فى العالم العربى فى القرن الحادى والثانى والثالث عشر من القرن الميلادى ، وقد كان الطب الاسلامى هو الذى فتح الباب أمام النهضة الأوربية فى القرن الرابع والخامس عشر ، وكتبنا مثل كتاب « القانون » لابن سينا كان يدرس فى أوربا حتى سنة ١٦٠٠ ، وهو لا يزال حتى الآن فى مكتباتها وفى مراجعها المختلفة ٠ اذن فقد كان العلم العربى هو الذى فتح الباب أمام الغربيين فى أن يكشفوا عن أمور لم يقل بها اليونان ولا الرومان ٠

واذا كان هذا قد حدث فى ابان ازدهار الحضارة العربية ، فلماذا لا يكون هناك ازدهار للحضارة العربية اليوم ، ولم لا يكون

لنا انتاج فى الطب ، وانتاج فى الكيمياء ، والطبيعة ، وانتاج فى كل مظاهر التكنولوجيا الحديثة .. لم لا يكون ؟ . المسألة أننا بدأنا متأخرين ، ولكننى أذكر كوريا الجنوبية واليابان كمثل من أروع الأمثلة ، فهى تنافس أمريكا الآن وتنافس روسيا وبعض بلاد أوربا .

ولكننا مستهلكين لأننا نعنى بالقشور ولا نحاول أن نتعمق ، واذا ما تعمقنا وصلنا الى القمة التى وصل اليهـــا غيرنا ، وهناك بوادر جديدة ظهرت الآن فى البحث العلمى ، ولكن لا شك كان ذلك فى الثلاثينات والأربعينات أمكن وأوثق مما انتهى اليه فى الخمسينات والستينات وشيئا من السبعينيات ، ولكن الآن بدأنا فى الاستيقاظ ونقول :

لم لا يكون لنا بحث ؟ لم لا يكون لنا انتاج ؟ لم لا تكون لنا نظرية ؟ .

وسبيل ذلك تخصص عميق ، واعداد كامل ومتابعة لما يجرى شرقا وغربا .

لذلك آن الأوان أن يكون تعليمنا الجامعى ليس مجرد تقديم أو جمع معلومات ، وانما يجب أن يكون فيه بحث وتخصص عميق ، وهذا يأتى بضرورة اعداد الطالب اعدادا جيدا للبحث واعداد العدة اللازمة للبحث ، وعندنا مجمع بحوث ، ومركز بحـوث ، الى آخر هذه الأماكن التى وصلت الى نتـائج محليـة متعمقة فى الزراعة والصناعة المصرية ، فيها الجديد ، الذى يمكن أن يجعل لنـا انتاجا شبيها بالانتاج الذى يحدث فى أوربا والبلاد الغربية المختلفـة ، اذا أعددنا الباحث ووفرنا له سبل البحث ونقفه على ذلك ، ونبعده عن التسابق على الوظائف الرئيسية والسياسية أو نحو ذلك ، لأن

العلم لا يعيش فى هذا الجو ، وانما يعيش فى جو الهدوء وفى جو التعمق والتخصص والرهبنة ٠

حققت رغبة أمى

● ● لك كلمة تقول فيهــا أن « الحب هو انســجام » ٠٠ هل حدث ذلك عندما تزوجت من قريبتك ابنة عبد الخالق مدكور باشا ؟ ٠

ــ الحمد لله انسجمنا منذ أن التقينا ولا نزال منسجمين حتى الآن ، والمسألة ربما ترجع فى النهاية الى تلاقى الأوساط بعضــها ببعض ، وليس هذا من الموضوعات التى أحب أن يكتب فيها ٠

● ● هل تحب اذن أن نتكلم عن دور الأم فى حياة الدكتور ابراهيم بيومى مدكور ؟ ٠

ــ الواقع أن أمهات الأمس تختلف كل الاختلاف عن أمهــات اليوم ، حتى لو كن أميات ، ذلك لأن الارتباط الأسرى كان أقوى مما هو عليه الآن ، فقد كان الطفل أو الشاب يظل بين أحضــان أمه الى أن يقوم بتكوين أسرة ، وقد تكون أسرته معها فى نفس البيت ، ومن هنا كانت صلة الأمومة أقوى عطفا وحنانا وتعلقا ، ويكفى أن أشير الى أنه قدر لى أن أسافر فى بعثة الى أوربا ، كانت والدتى هنا فى مصر وشغلها الشاغل أن تطمئن على سير العمل ، وقدر لى أيضا أن أقضى مدة البعثة كاملة دون أن أعود خلالها ، مما زاد أمى تعلقا بى ، وهنا لابد أن أشير الى أن حنانها هذا كان له أثره فيمــا يتعلق بأبنائى ، ولا أظننى وصــلت فى هذا الحنان الى الدرجة التى شعرت بها ، منها ، مع أنها فارقت الحياة وكنت رجلا ٠ وبطبيعة الحال كان يعنى الأم أن تتم رسالتها بأن تطمئن على

أن الابن كون أسرة ، وما أن عدت من سفرى حتى كان شغل أمى الشاغل أن تتم هذه الرسالة ، وقد تمت بحمد الله ·

وكان من سعادتى أن حققت رغبة كانت فى نفسها ·

● ● الكراهية فى حياتك مساحتها قليلة ·· فما الذى اضطرك اليها ؟ ·

ـ أحمد الله أننى لم أبتل بها فى شىء مع أنى ولدت فى أسرة كان والدى فيها متزوج باثنتين ، ومع هذا كان الاخوة أبناء أبيهم جميعا يلتقون ولم يكن لاختلاف الأم أثر فى نفوسنا ·

● ● هل بقى من احلامك شىء لم يتحقق ؟ ·

ـ أحمد الله الذى ما رجوته فى شىء الا تحقق ، ولكننى لا أزعم أننى كنت كثير المطامع أو كثير الأحلام ·

● ● ما هو العنوان الذى يضعه د · ابراهيم مدكور بيومى مدكور عنوانا على ملف حياته ؟ ·

ـ الايمان بالحق والواجب العام ·

أعتقد أننى كنت أحترم دائما حقوق الآخرين وأدافع عنها ما وجدت الى ذلك سبيلا ، سواء فى التربية الجامعية فيما يتعلق بمعاملة طلابى والمساواة بينهم دون محاباة ودون تفضيل ، أو حين قدر لى فى حياتى البرلمانية أن أكون عضوا فى لجنة يسمونها اللجنة المالية ، التى وظيفتها أن تبحث طلبات الدولة ، المقبول منها وغير المقبول ، الناقص والذى يجب استكماله ، ومن هنا غرست فى نفسى الدفاع عن الحق ·· حق الفرد وحق الجماعة ، هذا الى أننى كنت أستنكر على كثيرين ممن يطالبون بحقوق بدون أن يؤدوا الواجبات ، ومن هنا كان ايمانى بالواجب مساويا تمام المساواة بايمانى بالحق ، ودافعت عنهما بدرجة واحدة ·

● فتحي رضوان :

بعيدا عن السياسة

فتحي رضوان رجل من رجالات السياسة البارزين في بلدنا واحد اقطاب المعارضة . كان زميلا لأحمد حسين زعيم مصر الفتاة ويقول ان ابراهيم شكرى زعيم حزب العمل قد نشأ فيحجره .. وقد استطاع فتحي رضوان ان يعيش في الأضواء دائما الا اذا اختار هو الابتعاد عن الضوء كما حدث حين ترك الوزارة في نهاية الخمسينات بعد ان ظل وزيرا في حكومة الثورة منذ قيامها .. لقد كان مسـجونا حين حدثت فاخذوه من المعتقل الى الوزارة وحين قرر الابتعاد عن السياسة طلب من عبد الناصر الا يتعرض لهاحد من قريب او من بعيد فقد قرر ان يمارس المحاماة من خلال مكتبه في ٢٤ شـارع عبد الخالق ثروت بوسط القاهرة وظل هكذا الى ان جاء عصر السادات واطلقت الحريات فبرز مرة اخرى حتى نكسة الديمقراطية فاعتقل ضمن من اعتقلوا في قرارات سبتمبر الشهيرة ١٩٨١ ليفرج عنه في عهد مبارك ليظل على راس صفوة المعارضة حتى وفاته ، وفي هذا الحوار الذي اجريته معه في ٢٩ ابريل ١٩٨٤ دارت الأسئلة والأجوبة بعيدا عن السياسة وان مستها مسا خفيفا .

●● سألته : لماذا أنت حريص على الاسـتمرار في موقع المعارضة ؟

ـ قال فتحي رضوان :

لأن الأمور في بلادنا تستدعي أن تكون كذلك .

●● ألم تقل يوما .. نعم .. أم أنه لابد ان تقول .. لا .. والا فلن تكون معارضا ؟

ـ كثيرا ما قلت .. نعم .. خلال الخمسين سنة التي اشتغلت

فيها بالسياسة ، ف « نعم » تقال حينما تصبح واجبة ، ولا تقال حينما لا تكون لها ضرورة ، ولقد وافقنا على مواقف كثيرة فى مجال السياسة والادارة والاقتصاد « للحكومة الحالية » ، من ذلك مثلا مواقف السيد الرئيس حسنى مبارك مع اسرائيل والولايات المتحدة ردا على التصرفات الخاطئة الصادرة منها ، فعدم اعادة السفير المصرى الى تل أبيب (*) ، وتنبيه أمريكا الى الخطر الناجم من نقل سفارة الولايات المتحدة الى القدس ، وكل المواقف الأخرى المتصلة فى هذا المجال تظفر بتأييدنا ورضائنا وثنائنا على مسلك الحكومة ·

●● هل تعتقد أنك دائما على صواب ؟

ـ طبعا ·· ولو خالجنى الشك فى أى موقف ليس صائبا لما استطعت أن أتشبث به وأن استمر فيه ·

●● هل تعترف بالخطـــا وتعلن رجوعك عن رأى قلته ثم تبينت خطأه أم أن ذلك يتنافى مع كبريائك كمعارض ؟

ـ أولا ليس هناك كبرياء خاص بالمعارضة انما نحن نتصرف كمواطنين نرجو أن نقوم بالواجب دون أن نقحم كبرياءنا أو تواضعنا فى شئون السياسة وصالح الأمة ، وأنا مستعد أن أعلن أنى أخطأت التقدير اذا ما اتضح خطأ رأيى ، ذلك مع الاعتذار للمواطنين عن موقف اتخذته بلا تمهل ولا روية ·

●● وهل حدث أن عدلت عن رأى أو موقف تبينت عــدم صحته ·

ـ لم يحدث ، ليس لأنى معصوم من الخطأ وانما لأن موقفنا من الأمور التى تجرى موقف مبدئى قائم على دراســة طويلة على

(*) كان ذلك احتجاجا على الاجتياح الاسرائيلى لجنوب لبنان ·

المبادىء اخترناها منذ بدء حياتنا السياسية ، ونحن نستهدى بهذه المبادىء فى كل ما يجد من الأمور ومن ثم فاننا لا نجد فيما نقوله خروجا على المصلحة العامة التى تستدعى رجوعنا عن شىء قلناه أو عمل أتيناه ٠

●● ما هو دليل المعارضة الذكية فى رأيك ؟ ٠

- هو تبين المصلحة ، وما كان محققا للمصلحة العامة اعتبرناه صحيحا وأيدناه ، وما كان خارجا على هذه المصلحة عارضناه ودعونا الحكومة للعدول عنه ، وليس لنا دافع شخصى اطلاقا وإنما نحن نضمر للحكومة وللرئيس حسنى مبارك كل رغبة فى الخير ونتمنى له وللحكومة التوفيق والنجاح ٠

●● متى تندم ؟

- أندم على كلمة أقولها بلا تفكير ، أو على اساءة ظن بشخص يثبت أنه ظلم لهذا الظن السيىء ، أو على أمر أرجئه الى الغد ويترتب عليه ضرر بى أو بالذين أتولى أمورهم ٠

●● متى ترى أنه يجب أن تكون ناكرا للجميل ؟ ٠

- لا يمكن أن أكون ناكرا للجميل اطلاقا ولكن أتصور نظريا أن يكون هناك صراع فى نفسى على اتخاذ قرار بشأن شخص معين يكون قد أسدى لى جميلا شخصيا ولكنه ارتكب خطأ قوميا ، فقد تساورنى نفسى — والنفس أمارة بالسوء — أن أغض النظر عن الخطأ القومى اقرارا بفضله الشخصى ، ولكن لم يحدث على ما أذكر أننى رجحت الاعتبار الشخصى على الاعتبار العام ٠

●● هل يتحكم المزاج فى عملك ؟ ٠

- طبعا المزاج والحالة النفسية لا شك هما ذو تأثير عميق على ما يصدر عن الانسان من أعمال سواء كانت أدبية أو سياسية أو قانونية ، لذلك فان تهيئة الانسان للعمل ونشاطه وصفاء نفسه

تجعله أغزر انتاجا وأوفر جمالا وأقرب للكمال ، في حين أن عمله وهو مضطرب النفس ، ضيق بشيء أو بشخص يدفعه الى ضعف جلده على العمل وتجويده ٠

● ● أين تجد العظمة ؟

– العظمة هي في ايمان الانسان بعقيدة صالحة والتضحية في سبيلها ، والاستمرار في العمل على ضوئها ، وعلى وجه خاص عند المتاعب والمصاعب التي تدعو أكثر الناس الى الفرار من ميدان العمل واللجوء الى نفض اليد من السعي والمثابرة ٠

جاهز بشنطتي

● ● ما هو أسعد يوم عشته في حياتك ؟ ٠

– ربما يكون هو يوم قيام الثورة وأنا في المعتقل ، لأنه اجتمع في هذا اليوم سببان للسعادة : عام وشخصي ، فقد كان من المحتمل في يوليو ١٩٥٢ ، أن استمر في الاعتقال الى أجل غير مسمى ، وربما كان يدبر لنا مصير سيىء لو استقر الأمر للملك والانجليز ، وفي الوقت نفسه كان بقاء الملك على عرشه وبقاء الانجليز في بلادنا نذيرا بمستقبل مظلم ، الى أن أفرج عني وسقط الملك ، فكان ذلك فرحا مزدوجا ٠

● ● ما هو الموقف الذي لا تنساه ؟ ٠

– موقف أذكره وأنا متهم في قضية مقتل أحمد ماهر ، فقد تبرع زميلي في كلية الحقوق والذي صار وكيلا للنيابة بأن يشهد ضدي وهو وكيل نيابة مع كونه زميلا لي وبلدياتي ، ليحصل على مكافأة عشرة آلاف جنيه لادانتي ، ومن العجيب أنه حينما توليت الوزارة كان هو أول من طرق بابي من

أجل خدمة تافهة لنقل قريب له الى مكان يريده ، وقد نسى ما فعله بى بالأمس ! ٠

وأذكر فى المقابل « خادم » كان يعمل عند أختى ورأى فى بيتها « حسين توفيق » الذى كان محكوما عليه فى قضية مقتل « أمين عثمان » فارا من وجه الحكومة ، وكانت هناك مكافأة عشرة آلاف جنيه لمن يرشد عنه ، وحينما رآه هذا الخادم ، قرر أن يترك العمل عندنا حتى لا يقع فى الاغراء ويرشد عنه ليقبض المكافأة وهو فقير ! ٠

وهذا الموقف الأخير يمثل المصرى فى أصالته ٠

●● وما هو اطرف موقف شاهدته ؟ ٠

ـ حينما قامت الثورة كانت وسيلتها لاحضار الوزراء المرشحين لتولى الحكومة ، هو استدعاؤهم برجال الشرطة العسكرية ، وقد رأيت بعينى رأسى عددا من الوزراء يساقون الى مجلس قيادة الثورة ، وكانوا يتصورون أنهم معتقلون ، فكان الواحد منهم يقول : والله أنا ما عملت حاجة ! ٠ ثم يفاجأ بأن الوزارة تعرض عليه ٠

●● كيف كانت علاقتك بعبد الناصر ؟ ٠

ـ كنت أختار معه الوزراء ، وكان دائم التردد على بيتى ويدعونى الى بيته دون أى مواعيد سابقة ، وكان يعتقد أننى معارض مخلص له ٠ ولذلك كان يستمع لى ويتأثر بى باعتبارى عضوا فى الحزب الوطنى القديم دون أن تكون لى أية أغراض ، ولكن مع كثرة المنتفعين بالثورة والمتقربين الى جمال عبد الناصر ، ومع كثرة مسئولياته ، كل ذلك جعل لقاءاتى به تقل ومن ثم لم يعد هناك متسع لتبادل الرأى وبلورة الأفكار ، مما جعلنى أشعر أن

ثوري قد انتهى مع عبد الناصر وثورته ، فاعتزلت السياسة حتى عودة الحياة الحزبية فى عهد السادات ٠

● ● هل كنت تتوقع الاعتقال ؟ ٠

ــ أنا دائما جاهز ومستعد بشنطتى للاعتقال ــ ثم أضاف فتحى رضوان قائلا لى وعلى وجهه ابتسامة ودودة : انك بذلك تقترب من السياسة التى جئت لتجرى حديثا بعيدا عنها ٠

فقلت له : معك حق ٠٠ لتعد اذن الى حديثنا بعيدا عن السياسة ، ولكن هيهات فالحديث مع رجل مثلك فى أى موضوع ولو شخصى لابد وأن ينتهى بنا الى السياسة ، ومع ذلك فلنحاول ٠

غلطة حياتى

● ● أين تجد الحب فى حياتك ؟ ٠

ــ تجده من أول يوم ولدت فيه الى اللحظة التى أحدثك فيها ، فأنا منذ أن فتحت عينى على الحياة وأدركتها ، وجدت أمى وأبى وأخواتى ، يحيطوننى جميعا بالرعاية ، فهذه سنة العائلة المصرية .. هذا أولا ٠

وثانيا كنت الولد الأصغر والذكر الوحيد ، وكانت أمى سيدة فذة وان لم تذهب الى المدرسة الا أنها هيأت لى مكتبة لم تهيئها أم لابنها فى تلك الأيام ، فقد جمعت لى أعداد جريدة « اللواء » اليومى الذى أصدره مصطفى كامل فى الثلاثاء الأول من يناير فى السنة الأولى من القرن العشرين سنة ١٩٠١ ، وقد وجدت فيها وفى تاريخ حياة مصطفى كامل الذى كتبه شقيقه « على » ، وفى كتاب « رسائل مصرية فرنسية » الذى ضم خطابات مصطفى كامل مع الصحيفة الفرنسية مدام « جولييت آدم » ، وغير ذلك من الكتب ، التى وجدت فيها بذور الثقافة الأدبية والوطنية ، وقد

أخذتني أمي عندما عاد سعد زغلول من المنفى فى ٤ فبراير ١٩٢١ ، الى شرفة فى عمارة لا تزال قائمة فى ميدان الأوبرا ، لتحية الزعيم القادم من أوربا ، ولما جاء جثمان محمد فريد من أوربا أمرتني أمي أن أسير فى تشييع الجثمان من ميدان المحطة الى مدافن السيدة نفيسة ، وقد بقيت هـذه الأم ترعاني وتدعوني الى كل الفضائل التى كانت تؤمن بها والتى تأثرت بها ، وبعد ذلك لم تخل حياتى من الحب ، فقد أحببت زوجتي وأحبها ولا أزال ، وأحب أولادى ، وأصدقائى وزملائى . وكثير ممن تأثرت بهم من الكتاب والمفكرين أمثال غاندى وتولستوى .

● ● لمن تقرأ ؟ .

ـ قرأت لمعظم الأسماء التى لمعت فى بلادنا وفى أوربا وخارجها ، مثل ديستوفسكى ، تشيكوف ، أوسكار وايلد ، برناردشو ، بروست .

وفى بلادنا قرأت للقدامى كأبى العلاء المعرى والمتنبى والجاحظ ، وللمحدثين كالمنفلوطى وعبد الرحمن شكرى .

● ● وأحدث ما تقرأه ؟ .

ـ بحث عن الصهيونية اشترك فى وضعه عدد من الباحثين العرب .

● ● ما هى غلطة حياتك ؟ .

ـ كنت أحب أن أتفرغ للعمل السياسى أكثر مما تفرغت له ، لأننى كنت أشتغل بالمحاماة والسياسة ، ومرد ذلك « فقرى » وعدم وجود مورد ، ولكن كان يجب على أن أدبر من العمل السياسى موردا متواضعا يغنينى عن الاشتغال بالمحاماة ، ولكن رغبة منى فى ألا أعتمد على مصدر رزق من السياسة كما يفعل أكثر المشتغلين بالعمل السياسى فى أوربا ، جعلنى موزعا بين الجهدين .

●● كيف تنظر اذن الى السياسة ؟ •

ـ السياسة ليست ترفا وانما هي فنـــاء في العمـل العام وانقطاع له •

●● متى تيأس ؟ •

ـ لا أريد أن أدعى البطولة وأزعم أننى لا أيأس ، ولـكننى أقرر صادقا غير مدع أن شعورى باليـــأس والأمل يتناوباننى فى مواقف عديدة ، ولكننى لم أنفض يدى من العمل السياسى أو الوطنى رغم أننى مررت بفترات طويلة كان كل شيء يؤكد أنه لا فائدة من هذا الذى نفعله ، فقد كانت العقبات ضخمة ، وكان أقرب الناس الى يدعوننى الى نفض اليد من العمل السياسى والاقبـال على عملى بالمحاماة الذى أرتزق منه ، ويضربون لى الأمثـــال على وصولية وانتهازية ونفعية أكثر الذين يتصدون للعمل السياسى ، والذين يدخلون العمل السياسى مغمورين فيشتهرون ، وفقراء فيثرون ، وبلا نفوذ فيصيرون من ذوى السلطة والحـــكم ، وكان مثل هـذا الكلام يفت فى عضدى أحيانا ويجرعنى مرارة ، ولكننى كنت أتجلد وأغالب نفسى وأمضى والله يمد يده الينا وينقذنا من هوة اليأس •

●● متى تفقد صبرك ؟ •

ـ قل أن أفقد صـــبرى أمام حالات بذاتها ، منهـــا تنطع المتنطعين ، وتبجح المضبوطين بالخطأ والذنب ، وممـاطلة المماطلين الذين لا يجدون الشجاعة فى أن يقولوا انهم لم يفوا بوعودهم ، وتوقح الوقحاء الذين يتجاوزون كل حد ويتصـــورون أن صبرنا عليهم وسكوتنا ، من قبيل الضعف •

●● لو تقمصت شخصية أخرى غير فتحى رضـوان •• فمن تكون ؟

ـ كنت أريد أن أكون أى مواطن صالح ممن خـــدموا بلادنا ولو لم يكونوا من المشهورين وذوى المكانة ·

● ● ممن تعلمت وماذا تعلمت ؟ ·

ـ تعلمت أولا من أمى ، ثم تعلمت من الكتب التى أثرت فى ككتاب حياة مصطفى كامل ، كما ذكرت لك من قبل ·

كما تعلمت من زميلى المرحوم أحمد حسين الذى زاملته فى الحياة السياسية ابتداء من السنة الثانية الابتدائية ، وقد تعلمت أهم ما تعلمته منه أن الايمان بفكرة هو بداية النجاح حتى لو كانت الفكرة عمل محل لبيع « الطعمية » ، وقد رأينا طلعت حرب الذى نجح فى بناء بنك لمصر ، عجز عن ادارة مركز لتجـــارة الألبان ، ولا يرجع ذلك الى أنه شىء شاق ، ولكنه لم يكن مؤمنا بأن هـــذا حتمى ونافع ، فحيثما يكون ايمانى كاملا بأى خطوة أنجح فيها ، كما تعلمت من أحمد حسين كل ما ينقصنى ، فقـــد كنت صـــبيا خجولا عصبيا ، وكان هو صبيا جريئا مقتحما عالى الصوت واثقا من نفسه ·

وتعلمت من « غاندى » الايمان بالانسان وأنه مصـــدر قوة هائلة تغالب الجيوش وتغالب الأهوال وتغالبه كل قـــوى الشر ، وكان غاندى فى ذلك تلميذا لمحمـــــد بن عبد الله وللمســـيح ، ولتولستوى ، وقد تعلمت من تولوستوى الأســـلوب الأدبى الذى يجعل الأدب دعوة وليس متعة لازجاء وقت الفراغ أو تلهية القارىء أو تملق نزواته ، مع ثقافة واسعة جدا ومكافحة روحية ضـــخمة لاصلاح نفسه ·

التوفيق بين القط والفئران

● ● من هم أصدقاؤك من غير البشر ؟ •

ـ كنت صديقا لأشياء غريبة جدا ، وأنا طفل كنت أربى قطا ، وفى الوقت نفسه كنت أربى مجموعة من الفئران البيضاء ، ومع ذلك فلم يحدث قط أن « القط » حاول أن يعتـــدى على الفئران الموضوعة أمامه فى قفص والتى غذيناها حتى تضخمت وأصبحت هدفا شهيا « لقط » . ثم كنت أربى « دودة القز » ، وحينما كنت أذهب الى أى بلد فى الريف كنت أقضى معظم وقتى فى اسـطبل « الخيل » •

● ● كيف نجحت فى عقد صداقة بين القط والفئران على ما بينهما من علاقة عداء طبيعية ؟ •

ـ انها التربية التى جعلت العلاقة الحميمة مع الحيوان تجعله يتحول الى صديق على خلق ، ولا أذكر مطلقـا أن « القط » الذى ربيته قد سرق منى قطعة لحم أو اعتدى على أحد ، وكان ينام معى فى فراش واحد ، ولا أذكر أبدا أنه ضغط على وأنا نائم ، أو سبب لى حرجا •

أما الفئران فقد كان اهتمامى بها لأنها بيضاء نظيفة جدا ، ولم أتبين أنها كانت من جنس واحد « ذكور » ، لأنها لم تلد ، وظلوا يلازموننى الى أن اختفوا من حياتى لسبب لا أدريه ، وأذكر أننى عندما كنت أقترب من قفص الفئران كانوا يقفون على أقدامهم الخلفية ويستمرون فى عمليات تدل على السرور لاقترابى منهم ، وذلك تعبيرا وردا على اهتمامى بهم ، وعلى ضـــآلة حجمهم كانوا يؤنسوننى ، وكانت الألفة بين الفئران والقط تدعونى الى سرور شديد لأنى نجحت فى الجمع بين العدوين الطبيعيين •

●● وماذا عن الخيول ؟ .

ـ كنت شديد الاعجاب بهـا رغم أننى لم أركبهـا مع من يركبون ، ولم أحسن ركوبها ، ولكننى أعجبت بمنظرها ، وكنت أراقب كل ما يتصل بالخيل من سباق وعمليات ترويض ، كل هذا كان يثير فى نفسى مشاعر السرور بحصول صداقة بينى وبين هذا الحيوان النبيل .

●● أو ليس الحيوان مؤذيا أحيانا ؟ .

ـ الحيوان يؤذى أحيانا ، وهذه فلسفة الحياة ، فليس هناك خير كامل ولا شر كامل ، بل مزيج من الخير والشر ، وعلينا تحويل الشر الى خير لكى تستمر الحياة .

●● من يستطيع أن يرسم على شفتيك ابتسامة ؟ .

ـ أناس ليسوا بالضرورة من المشهورين ، فأنا أضحك كثيرا على الروايات الفكاهية أو الأفلام المضحكة ، ولكننى أضحك أيضـا على أشياء من ناس عاديين فى مواقف عادية تنطوى على مفارقات أو عجز انسانى ، ان ذلك يضحكنى أكثر بكثير من المواقف التى يؤلفها المؤلفون ..

● من يستهويك من المطربين ؟ .

ـ أذنى لا تجعلنى من الموهوبين سـماعيا ، فأذنى ليست موسيقية ، ولا أسعى للاسـتماع قصـدا الى أغنية معينة ، ولذلك ليست لى أغنية مفضلة .

●● عندما كنت وزيرا للارشاد القومى كانت الاذاعة هى الوسيلة الاعلامية الأولى الأكثر تاثيرا فى الناس .. فماذا تقـول عنها اليوم ؟ .

لقد عملت في الاذاعة سنوات وأنا أشهد بأن الاذاعة مطلقا هي من أضخم ما اهتدى اليه الانسان علميا وروحيا ، فهى تقتحم البيوت لا من الأبواب ولا من النوافذ ، ولكن في كل وقت وبكل لغة ، تتحدث لتعلم ، وتتحدث لتؤنس ، وتتحدث لتنير ، وتتحدث لتطمئن ، فهى قوة هائلة تكاد تكون مظهرا من مظاهر الله العلى الأعلى ، وانى لأرجو للاذاعة في بلادنا توفيقا فى خدمة الشعب ، وفي خدمة الحق ، وفي خدمة الفن ، وفى كل مجال ، رعاها الله وسدد خطاها ٠

● ● نجوم تحب أن تراهم على الشاشة ؟ ٠

ـ أولا الساعات التى أقضيها أمام الشاشة ، قليلة جدا ، وموقفى منها كالأغنية ، فلا أجلس عامدا لأشاهد شيئا ، ولكننى أعتبر « محمود مرسى » من الشخصيات التى أفضل مشاهدتها ، ومن الممثلات « سهير البابلى » ٠

الصعود الى قمة الجبل

● ● ما هو الكتاب الذى لا تستطيع نسيانه تعود اليه دائما ؟ ٠

ـ صفة سيئة عندى ، وهى أنى لا أقرأ الكتاب الا مرة واحدة ، ما عدا القرآن الكريم ، فاننى أختمه تلاوة كل عشرة أيام ٠

● ● متى رأيت الله فى مواقف حدثت لك ؟ ٠

ـ رأيت الله كثيرا وأنا كثير المرض وأنا طفل ، فقد مررت بأشد الأمراض خطورة ، وكانت بعض هذه الأمراض تهدد قلبى ، وكنت أرى على وجه عائلتى اليأس من حياتى ، ولكننى فى كل مرة

كنت أنجو من الموت وأستمر فى الحياة ، وفى كل مرة تتم هـذه النجاة ، كنت أرى الله فى رحمته ٠

● ● اذا صادفتك ليلة القدر فما دعاؤك الى الله فيها ؟

ـ أدعو الله بالصحة والستر ، ولو أنى كنت قبـل خروج الانجليز أدعو الله لبلادى بالاستقلال وأن يزول الحكم الفاسد ، وقد علمتنى الأيام أنه ليس هنـاك أكثر من أن يمنح الله الانسان ، الاحسان بالصحة والستر ليكون قادرا على أن يخدم بلده الى آخر العمر ٠

● ● هل لك آمال لم تتحقق ؟

ـ رغم تحقق آمالى فى الاستقلال وزوال الحكم الفاسد ، الا أننا لا نزال نعانى اضطرابا وفقرا وتخلفا وفوضى ، أرجو أن يزول ٠

● ● أقصد آمالك الشخصية التى تود تحقيقها ؟ ٠

ـ عندى مشروعات كتب كنت أريد أن أفرغ من كتابتها لتطبع ويكون لها أثر وتتاح لها فرصة التأثير فى الرأى العام بالقـدر الذى لم يتحقق لكتب لى فى السياسة والأدب ٠

● ● ما هو العنوان الذى تريد كتابته على ملف سـنوات عمرك ؟ ٠

ـ نجح بدرجة متوسط أو مقبول ! ٠

● ● هل هذا تواضع ؟ ٠

ـ هذا هو احساسى الحقيقى ، وهذا أدعى للطمـوح وليس للتواضع ٠

●● لمن تعيش ؟ .

ـ أعيش للبقية الباقية من مبادئي وبلدي ووطني وعائلتي .

●● ما هي حكمة حياتك ؟

ـ لا معنى للحياة مع اليأس ولا معنى لليأس مع الحياة .

●● ما هي نسبة تفاؤلك الى تشاؤمك ؟ .

ـ تفاؤلي ٧٠٪ سبعون في المائة .

●● بيت من الشعر تحفظه ؟ .

ـ لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى

حتى يراق على جوانبه الدم .

●● بماذا ترمز الى الحياة ؟ .

ـ يقول فتحي رضوان :

الحياة مثل الصعود الى قمة الجبل ، وقد نصل الى القمة ولا نجد شيئا ، لكن الحياة أمامنا شيء يدعونا الى مكابدة الصعود ، لأن طبيعة الحياة مثل جبل يدعوك الى أن تصعد ، ومن الناس من يلبي الدعوة ، ومنهم من يبقى عند السفح لا يدرى من الحياة شيئا .

● أحمد بهاء الدين

وقصة معارك يومياته

في سنة ١٩٣٧ كان احمد بهاء الدين تلميذا في السنة الأولى بمدرسة الابراهيمية الثانوية وزعيمها في ذلك الحين الذي كان فيه تلميذا وفديا متطرفا .. وفي تلك الفترة اشتعل الخلاف الحزبي في مصر اشتعالا شديدا فقد انشق السعديون عن الوفد واقيلت وزارة مصطفى النحاس وانتشرت اضطرابات الطلبة في جميع أنحاء المدارس حيث يخرج التلاميذ ومنهم احمد بهاء الدين لقذف رجال البوليس بالأكواب

المليئة بالرمل وتعطيل حركة المواصلات .. وفي ذلك الوقت كانت مجلة « روز اليوسف » تشن على الوفد اعنف الحملات ، فكان احمد بهاء الدين وزملاؤه يشترون اعدادها ويضعونها في كومة واحدة وسط فناء وسط المدرسة ويشعلون فيها النار حتى لا يقرؤها احد .. ونفذوا هذه الخطة أسبوعين متتاليين حتى اكتشفوا ان مصروفهم البسيط لا يكفي لشراء كل النسخ التي تطبعها « روز اليوسف » وكان اول درس تعلمه في حياته العملية ان منع الرأى الآخر لا يخدم رأيك وان نيران الأرض ليس في قدرتها أن تلتهم رأيا واحدا اذا كان صائبا ، وأن الطريق الوحيد لكي لا يبقى الا الصحيح هو حرية كل الآراء

والمناقشة علنا وفي حرية اذا كنت تحب المجتمع أكثر مما تحب رأيك المنسوب اليك . وبدأ احمد بهاء الدين يقرأ « روز اليوسف » قبل ذهابه الى المدرسة لكي يذهب اليها وفي رأسه ردود حاضرة على كل شيء فيها ، وهو يخفي عن زملائه انه قرأها ولذلك كان يقول لهم :

لعل خصوم الوفد سيقولون كذا .. والحقيقة كذا . وكانت حجته السياسية مقنعة .. ورغم حصوله على ليسانس الحقوق كما كان يعمل ليكون محاميا للدفاع عن كل القضايا التي يراها عادلة في العالم الا أنه اكتشف ان المحاماة والاشتغال بها لن يحقق له طموحه للدفاع عن الشعوب المظلومة والطبقات المهضومة لأنه وجد ان القانون المدني هو اسخف علم فما له وحق الشفعة وحق النفقة وحق الدائن المرتهن ،

انه يريد حق الحرية والعدل والمساواة ، ولذلك لم يجد أحمد بهاء الدين وسيلة يمارس بها هذه المعانى الواسعة الا فى الصحافة رغم تخوفه منها وتردده فى الالتحاق بها ظنا منه أن كل صحيفة لديها قالب ، تضع فيه المحرر الذى يلتحق بها ، وهو يريد ان يحتفظ بحرية رأيه بعيدا عن اى قوالب .. وفى ذلك الوقت كان احمد بهاء الدين قد التقى مع « روز اليوسف » فى الرأى وكان ذلك سنة ١٩٥٢ وفى ذات صباح من تلك السنة قرأ احمد بهاء الدين ان نجيب الهلالى يسن قانونا يرفع به نسبة رؤوس الأموال الأجنبية فى المؤسسات المصرية بحجة أن مصر ليس فيها رؤوس أموال كافية . واغتاظ احمد بهاء الدين لأن حكام مصر آنذاك ينفقـــون الملايين على موائد القمار فى أوربا وثروة مصر ضائعة منهوبة بين تحالفات الاقطاع والراسمالية المستغلة ، وكتب احمد بهاء الدين مقالا عنيفا حول هذا الموضوع وارسله مع صديق الى « احسان عبد القدوس » ، فاذا ببهاء يفاجأ بنشر مقاله فى مكان بارز بروز اليوسف ، والتنويه عنه فى الصفحة الأولى . وادرك أحمد بهاء الدين ان هذه الصحيفة لا يهمها سوى العمل الجيد أيا كان صـاحبه ، وأصـبح بهـاء بنفســه يمر كل يوم جمعـــة على دار « روز اليوسف » ليسلم بواب الدار مقاله ثم ينصرف ليجده بعد ذلك منشورا فى أبرز مكان ، وبلغت الجراة ببهاء الدين أن يكتب مقالا يهاجم به الافتتاحية لرئيس التحرير .. وازدادت دهشة بهاء الدين وهو يجد مقالة منشورا كاملا .. واكتشف بهاء الدين أن هذه الصحيفة لا تقيد الكاتب فيها أن يلتزم رأيا أو أن تضعه فى قالب لا يحيـــد عنه .. كل ذلك يحدث واحمد بهاء الدين لا يعرف احسان عبد القدوس وهو لا يعرفه حتى جاء بهاء الدين ذات صباح فى يوم جمعة ليسلم مقاله كالمعتاد الى بواب « روز اليوسف » الذى لم يدعه يغادر الدار فقد كانت هناك تعليمات بالقبض عليه لمقابلة رئيس التحرير ليكون له مكتب فى « روز اليوسف » ليستمر بعد ذلك فى شارع الصحافة كواحد من ألمع نجومه ليصبح عموده اليومى « يوميـــات » من أكثر الأعمدة الصحفية التى لعبت دورا فى قيادة الرأى العام .. ومع احمد بهاء الدين كان هذا الحوار حول يومياته ومعاركه فيها .

وبدأ أحمد بهاء الدين حديثه مغتاظا .

فقال : أغتاظ دائما من كلمة عمود وكتاب الأعمدة وأصحاب الأعمدة لأنها ترجمة خاطئة للمفهوم الخاص بها فى الصحافة الغربية والأمريكية التى نقلناها عنها ، لأن ما يكتب فيها بهذا الشكل معناه الحقيقى هو المقال القصير المنشور وعلى شكل مربع أو مستطيل أو أى شكل من الأشكال ، مما يعتبر ميزة كبرى للصحافة اليومية التى صارت تعتمد على المقال المركز القصير مع انتهاء عهد المقال الكبير الذى يملأ صفحة كاملة حيث أنه زمان حين كان الكاتب يكبر ويتقدم فى السن فتزداد خبرته وتجربته فيعطونه مساحة أكبر ، الآن أصبح العكس ، كلما تقدم الكاتب خبرة وتمرسا تجد أنه يتجه لكتابة المقال القصير لأن التركيز أصعب مائة مرة من المقال الطويل ، وأظنها مشهورة تلك الحكاية عن سعد زغلول باشا الذى بعث الى صديق له بخطاب استغرق ٦ ، ٧ صفحات وفى آخر فقرة منه يقول له فيه : أعتذر عن الاطالة ، لقد كنت مشغولا فى كذا وكذا ولم يكن لدى وقت للايجاز ..

لأن المعنى تكتبه كما تريد أن تكتبه فى أى مساحة مهما طال الأمر كما هو فى ذهنك ، لكنك عندما تريد تركيز المعانى فى ذهنك فى مساحة صغيرة تجد أنك تحتاج الى مجهود ذهنى أكبر لكى تجعل اناء كبيرا من الماء مركزا فى زجاجة صغيرة من الماء المقطر .

اجازة للصحف

● ● هل من الضرورى أن يكون « العمود » أو المقال الصغير يوميا ؟

ـ هذه هى التقليعة الثانية فى الصحافة العربية ، وهذا وضع

لا نظير له فى العالم ، ففي « الواشنطون بوسيت » مثلا حين يقال فلان من أهم الكتاب فهذا معنـــاه بالكثير أن يكتب ثلاثة أيام فى الإسبوع ، وهناك من يكتب مرتين أو مرة واحدة فى الأسبوع ، ولكن الكتابة اليومية ولدت فى الصحافة المصرية وأصبحت عادة رغم ما يتعارض من احكام الفكرة وجودتها ، لذلك أنا ضد هـــذا التقليد وأغيره قدر ما أستطيع ، لذلك فى الأعياد قررت أن آخـــذ أجازة ، فكانت هذه حكاية وقصة ورواية ، كما قررت فى أجازتى السنوية أن أتوقف لأنه ليس لازما وأنا فى آخر الدنيا أن أكتب عمودا يوميا وأنا فى عالم آخر ، لأننى أحب أن أكتب العمود القصير يوما بيوم مما يجعلنى قريب الصلة بالأحداث مما يجعل كلامى كالأكل الطازج • ولكن ليس سرا أن بعض كتاب الأعمدة يسافر ستين يوما فيترك ستين عمودا فى علبة « سردين » وكل يوم يستخرجون له « سردينة » لعرضها •

وأنا لا أومن بهذا ، ولهذا فأنا لا أنجو من نقد شديد سواء من الصحف التى أكتب فيها أو من القارىء ، لأننى خالفت القاعدة أو كأننى « كسلان » أو « مقصر » أو أن هناك أزمة أو رقيب ، فى حين أننى أقترح على زملائى كتاب الأعمدة أن يقوموا بهذا التغيير ، ويأخذ أحدنا أجازة يوما فى الأسبوع على الأقل •• فهل هـــذا كثير •

بل اننى أصعد اقتراحى ـ وهو ينطبق على الصـــحف فى العالم ـ أن تأخذ أجازة يوما فى الأسبوع ، لأن من حق الصحفيين أن يرتاحوا يوما فى الأسبوع ، وقد كان هذا هو العرف السائد عندنا فى مصر ، وأنا أذكر جيدا فى الطفولة والصبا أن الصحف كانت تتبع هذا التقليد ، ولكن بعض أساتذتنا الصحفيين قاموا بحملة قالوا

فيها أنه لا يجوز حجب الأخبار عن القارىء لمدة ٢٤ ساعة ، وكان هذا وقت أحداث كبرى ، مع نهاية حرب عالمية أو شيء من هذا • وكان الرد على هذا أن تأخذ كل صحيفة يوما اجازة غير اليوم الذى تأخذ فيه صحيفة أخرى أجازتها ، ونفذ هذا لفترة ، ثم قضى عليه ، لوجود منافسة بين الصحف ، لأن الصحيفة الأوسع انتشارا تشعر أنها تقدم يوم أجازتها هدية للجريدة المنافسة ، مما قد يزعزع ارتباط القارىء بجريدته ، وعادت الصحف للصدور يوميا ، مع أن رأيي أن يوم اجازة للصحف ضرورى ، وأن نفس القارىء سيتلقى المعلومات والأخبار من مصادر كثيرة بعكس زمان ، فالآن توجد الاذاعة والتليفزيون ، خاصة التليفزيون الذى قضى على المجلات المصورة ، وضغط ضغطا شديدا على الصحف ، لميزته فى قطع الارسال واذاعة الخبر المهم ، لذلك فالقارىء لن يخسر لو لم يقرأ الصحف لأن الخبر المهم سيعرفه حتى من الآخرين •

أعد الكلمات

• • كيف استقر بك الأمر عند كتابة المقال القصير بعد انقطاعك فترة عن الكتابة فى مصر ؟ •

ـ كنت دائما أكتب مقالا أسبوعيا طويلا فى صحف ومجلات عملت بها ، لكننى بدأت حياتى الصحفية فى « روز اليوسف » بما نسميه « برواز » وهو أقرب شيء لما نسميه « عمود » فى مساحة معقولة تحتوى ما بين ١٠٠ ، أو ٤٠٠ كلمة لا غير • وكان ذلك فى أواخر الخمسينات ، ونجح « البرواز » نجاحا كبيرا ، وكان فى الواقع هو أول شيء عملته وساهم فى نجاحى وشهرتى وتكوين اسم وطابع لى • ثم انتقلت الى صحف أخرى ، فكنت أكتب صفحة كاملة فى « أخبار اليوم » و « الأهرام » ، فوجدت أنه صار لازما

أن أكتب موضوعا كبيرا يتفق وحجم المساحة ، أو أن ألخص كتابا أجنبيا .

ثم انقطعت عن الكتابة في الأهرام لما منعني السادات من الكتابة فترة من الفترات ثم عدت للكتابة مع بدء عهد مبارك ، وحدث سواء من الرئيس أو الأهرام نوع من الاستعجال لى في الكتابة في « الأهرام » بسرعة ، وكنت قد انقطعت عن الكتابة مدة لم تكن مقصودة ، لذلك كنت محتاجا لفترة أطول لأتهيأ فيها (نظرا لغيبتي عن البلاد فترة قضيتها في الكويت ، لتأمل أشياء) لكن كان فيه استعجال في الكتابة حتى لا يبدو وجودى في مصر دون أن أكتب وكأنني في أزمة مع النظام . فوجدت أن الأسلوب الأمثل للعودة السريعة للكتابة هو ما نسميه بالعمود ، ولا أكتمك أنني أحببت هذا النوع من الكتابة رغم مشقاته لكن المقال في الكتابة طويلا كان أو قصيرا يجب أن تكون فيه فكرة أساسية وموضوع أساسى وله حجمه . يمكن أن يكتب في صفحة ، ويمكن بشيء من الجهد أن يكتب في عمود ، وكتابة صفحة أسهل لأنها أسبوعية وليس فيها جهد لأنك تكتب فيها كل ما تكتبه عن الموضوع ولا تضطر للضغط والاجتزاء والاختصار .

ولكن للظروف التي شرحتها لك كتبت ما أسميته « يوميات » في شكل ما يسمى « عمود » وجدت حتى لا يطول أو ينقص أو تأكله الاعلانات ، أن أتفق مع الأهرام على مساحة ثابتة لا تزيد سنتيمترا ولا تقل سنتيمترا ، وقلت سألتزم وتلتزم الصحيفة ولا عذر بالاعلانات ، واتضح أن المساحة التي اتفقت عليها هي تقريبا من ٢٨٠ الى ٢٩٠ كلمة . وتقوم السكرتيرة بعد عدد كلمات المقال القصير الذى أكتبه ولو زاد عن المتفق عليه أقوم باختصاره ، مما عودني الاختصار وغير أسلوبي لأنني صرت أدقق في استخدام كلمات مثل « ان ، ربما ، لعل ، عسى » .. الخ .

فرحت أستعمل سياسة التدبير والتقتير لاستبعاد أى كلمة قد لا يكون لها لزوم ، وهذا أفادنى بصفة عامة ، لكنها ليست مسألة سهلة على الاطلاق ، وقد أحتاج ساعات من أجل صياغة مقبولة وطرح الفكرة بشكل معقول وبأقل عدد من الكلمات ، بحيث يصبح كما نقول « لحم بلا عظم » ٠

● ● وماذا تفعل اذا كان الموضوع لا يكفيه مقال صغير واحد لعرضه وتحليله ؟ ٠

ـ هى صعوبة أخرى كبيرة ، لأن تقسيم الموضوع على حلقات لا يكون مقالا ، وفى نفس الوقت لا يقتضى هذا التقطيع أن تكون بكل حلقة فكرة متكاملة ٠ ولا أستطيع أن أقول ان هذا مثل الفرق بين المسلسلات التليفزيونية الأجنبية ، والعربية ٠

فالمسلسلات الأجنبية حتى لو استمرت عشرة شهور فان كل حلقة فيها تحتوى على فكرة يمكن أن تكون فيلما قصيرا ، ويمكن للمشاهد ألا يرى أكثر من حلقة ويجد فيها فكرة متكاملة ، بعكس المسلسلات العربية كلها حلقة واحدة مقصوصة بمقص ٠

لذا أنا أشبه الموضوع الذى أكتبه ببكرة مكعبلة من الخيط ، أخرج منها خيطا متكاملا فى حلقة ، ويمكن عرض الفكرة الصغيرة بشكل معقول ومريح ، وهو جهد من أصعب ما يمكن ، لأنه ليس مقالا يقطع رأسه فى مكان وذنبه فى مكان ، انما لابد أن أستوفى الفكرة فى حلقة حتى اذا لم يقرأ القارىء بقية الحلقات يكون قد عرف فكرة ٠

قال لى د٠ محمود فوزى

● ● ما هى المعارك التى أثارتها يومياتك عليك ؟

ـ أنا أعتز اذا جاز لى أن أعتز بشىء ، أن اليوميـــات التى

أكتبها من بضع سنوات قد أثارت اهتمام القارىء الذى هو المواطن العادى المهموم بقضايا كثيرة لم تأخذ حظها من الالتفات والانتباه ، لأنه ليس مهمة الكاتب أن يشرح ماذا حدث بل يثير قضية ، لتتداولها الصحف .

وأستطيع أن أقول إننى أول من أثار قضايا البيئة والخضرة فى مصر ، وهى قضية ليست من اختراعى لكننى قرأتها وعشتها فى الكتب الأجنبية ، فاذا كان فى كل مكان كلام على قضايا البيئة ، فأننى أعتبر هذا نجاحا لى لأننى أدخلت فى قاموس الاهتمامات اهتماما جديدا .

وزمان كان عيبا أن يكتب كاتب كبير عن الزبالة ، الآن صارت موضوعات القذارة والزبالة ، عادية ، لقد حدث اليوم تغير شديد فى الوعى ، الى درجة أنه أمكن أن تأتى لى برقية فى مكان ما فى قرية ، يقول فيها مرسلها انهم يقطعون الشجر على الترعة منبها الى خطورة هذا ، ومثل ذلك رد فعل ايجابى ، أيضا كنت أول من كتب عن تخطيط المدن والمبانى العامة ، وكنت أحرص فى أى بلد أسافر فيه بالطائرة مسافة طويلة أن أرى نوع التخطيط فيها ، لمحاولة جعل المدن المصمتة بالمسلح أكثر انسانية .

وقد أسرفت فى الكتابة فى مثل هذه الموضوعات لدرجة أن د. محمود فوزى - يرحمه الله - رئيس الوزراء ، كنت أجده كل يوم يعيننى فى لجنة من اللجان ، كلجنة اعادة تخطيط الأقصر ، ولجنة بناء الأوبرا الجديدة ، فلما قابلته وكنت أعرفه قلت له :

يادكتور أنا لا أقدر على الاشتراك فى كل هذه اللجان .

فدهشت عندما سألنى : ألست مهندسا ؟! .

قلت له : أنا قانونى مثل حضرتك .

فقال : أنا من كثرة ما قرأت لك ، عن التخطيط نسيت واعتبرتك مهندسا ! .

وكنت أنا أول من نبه الى قضية نهر النيل والاسراف فى استهلاك المياه . لأن من يتأمل التطورات يكتشف أننا على مشارف مرحلة من أهم مشاكلها قلة الماء ، واذا قامت صراعات فى الشرق الأوسط لن يكون موضوعها البترول ، انما الماء ، لأن أنهاره لا تكفى الحاجة ، ومشاكل لبنان واحتلال اسرائيل لها بسبب الماء . ومشاكلها مع الأردن بسبب المياه .

والماء على خطورته نتركه يتدفق ويصب فى البحر المتوسط بملايين الأمتار المكعبة . فأصبحت هذه قضية فى الرأى العام ولم تكن مألوفة .

ولا يخلو الأمر من المشاكل فى هذه اليوميات ، وأشدها مع الجماعات الاسلامية ، رغم أننى لست ضد التيار الاسلامى ، وأكرر : لا أعترض طريق أى جماعة من الجماعات الاسلامية ، لأن أنا تراث وايمان ، ولدت ونشأت وتعلمت عليهما ، ولم أتخل عنهما يوما ولم أقلل من أهميتهما . ولكن المشكلة التى أخشاها هى أن تأخذ الصحوة الاسلامية مأخذا رجعيا ، وهذا موضوع ، معقد ، واستشهد بكلمة الملك حسين التى قال فيها أنه لا يحب كلمة الرجوع الى الاسلام، لكنه يحب التقدم للاسلام . نحن تأخرنا لأننا لم نكن على مستوى القيم الاسلامية الصحيحة . الجهل ليس قيمة اسلامية ، الانصراف عن العلم ، والانصراف عن الاجتهاد ، كلها قيم تدل على التأخر من عصر الامبراطورية العثمانية ، فى مرحلة نحن نجد من كتابنا من يقول ان هدفه العودة للامبراطورية العثمانية باعتبارها امبراطورية اسلامية ، والحقيقة أنها امبراطورية بشر لكنها ليست امبراطورية اسلام ، لأنه لا أحد يستطيع أن يقنعنى أن الاستغلال والظلم وامبراطورية المحظيات والخصيان والجوارى ، هى امبراطورية

اسلامية ، لكنها امبراطورية مسلمين ، لأنه يجب أن نفرق بين سلوك البشر المسلمين وسلوك الاسلام ، لأن الاسلام ليس مســئولا عن الذين أساءوا الى طبيعته ، أو استخدموه لعمل امبراطوريات ٠

هذه قضايا طويلة عريضة ومعقدة ، أدرك صعوبتها وصعوبة اقتحامها فى مناطق وشعوب أكثر هلامية ، والأمية فيها منتشرة ، وبساطة الشعور وعدم التعميق فى الأشياء وترك ساحة الاجتهاد لكثير من الناس الذين فيهم طبعا أساتذة أجـــلاء لكن فيهم من لم يتقن علوم الدين ٠

وهناك من يصيبهم الذعر من أى تفكير جديد ويخلطون بين الإسلام وسلوك المسلمين ٠

لذلك فالمعارك مستمرة ، وكل موضوع له أصدقاؤه وخصومه ، وكل له مصلحة فى اتجاه ، وآخر له مصلحة فى اتجاه آخر ٠ وأنا أدرك الصعوبات الموجودة لمن يريد أن يكتب فى هذه المجـــالات ، لكن هناك من يستطيع أن يكتب وفى ذهنه كيف يتحاشى القضايا الصعبة الخلافية ، ويكتب فى سلام وهـدوء ، لكن أنا أزعم أننى طـرف فى كل قضية ذات أهميـة سواء كانت أحداث معاصرة أو أفكار ٠

وأحيانا أجد من يقول لى : لماذا تقتحم أفكارا ، أكثر الناس قابلين بها ، أو تنتقد شخصا محبوبا أو له نفوذ واسع فى الرأى العام ، ومرة فيه رجل كبير قال لى : لو كانت أم كلثوم موجودة بيننا وأنت لا تحبها أو لم يعجبك صوتها ، هل من الحكمة أن تنتقدهـــا فى الصحف ؟ ٠

ففيه ناس ترى تحاشى الصدامات ، لكننى أقول بالعكس ، فان الكاتب اذا استطاع أن يكون له رصيد عند القارىء ، هو ليس اسهما فى البنـك ولا سندات ولا فلوس ، وانمـا هو رصـيد

معنوى للاستخدام ، على الكاتب أن يكون مستعدا ليضحى بجزء منه ليقول رأيه الحقيقى حتى لو نزل برصيده عند قارئه • فليس مطلوبا أن أرضى الجميع وأكتب على الحياد • ويتعرض الكاتب للمشاكل كلما كتب أكثر ، خاصة اذا كان يكتب كل يوم •

والقضايا السياسية هى أول ما يثير مشاكل ، بتفسير الأحداث والتعليق عليها ، وأنا مستعد أن أقول رأيى مهما كانت المشاكل •

وأذكر أننى كنت أول من كتب عن فكرة قيام دولة فلسطينية طبقا لقرار التقسيم الصادر من الأمم المتحدة ، وكتبت سلسلة كبيرة سنة ١٩٦٨ ، وهوجمت من كل طرف ابتداء من جمال عبد الناصر الى أبو عمار ، ومن جهات أخرى كثيرة ، وأعتقد فى رأيى أنه لو أخذت فكرتى مأخذ الجد وصارت هدفا ، لكانت فرصة تحقيقها أكبر من الآن •

وأحيانا أطرح فكرة وأجد التيار ضدها ، فهنا لا يجوز العناد ، وأنا لا أجد عيبا أن أكتب وأقول اننى كنت مخطئا فى هذا الاجتهاد ، وكلنا يكتب اجتهادات ، بعضها يصح أو لا يصح ، لكن لا يجوز للكاتب أن يغير رأيه أو يخفيه لمجرد أن التيار ضده ، انما يجب أن يصمد قدر الامكان •

دفعت الثمن

• • هل كانت لك مشاكل مع الرقابة ؟ •

ـ فيما يتعلق بى لا أذكر أن مقالا لى منع حتى فى أيام الرقابة حين كان الرقيب موجودا ، والآن هو رئيس التحرير ، وهناك أسماء من الكتاب لا يتعرض أحد لما تكتبه ليس لأنها فوق القانون ،

ولكن لأن ما تكتبه ينسب اليها ولا ينسب للجريدة ، فالقـــارىء عادة ما يقول : انظر ماذا يقول الأهرام ؟ ولكن بعض الكتاب بحكم الأقدمية يشار اليهم فيقول القارىء : انظر ماذا يقول فلان ٠٠ ؟ ويحسب الكلام عليه ولا يحسب على الجريدة ، لذا جرى التقليد أن لا أخد يتعرض عليه من هـذا المنطلق ٠ لذلك فأنا أدخل معارك ومشاكل تظل مشكلتى أنا ٠

●● متى تكتب ؟ ٠

ـ عندما يشغل بالى أى شىء أستمر فى متابعته وليس لازما أن أكتبه فورا ، وآثار الحرفة أو المهنة تجعلنى أختار توقيت طرح فكرة معينة ، لكى تترك أثرا مباشر ، فى وقت يـكون الجو فيـه هادئا ، والناس غير مشغولين بقضية مهمة ، لكى تستحوذ فكرتى ، الاهتمام بها ، لذلك فقد أؤجلها شهرين أو ثلاثة لطرحها فى الوقت المناسب ٠ اما لطبيعة القضية نفسها ، أو حين يكون الناس فى حالة استعداد للقراءة ٠

وهناك موضوعات أكتب فيها وتكون فكرتها قد أتتنى قبلها بيوم ، وعادة ما تتعلق بالأحداث ٠

وأنا عادة ما أســـتمع الى نشرات أل « بى بى سى » وأقرأ الصحف المصرية والعربية والأجنبيـــة ، ولو وجـــدت فيهـــا ما يستلفتنى ، يكون التعليق عليها أسرع ، أفضل ، وأحيانا تكون الفكرة حاضرة وناضجة فأكتبها فى دقائق ، وأحيـــانا تتعثر فى طرحها ومدخلها ومنطقها ؛ يعنى لا توجد قاعدة للكتابة ٠

●● فى أى جو تكتب ؟ ٠

ـ أكتب فى أى جو ، لأننى لست باحثا أكاديميا يتطلب مناخا معينا للكتابة ، فأنا كاتب صحفى ، أكتب فى أى زمان وفى أى

مكان ، لكن الأفضل جو الهدوء ، وأن يكون عندى مدى زمنى ، وليس ورائى لقاء أو مقابلة •

● ● هل أنت راض عن نفسك ؟ •

يقول احمد بهاء الدين :

لا يوجد أحد يرضى عن نفسه ، كما أعتقد ، ولكن حظى كان جيدا فى مهنة الصحافة ، واليوميات ، التى أعتقد أنها مرحلة مهمة فى حياتى من حيث التأثير على الرأى العام ، من أكبر المسئولين الى أصغر الناس ، وان كنت دفعت ثمنا عصبيا وصحيا ، وهذا شىء لابد منه •

● مصطفى أمين

كل رؤساء التحرير تلاميذى

● عاشق الحرية التي نادى بها طوال حياته ، ثم اصبح من اقوى المدافعين عنها بعد سجنه .. تصله حوالى ثلاثمائة رسالة يوميا من قرائه .. كلها بتوقيعات اصحابها بعكس ما كان يحدث من قبل لم هو قبل ذلك ـ وبعده ـ ابو الصحافة المصرية .. تخرج في مدرسته كل رؤساء تحرير الصحف المصرية . ايضا كان صاحب اجرا قرار بتعيين اول فتاة للعمل بالصحافة التي اصبح جزءا بارزا من تاريخها واحد اعلامها الكبار ..

في البداية قال محدثنا الأستاذ الكبير مصطفى امين .. انه سينتخب الرئيس مبارك .. لأنه لم يقصف قلما ، ولم يفصل صحفيا ، ولم يصدر قرارا يمنع كاتبا من الكتابة ..

قلت .. ولكننا نقرا احيانا بعض انتقاداتك ..

قال .. انا مثلا عندما اطالب الرئيس حسني مبارك باشياء تدعم الحرية والديموقراطية ، فانني بذلك احبه .. واريده ان يبقى .

● ● ولكن البعض يحتج بانه في عهد الحرية ارتفعت أصوات الرصاص بينما لم يكن له صوت ، في عهد الحاكم الفرد ؟

ـ في أمريكا حرية عظيمة جدا ومع ذلك قتل كيندى ، وفي عهد استقلال الهند حرية عظيمة جدا عملها « نهرو » وقتل غاندى ، فالحرية لا تمنع الرصاص ، ولكن هناك فرقا بين اغتيال فرد في عهد الحرية واغتيال شعب في عهد الديكتاتورية .

ثم ان القول بانه في عهد الديكتاتورية لم يكن هناك تطرف ، فذلك لم يكن ظاهرة ولكنه كان موجودا تحت الأرض يتوالد ويتكاثر

وينتشر وأنت لا تحس به ، فبدلا من أن يقول متطرف فى عصر الحرية يسقط الحاكم ، فانه في عصر الديكتاتورية يقولها المتطرف مع نفسه تحت الأرض ٠٠ يفكر كيف يغتال الحاكم وكيف يدبر مؤامرة لاسقاط نظام الحكم ، وأنا أرى أن التطرف الآن هو نتيجة لعهد مضى اعتبره مرحلة انتقالية ولابد أنها سوف تنتهى ٠

● ● اذن فالحرية والديمقراطية براء من العنف والارهاب وليست هذه مبررات للعودة الى القبضة الحديدية مع وجود حرية أكثر وديمقراطية أكثر ؟

ـ هذا صحيح لأنه عندما اغتيل عمر بن الخطاب لم يقل أحد أن الاسلام هو المسئول عن الاغتيال ، كذلك عندما اغتيل عثمان ابن عفان ثم على بن أبى طالب لم يقل أحد أن الاسلام مسئول عن اغتيالهما ، لذلك فعندما يحاول أحد اغتيال وزير داخلية سابق ، أو رئيس تحرير صحيفة حالى فليس معنى ذلك ان الحرية والديمقراطية مسئولتان عن الاغتيال ٠

● ● رغبتك فى الحرية ودعوتك لها بعد السجن أيهما اقوى لديك ؟

ـ أنا كنت أدعو للحرية قبل دخول السجن وفى أثناء وجودى فى السجن وبعد خروجى من السجن ، وقد يكون السبب الأول اننى فتحت عينى على مظاهرات تهتف بحياة حرية مصر ٠٠ كانت هذه أول أصوات سمعتها من جماهير ثورة ١٩ بالحرية واستقلال مصر والسودان ، فنشأت فى هذه الدعوة وحافظت عليها ، وآمنت بأنه لا مستقبل لبلدنا بغير الحرية ، وأن العبيد لا يكسبون الحرية ولا ينشئون الدول انما الدول يبنيها الأحرار ، وعندما تضيع الحرية تضيع معها أشياء كثيرة جدا كالمروءة والشجاعة والاخلاص والصدق ٠

● ● هل انعكس مناخ الحرية على ما يصلك من رسائل ؟

- كانت تأتى رسائل كثيرة بدون امضاء قبل عصر الحرية ولكن الآن لا توجد بين مجموع حوالى المائتين أو الثلاثمائة رسالة التى تصلنى يوميا الا رسالة واحدة بلا امضاء ٠٠ هذا الأمان وتلك الحرية التى يشعر بهـا الناس الا يلقى ذلك على عاتقى مسئولية حمايتها ؟ مسئولية الشعب أنه يشتغل انما فى عهد الديكتاتورية لم تكن للشعب مهمة سوى انه يقعد يتفرج ويصفق ، لكن فى عهد الديمقراطية الشعب لازم يشتغل ، انما لما يقال انه لا يعمل سوى ٢٧ دقيقة فى الأربع والعشرين ساعة فهذا ينشىء ديكتاتورية ٠

● ● تقصد ديكتاتورية البطالة ؟

- نعم لأن الشعب لما يشتغل ٢٧ دقيقة ستفلس البلد وتحدث فوضى ، ومجاعة وتقوم ثورات كما سيأتى يوم توقف فيه الدول الطعام عنا ٠٠

● ● وبالتالى تخضع ارادتنا ؟

- نعم ، لذلك فلابد لنحافظ على الديمقراطية والحرية أن نعمل لأن « تنابلة السلطان » الكسالى ليس لهم حقوق انسان ٠

● ● هذه التنبلة والكسل السلطانى مضافا اليهـا صفـات أخرى قبيحة كاللاحب وكاللامبالاة ٠٠ بماذا تفسرها ؟

- أفسرهـا بفقدان الحرية لفترة طويلة ، مما جعل الناس أنانيين ، كل واحد خائف على نفسه ، لما يقبض على أحد الجيران الأب يقول لابنه « مالناش دعوة ٠٠ خلينا فى حالنا » بينما كان أجمل حاجة فى مصر انه لما تخرج جنازة كان الحى يخرج كله يمشى

فيها من غير ما يعرف «مين الميت »، ولما تفوت الجنازة على قرية تخرج القرية فى الجنازة من غير ما تعرف المتوفى ، أريد أن أقول إنه كان فيـه شيء من التضـــامن الاجتماعى غير معقول ، لكن لما جـاءت الدكتاتورية تغلبت الفردية ، وكل واحد يقول « نفسى ·· نفسى وأنا مالى يا عم » · لكن أنا معتقد انه لما تكون فيه حقوق انسان وحرية كاملة وديمقراطية كاملة سيعود الناس يحبون بعضهم مثلما كانوا زمان ·

● ● هل تعتقد أن جيلكم كان أسعد حظا من جيلنا ؟

ـ طبعا لأن جيلنا كان فيه مثل وقدوة عظيمة ، فى كل ميدان تجد قدوة لأنه مع وجود الحرية تجد الحياة ليس فيها سقف · وكل واحد ينمو بالطول مثلما يريد ، فكان عندنا عمالقة فى الصحافة والأدب والفن والاقتصاد والعلم ، انما فى عصر الديكتاتورية يطلع واحد طويل فقط هو الحاكم الفرد ، وحوله السقف واطىء ، ثم يهبط تحته يحنى رأسه ثم ينزل السقف فيركع ، ثم يهبط السقف فيسجد ثم ينطبق السقف على الأرض فيختنق ويموت ·

لهذا أنا معتقد انه مع مناخ الحرية والديمقراطيـة سيخرج عمالقة من الشباب الموجودين بل سيكون منهم ناس أعظم من العقاد وطه حسين وفكرى أباظة وغيرهم ، ما دام فيه حرية لأن الشباب مثل الزهرة لما تضعها فى الشمس والهواء تتفتح ويكون لها عبير لكن لما تضعها فى حجرة مغلقة تذبل وتموت ·

● ● فى شبابك ·· ماذا كانت اهتماماتك ؟

ـ أنا لم يكن لى شباب للأسف لأنى نجحت بسرعـة وكنت نائب رئيس تحرير وعمرى ١٧ سنة وكنت طالبا صغيرا لم أحصل على شهادة الكفاءة بعد ، وكان أصدقائى فى سنة ١٩٣٠ من نوعيات

على باشا ماهر رئيس وزراء ، اسماعيل باشا صدقى ، رئيس وزراء ، ومكرم عبيد « وزير مالية » ، ولما صار عمرى ٢٤ سنة كان أصدقائى « أحمد ماهر ، النقراشى ، طلعت حرب ، وكان لى معارف من التلامذة انما لم يكونوا أصحابى ، وكنت أخاف أن أقول لهم ان أنا فلان الذى أكتب فى الصحافة حتى لا يحتقروا المجلة ويقولوا ما هذه المجلة التى يكتبها واحد فى الكفاءة ، تبقى مجلة حقيرة ، لذلك أنا كان لى شخصيتان ، مصطفى أمين يوسف التلميذ ، ومصطفى محمد الصحفى وكان لى كارت بهذا الاسم .

● ● ألم تحس بطفولتك أيضا كما لم تحس بشبابك ؟

ــ لم أعش الطفولة لأننى وعمرى ثمانى سنوات أنا وعلى أمين كنا غاويين صحافة ، وكنا فى البداية نحرر مجلة كانت مكتوبة بالقلم الرصاص على ورق كراريس ، ثم طبعناها فى مطبعة بيت الأمة التى كانت تطبع منشورات الثورة ، ونبيع المجلة للطلبة « بسن » ريشة جديد ، ثم نجمع « سنون الريش » الجديدة ونذهب للمكتبة لنستبدلها بورق نطبع عليه العدد الجديد من المجلة وهكذا.، فكانت هوايتنا الصحافة ، فلم نكن نلعب لأن لعبتنا هى الصحافة ، فلم تكن طفولة أو شباب بل كانت لنا شيخوخة مبكرة .

● ● هل تجد أن الطفل المصرى اليوم يعيش طفولته الحقيقية ؟

ــ الطفل الآن يتمتع بشىء افتقده جيلنا وهو التليفزيون ، وللأسف فانه يأخذ منهم وقتا كثيرا جدا فلم يعد عندهم وقت للقراءة . بينما أنا مثلا لما كان سنى ١٢ سنة كنت أقرأ للعقاد وتوفيق الحكيم .. أما الأطفال اليوم فليس لديهم وقت للقراءة ، وهم معذورون لأن الكتاب فى زماننا كان بعشرة قروش أما الآن فبخمسة وستة جنيهات ..

● ● كيف يمكن ايجاد التوازن بين متعة التليفزيون ومتعة القراءة المفقودة ؟

ـ يجب ان تكون فيه قدوة فيحدث التليفزيون مشاهديه عن العظماء وكيف بنوا مستقبلهم بأيديهم ٠

فعرض قصص كفاح الناس سيكون له دوره فى اتجاههم الى الاقتداء بهم ، فنحن مثلا لما كنا أطفالا كما نسمع عن سعد زغلول ونقلده ، زمان كان مثلنا طلعت حرب مثلا ، زمان كنا نسمع عن زعماء الوفد السبعة يقفون بعد ما حكم عليهم بالاعدام ويهتفون « نموت وتحيا مصر » ، هذا مشهد جليل يتأثر به أى طفل ، كذلك كنا نرى صورا للبطولة لا يتصورها عقل ٠

فأنا مثلا لا أنسى أنه بعد أن صودرت أموال سعد زغلول وزوجته ، وكان فى المنفى ، كما صودرت أموال والدى ووالدتى ، وكنا نعيش فى بيت سعد زغلول ، بعد أن كنا نفطر « زبدة ومربى وبيض » ، وجدنا أنفسنا نفطر فول ، ونتغدى فول ونتعشى فول ، ولم نعد نأخذ قرش تعريفة لنشترى به الشيكولاته التى كانت مهمة جدا فى حياتنا ، فكانوا يقولون لنا ٠٠ لا توجد شيكولاته لأن سعد باشا فى المنفى ، تصور ؟ ، ونبقى معذبين جدا ، ثم يأتى العيد فلا يعطون لنا بدلة جديدة كما كانوا يفعلون من قبل ٠ فكنا نشعر ونحن أولاد أننا فى محنة حقيقية ٠ وفى يوم من الأيام ونحن جالسون مع صفية زغلول أم المصريين ، قالوا لها ان النصرى بك السعدى ، والسيد حسين القصبى يريدان مقابلتها وكنا نعرف السيد حسين القصبى من طنطا ووجدنا رجلا يحمل « مقطفا » فأنا قلت لأخى « على » : لقد أتوا بـ « حب العزيز » ، ثم اذا بنصرى بك السعدى يفتح المقطف وينزل منه خمسة آلاف جنيه ذهبا ، والثانى يفتح الحزام الخاص « بجبته » وينزل منه

أيضا خمسة آلاف جنيه ذهبا ، فتعجبت صفية زغلول ، فقالوا لها : هذه الأموال تصرفوا منها الى أن يرفع الانجليز المصادرة عن أموالكم ، فلما أرادت أن تكتب لهما ايصالا بالمبلغ ، قالا لها : انك بذلك تهينيننا ، وخرجا ٠

مشهد آخر لا أنساه ، حينما كان سعد زغلول فى المنفى بجبل طارق اغتيل واحد اسمه بدر الدين مدير الأمن العام وكان أحد أعداء الثورة ، فأعلنت الحكومة عن مكافأة عشرة آلاف جنيه لمن يدلى بمعلومات تقود الى قاتله ، فوجدنا من يأتى لمقابلة أمى وكانت هى الموجودة ساعتها ، وهو يلبس طربوشا ويمسك بيده طربوشا آخر ويقول انه وقع من الشاب الذى أطلق الرصاص على مدير الأمن فى الشارع الذى به عمارة البابلى بالسيدة زينب ، وأنه خاف أن يقع هذا الطربوش فى يد رجال الأمن ، لأن اسم الشاب مكتوب عليه ، لأن زمان كانوا يكتبون الأسماء على طرابيشهم ، فأمى سألته انت بتشتغل ايه ؟ فقال : تاجر فى عمارة البابلى ، وسألته عن اسمه فقال : عبد الغنى محمد ، فلما عاد سعد زغلول من المنفى ، قالت له ما حدث ، فبعث فتح الله باشا بركات ليبحث عنه ويأتى به فراح وسأل عليه فاتضح أنه مريض ونقل لمستشفى «قصر العينى» ، وهناك مات نتيجة لمرض السل ، مات من الجوع ! ، تصوروا رغم أنه كانت أمامه فرصة مضمونة للحصول على عشرة آلاف جنيه ٠ ومئات الصور الأخرى التى شاهدتها فى طفولتى ٠

● ● انت الذى عشت فى بيت الأمة بيت سعد زغلول ٠٠ ما هى الصفة التى لفتت نظرك فى هذا الزعيم ؟

ـ كان سعد مؤمنا ايمانا غريبا جدا بقدرة الشعب لدرجة أنه كتب فى مذكراته أنه عندما شرع فى ثورة ١٩ جاء له بعض الباشوات والأعيان يضعون تحت تصرفه عشرات الألوف من الجنيهات ولكنهم

جاءوا له بعد ذلك معتذرين لأنهم سمعوا أن الانجليز والسلطان ضد الحركة فكتب يقول • اعتقد أن هذه الحركة سوف تعتمد على الفقراء أولا وانهم سيكونون عصب الثورة •

●● هـذا يعنى ان الحاكم او الزعيم يجب ان يعتمد على شعبه اولا ؟

ـ طبعا

هـذه وصيتى

●● ما هى المحاذير التى تضعها لنفسك وأنت تكتب ؟

لست خائفا من انسان ولا أريد شيئا ، وطالما لا أريد شيئا فلا أخاف أن يمنع عنى أحد شيئا •

●● بعد ان ذهب الرقيب بلا رجعة ما هو الرقيب الذى ترى انه يجب أن يبقى ؟

ـ الضمير

●● هل هناك مناخ معين تكتب فيه ؟

ـ أكتب فى أى وقت ، فى المكتب ، فى البيت ، فى الطائرة ، فى أى مكان •

●● هل كتبت شيئا وندمت عليه ؟

ـ لا ، لكن ساعات أكتب شيئا وأشعر أنه قاس على من أكتب عنه فأشفق عليه •

●● هل تعيد ما كتبته اذن ؟

ـ لا ، فأنا أكتب وأضرب جرسا للساعى ليأخذ ما أكتبه إلى

المطبعة ولا أقرأه الا بعد النشر ، وتكون « فكرة » هي آخر شيء اقرأه في الأخبار .

● ● ما الذى يشغلك الآن ؟

ـ متاعب الناس وأتمنى أن أرفع الضيق عنهم وبقدر امكانى أحاول أن أفعل ذلك .

● ● ما هى الرسالة التى تعتبر انك نذرت نفسك لها وهل استطعت أن تحققها ؟

ـ حب الناس ، وقد نجحت على قدر ما استطعت .

● ● دكتوراه حب الناس أم الدكتوراه الفخرية التى حصلت عليها من الجامعة الأمريكية ؟

ـ أنا فخور بحب الناس وأعتقد أنه أهم ألف مرة من شهادة الدكتوراة الفخرية ، وأنا معتز بدكتوراه الناس .

● ● وانت الآن دكتور الصحافة المصرية ما هى روشتة النجاح التى تقدمها لشباب الصحفيين ؟

ـ أن الصحفى يعرف أن مستقبله متوقف على الحرية ، وأن يعرف أن الصحافة تطلب منه أن يكون صحفيا لمدة ٢٤ ساعة لأن الصحافة لا تقبل شريكا ، وأن تحب الصحافة لأن النجاح فى الحياة هو قصة حب ، وبقدر ما تحب صنعتك بقدر ما تنبغ فيها . خاصة أنها تحتاج الى صبر ، وأنا مثلا باعتبر نفسى من أسرع الناس نجاحا فى الصحافة ، فأصبحت نائب رئيس تحرير وعمرى ١٧ سنة فى روز اليوسف ، وصرت رئيس تحرير فى آخر ساعة وأنا عمرى ٢٤ سنة ، لكننى قبل ذلك كتبت مائة مقال قبل أن ينشر لى المقال

« ١٠١ » ، ومكثت عشر سنوات أكتب دون أن يظهر امضائي ، ولهذا طلعت كبيرا فجأة ، لكن أنا كنت صغيرا .

● ● هل معنى هـذا أن المرأة لا تصلح صحفية بالمقاييس التي ذكرتها ؟

— المرأة تصلح للصحافة جدا وأنا أول من أدخل المرأة الى الصحافة الفعلية ، وكانت هي السيدة أمينة السعيد ، فأقنعتها وأصبحت أول محررة في آخر ساعة ١٩٣٤ .

وتجربتي أن البنات فيهن صفات جيدة جدا للصحافة ، فاذا كان في رأس الرجل عدسات كثيرة فان العدسات في رأس المرأة أدق بمعنى أنه اذا بعثت « بنتا وولدا » لمقابلة وزير ، فان الولد سيأتي لي بمعلومات كثيرة جدا ، لكن البنت ستأتي لي بتفاصيل دقيقة لا يأخذ الرجل باله منها .

● ● لكن قولك أن الصحافة تحتاج الى تفرغ ٢٤ ساعة هل يتناسب مع المرأة الصحفية المتزوجة ؟

— بعد أن تتزوج المرأة تصبح جريدتها بيتها ، أخبار عيالها هي الأخبار الداخلية ، والأخبار الخارجية ، انما قبل أن تتزوج تكون صحفية ممتازة جدا ، وبعد أن تربي أولادها تعود صحفية جيدة .

● ● بالنسبة للرجل هل ترى مساعدته لزوجته في الأعمال المنزلية ؟

— لو كنت أعرف أكنس أو أطبخ أو أعمل شيئا من أعمال المنزل لساعدت زوجتي ، وأنا أعتقد أن الزوج يجب أن يشرك زوجته في كل أفراحه ومتاعبه ، أنا أفعل ذلك ، ويجب على الرجل أن يختار المرأة التي تصمد معه في محنه وهزائمه .

●● ماذا تفعل فى وقت فراغك لو وجد ؟

ـ هوايتى القراءة ، وأحب مشاهدة مباريا تكرة القدم بلا تعصب ولا تشنج ، وانما بتشجيع من يلعب أفضل .

●● ما هى أمنيتك الخاصة ؟

ـ أمنيتى الخاصة والعامة هى أن تتمتع كل البلاد العربيــة بحقوق الانسان وحرية الصحافة .

●● وصيتك ؟

ـ أن تكون أمنيتى هى أمينة الآخرين ويدافعوا عنها .

●● وكل رؤساء تحرير الصحف المصرية والعربية تلامذه لك كما ذكرت من قبل هل تجد منهم وفاء ؟

ـ الوفاء الذى أريده منهم أن يكونوا ناجحين فى عملهم .

●● عنوان يريد الأستاذ مصطفى أمين أن يكتبه على ملف حياته ؟

ـ الانسان .

● الشيخ الغزالى :

لا أبرىء نفسى

● عندما بدات الحوار مع فضيلة الشيخ محمد الغزالى ، ومضيت فى مقدمة عنه ، طلب منى حذف المقدمة لأنه لا يقبل مديحا او ثناء كداعية اسلامى يخدم الاسلام لوجه الله تعالى دون انتظار جزاء او شكر فهو اعلم بقدر نفسه ، وحسبه فكره يتكلم عنه ويشهد له ، وهو يرى ان رسالته هى تعليم الجاهل وايقاظ الغافل ، والهدف كما يقول فى كتابه « هموم داعية » : استثارة الهمم لبدء نهضة واعية مادية تعتصم بالوحى الأعلى وتتاسى بالرسول صلى الله عليه وسلم وصحبه وتنتفع بتجارب الأربعة عشر عاما التى مرت بنا » .

ولما سالت فضيلته :

●● هل يحق للمسلم اليوم ان يفخر بانتسسابه الى أمة الاسلام المتقاتلة المتناحرة ؟

أجاب الداعية الاسلامى الكبير قائلا :

الانسان لا ينبغى أن يفخر الا بعمله الارادى أما أن يفخر ببنوة عريقة أو بأمة عظيمة فان هذا لا يجديه كالفخر بالآباء قديما ، عندما كان الناس يفتخرون بآبائهم كانوا يستدركون بأنهم يفعلون مثلما فعل الآباء ويؤدون مثلما أدوا ، كما يقولون :

اذا غاب منا كوكب بدا .. كوكب تاوى اليه كواكب

واذا كان الفخر باننا أمة عظيمة لا يجوز فكذلك لا يجوز أن نشعر بالرضا والراحة لأننا ننتسب الى أمة متقاتلة فنحن ما استرحنا الى أن يكون فى أمتنا متقاتلون ، والذى يحدث الآن بين الايرانيين والعراقيين وكلاهما شعب مسلم ، أو هذا النزاع الذى بين حركة فتح

رغيرها من الحركات مما أضر بالقضية الفلسطينية وأساء اليها ٠٠
فهذا شيء مؤسف يضيق به العقلاء بيقين ، ولكن هل أتيحت الفرص لمن يعالجون الأمراض من جذورها أن يتحركوا ليصلحوا ما فسد بين هؤلاء وأولئك ؟ اننـــا عندما نتغاضى عن بعض الجرائم ولا نريد التعرض لها ثم نحاول علاج قضية من القضايا فنحن فاشلون حتما ، فالايرانيون يرون أنهم فى حرب دينية مقدســة كمـا يقولون ، والعراقيون يرون ما يشبه هـذا الرأى ، وهذه القضية فيها من النواحى الدينية ما يجعل لرجال التقريب ما بين المذاهب الاسلامية ورجال الفقه الإسلامى دورا فى الاصلاح المنشود لكن هذا الدور ما نظر اليه ولا فكر فيه ومن هنا ستظل هذه الحرب سجالا لأن أطباءها الحقيقيين لم يستشاروا فى علاجها ٠

● ● اذن فحاضر المسلمين اليوم يدعو الى اليأس ؟

ليس هناك ما يدعو الى اليأس فى منطق العقلاء وأولى العزم من البشر ، ربما خامر الناس شعور من اليأس اذا حاولوا مرة أو مرتين ولم ينجحوا ، ومع هذا فان الشعور باليأس هنا جريمة لأن المحاولة مثنى وثلاث ورباع لا يجوز أن تسبب يأسا اذا صحبها الفشل ، وكيف نيأس إذا كان المسلمون لم يحاولوا أن يؤدوا واجبهم وما استطاعوا أن يؤدوا هـذا الواجب بجهودهم الوانيـة الكسول التى يبذلونها الآن فى سبيل مصلحتهم فما الذى يدعو الى اليأس هنا ؟ ان الذى قيد وما حاول يوما أن يفك قيده لا يجـوز أن ييأس وهو نائم ، انما يعتذر عنه بأنه حاول فك القيد وعجز ولكنه ما حاول فك القيد ، فنحن من هذا النوع فعملنا الى الآن قليل جدا ويجب أن يتضاعف هذا العمل أضعافا مضاعفة حتى يمكن أن نكون أهلا للحياة ، فليس أمامنا ما يوجب اليأس ٠٠ لا ٠٠ نحن أمام ما يوجب العمل وما يوجب الحركة وما يوجب الانطلاق ٠

●● وفى ضوء هذا الواقع كيف ترى مستقبل المسلمين ؟

ـ أنا أرى أن هناك صحوة اسلامية لمستها فى طوافى بالعالم الاسلامى من الأطلسى الى الهندى وهذه الصحوة تحتاج الى ترشيد وأن يكون أمامها تمهيد ، لكن التمهيد المنتظر صعب بل أجزم أنه معدوم فالعوائق كثيرة ، وبقدر ما تجد الصحوة من عوائق تهتاج وتتحرك بعنف ، وأنا أرجو ألا يكون ما أمام الصحوة من عوائق سببا فى أن تفقد رشدها وهى تقاتل ما يعترضها ، ولعل الذين يعترضون الصحوة الاسلامية يتراجعون عما يفعلون ٠

●● لا شك ان عماد الصحوة الاسلامية هم الشباب فكيف تنظر الى الشباب اذا لجأ الى العنف والتطرف هل هو ظالم أم مظلوم ؟

ـ التطرف والعنف رذيلتان ولا يقال عن اتكاب امرىء رذيلة أنه معذور أو مكروه على فعل ما فعل ، قد تكون هناك عوامل مخففة للجريمة أو ملابسات محيطة بالانسان تجعله أشبه بناقص الارادة ، ولكن التكليف الشرعى الذى نواجه به الشباب يجب أن يكون بعيدا عن هذه العلل التى تنتحل ، **فلا معنى للتطرف والعنف لأن الاسلام يعرض حقائق الدين بالحكمة والموعظة الحسنة** ، والدليل ، وادمان النظر ، واحسان التفكير وايقاظ الحواس لتعرف ما لم تكن تعرف أما محاولة اشعار الناس بأن الدين فيه عصبية نفسية أو ثورية خلقية أو نوع من الطيش والانفعال ، كل هذا بعيد عن حقيقة الاسلام والدعوة ٠

●● الا يقع عليكم انتم دعاة الاسلام جزء كبير من المسئولية ان لم تكن كل المسئولية فى تطرف الشباب لأنه لم يجدكم تقودونه ووجد فقط دعاة العنف والتطرف هم الذين يقودونه ؟

أنا لا أبرىء نفسي وأشعر أيضا بأن اخواني المشتغلين بالدعوة أعجز من أن يبرئوا أنفسهم لأننا كان يجب أن نضاعف الجهود وأن نقترب من الشباب الذى يقع منه أخطاء كثيرة ، واذا كنت أعترف بأننا نقصر فى قيادة الشباب فانى فى الوقت نفسه أزعم أن الاسلام يواجه عقبات كثيرة منها لا لزوم له ، وأن المشتغلين به أحيانا يلقون عنتا لا مبرر له واستغرب أن يكون الخطأ من غيرهم مغتفرا ومنهم مضاعف العقاب .

فالدعوة الى الله جهد مشترك نحن نقوم بعمل والآخرون يقومون بعمل ، ومن مجموعة الأعمال التى تكون من هنا ومن هناك يمكن أن ننجح فى توجيه الشباب وقيادته .

● ● فما هو دوركم بالتحديد ودور أولى الأمر نحو الشباب ؟

واجبنا وواجب الفقهاء وأولى النظر السديد أن نصحب الشباب وأن نسدد رميتهم ونجعل خطاهم على طريق الحق دائما ، وفى نفس الوقت نناشد أولى الأمر فى كل بلد اسلامى أن يعامل الشباب بأبوة حانية وبنوع من الرفق والرحمة .

● ● وما هو الدور المطلوب من الشباب ؟

فى الحقيقة أوجب على الشباب من الجنسين أمورا كثيرة لأن الشباب فترة قوية فى عمر الانسان ولذلك له فى الاسلام سؤال خاص به « لا تزول قدما عبد حتى يسأل عن شبابه فيما أفناه » فالشباب فترة خصبة وغنية ونحن الآن جزء من العالم الثالث المتخلف اقتصاديا وحضاريا فمن الذى يستطيع أن يجعل الأمة تنتقل الى العالم الأول ؟

انهم الشباب الذين أهيب بهم أن ينظروا الى شباب اسرائيل وشاباتها الذين يروون الصحراء ويعملون لمجد اسرائيل ، اننى

أمثال الشباب العربي والشباب الاسلامي أين هؤ من الميادين بينما أعداؤه يؤدون واجبهم بقوة ، ان على شبابنا أن يؤدى واجبه بقوة وبعمل ، والعمل لكى يكون صحيحا يجب أن تكون معه عاطفة حارة يولد معها العمل قويا واصلا الى هدفه لأن الطاقة التى تصحبه عارمة وهذه الطاقة موجودة فى الشباب وهى تزداد اشتعالا كلما صحبها الايمان ، والله سبحانه وتعالى يقول للمؤمنين « خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه » ، ومعنى الآية أننا نحتاج الى أمرين : وضوح الرؤية وقوة الاندفاع . والشباب بحاجة الى أن نضم الى قوته العتيدة قوة اليقين ، قوة القذيفة المنطلقة لكن على أساس أن يصوبها انسان نزيه يقصد الخير لأمته ولدينه .

● ● القدوة المفقودة أين يجدها جيلنا ؟

اذا ذكرت كلمة قدوة فهى تذكر دائما فى مجال التربية وهذا صحيح فان الولد حينما يشب فى بيت يدخن أبوه ولا يبالى أن يدخن أمام أولاده فان الولد يشب والتدخين عنده أمر لا حرج فيه فما المانع أن يدخن اذا كان أبوه يدخن ، لكن هل القدوة لا تكون الا فى النواحى الخلقية فقط ؟ أرى أن مجتمعنا يجب أن يأخذ القدوة فى مجالات كثيرة فمثلا كان مصطفى كامل باشا فى مقتبل عمره عندما قاد أمة ناهضة ذكرنا بأسامة بن زيد عندما كان يقود جيش المسلمين وهو فى الثامنة عشرة من عمره ، فهل نجد من رجال السياسة من يقدمون قدوة طيبة فى القيادة النزيهة الحرة التى تتجرد لمبدئها والتى لا تبحث عن النفعية فى عملها ؟ هل نجد فى ميدان الصناعة من يجيئون الى ميدان نحن فيه صفر ثم يتحركون بهمة بعيدة المدى كما فعل طلعت حرب قديما واستطاع تأسيس شركات بنك مصر من لا شىء وأن يقيم لمصر أساسا اقتصاديا عظيما ؟ هل نستطيع أن نفعل فى ميدان الأدب كما فعل قادة الأدب منذ ربع قرن واستطاعوا أن يصنعوا نهضة فى الأدب العربى ذكرتنا

بأيام ابن المقفع والجاحظ وأيام القرن الثالث والرابع الهجرى أيام ازدهار الأدب العربى ؟ هل نجد الآن من يكونون قدوة للشباب فى الأداء الراقى وفى الديباجة المشرقة وفى الأسلوب السهل وقبل ذلك كله فى الغايات الشريفة وفى المعانى الحسنة النقية التى ترتبط بكلامهم وبمقالاتهم .

اننا محتاجون الى رواد هاجروا من مصر وذهبوا الى أمريكا وأوربا يكونون طليعة علمية تجتذب وراءها أعدادا من الشباب الذين يعملون فى ميدان العلم ويتزودون من الثقافة ما يحتاجون اليه ، واذا ذهبوا الى ميدان آخر فى أى ناحية كانوا قدوة وأسوة حسنة ، وأنا وان كنت معروفا بالاشتغال بالنواحى الدينية فاننى أتابع أنشطة كثيرة وقد نظرت بأسف الى النتائج التى حصل عليها المصريون فى ميدان الرياضة وعندما نظرت من وجهة نظرى رأيت انه لو كان هناك ما أسميه العزيمة الماضية والركون الحقيقى الى الله وحسن الاستمداد منه وحسن انتهاز الفرص واليقظة فى مواجهة الخصوم لكانت هناك نتائج مرضية فما الذى يجعل شبابنا يفقد توازنه عندما يجد هجمة شرسة لماذا لا يبقى متماسكا ولا يهتز أمام هجمات خصومه ، هذا كله وان كان فى ميدان الألعاب الرياضية الا أن من ورائه حائطا خلقيا منهارا وهذا الحائط المنهار هو الذى يجعلنا نعود من ميادين سباق عالمية دون أن نحصل على ميدالية برونزية ولا ما دون ذلك ، وهذا نوع فى اعتقادى من التأخر فى ميادين كثيرة نحتاج فيها الى أصحاب القدوة الطيبة .

● ● ظواهر التخلف التى ينعتنا بها الغرب والمشككون انها بسبب الاسلام الا توضح لنا حقيقة الأمور حتى لا تلتبس الحقيقة على بعض النفوس الضعيفة التى قد تتأثر بمثل هذه الدعاوى الكاذبة ؟

ـ الاسلام منذ بدأ كان نهضة ، فلقد اعتنق العرب الاسلام وهم شعب يشبه دولة متخلفة من دول العالم الثالث فى عصرنا هذا ، فأصبح الاســلام الدولة الأولى فى العــالم واستطاع أن يطوى الامبراطوريات الكبرى وأن يرسى حقوق الشعوب وأن يضمن حقوق الانسان وأن يطفر بالحضارة طفرات واسعة ، فالقول بأن الاسلام أخر العرب لا معنى له لأن العرب دخلوا بالاسلام التاريخ لكن الأيام دول يوم لك ويوم عليك « وتلك الأيام نداولها بين الناس » وقـد أخلص العرب للاسلام يوما فقادهم الى الأوج ثم خانوا رسالتهم ولم يحسنون أداء ما عليهم من حقوق فهبطوا ، والذنب هنا هو ذنب من لم يؤد واجبه ، والأمة الاسلامية يستحيل أن تنجح الا بالاسلام فاذا تركت دينها فكيف تنجح ، فالتركات الأدبية والنفسية الموجودة فى العالم الاسلامى الآن والتى تحمل عنوانا اسلاميا هو عنوان مزيف أما التركات نفسها فهى خرافات شعوب ومساوىء أمم تركت الحياة وتركت الحقائق التى تسمو بها الأمم ولذلك لا نستطيع أن نقـول أبدا ان الأمة الاسلامية الموجودة الآن تأخرت بالاسلام ولكنهـا لم تعرف الاسلام ولم تعمل به ، وعندما تعرفه وتعمل به فســوف يرتفع مستواها كما ارتفع مستوى الأوائل ، هذا شىء ينبغى أن نعرفه وأن نؤكده ، وأن ندعو اليه الذين يغفلون عنه .

● ● حديثك عن تخلف المسلمين وأسبابه يجعلنا بالضرورة نتحدث عن تقدم الغرب وأسبابه مما يذكرنا بما قاله الامام محمد عبده عندما عاد من فرنسا وسئل ماذا رأيت هناك ؟ فأجاب رأيت اسلاما بغير مسلمين وهنا رأيت مسلمين بلا اسلام .. فما تعليقك ؟

ـ لا شك أن الحضارة الأوربية فيها أصول كثيرة من الفطرة الانسانية أو الطبيعة البشرية ومن آثار العقل الانسانى عندما يرقى ويزكو ، ولذلك فان هذه الحضارة الفطرية أقرب للاسلام منها الى طبيعة البلاد الأوربية التى ظلت تعيش خمسة عشر قرنا فى ظلام

ولم تعرف حركة الاحياء الا بعد أن اتصلت بالعالم العربي والاسلامي في القرون الوسطى ، أما الأمة الاسلامية ففيها كثير من العقد والتكلفات الرديئة والبعد عن الحقائق الدينية ولذلك لا أستطيع أن أقول انها صورة قريبة من الاسلام ٠

⊕ ⊕ بداية تطبيق الشريعة الاسلامية ٠٠ هل ترى أنه ينبع أولا من نفوسنا واقتناعنا أم يأتي أولا بقوانين ؟

ــ الشريعة الاسلامية من بضع وسبعين شعبة لأن الايمان كما جاء في الحديث الشريف بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة أعلاها لا اله الا الله وأدناها اماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الايمان » ، فهناك شعب لا دخل للقانون فيها في هذه الشريعة العظيمة ، فلا إله الا الله رمز الايمان ، والحياء شعبة من الايمان فما دخل القانون فيها ؟ هذا للتعليم والدعوة ٠ أما ان القاتل يقتل وتنفذ شريعة القصاص فهذا عمل أولى الأمر ورأيي أنهم لو جربوا القصاص الآن فان آلاف جرائم الثأر أو الاستهانة بحق الحياة وغيرها من أمور أخرى سوف تختفي من حياة الأمة المصرية بالذات لأن الاسلام قال : القاتل يقتل ، من قتل عمدا يقتل ، فاذا ما جاء القانون يقول ان القاتل لا يقتل الا اذا كان هناك ترصد وسبق اصرار ثم جاء من يدافع عن المجرم فينفي الترصد وينفي سبق الاصرار فاذا بألف جريمة قتل تقع فلا يعدم الا عشرون أو ثلاثون ويدخل الباقي السجون ثم يخرجون بعد بضع سنين ، فان هذا معناه اهدار شريعة القصاص وبالتالي مضاعفة جريمة القتل والاكثار من عدد المفقودين في هذا الميدان ، والاسلام يقول في هذا المجال « ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب » والعرب يقولون « القتل أنفى للقتل » . وأنا متأكد أن أناسا قتلوا أمهاتهم وقتلوا آباءهم وقتلوا أقاربهم وقتلوا أمهاتهم وقتلوا أناسا كثيرين وسوف

يخرجون أو يفرون من العقوبة الصارمة التى قررها الاسلام بعذر من الأعذار تبعا للقانون الوضعى القائم الذى يلزم القضاة بأحكام ما أنزل الله بها من سلطان .

● ● الدين بين العسر والتشدد وبين اليسر والتساهل .. الى أى فريق يقف فضيلة الشيخ الغزالى ؟

ــ نحن لا نقف إلا مع توجيهات النبى وهو يرسل صاحبيه عمرو ابن العاص وأبا موسى الأشعرى للقضاء بين الناس : يسرا ولا تعسرا والفا ولا تنفرا وتطاوعا ولا تختلفا ؛ فنحن فى ديننا نتبع رسولا ما خير بين أمرين الا اختار أيسرهما ما لم يكن اثما ، ونعلم حديث النبى صلى الله عليه وسلم : بعثت بالحنيفية السمحة ، ويقول لأصحابه : « انما بعثتم ميسرين لا معسرين » .

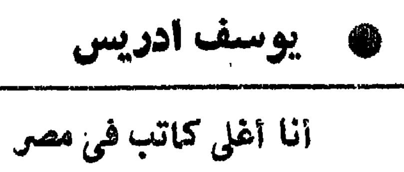
● ● بعض الذين يكتبون باسم الدين يقولون لنكتف بالقرآن وما جاء فيه دون الحديث والسنة لأنه مشكوك فيهما وفى روايتهما ماذا تقول لهؤلاء ؟

ــ هؤلاء نوع من البشر لو كان لهم عقل أكلمهم أو أخاطبهم به لكان هناك ما يستدعى مخاطبتهم ، فمن قال ان السنة مشكوك فيها ؟ ان وجودهم هم قد يكون مشكوكا فيه ، أما السنة نفسها فكيف يكون مشكوكا فيها ، واذا كان التاريخ مشكوكا فيه فلماذا يدرس التاريخ فى عواصم العالم مدنه وقراه ، والسنة من أصدق ما عرف فى تاريخ البشرية لكن هؤلاء لا يدرسون تاريخا ولا يعرفون سنة وهم يعيشون بأوهام أما أن السنة مشكوك فيها ، لم يقل بها عاقل ، والحديث لكى يكون صحيحا ويدخل فى السنة لابد أن يكون ما يرويه الثقة العدل الضابط عن مثله الى منتهى السند من غير شذوذ ولا علة قادحة » فأين يجىء الشك فى مثل هذا التعريف

لضوابط التلقي وأخذ الآثار عن أصحابها ، هؤلاء لا يعرفون كيف يتكلمون ٠

ثم يبقى سؤال : القرآن وحده قال « حافظوا على الصلوات » فكيف أصلي ، ومن قال ان الصلوات سبع عشرة ركعة موزعة على الصبح والظهر والعصر والمغرب والعشاء ؟ اننا لا يمكن أن نستغني عن السنة ، واذا مسحنا السنة فلماذا تبقى فلسفة أرسطو وفلسفة افلاطون وفلسفة سقراط ؟ ولماذا يبقى تاريخ نابليون وتاريخ هتلر وتاريخ نلسون أليست كلها رواياته ؟ ما الذى يجعل تاريخ محمد هو الذى يمسح وتاريخ هؤلاء هو الذى يبقى ؟

ان الذين يتحدثون هذه الأحاديث هم أناس أقل مرتبة من أن يسمع منهم عاقل ، وأعتقد أن تكبير هؤلاء جزء من الغزو الاستعماري الحديث للاسلام بل قد يكون عملا لبعض وكالات المخابرات العالمية تكبر هؤلاء عمدا مع أن وجودهم طفيلي فى الأمة الاسلامية وليس له كيان حقيقي ، أرى أن تكبير هؤلاء مقصود للشغب على الأمة الاسلامية ، وهيهات فان الاسلام بمصدريه الكتاب والسنة باقيان الى قيام الساعة ٠



يوسف ادريس

أنا أغلى كاتب فى مصر

من قلب الحركة الوطنية ضد الاحتلال الانجليزى فى عام ١٩٤٦ خرج يوسف ادريس الذى كان وقتها طالبا فى كلية الطب .. لذلك فان كتابه المفتوح .. هم الناس الذين تعلم منهم .

والكتابة عند يوسف ادريس وسيلة للتعبير عن احساسه العارم بالشعب وقضاياه واحلامه بل وخرافاته .. فهو - كما يقول - يكتب من فرط عشقه لهذا الشعب كانه « ليـــلاه » ... وهو « قيـــيسه » « المجنون به » .

فلو تأخرت مفكرة الأهرام التى يكتبها يوسف ادريس ، يفاجأ فى اليوم التالى بقراء يتصلون به للاطمئنان عليه .

يقول يوسف ادريس انه فخور جدا بهذا .. فهو يعتبر نفسه تلميذ الحياة ، ويمكنه ان يتعلم من رجل جاهل ما لا يتعلمه من احد العلماء .. ومن كاتب صغير ما لا يتعلمه من طه حسين .. بل ومن ابنته الصغيرة ما لم يتعلمه من امه !! .

ثم ماذا يقول لـ الوطن .. ؟

●● رتب نفسك يا شعب .

●● وأسأله عما يشغله الآن ؟

- هموم الشعب .. ومن كثرة ما تلقيت من مشاكل فردية وشخصية نتيجة البيروقراطية ، توصلت الى ان الحل فى التفكير الاستراتيجى .. لا يمكن اصلاح عيوب المجتمع بعلاج العيوب الفردية .. لابد من وقفة مع مشاكلنا بعد دراسة كل المشاكل فى المجتمع .. وعلى الحكومة فى هذه الحالة ان تحدد المشاكل التى

تقدر على حلها . والمشاكل التى يحلها القطاع الخاص . والمشاكل تحلها النقابات مثلا .. أما المشاكل التى لا تقدر على حلها فيجب أن تقول للشعب .. رتب نفسك يا شعب على هذا .

● ● نوعية المشاكل التى تحفل بها رسائل القراء اليك ؟

ـ البيروقراطية هي الهم العام لكل الناس وهي التى تسبب « عكننة » للمواطن ـ تسعون فى المائة من المشاكل يسببها اجراء حكومي خاطىء . وفيما مضى كان هناك فى كل جهاز من أجهزة الحكومة قسم يسمى التفتيش تحول اليه المشاكل .. ولما الغى هذا القسم تاه المواطن ومشاكله فى سراديب البيروقراطية المعتمة .

ومن المشاكل الأخرى الغلاء .. وانخفاض مستوى التفكير لدرجة أن هناك من يستطيع القول بأن الفن والموسيقى والمسرح والتمثيل حرام .

● ● وأسباب انخفاض التفكير من وجهة نظرك ؟

ـ أسبابه اقتصادية فى الحقيقة ، فهناك قطاعات كبيرة من المجتمع تعانى الفاقة ، فاتجهت بعجزها الى الغيبيات .. وفى المقابل ركب كثير من العلماء هذا الاتجاه وأصبحت الاتكالية واضحة ومتفشية فى أوساط كثيرة والمشكلة الاقتصادية لا تأتى حلولها من السماء ، وانما بالأخذ بالأسباب ومزاولة الدنيا ، ومن التجارة والانتاج ، ونحن فى هذا أعلم بشؤون دنيانا .

● ● أصبح معروفا مدى تعقد مشاكلنا الاقتصادية .. هل نستطيع ان نحقق الاكتفاء فى الغذاء من مواردنا الذاتية بدون أن نمد أيدينا لأحد ؟ .

- صعب صعب جدا على ٥٤ مليون انسان يعيشون على ٤٪ فقط من الأرض الزراعية أن يحققوا الإكتفاء الذاتى .. الا اذا حدث نوع من الانفراج السكنى بمعنى أن تتوزع القوى العاملة المصرية كقوى وطنية عربية على مختلف البلدان العربية ، بدلا من العمال الكوريين والتايلانديين والفلبينيين .. والحقيقة أن مصر تحتاج لمشروع قومى يحدد الهدف ، لأن تحسين مستوى المعيشة ليس هدفا .. واذا عدنا الى التاريخ سنلاحظ أن مصر لم تنهض على مدى تاريخها الا بمشروع قومى ، فى ثورة ١٩ كان هناك مشروع قومى وهو جلاء الانجليز . ثورة يوليو كان المشروع القومى هو القضاء على الاقطاع والإستبداد .

لابد اذن من مشروع قومى مع أو ضد .. فاذا أخذنا زراعة الصحراء مثلا كمشروع قومى وقمنا بالدعاية والإعداد والدراسة سنصل الى حل .

ووصلتنى رسائل كثيرة تتضمن مشاكل لمواطنين طلبوا أرضا فى الصحراء للاستصلاح ، والحكومة البيروقراطية هى التى لا تزال تحكم مصر وليس العقلية الصالحة للمشروع القومى ، لذلك أرى أن مشروعنا القومى هو الاكتفاء الغذائى الذاتى بزراعة الصحراء ، واذا نظرنا الى اليابانيين سنرى أنهم يزرعون البحر بالأرز والصحراء عندنا صالحة للزراعة وقد نجحت السعودية فى زراعة الصحراء .

● ● كيف اذن نتخلص من هذه البيروقراطية ؟

- هذه المسألة تحتاج من الرئيس مبارك ان يوجه اهتمامه الى الوضع الداخلى . وقد بذل الكثير جدا من مجهوده لتحسين وضع

مصر العربي والدولي لذلك عليه ان يركز اهتمامه داخليا ويتفادى الذين خسموا كل العهود وأكلوا على كل الموائد ٠

. وان يستعين بمن لديهم الحماس الكافي لقيادة المشروع القومي . تلك مسؤوليته ، واذا نجح فيها ، فان حسني مبارك سيكتب في التاريخ على ان حكمه من أفضل أنواع الحكم التي مرت بها مصر واذا فشل المشروع القومي ، فان نتائجه ستكون خطيرة جدا جدا ، أخطر ما يمكن ان نتصور ٠

● لقد تعودنا ان نلقي كل العبء على الزعيم أو الحكومة ، أليس للشعب دور ؟

ـ هذا غير صحيح لأنني عندما أقدم حكومة مركزية ، لا تكون حكومة فقط ولكنها قيادة ونموذج ومثل ٠

خذ اليابان مثلا ، الطلبة يدخلون الجامعة الحكومية بدون مصروفات والذى يتخرج في هذه الجامعة هم أنبغ الشباب ، وهم يعملون في الحكومة بأجر أقل من أجر القطاع الخاص .. ولكن الاحساس بأنه يخدم وطنه يمنحه مكانة ضخمة بين مواطنيه ٠ أما في مصر فان من يعمل في الحكومة هم أغبى الناس وأكثرهم حماقة وأقلهم قدرة على اتخاذ القرار ، وبالطبع هذه البيروقراطية في حاجة الى استئصال ، وكان خطأ جمال عبد الناصر الأكبر انه لم يستأصل الحكومة ويحل محلها حكومة ثورية تغير المجتمع واستعان بدلا من ذلك بنفس الدولة وأجهزتها التي كانت قائمة أيام الملك ، بل ان التأميم أضاف أعباء المؤسسات المؤممة على جهاز الدولة فخسرت هذه المؤسسات وفسدت ٠ ٠

كان يجب استئصال البيروقراطية .، ولأن ذلك لم يتم حتى الآن ، فان هذا معناه ان الثورة لم تنجح في هذا ، وان كانت نجحت

خارجيا ، اننى أعتقد ان الحكومة حتى الآن فاشلة فى قيادة المجتمع المصري .

● ● ولو بدأنا من الآن فى القضاء على البيروقراطية هل نكون قد تأخرنا ؟

— لا .. لا يزال هناك أمل لأن الشباب المصرى بخير ، وان كان يلجأ الى التطرف فهو يلجأ اليه يأسا ، أما اذا فتحت أمامه طاقات الحلم والأمل فسوف يعطى .

● ● النموذج الدمياطى الحريص ، هل نحتاج الى تطبيقه ما دمنا تحدثنا عن النموذج اليابانى ؟

— الدمايطة ليسوا حريصين ولكن نظرا لقربهم من الخارج فقد تعلموا التدبير من الشوام والخواجات واليونانيين ، فمثلا أنا كنت طالبا فى مدرسة دمياط الثانوية وكنت أرى صاحب البيت يعمل وزوجته تعمل فى الغزل المنزلى ، وابنته فى مصنع النسيج وابنه فى مصنع أحذية ، يعنى العائلة كلها تعمل ، انهم مدبرون ويقدرون قيمة العمل ، حتى التلاميذ يعملون بعد الظهر ..

● ● هل نحن فى حاجة اذن الى « تعميم » النموذج الدمياطى ؟

— نعم ، نحن فى حاجة الى ان نرفع من قيمة العمل لأن نظرتنا الى العمل . وخصوصا العمل اليدوى يشوبها الكثير من الاحتقار بالرغم من ان العمل اليدوى الآن يعلمونه فى الجامعات الأجنبية ، لأنهم اكتشفوا ان التعليم النظري وحده لا يخلق المواطن .

فى اليابان مثلا يتعلمون كيفية تركيب الراديو الترانزستور فى المرحلة الابتدائية . وقد حدث ان دعيت لمؤتمر أدبى ومعى راديو توقف عن العمل ، وكان هناك كاتب يابانى فقلت له ان الصناعة

اليابانية رديئة بدليل هذا الراديو المعطوب ، فأخذه منى وقام بتفكيكه قطعة قطعة واصلاحه .. ولما أبديت دهشتى ، أخبرنى انهم فى اليابان يتعلمون صناعة الراديو فى المرحلة الابتدائية .

● ● هل تدعو اذن الى نموذج المواطن العربى اليابانى ؟

ـ هذا النمـوذج تخلقه بالعمل .. فى الكويت مثلا هناك رجال أعمال فى منتهى النشـاط ويعتبرون ان العمل شرف .. والنموذج الكويتى نمـوذج ناجح جدا ولا يعتمد على البترول .. لذلك أرى ان النمـوذج الكويتى نموذج عربى ناجح جدا للبـلاد البترولية ، لأن هناك دولا بترولية تأتى بناس يشتغلون لها بالرغم من هذه الثروة الزائلة .

العمل فى حد ذاته يخلق شخصية الانسان ، وينميها ، تصور شخصا يجلس فى البيت بدون عمـل .. كيف يعيش ؟ لابد أن يصاب باكتئاب ..

● ● هل تقدم الدولة للناس ما يدفعهم لمزيد من الانتاج ؟

ـ مصر انهكت . قامت بثلاث حروب وحتى لوكانت خسرت حربين وكسبت الثالثة فقد أنهكت هـذه الحروب جهـاز الدولة سياسيا واداريا .. وكل الجهاز الادارى الجيد تركها أما ليعمل فى القطاع الخاص أو فى البلاد العربية وأصبحوا مليونيرات .. هل تعلم ان حجم الأموال المصرية فى الخارج .. وصل الى ٢٥٠ مليار دولار ! يعنى بحجم ما عند السعودية والكويت وغيرهما .. ولا يأتون بها الى مصر ، ويوظفونها فى خدمة الاقتصاد العالمى الذى يعمل على سحقنا .

● ● ربما كان الحافز غير موجود لكي يعمل المواطن وينتج بإخلاص ؟

– أمامي الآن خطاب من والد طبيب يقول إن ابنه يقضي في التعليم حوالى ٢٠ عاما ٠٠ وعندما يتخرج يعين بمرتب ٤٨ جنيها ٠٠ هذا المبلغ لا يكفى لشراء قميص وحذاء ٠٠ بالأجور الحالية فى مصر لا يمكن الحصول على النتاج ٠

● ● اذن ٠٠ الناس في مصر معذورون في أنهم لا يعملون ؟

– انهم يعتبرون ان المرتبات التى يحصلون عليها اعانة لهم من الدولة ، وبعد ذلك يعملون فى أى شيء آخر ٠٠ يعنى الطبيب مثلا يفتح عيادة ليكسب والا مات من الجوع ٠

● ● وكيف نحل هـذه المعادلة الصعبة : ان يعمل الناس ويقدرون ظروف الوطن ومصاعبه ؟

– مرة أخرى لابد من مشروع قومى ٠٠ جهاز أو حزب جديد يتبنى هذا المشروع القومى ، ويتولى الدعاية له في أجهزة الاعلام ويقود حملة قومية من أجل انقاذ مصر ٠

● ● انتشرت – مؤخرا – كتابة المذكرات السياسية التى يعارض بعضها البعض ٠٠ كيف يمكن كتابة التاريخ بغير تزييف ؟

– وان كان هذا السؤال ليس من اختصاصى ، لأننى لست مؤرخا ولا مسؤولا عن التاريخ ، ولكنى أعتقد أن كثيرين ممن يكتبون مذكراتهم يكتبونها دفاعا عن أنفسهم والدور الردىء الذى لعبوه ٠٠ والقليل جدا منهم يكتب بصـــدق حتى الذين يعرفــون الحقيقة لا يقولونها كلها ، لأن الحقائق فى مجتمعنا العربى من الصعب كشفها للناس وما زال أبطالها أحياء ، نحن نمتلك كمية رهيبة جدا من النفاق ٠

هل يستطيع أحد أن يكتب مذكرات كمذكرات غاندى الذى كتب أنه كان يذهب الى بيوت الدعارة مثلا ؟ وهل هناك زعيم عربى يكتب مذكراته كما كتبها تشرشل ؟

ان ما يكتب فى عالمنا اما دعاية للذات أو لاعطاء أهمية أكبر للدور الذى لعبه من يكتبون ، لذلك أنصح الشباب ان يقرأ هذه المذكرات باحتراس شديد جدا ، فعليه أولا ان يعرف تاريخ كاتب المذكرات وما قاله عنه الآخرون ثم يقرأ المذكرات بعد ذلك ليتبين الحقيقة ومن السهل دائما أن يميز بين الكذب والصدق ، حتى بالنسبة للانسان المتوسط الذكاء .

● ● هذا التمييز بين الغث والسمين قد لا يتوفر لكثير من الشباب ، خاصة فى ظل غياب الوعى الثقافى ؟

ـ أعتقد ان الشباب لا يقرأ هذه المذكرات ولم أر شبابا يقرأون مذكرات سياسية لأنهم يعرفون أن لا أحد يكتب الحقيقة . انهم يقرأون للكتاب الصادقين الذين يعرفونهم ويعرفون تاريخهم .

● ● ذكرت ان رسائل القراء تدل على انخفاض مستوى التفكير ، فهل يعنى ذلك ان المثقفين وقادة الرأى والفكر فشلوا فى تكوين رأى عام ناضج ؟

ـ المثقفون يؤثرون فى المتعلمين فقط لذلك فتأثيرهم محدود . والمتعلمون الحقيقيون ـ أعدادهم قليلة ، وخريجو الجامعات لم يعودوا متعلمين ، وتأثير المثقفين يشبه المدفعية الثقيلة التى لا تصيب جنديا واحدا بل تضرب فى حلقات التفكير الكبرى .

● ● بعد ١٩٦٧ دعيت انت ولجيب محفوظ الى مؤتمر لأدباء الأقاليم هل كانت الدعوة ليدين كل منكما نفسه ؟

ـ كانت الحكومة ـ مساها الله بالخير ـ تريد ان تقول ان الهزيمة التى لحقت بمصر سنة ١٩٦٧ لم تكن هزيمة جيش لكنها هزيمة جيل ... وكان صاحب هذه النظرية الأستاذ الكبير محمد حسنين هيكل ـ غفر الله له هذه السقطة ـ وكانوا يريدون عقد مؤتمر لأدباء الأقاليم ونرأسه أنا ونجيب محفوظ لنخرج من المؤتمر باعتبارنا مدانين وسبب الهزيمة . طبعا لم نذهب أنا ونجيب محفوظ .

لكن هذا المؤتمر كان سببا فى تقسيم الحركة الأدبية الى جيل الستينات من الذين حضروا المؤتمر وجيلنا ... وحدثت العداوة بالرغم من اننا لم نفعل شيئا ، ولم نشترك فى الحرب أو الهزيمة ، بل كنا ننقد الأوضاع التى أدت الى الهزيمة ... نحن الجيل الذى تنبأ بالهزيمة قبل ان تحدث ، ولكنهم حملونا مسؤولية الهزيمة ووجدوا تشجيعا من الكتاب .

فالهزيمة عندما تلصق بى وبنجيب محفوظ « يبقوا هم جدعان قوى » .

وفى هذا المؤتمر شارك شاب من بلدنا ، وهذا الشاب ذهب فيما بعد الى اسرائيل وهو الآن فى المخابرات الاسرائيلية ، وقد جاء مع بيجن أثناء زيارته لمصر . فقبضت عليه المخابرات المصرية ، لكن بيجن أصر على عدم مغادرة القاهرة الا بعد ان أفرج عن هذا الشاب ، وأخذه معه ، وهو الآن الوحيد المسموح له بدخول الكنيست الاسرائيلى حاملا السلاح ، وكان شاعرا موهوبا ، ولكن غسيل المخ الذى حدث بعد الهزيمة سبب له « لخبطة » مما جعله يفقد انتماءه بل وهويته .

وهذا يحدث لكثير من الكتاب الذين أخذوا المسألة على نحو شخصى ، لأنه مثلا يكتب ولا ينشر له وغير معترف به ، لأن نجيب

محفوظ ويوسف ادريس موجودان ، بالرغم من انني في بداية حياتي وجدت كتابا عمالقة كتوفيق الحكيم ، العقاد ، المازني ، الشرقاوي ، عبد الرحمن الخميسي ، سعد مكاوى ، فلم أشعر اطلاقا انهم ضدي أو انهم منافسين لي ٠

انني أكتب لأني أعتقد ان ما أكتبه لا يستطيع أحد غيري كتابته ، لكن بعد هزيمة ٦٧ حاول البعض الفصل بين الأجيال مما أدى الى احباطات شديدة أصابت الكثير من كتاب الستينيات ولذلك بعضهم هاجر وبعضهم نفض يديه من الكتابة نهائيا لأنهم تعاملوا مع المشكلة باعتبارها شخصية وليست قضية عامة ٠

والكاتب يكتب لأنه يتبنى وجدان أمة ، ومستعد ان يسجن ويضحي ويذهب الى المصائب دفاعا عن موقفه ، وكل مقال أو قصة أكتبها أحمل يدي على كفي لأنها ممكن ان تقطع ، ولو كنت أحافظ على ذاتي كما يفعل البعض ، ولا أريد ان أذكر أسماء ، ولو كنت أتكلم بأدب في الحدود المعقولة ، لا أشتم اسرائيل ٠٠ كنت أصبحت شيئا آخر ٠

لا يهمني العقاب

● ● اذن الكتابة ليست مجرد تحقيق الذات فقط ؟

ـ اطلاقا ٠٠ لأن تحقيق الذات يكون عن طريق ان تحقق للشعب ذاته فتتحقق ذاتك تلقائيا لأن الشعب نفسه يحقق لك ذاتك بصرف النظر عن التضحيات ، وعندما اعتقلت وفصلت من عملي سبع مرات لم أشعر بالتضحية ، لأنني لو لم أعتقل أو أفصل لكنت مضطرا لمجاراة الجو ، لكن أنا لا أهتم بالعقاب ويهمني ما أكتبه : صح أم لا ٠٠ قد أعاني بالطبع لكنني لم أشعر بالاستشهاد لأن هذا جزء من الضريبة التي أدفعها ككاتب ، هذا شيء طبيعي لأنني وأنا

أكتب المقال أشعر بخطورته وأتحمل مسؤوليته ، ولو فصلت خلاص « ازعل ليه » فى حالــة واحدة فقط وهى لو كتبت مقــالا عاديــا وفوجئت بفصلى ٠

وأعتقد اننى كتبت مقالات لم تكتب من قبل فى الصحافة المصرية الحكومية ، وهناك من يذكرنى بهذه المقالات وقد نسيتها بعد كتابتها ، واذا كانت جماهير الشعب تقدرنى فليس ذلك لأنى أقدر نفسى ولكننى أكتب لها وهى ترد لى هذا بتقديرها ٠

●● ننتقل الى الجوائز يا دكتور يوسف ٠٠ أيهما أفضل ان تكون لكل دولة عربية جائزتها الخاصة ، أم يجب ان تكون هناك جائزة عربية تشترك كل دولة بحصة فيها ؟

ـ لابد أن تكون هناك جائزة عربية كبرى ، عالمية ، قيمتها مليون دولار ، على الأقل وتكون لجنة التحكيم فيهــا عالمية وفيها أعضـــاء عرب بالطبع ، يجب ان تفوق جائزة نوبل فى قيمتهــا ومستواها ، وليس فى الأدب فقط بل فى العلم أيضا ، يجب أن يكون لنا دورنا الحضارى فى العالم على الأقل لنخفف من غلواء النظرة الأوروبية لنا باعتبارنا متخلفين لا يهمنا سوى اطعام البطون!! لا ٠٠ نحن متحضرون ٠

●● واذا عدنا للأدب ٠٠ هل يجب ان يكون للقرية كتابها ، وللمدينة كتابها ؟

ـ هذا سؤال مضحك جدا ، فالكاتب يخرج من كل الشعب ليعبر عن كل الشعب ، ولذلك فتعبير أدباء القاهرة وأدباء الأقاليم تعبير مصطنع ، لا يوجد شيء اسمه أدباء أقاليم ، ولكن هذه التعبيرات

دخلت حياتنا الأدبية نتيجة لسيطرة المركزية القـاهرية بشـدة على الحياة الأدبية ٠

● ● أين مدرستك الأدبية الآن يا دكتور يوسف ؟

ـ مدرستي الحقيقية هي ما أكتبه وليس ما أقوله ، وأنا لا احب مقاهي الأدباء ولا أدباء المقاهي ، لأن هذا نوع من الثرثرة الفارغة ، وكتابة قصة جديدة يقرأها الآلاف من الناس أفضل من كل الجلسات غير المثمرة ٠

● ● هل صحيح انك كنت غريما لكامل الشناوى وتنافسه في غرامياته ؟

● ● يا راجل ٠٠ حرام عليك

● ● هل انت بطل قصيدة لا تكذبى كما قال يوسف الشريف في كتابه « ظرفاء ذلك الزمان » وان لم يذكرك بالاسم ؟

● ● هذا السؤال تسأله ليوسف الشريف :

ـ أين عصر الظرفاء الآن بعـد رحيل عبد الحميد قطامش وعبد الرحمن الخميسى ، وكامل الشناوى ؟

● عندنا محمود السعدنى ، أظرفهم جميعا !

● ● الا ترى ان هناك ضرورة لتسجيل حياة هؤلاء الناس مثل حياة الخميسى ؟

ـ الكتابة عن الخميسى صعبة جدا لأنه لابد من كاتب يعرفه معرفة جيدة ، والذين يعرفونه جيدا ليسوا على قيد الحياة فضلا عن أنه قضى حوالى ٢٠ سنة خارج مصر ، فتسجيل حياته يتطلب ان يتولى هذه العملية ابنه ، والعثور عليه مشكلة ٠

ليس تجاه السودان فقط

● ● الا تعتقد بوجود تقصير أدبي مصري تجاه السودان ؟

ـ ليس تجاه السودان فقط بل تجاه العالم العربي كله ، وان كنا بدأنا نتلافى ذلك ، الآن هناك اهتمام بأدب المغرب العربي ، وأدب المشرق العربي ولدينا مهرجانات مسرحية عربية ومهرجانات سينمائية عربية .

● ● هل زرت السودان ؟

ـ زرت السودان أيام جعفر نميري الذي قام باعتقالي وترحيلي بعد أربع وعشرين ساعة من وصولي ، كنت مدعوا للحديث في ندوة بجامعة الخرطوم ، وخاف نميري ان تنقلب الندوة الى مظاهرة فأعادني الى مصر قبل ان تبدأ هذه الندوة .

● ● تضاؤل انتاجك الأدبي يا دكتور يوسف .. الا يرجع الى اهتمامك بالصحافة على حساب الأدب ؟

ـ يا سيدي ما أكتبه في الصحافة والقصة والرواية والمسرح كله أدب .. وأنتم أحرار في هذه التقسيمات .. صحافة ، مسرح ، قصة ، التصنيف يتولاه التاريخ . وبرنارد شو لم يبق له من ٤٣ مسرحية الا مقدمات هذه المسرحيات التي هي مقالات .. وشكسبير لم يبق من كل مسرحياته الا الأربع الأخيرة والباقي كلام فارغ ، والكثير من مقالاتي أكثر جودة من أي قصة قصيرة حتى لكاتب غربي .

زمن العبقريات

● ● السينما والمسرح هل أضافا اليك شيئا ؟

ـ المسرح أضاف لى الكثير ٠٠ ولكننى ما زلت على أعتـاب السينما ٠

● ● وبمـاذا تفسر عدم ظهور عبقريات جديدة فى الأدب والفن ؟

ـ العبقريات لا تباع مثل « الخيار » مثلا ، العبقريات تخرج فى كل جيل ٠٠ كل خمسين وأحيانا مائة سنة ٠ ومنذ رحيل الكتاب الكبار فى روسيا من ٨٠ سنة لم يظهر كاتب كبير ٠ وفى فرنسا لم يظهر من هو فى حجم سارتر ٠ وفى أميركا ليس هناك سوى آرثر ميللر ٠٠ كتاب القصة القصيرة والمسرح فى العـالم نستطيع أن نعدهم على أصابع اليد الواحدة ٠

● ● نعود الى الصـحافة ٠٠ هل تمـارس الأدب خـلال الصحافة ؟

ـ الصحافة وسيلة تحمل الأدب الى الناس ٠

● ● والأيام الثلاثة التى قضيتها كرئيس لتحرير جريدة الجمهورية ؟ ٠

ـ كانت تجربة سيئة لأن الأستاذ الحناوى رئيس مجلس الادارة عيننى رئيسا للتحرير ليضرب كتلة غير متعاونة معه ٠٠ وطبعا كانوا هم الأقوى ، وخـلال هـذه الأيام الثلاثة وقعت على أوراق ٠٠ ولكن ليس هذا عمل رئيس التحرير ، لكن عمله أن يفكر لصحيفته ويتعاون المحررين معه ، فاذا لم يتعاونوا يشتغل ازاى ٠

● ● هل صحيح انك أغلى كاتب فى مصر ؟

- هذا صحيح لأننى لا أحب أن أكتب كثيرا فأطلب كثيرا .

● ● ألم تطمع فى أن تكون وزيرا ؟

- عرضت على الوزارة فى الستينات وأنا رفضتهـا لأنى لا أصلح ان أكون وزيرا .. أنا كاتب .

● ● هل هناك مناخ معين تكتب فيه أو وقت محدد للكتابة ؟

- الكتابة للصحافة لا وقت محدد لها لأنها مرتبطة بالمطبعة .. أما الفن فيأخذ وقتا ، وعموما ليس هناك مناخ معين .. اننى أفكر طويلا ، وفى وقت محدد أجلس لأكتب .

دعوة للقتال

● ● هـذا يصـل بنـا الى السؤال عن الشخصية المصرية وسماتها المفقودة ؟

- لم تفقد الشخصية المصرية سماتهـا ، لكنهـا فى أزمة اقتصادية ونفسية وسياسية وبالرغم من ذلك فأنا متفائل وأظن ان هذه المرحلة عابرة وسوف تمر ، لأن الشعب مر بأزمات أخطر من هذه وتجاوزها .

● ● اذن مستقبلنا هل يدعو الى التشاؤم أم التفاؤل ؟

- انه يدعو للقتال ، بمعنى اننا اذا تركنا المستقبل يحدده ما يجرى الآن فى مصر ، فهو مستقبل سيىء جدا ، أما اذا أخذنا المستقبل بأيدينا وكافحنا لايجاده فسيكون مستقبلا طيبا .

● ● أليست هذه مهمة المثقفين ؟ .

- المثقفون يحاولون رغم انهم لا يملكون ، فليس لديهم جريدة ولا فلوس ولا أى حاجة .

●● لكن لديهم الكلمة ؟

ـ هم يقولونها المشوار ما يزال طويلا ٠

●● ما هو احساسك بتجربة فصلك من الصحافة سبعة أشهر أيام عبد الناصر عندما أجريت حوارا مع أنور السادات رئيس مجلس الأمة ولم يرض هذا السلطة ؟

د٠ **يوسف ادريس** : كنت سعيدا بالرفت لأنى لو لم أرفت كنت مضطرا أجارى الجو وأكتب ما يريدونه ٠٠ فالرفت تجربة مفيدة ٠٠ لا يهمنى الرفت انما يهمنى ما أكتبه صح أو لا ٠

●● يعنى لم تعان ؟

د٠ **يوسف ادريس** : عانيت المعاناة العادية لكننى لم أشعر أنى شهيد لأن هذا جزء من الضريبة التى أدفعها ككاتب ٠

●● بعد ذلك منعت من الكتابة أيام السادات بسبب توقيعك على العريضة التى كتبها توفيق الحكيم ووقعها الأدباء بشأن أوضاع اللاسلم واللاحرب ونقلت ضمن من نقلوا الى هيئة الاستعلامات ثم جاء عهد حسنى مبارك فغيرت وجهة نظرك فى الحكم ؟

د٠ **يوسف ادريس** : لأن حسنى مبارك رجل لا يحب السلطة وغير متعال مثل عبد الناصر أو السادات ، ولذلك أتعامل معه ، وكتبت أؤيد ترشيحه لفترة رئاسية أخرى لكى يستطيع الشعب أن يقوى فى عهده ولذلك أنا أؤيد عدم ترشيحه نائبا لرئيس الجمهورية لكى يختار الشعب رئيسه بنفسه ٠

●● بعد زيارتك لليبيا التزمت الصمت عن الكتابة بعد ما أثير غبار حولك ٠٠ فهل من السهل على الكاتب ان يصمت باختياره عن الكتابة ؟

أنا لم أصمت ولكن فرض على الصمت ٠٠ منعونى من الكتابة

فى الصحف القومية فنشرت فى الأحرار ٠٠ ثم رفع المنع وبعث لى توفيق الحكيم رسالة يستحثنى فيها على الكتابة ورددت عليه وعدت لأكتب ٠

لا أصلح للوزارة

● بمناسبة ذكر توفيق الحكيم يقول المثل انه لا يوجد زمار يحب زمار فهل الأديب لا يحب أديبا مثله ؟

د٠ **يوسف ادريس** : لا ٠٠ أنا أحب الأدباء الموهوبين وأكره جدا المدعين ٠

● ● ولكن حدثت بينك وبين الحكيم معركة ؟

د٠ **يوسف ادريس** : معارك طريفة ٠٠ والحكيم كاتب موهوب وأحبه وكان فيه بعض الناس يدسون فيما بينى وبينه ويقولون على كلام فكنت ألفت نظره ٠

● ● ولكنك تحديته على صفحات مجلة صباح الخير ٠٠ فما هى الحكاية ؟

كان ذلك بمناسبة دعوة تلقيتها من « اليونسكو » للمشاركة فى مؤتمر عن التعليم سنة ألفين ، ونشر الخبر ، فتوفيق الحكيم تصور ان الدعوة كانت آتية له ٠ ثم ان ثروت أباظة قال له : ان يوسف ادريس بيعمل دعاية لنفسه ، فعايزين يفصلونى من اتحاد الكتاب فأنا استقلت ٠٠ ومازلت مستقيلا لأننى غير مقتنع باتحاد الكتاب ٠

● ● ما المفروض ان يفعله اتحاد الكتاب ؟

د٠ **يوسف ادريس** :

ــ **أولا** : يصدر مجلة أدبية راقية قيمة تستوعب كل كتاب مصر ٠

ثانيا : يشجع الكتاب الشبان وينشر لهم ٠

ثالثا : يرعى الكتاب اجتماعيا وصحيا ونفسيا ٠

رابعا : انه ما يبقاش الكتاب « شلة » ٠٠ لأن اتحاد الكتاب عبارة عن « شلة » مسيطرة على الاتحاد وتتصرف فى أمواله لا أعرف كيف ، وهذا وضع خطأ يجب اصلاحه أو تأليف جمعية للكتاب غير اتحاد الكتاب ٠

● ● لماذا لا تؤلف انت هذه الجمعية ؟

د٠ **يوسف ادريس** : أنا عجزت ٠

● ● لكن الشباب شباب القلب والشباب كما يقول الانجليز يبدأ فى الستين ؟

الأدباء يعلمون الجمعيـة ويجتمعون ولا مانـع عندى من أن أساعدهم ٠

● ● هل صحيح انـك تلميـذ لتوفيق الحكيم فى فنون الدعاية ؟

د٠ **يوسف ادريس** : دعاية ايه ٠٠ يمكن الحكيم كان يفجـر قضايا للفت النظر اليه ٠٠ لكن أنا لا أفجر الا قضـــايا حقيقية يعادينى فيها الناس ، وأنا مطلوب للنيابة فى أربع جهات بسبب مقالات نشرتها فى المفكرة ٠

فهل فيه حد يعمل دعاية لنفسه بالشكل ده .

●● هل صحيح أنك رشحت لجائزة نوبل ثم سحب ترشيحك فى آخر لحظة ؟

د. **يوسف ادريس** : حدث .. لكنى لا أزال على قائمة الترشيح .. ولا أريد أن أزيد فى هذا الموضوع ..

●● نريد أن نعرف فقط أسباب حجب الجائزة عنك ؟

د. **يوسف ادريس** : النفوذ المعادى للعرب ولمصر .

●● وهل هذا يجعل للجائزة قيمة فى عدم حيادها ؟

د. **يوسف ادريس** : أعتقد أن المثقفين فى العالم بدأوا يقتنعون بعدم حياد جائزة نوبل وبدأوا ينقدونها وأعتقد أن هذا سينعكس على تصحيح الأوضاع .

●● هل هناك مناخ معين تكتب فيه أو توقيت محدد للكتابة ؟

فيه كتابة لها وقت وهى المرتبطة بالصحف للارتباط بالمطبعة ، انما فيه كتابة تأخذ وقتها وهى « الفن » .

●● الا يحتاج الفن الى تهيئة مناخ معين تبدع فيه ؟

د. **يوسف ادريس** : لا يوجد مناخ معين .. انما أنا أفكر طويلا وفى وقت محدد أجلس لأكتب ..

المشوار يحتاج للجرى

●● **هل من الصعب على الكاتب اذا تبين له خطأ ما كتبه أن يتراجع ·· فى هذه الحالة ماذا يحدث لك مثلا ؟**

د· **يوسف ادريس** : عملية المحاسبة ليست بعد الكتابة انما وأنا أكتب لأن العقل شغال مع المبدع وهو شغال ·· وأرى ان كانت هذه الكلمة جارحة أحذفها ·· هذه الكلمة قليلة أوضحها ·· هذا فى الكتابة الصحفية ·· انما فى الكتابة الفنية لا أسيطر اطلاقا ·

●● **الا تعتقد أنك أخطأت فى حق د· أحمد شفيق عندما خضت معركة ضده ؟**

د· **يوسف ادريس** : أنا لم أخض معركة ضده ·· دا راجل قال انه اخترع دواء يشفى « الايدز » ·· وأنا سألته أسئلة علمية ·· الاختراع تم ازاى ·· فرد شتمنى وقال للأسف أنه لم يكن تلميذى ! وأنا طالبت ان الراجل ده تتولى جهة علمية فحصه ·· فرفع على قضية وأنا رفعت عليه قضية قذف ·· مقالى ليس فيه قذف لأنى سألته كيف اخترع الدواء لعلاج « الايدز » وما هى الاحتياطات اللازمة التى اتخذها حتى لا يتسرب الميكروب لأنه لازم درجة الأمان تكون مائة بالمائة ·· معمل مغلق وحوله معمل مغلق ·· يعنى فيه حاجات فى البحث واحتياجات لأنه لو تسرب الميكروب يعمل مصيبة ·

●● **هل دراستك للطب تنعكس على كتاباتك ؟**

د· **يوسف أدريس** : الطب كحرفة لا أظهره انما أعرف المخ بيشتغل ازاى ·· النبضات العصبية تشتغل ازاى ·· وفاهم علاقة المعدة بالقلب بالطحال بالكبد ·· انما ممارسة الطب لا ·· انما أنا من الأول أحب العلم وكنت أحب أدرس طبيعة نووية ·· ووجدت

فى الطب طبيعة أيضا فدخلت .. وتفكيرى علمى وما يتعارض مع العلم عندى فهو خطأ مهما كانت الأدلة العقلية .. من هذا المنطق تحدثت الى أحمد شفيق .. وتشيكوف له كلمة يقول فيهـا :
« أنا مقياسى للحقيقة أن أرى هل الموضوع الذى أكتب فيه ينسجم مع الحقائق العلمية أم لا » ، أصل الكاتب ممكن يخرف يشط بالقارىء يأخذه بعيد خالص ويفهمه معلومات غير حقيقية وغير علمية .. لذلك لازم يكون فيه مقياس يحد من اتجاه الكاتب .. لا يحد من خياله .. انما عارف بيضرب فين .. لازم يكون للكاتب « ونس » من الحقائق العلمية .

●● هل المناخ الثقافى يتفق مع الحقائق ؟

ـ نحن نعانى من حالة جذر ثقافى وأرجو أن نخرج منها قريبا .

●● المستقبل بالنسبة للواقع هل يدعو للتشاؤم أم للتفاؤل ؟

ـ يدعو للقتال .

●● بمعنى ؟

ـ بمعنى أنه اذا تركنا المستقبل تحدده الأمور الجارية الآن فى مصر فهـو مستقبل سيىء جدا ، أما اذا أخذنا المستقبل بأيدينا وكافحنا لايجاده فسيكون مستقبلا طيبا .

●● خلال الثلاثين سنة الأخيرة التى مارست فيهـا الكتابة ألم تحقق رسالتك التى سعيت فى سبيلها لانارة العقل المصرى ؟

ـ الى حد ما لكن المشوار لا يزال طويلا ٠٠ كنا فاهمين ان المسألة تنتهى خلال عشر سنين ٠٠ سنة ١٩٦٢ هنلبس ونأكل ديمقراطية ٠٠ لكن اتضح ان المشوار طويل ٠

●● يحتاج لوقفة ؟

ـ يحتاج الجرى وليس الى وقفة ٠

ابنتى موهوبة

●● قضيت تحتشد لنفسك لكى تكون كاتبا ٠٠ فهل جيلنا متسرع بعصر السرعة الذى يعيش فيه لكى يحقق طموحاته أيضـا بسرعة ؟

د٠ **يوسف ادريس** : هـذا الجيــل محتاج لمشرفين ٠٠ لأن الاسراع هنا اسراع مفتعل ٠٠ لأنه لا توجد مشكلة ان الواحد يكتب ، لكن المشكلة ان الواحد يعمل ايه لما يكتب ٠٠ هل يكتب علشان فلوس ؟ ٠ يبقى سريع جدا ولا فائدة من اقناعه ٠٠ ومعظمهم ينتج ليس لأجل الفلوس انما ليثبت ذاته ٠

●● هل هناك أحد من أبنائك الثلاثة ينهج نهجك ؟

د٠ **يوسف ادريس** : ابنتى نسمة كاتبة وأعتقد أنها موهوبة ، أما بهاء فهو مخرج سينمائى ، وسامح مهندس كمبيوتر ٠

اخذت عن أمي عنادها

● ● حياة يوسف ادريس هل يمكن ان تنقسم الى مرحلة في الريف • مرحلة في المدينة ... وما هو تاثير كل منهما على أدبك ؟

ـ هذه التقسيمات ميكانيكية .. أنا نشأت مثلما ينشأ أى مصرى في قرية ، ثم يتعلم فى المدينة ، ثم يأتى الى القاهرة • يسافر الى الخارج • يعمل أو يكتب • حياتى غير مقسمة وأنا ما زلت على اتصال بقريتى أزورها كل ثلاثة أو أربعة أشهر وأعرف كل واحد فيها كما أعرف جيرانى فى القاهرة وأصحابى فى القاهرة وناس من الخارج ..

● ● والدتك ... هل ما تزال تعاملك باعتبارك يوسف الطفل الصغير وتزجرك مثلا اذا اقتضى الأمر ؟

ـ لقد كبرت فى السن ولم تعد لها القوة التى كانت لها زمان ، تعاني صعوبة في المشى ، وهى تحبنى جدا لأننى ابنها البكر ، وقد أخذت عنها عنادها بمعنى الاستماتة فى الوصول الى الهدف الذى أؤمن به ، كما أعطتنى تركيبها الجسمانى القوى جدا • وأعطتنى تركيبها العقلى المنظم • ورغم أنها أمية لا تقرأ ولا تكتب ، الا انها مقنعة جدا ، تلتقط الأشياء بسرعة من حولها وتعيد تركيبها من جديد ، بحيث تتكون لديها رؤية ويتكون منطق خاص بها •

● ● وأصدقاء القرية ·· هل ما زالت صلتك حميمة بهم ؟

– بالطبع ليس كما كان من قبل · بعض أبناء جيلي مات وبعضهم كبر فى السن ··

وعموما القرية تغيرت ولم تعد هى نفس القرية ·· أصبحت شبه مدينة ·· الناس يشترون الخبز والفول والطعمية من الدكاكين ، ولا يقومون بعمل ذلك فى البيوت كما كانوا من قبل ·

● ● والمدينة هل غيرت تكوينك الريفى كفنان خرج من القرية ؟

– القرية تكسب الانسان أصالة لأنها الخلية الحية للمجتمع المصرى والكثير من تقاليد المدينة خارج عن عرف القرية أو الحارة · ولأن القاهرة اليوم ليس فيها شخصية اعتبارية ، فستجد فيها الحرامى وتاجر المخدرات والمليونير وقاتل ابنه وقاتل أخته ··· هذا كله لن تجده فى الريف ··· تجده فقط فى المدينة التى لا تملك شخصية محددة ··· حتى فى مبانيها الحديث مع القديم وناطحات السحاب مع أى حاجة ··· حالة من حالات فقدان الشخصية ···

انا والشيخ الشعراوى

● ● ما الذى يغضبك من الشيخ الشعراوى ؟

● فضيلة الشيخ الشعراوى يذهب الفنانون اليه ليتوبوا على يديه من التمثيل ثم يذهب هو ليتفرج على مسرحية ويقول هذا تمثيل جيد ·· اذن التمثيل ليس خطأ ·· لكن ايه حكاية التحريم دى ·· الشيخ الشعراوى يقول مكروه ، الجماعات الاسلامية تقول ممنوع خالص ، اذن أما من عاقل واحد فى مجال الدعوة الاسلامية يوضح لنا هذا ؟ لأن فيه علماء مسلمين يختلفون تماما مثلا مع حرمة

الموسيقى .. أما أن يصدر قرار من جماعة اسلامية بالغاء حفلة موسيقية فهذا يستحق الضرب بأقصى قوة ، وأنا أعتقد أن الحكومة يجب ان تضرب هذا الاتجاه ضربا عضليا رغم انى راجل كاتب ولا أؤمن بالضرب العضلى لكن لأنهم يستخدمون القنابل والجنازير يضربون بالمثل .

● ألم تكن قد تصالحت مع الشيخ الشعراوى ؟

ينفى د. يوسف ادريس :

ـ « أنا لم أتخانق مع الشيخ الشعراوى لكى أصطلح معه .. أنا اختلفت معه حول حقه فى تكفير المواطنين .. وللأسف بعد ما أوضح المسائل وقال على صفحات جريدة الجمهورية : أنا لا أملك التكفير ولا أكفر أحدا اذا به فى حديثه الأخير بأخبار اليوم يسألونه عن يوسف ادريس أين هو الآن ؟ قال : هو فى المنطقة الأولى .. يعنى منطقة الكفر والتحدى لله ، وأنا استغربت جدا من عالم جليل كالشيخ الشعراوى ان يعود مرة أخرى ليمنح صكوك الغفران لهذا ويمنعها عن ذلك ويقول هذا كافر وهذا مؤمن ، ويقول عن مصطفى محمود وشادية ان حالهم انصلح ثم يقول ان شادية التى تطرب الناس طربت لصوته ، وكلام غير علمى .. وما دام الشيخ الشعراوى قد نصب من نفسه مفتيا اجتماعيا حول الفن فمن حقنا أن نقول له فى بعض الأحيان لا وألف لا وأرفض تصنيفه لى فى الباب الأول أو مرحلة الكفر .. فأنا أكثر ايمانا من بعض علماء المسلمين والعلاقة بينى وبين ربى وبين ضميرى أنظف بكثير من بعضهم ولا أسمح حتى للشيخ الشعراوى بأن يرفع فى وجهى هذه التهمة .

لم يأخذوا منى شيئا

● قلت للدكتور يوسف ادريس .. تحدثت عما تدل عليه

رسائل قرائك لك من انخفاض مستوى التفكير ·· فما هى أسبابه ؟

أجاب :

ـ أسبابه اقتصادية لأن فيه قطاعات كبيرة من المجتمع تعانى القلق فاتجهوا الى الله ·· فعلماء الدعوة ركبوا الموجة وقالوا لهم تبطلوا « دومينو » وتبطلوا « كوتشينة » وتبطلوا تسمعوا « مزيكا » فهل هذا يحل المشكلة الاقتصادية ؟ ·· حلولها لا تأتى من السماء وانما تأتى بمزاولة الدنيا ومن التجارة والانتاج ونحن فى هذا أعلم بشئون دنيانا ·

●● هل يعنى ذلك ان المثقفين وقادة الفكر والرأى فشلوا فى تكوين رأى عام ناضج ؟

ـ المثقفون تأثيرهم محدود لأن تأثيرهم في المتعلمين ، والمتعلمون الحقيقيون في مصر قليلون حتى خريجى الجامعات لم يعودوا متعلمين ·· وتأثير المثقفين مثل المدفعية الثقيلة لا تضرب عسكري واحدا بل تضرب فى حلقات التفكير الكبرى ·· فاذن المثقفون لم يفشلوا انما ضربوا فى عصرين عصر عبد الناصر وعصر السادات وبداية عصر مبارك انما الآن عندهم فرصة من الحرية لكن فيه ضرب مستمر من سنة خمسين حتى الآن ·

●● أليست الحرية مع صعوبة لقمة العيش افضل من لقمة العيش مع فقدان الحرية ؟

ـ ليه الزنقة دى ·· ليه ما تكونش لقمة العيش مع الحرية والحرية تدعم لقمة العيش وليس على حسابها ، يعنى ليه تضعنى

امام خيارين كلاهما صعب ، الحرية هي عنصر انجاز في المجتمع والانسان بدون حرية لا يمكن أن ينتج لأنه غير ممكن واحد يأتي بمسدس فوق دماغك ويقول لك : لا تشرب قهوة ولا تلعب مزيكا وما تعملش الا ذكر الله طول النهار ·· وتنتج ، العقل البشرى لم يخلق هكذا لأن الدين اختيار ·· يعنى مسلمين صحيح لكننا نسلم مرة أخرى بعقولنا وتفكيرنا واختيارنا ·

● ● لكن لماذا لم تؤد الحرية الى زيادة الانتاج ؟

ـ لأن الفوضى الموجودة وعدم الاطمئنان على المستقبل يحول دون الانتاج ·· وكتبت كتابا عن هذا اسمه «خلو البال المصرى» لأن المصرى قلق جدا على مستقبله ·· ولنر الآن ·· نتكلم بصراحة ·· جمعيات توظيف الأموال عمالة تتمدد وتتكتل ، والحكومة مديونة ولها ميزانية معينة وبرنامج اصلاح ·· يعنى انت كأب عايز ولادك يتعلموا ويسكنوا تعمل ايه ؟ تحط فلوسك مع جمعيات توظيف الأموال وتأتى لك بدخل جيد أم تنتظر الحكومة ومشاريعها ؟ وأنا رأيى ان الارتباك الموجود سببه الحكومة لأنها لا تأخذ مواقف اطلاقا ، ولازم تأخذ مواقف مبدئية وتضع دعائم وأسسا نراها أنت وأنا والوزير ، واللى يخرج عليها يتحاكم ·

● الشيخ الباقورى :

اقبل عذر أخيك ولو كاذبا

كان الشيخ احمد حسن الباقورى من الرجال المقربين الى الثورة التى اختارته وزيرا بها كممثل للاخوان المسلمين الذين اعتبروه خارجا عليهم لأنهم رفضوا ان يكون لهم وزير واحد فقبل الباقورى بينما كانوا يريدون اكثر من وزير من بين صفوفهم وحدث الصدام المعروف بين الاخوان والثورة ولم يسلم الباقورى من الابعاد والهجران ولكن يبقى من الرجل كونه داعية اسلاميا البعض يقبله والبعض يرفضه لأنه فى دعوته وفتاواه يأخذ بيسر الاسلام ويتجنب التشدد .. ولم يكن يعنيه ان يرضى معارضيه او يتملقهم لاكتساب شعبية على حساب قناعاته التى يقوم دليله فيها على كتاب الله وسنة رسوله ، وكان لنا هذا الحوار معه والذى بدأناه بالسؤال حول احوال المسلمين ولماذا هانوا على انفسهم وعلى غيرهم ؟ .

وأجاب فضيلة الشيخ احمد حسن الباقورى :

نستصحب فى الجواب عن هذا السؤال الحكيم قوله تعالى عز وجل :

« ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم » .

صدق الله العظيم

فذهاب الريح يعنى ضعف القوة وفقدان الهيبة فى صدور العدو المتربص وفى صدر الولى المنتفع . فتستطيع أن ترد جواب السؤال الى أنهم متفرقون لا يكاد يجمعهم شأن من شئون الدنيا ولا الدين ، وعملت المذهبية البغيضة على تفريق صفوفهم ، وأعانت الأثرات الشخصية على هذا التفريق ، والله نسأل أن يرفع البلاء

وأن يعز هذه الأمة التي لا خير لها في دنيا الا بالاسلام تلتزم أدبه وتنزل على شرائعه وأحكامه ، والله ولى المؤمنين .

● كيف يعيد المسلمون اليوم مجد ماضيهم الذى سادوا به الدنيا ؟ .

ـ اذا تاملنا في ماضيهم رأينـــاه مشرقا من خلال اعتناقهم الاقبال على أصول ثلاثة هي :

المنهج .. وكل مجتمع ينشد الاعتزاز بالحياة سيدا فيها ، لابد أن يكون له من منهاج يلتزمه ، وأن يكون له قدوة يمشى على اثرهـا ، وأن يكون هـؤلاء السـادة أتبـاع تلك القـــدوة ، لذلك فالمسلمون نجحوا في ماضيهم لأن القرآن من منهاج حياتهم . ولأن رسول الله كان قدوة في أعينهم ، وهو نفســـه كان يلتزم هذا المنهاج ، وهم لم يكونوا الا أتباعا يؤمنون . بالمنهـاج ويحترمون القدوة ، فاذا أرادوا لأنفسهم أن يعودوا لقوتهم ، فسر قوتهم هو أن يكون لهم منهاج يجمع بين اليسر والعمق .

وسيدنا رسول الله بين ذلك في حديث صحيح شريف فقال : « يسروا ولا تعسروا وسكنوا ولا تنفروا » .

ثم هم أيضا لا تنقصهم محبتهم لرسول الله ، والمحبة أولى طريق الى القدوة واتباعها .

وبتأمل هذه الكلمات يكون الجواب : عودوا الى الله تعد اليكم أمجادكم .

قضية حياتي

● من هو المسلم الحق ؟

ـ هو الذى فسره رسول الله في حديث البخـــارى ، مبالله

السائل : ما الاسلام يارسول الله ؟ فقال : أن تشهد ألا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتحج البيت ما استطعت الى ذلك سبيلا ..

فلما جاء الى المسلم ليعرفه عرفه هكذا :

« المسلم من سلم الناس من لسانه ويده » . وأنا أوثر الرواية هذه : من سلم الناس ..

ـ سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين ـ من لسانه ويده .

● ● كيف يعرف المسلم أن الله راض عنه ؟ .

ـ آية المؤمن ثلاث : يصدق اذا حدث ويوفى اذا وعد ، ويؤدى الأمانة اذا أؤتمن . فاذا أضفت الى هذه الأصول الثلاثة ، أنه يؤدى صلاته وصيامه وزكاته وحجه . فهو متيقن فى هذه الصورة أن الله راض عنه .

● ● كيف يواجه المسلم اساءة المسيئين اليه ؟

ـ أن يعامل الناس بالتجاوز عن سيئاتهم معه واشاعة حسناتهم . فاذا حرص الانسان فى الناس على أن يعتز بحسناتهم يذيعها عنهم ويتجاوز عن سيئاتهم فلا تؤثر فى علاقته بهم ، فذلك هو الطريق السوى لنجاح المرء فى دنياه وآخرته . وهذا هو ما أخذت به نفسى على مبلغ علمى فى كل موقع وكل عمل قمت به .

● ● ما هى قضية حياة الشيخ الباقورى التى عاش لها ومن أجلها ؟ .

ـ يا سيدى .. الانسان يعيش لنفسه وأسرته وشعبه وأمته . وأول ذلك وأصله ان يعمل دائما فى اطار يرضى الله تعالى عنه ، ويعتز الناس بالعامل فيه .

واعتقد أننى هكذا كنت بحكم الأسرة التى نشأت فيهـا ، وكانت أسرة ذات طابع دينى لأن أبى كان اماما فى مسجد القرية • وجدى لأمى كان مفتيا لأسيوط فى عهد محمـــد على ، وكان لكل مديرية أو اقليم مفتى خاص به فـكان الشـــيخ فراج الخطيب الباقورى ، بهذا الاسم « مفتى » فى قنا ثم نقل الى أسيوط فالمنيا ، مفتيا فى هذه الأقاليم الثلاثة ، وطبعا دائما كلما كان للطفل فى أسرته من يلفته اليه كمثل أعلى يخرج ناشئا على خطوات هذا المثل الأعلى ليصل الى ما وصل اليه آباؤه وأجداده •

ومن هنا قال الأديب :

ان لفلان حسبا فى آبائه وأجداده ينهاه عن صغائر الأمور •

ويروى الناس أهل العلم الثقـات عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، أنه كتب الى عمرو بن العاص واليـــه على مصر : لقد بلغنى أنه فشت لك فاشية من ابل وغنم فمن أين لك هذا ؟ وانى مرسل اليك بصاحب رسول الله محمد بن مسلمة ، فاذا وردك محمد فاقسم مالك بينه وبينك ، وابق لنفسك نصفـا وابعث الى جيران رسول الله فى المدينة النصف الآخر » •

وأحس عمرو رضى الله عنـــه كان أمير المؤمنين عمر يتهمـه بالخيانة ، فكتب يرد عليه :

أما بعد •• انك تعلم يا أمير المؤمنين ••

انى لم أطلب منك هذه الولاية على مصر فلم أطرق لك عليها بابا ولا فتحت لك عليهـا قفـلا ، ووالله يـا أمير المؤمنين لو كانت خيانتك حلالا ما خنتك فان لنا أحسابا تمنعنا أن نخون » •

●● كيف تنظر فضيلتكم الى قضية الشباب والتطرف ؟ .

ـ التطرف حيث كان لا يرضي الله تعالى به ولو كان التطرف في الخير فما بالك اذا كان تطرفا له عواقب سـيئة تغضب الله ورسوله ، وقد قال الصادق المصدوق :

ان هذا الدين متين فأوغل فيه برفق فان المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أقطع » .

يريد صلى الله عليه وسلم أن يقول في هذا المثل الذى ضربه ، أن الانسان يركب دابة مع موكب ويمضى معـه ، فاذا ما استحث مطيته فأسرعت اسراعا شديدا ، فانه لن يصل الى الغـاية التى يريدها لأن الدابة ستنفق وتموت من السرعة ، ففقد دابته وانفصل عن موكبه ولم يصل الى غايته ، فذلك هو مثل المتطرفين دائما ، والمتطرفون ليسوا في عصرنا ولا في العصـور التى تجىء من بعدنا ، ولكنهم كانوا في عهد رسول الله ، فقد روى الامام البخارى أن جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان بينهم على بن أبى طـالب ، تذاكروا فيما بينهم شئون الدين وموضـع رسول الله منه ، فقالوا نحن نسأل في وفد الى أبيـاته ، فذهبوا وسألوا ، فرأوا عبادة الرسول قليلة لأنه يصلى ويصوم كما يفعلون ، فلما انصرفوا قالوا ما لنا وله فقد غفر الله له ما تقـدم من ذنبه وما تأخر ، أما نحن فمساكين ، فقال أحـدهم : أنا أصوم الدهر ولا أفطر ، وقال آخر : وأنا سأقوم الليل ولا أنام ، وقال الثالث : وأما أنا فلا أتزوج النساء .

وكان طبيعيا أن يبلغ حديثهم رسول الله ، فاستدعاهم ، وقـد استدناهم وقال لهم هذه الكلمة التى يخشع لها التاريخ : أما والله

انى لأتقاكم لله وأخشاكم له ، ولكننى أصوم وأفطر ، وأقوم الليل وأنام ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتى فليس منى .

ثم جاء صلى الله عليه وسلم يوصي المسلمين بعامة فى كل زمان ومكان فيقول :

« لا تشددوا فيشدد عليكم فان قوما شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم فتلك بقاياهم فى الديار .. رهبانية ابتدعوها ما كتبها الله فما رعوها حق رعايتها .

وما خير رسول الله بين أمرين الا اختار أيسرهما ، وما أكثر ما كان يوصى الذين يبعثهم دعاة الى الله ، فيقول لهم : **يسروا ولا تعسروا ، وسكنوا ولا تنفروا** . وفى رواية أخرى : **بشروا ولا تنفروا .**

أريد أن أقول ان التطرف موجود فى كل وقت وكل بيئة ، وخير الناس الذين يتخذون من رسول الله القدوة . ومن أصحابه المثل ، ومن سلف هذه الأمة . الطريق الذى سار عليه . ومن لا سلف له لا خير فى خلفه ، ومن لا ماضى له لا حاضر له .

● ● اعط لنا أمثلة ليسر الاسلام وعدم تشدده ؟ .

ـ تجىء سيدة فاضلة تقول لى . فات موعد السحور وأنا شربت لآخذ الدواء فهل صيامى باطل ؟ .

فاقول لها : بينى وبينك حديث رسول الله ، فاقرئيه ولا تغشى نفسك ، وأنا لا أغشك ، والحديث لرسول الله فى جامع الأصول لحديث الرسول للامام الشيبانى . يقول صلى الله عليه وسلم :

اذا سمعت النداء (للفجر) والاناء على يدك فلا تضعه حتى تنال منه حاجتك .

وفسر الشيباني ، الحديث بأنه ان لم يشرب الصائم والاناء في يده والفجر يؤذن ، فان أصابه الظمأ وسط النهار سيقضي بقية يومه قلقا يقول : ياليتني شربت ، ويشعر بالندم والحسرة . وهذا ليس من أخلاق المسلمين ، لذلك يقول الرسول اشرب ولو أذن الفجر حتى لا تبقى يومك آسفا نادما .

ثم اذا سمح للزوجة أن تتذوق الطعام على طرف لسانها وهي صائمة ، حتى تعد طعاما لزوجها ، أليس هذا أفضل من أن يغضب عليها زوجها ويسب ويلعن ، والرجال في غاية الشره ، والرجل لا يخاطب الا من بطنه .

اذن فالاسلام أكبر من المسلمين ، والمسلمون نريدهم على قدر الاسلام وفي مستواه ، فذلك خير الدنيا والآخرة ، والا فان الله قادر على أن يأتي بقوم غيرنا ، والله يقول :

« ان تتولوا يستبدل قوما غيركم » .

احد رجلين

● ● كيف ينظر فضيلة الشيخ الباقوري الى قضايا :

خروج المرأة للعمل أو عدم خروجها

والمرأة بين الحجاب أو عدمه ؟ .

ـ الحكم في ذلك للقرآن الكريم ، فالله تبارك وتعالى أمر نساء الرسول بلزوم المنزل ، فمن شاءت أن تقتدى بنساء الرسول فلتفعل ، وان لم تشأ فلها الحرية ألا تفعل .

يقول الله تعالى في سورة الأحزاب :

« يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لهـا

العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيرا ، ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها أجرها مرتين واعتدنا لها رزقا كريما » .

فأزواج رسول الله ان أساءت احداهن فلها عقابين واذا أحسنت فلها أجرين ، لأنهن قدوة ولأنهن لسن كبقية النساء كما يقول الله تعالى :

« يا نساء النبي لستن كاحد من النساء » .

والمقيس عليه ، اذا أرادت المرأة أن تقعد فى بيتها ولا ترهق زوجها وهو يكفيها أمرها منعمة مترفة ، فلتبق فى البيت ، ولكن ان أرادت العمل فليس هناك نص دينى يمنعها من ذلك .

أما بالنسبة للحجاب ، فالله يقول فى سورة الأحزاب أيضا :

« وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى » .

ويقول فى سورة النور « قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم ان الله خبير بما يصنعون ، وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها » . ولما جاء رسول الله يفسر واليه وكل الله تفسير القرآن ، كما قال له « وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس » . وقد بين الرسول ما الذى يجوز للمرأة أن تكشفه ، فتكشف وجهها ويديها ، ثم أمسك على منتصف الذراعين . وراجع تفسير سورة النور للقرطبى الخزرجي من علماء المسلمين الزهاد .

اذن فللمرأة أن تكشف من وجهها ويديها كما أمر الرسول ، ولها أن تخرج للعمل مادامت تخرج غير مريبة وفى عمل شريف محتشمة تحت سمع الناس وبصرهم .

... ومن لا يعى ذلك فهو أحد رجلين : حمار لا يفهم ، واما انسان لا يريد أن يفهم .

● ● كيف كانت نشاتك الدينية وكيف انعكست على حياتك فيما بعد ؟ .

— لا أقدر أن أتكلم على نفسى لأن الانسان قد يكون له ظروف خاصة لا يشاركه فيها أحد .

واستطيع أن أقول ان الاقبال على التدين العميق فى سن مبكرة خطر ، لأن الطفل ان لم يلعب وهو صغير فسيلعب وهو كبير ، واذا لعب وهو صغير فان ذلك يجعله يكبر على الجد ، والأم يجب أن تعطى ابنها أقصى ما يمكن من الحنان ، لأن الطفل الفاقد الحنان من أمه صغيرا ، يجب أن يلتمس هذا الحنان فى الزوجة التى يتزوجها ، والا صار انسانا فى غاية الشقاء .

● ● ما هى المواقف التى مررت بها فى حياتك وتعلمت منها ؟ .

— فى بعض ظروف حياتى كان معى مال كثير أنفقته بسفه وتبذير ، فلما جاء الوقت الذى احتجت فيه لبعض المال ، عشت شقيا .

... كما أننى ألمس صدق حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى يقول فيه ، مثل الجليس الصالح كمثل حامل المسك اما أن يحذيك (يعطيك) من مسكه واما أن تبتاع منه ، واما أن تجد منه ريحا طيبة . ومثل الجليس السوء كمثل صاحب الكير (الحداد) اما أن يحرق ثوبك واما أن تجد منه ريحا خبيثة » .

وقد مرت بى شدائد فى حياتى أعتقد أن ما عانيته من ظروف قاسية سببه الصديق السيىء ، وما أصبته من خير فى حياتى كان مرده الى أننى اخترت صديقا طيبا ٠

كذلك من الأمور التى أحرص عليها وينبغى ألا تفوت مسلما أو مسلمة هى قبول عذر الآخرين ، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « **من تنصل الى أخيه من ذنب صادقا أو كاذبا فلم يقبله لم يرد على الحوض يوم القيامة** » ٠

ويقول : « **خير الناس أعذرهم للناس** » ٠

فالرسول يدعوك الى أن تتقبل عذر غيرك حتى ولو كان كاذبا ، والا فستبعث يوم القيامة عطشان ٠

عندما رأيت الله

● ● هل هناك مواقف رأيت فيها الله ؟

ـ يقول الشيخ احمد حسن الباقورى :

احساسى بجلال الله وهيبته ملأ قلبى عندما كنت أميرا للحج سنة ١٩٥٣ ، وقد جرت العـــــادة أن يفتح لأمير الحج ، الضريح الشريف ، وقد كنت أستعد للدخول مع صديق لى لقيته هناك ، وكانت له قيمته وقدره ولكنه لم يرض أن يدخل معى ، فتعجبت أن يضيع هذه الفرصة النادرة ، ولكنه قال لى ، انه مذنب ، وهـو يخشى أن يدخل على رسول الله وهو مذنب ٠ لذلك طلب منى أن أدخل على الرسول وأعتذر له عنه وأسأله أن يستغفر الله له ٠

لقد رأيت الله فى هذا الانسان ٠

موقف آخر لاحظته فيه أن رجلا ممن دخل معنا قبر الرسول

ألقى السلام وحمد لله وأخذ شيئا من رمل القبر وابتلعه ، وعرفت أن هذا الرجل كان يعانى من امساك مزمن وصداع مستمر ، فلما ابتلع ما ابتلع من رمل الحجرة الشريفة وهو يزور الرسول قد زالت أمراضه في اليوم التالى ٠

وهنا رأيت الله للمرة الثانية ٠

الحرب الرابعة

● ● بماذا تدعو الله ؟

ـ يقول الشيخ الباقورى :

أرجو أن تكون مصر على فضلها وخيرها في أرضها وسمائها وأهلها ٠

وأرجو أن يكون هذا البلد قدوة لكل شعوب أمتنا العربية والاسلامية ، أولا في سيادة الديمقراطية في هذا البلد ، وأقول الديمقراطية بالتعبير الحديث ، والمساواة والأخوة بين الناس ـ وهى الأصل في الاسلام ـ والتكافل الاجتماعى ٠

أمر ثان أدعو الله ليل نهار أن نعود اليه وهو النيل ، حتى تعود الى بلدنا خصوبة أرضها وحلاوة فاكهتها وخصوبة حيوانها ، وأن نستمتع بالأسماك التى لا نظير لها ٠

الأهم من كل هذا أن يسود السلام منطقة الشرق الأوسط عن طريق الاعتزاز بالحرية الشاملة والعدالة الكاملة والسلام العزيز ، فان الحرب التى يتوقعها الآتون من بعدنا ، ستأتى على الأخضر واليابس ٠ وأبرز مثل أسوقه فى هذه العجالة من الحديث ، عندما سئل « أينشتين » صاحب نظرية النسبية : لقد شهدت

حربين عالميتين ورأيت الأسلحة المستخدمة فيهمـــا فماذا تتوقع بوصفك رجلا فيلسوفا وفيك جانب روحاني ـ وهذا حق ـ فيما لو نشأت الحرب الثالثة ؟ ٠

فقال الرجل الفيلسوف المتصوف :

صدقني لا أعرف ما الأسلحة التى سوف تستخدم فى الحرب الثالثة لو نشبت ، ولكنني أعرف على وجه اليقين الأســلحة التى سوف تستخدم فى الحرب الرابعة بعد أن تنتهى الحرب الثالثة ٠

فقال له سائله : حدثنى عن هذه الحرب الرابعة ٠

قال أينشتين : سوف يقاتل الناس بعضهم بعضا فى الغابات بأسنانهم وأظافرهم ٠ مشيرا بذلك الى أنه لن تكون هناك حضارة ، فستكون قد زالت كل معانى الحياة والانسانية ، ويعود الانســان وحشا فى الكهوف والغابات ٠

● د . مصطفى محمود :

شيء لم أفعله بعد

« الكون مشروع فاشل والحياة صفقة خاسرة نهايتهـا الموت ، والعطب والفساد يكتنف كل شىء » .

هذه كلمات « رجل تحت الصفر » من الايمان حيث كانت بدايته رفض كل المسلمات فركبة « ابليس » الشك فى « الله والانسان » وكل شىء حيث كان من « المستحيل » أن يتصـور احد أنه سيقطع « رحلته » هذه من « الشك » حتى يصل « الى الايمان » ليخرج من « التابوت » حيث الظلمات والحيرة والضياع الى « الله » « السر الأعظم » حيث النور والهدى واليقين لتبدأ سحابة التشاؤم والشك تنقشع عن عقله وقلبه ليبدأ هجرة الى الله خادما لكلمته فيجرى « حوارا مع صديقه الملحد » ليقنعه وكل المتشككين ب « العلم والايمان » أن لا اله الا الله . وليربط الانسان بالكون وخالقه وليقدم للشـباب مزيدا من الحقائق التى تحببهم فى الدين فيكون مقنعا لتراثه ومستمعيه ومشاهديه كبارا وصغارا مثقفين ومتعلمين وما بينهم وما بعدهم فيشعرنا جميعا انه واحد منا لذلك فانه يدخل الى قلوبنا وعقولنا .. أنه ومنذ السطور الأولى نعرفه د. مصطفى محمود .

●● ونسأله فى البداية عن سر نجاحه فى اجتذابنا اليه ؟

فيقول : يمكن أن أقول لك ان هذا فضل الله أولا وأخيرا ، وعناصر النجاح واحدة عندى وعندك وعنـد غيرنا وهى الصدق والاخلاص فيما نقول وأن نعيش عصرنا بمعنى أننا ونحن فى عصر العلم لابد أن نحس بأكبر قدر من العلم ، ونحن فى عصر اللغـة الموضوعية المختصرة البليغة الواضحة التى يجب أن نلجأ اليها .

● ● ألا ترى أن الشباب يفتقد الى هذا النوع من الدعاة ؟

ـ بالعكس نحن لدينا دعاة عظام ويكفى أننا نعيش عصر الشيخ الشعراوى والشيخ الغزالى والشيخ الباقورى رحمه الله وأن لم يمنع هذا من وجود بعض من يتكلمون وكأنهم على بعد ١٤٠٠ سنة والنبى كان يوصى الدعاة أن يكونوا مبشرين لا منفرين ٠

● ● أين تكمن مشكلة الشباب وما هو الحل ؟

ـ مشكلة الشباب هو الشباب نفسه لأنه يبحث لنفسه عن أقصر الطرق لتحقيق أهدافه صحيح أن ظروف مصر صـعبة وكان يجب أن يكون هذا حافزا للشباب على أن يحمل مصر على كتفيـه ويبنيها طوبة طوبة بالمشاريع بالتعمير بالعرق بالكفـاح لأن الأمم لا تبنى بالكلام ، وهـذه هى اليابان خرجت من تحت دمار ذرى وأصبحت من أولى دول العالم فى قوتها الاقتصادية . وهذه ألمانيا هزمت هزيمة كاسحة وسويت فيها مدن بالتراب واليـوم أصبح المارك الألمانى ولا الدولار فى قوته ٠ كيف حدث كل هذا ؟ لم يحدث بالهتاف والعنف وانما الشباب هناك ذاكر واشتغل وبنى وتعب ووقفوا طوابير وصبروا وكافحوا ، فهكذا تبنى الأمم ٠ أما أن بعض شبابنا يلجأ بالهتاف والعنف أو يهاجر للخارج يغسل صحون ويبيع جرائد فهذه سلبية والأكرم له أن يلصق القيشانى على الحيطان فى بلاده أو يشتغل فى السباكة أو النقاشـة أو الحدادة أو كهربة الترانزستور فيحصل على ٤٠٠ أو ٥٠٠ جنيه أحسن من مرتب وزير وياريت لو الشباب فكر انه يعمل منحـل أو مزرعة دواجن أو أرانب أو مشروع تاكسى يتبادلون عليه « السواقة » ، والدولة تعطى خريجى كلية الزراعة من ٣٠ الى ٤٠ فدانا ، والمفروض يستغلوا هذه الفرصة ويزرعوا بلدهم ، والصحراء فيها مياه جوفية تطلع لهم

ذهب بدل ما يزرعوا ويفيدوا بلاد غير بلادهم ، فانا أقول للشباب كفى غسيلا للصحون فى بلاد بره ٠٠

● **كلمات تحرص على أن يفهمها ويعيها الشباب ؟**

ـ الصدق مع الله ومع النفس ومع الآخرين وأن يؤمن كل شاب بأن قيمته هى بقدر ما يضيفه الى الحياة ما بين ميلاده وموته وأن يعرف أنه سيكون انسانا بقدر ما يقاوم ما يحب ويتحمل ما يكره ٠

● **سلام الانسان مع نفسه كيف يجده ؟**

ـ سلام الانسان مع نفسه بأن يكون انسانا خيرا لا تصحو ولا تنام الا وقلبك فى صفاء كامل لا تضمر لانسان حقدا ولا شرا وانما تبغى الخير للجميع نية وقولا وفعلا واتقانا وهذا هو أساس الصلح بينك وبين نفسك وبين الله وبين الآخرين وأساس السلام والطمأنينة وأن تؤمن ايمانا كاملا بعدل الله ووحدانيته وقدرته وأنه لن يستطيع أن يفر مجرم من عقاب أو أن تأتى عملا صالحا دون ثواب وأن تحس أنك تعيش فى مملكة لا ينام مليكها وهو الله فتنام أنت لأن العدالة ساهرة فتعيش فى سلام كامل بلا خوف لأن « كل نفس لما عليها حافظ » و « وقل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا » ٠

● **لماذا يختلف الدين والعلم فى بعض الأحيان ؟ ٠**

ـ الدين والعلم لا يختلفان ولكن الاختلافات تأتى حول نظريات أو تخمينات عمية انما العلم الثابت لا يختلف ولن يختلف مع الدين لسبب بسيط هو أن العلم بالله لا يتناقض مع العلم بمخلوقات الله لأن العلم الله هو صانعه لذلك فلا يمكن أن يكون هناك تناقض بين العلم وصانعه ، ولكن لكل صنعة قوانينها ونحن كبشر نخطىء الفهم ونشطط فى التخمين ولكن بعد كذا سنة نكتشف

أن النظرية غلط فيلتقي الصواب في النهاية مع الدين فلا تناقض بين الدين والعلم الصحيح .

● ● هل تقف حركة العلم بالانسان عن الحركة بعد أن أصبح كل شيء يتم بالأزرار والالكترونيات ؟ .

ـ بالعكس حركة الانسان تزيد بزيادة حركة العلم فبعد ما كان يركب « الحمار » أصبح يركب الصاروخ الى القمر والمريخ واذا استطاع الانسان حل معادلة الطاقة فانه يستطيع أن يتجول خارج الكرة الأرضية بين المجرات عدة سنوات فالعلم اذن يوسع حركة الانسان ولا يقللها .

● ● في عصر المادية الطاغية أليس الدين في خطر ؟

ـ غير صحيح أن الدين في خطر بل الحضارة المادية هي التي في خطر لأنها أفلست عند المتهالكين عليهــــا ولم تعد تأتي لهم الا بالمآسي والكوارث وارتفاع نسب الجنون والانتحــــار والشذوذ الجنسي وأمراضه التي لا علاج لها وصار الشباب في الدول الأوربية يعانون من الاكتئاب وحالات الانحــــلال والتطرف حتى موسيقاهم تلاحظ فيها القلق ، فالموسيقى التي يسمونها « الديسكو » تعبر عن حالة واحد عنده « مغص » واحد « مصروع » بالتأكيد ليس سعيدا لأنه يلجأ الى نوع من « الزار » لأنه يعيش في نوع من التراجيديا أو المأساة النفســــية التي تلف المجتمع الغربي كله والغارقين في الحضارة المادية رغم الترف الذي بلغ الذروة عندهم ومع ذلك يعانون معاناة فظيعة تدمرهم وتدمر من حولهم ، أما الدين فهو بخير وتستطيع أن تلمس ذلك من اسلام الأجانب وعندنا مثال يجب أن نتأمله جيدا وهو اسلام « جارودي » المفكر الفرنسي وهذا مثال على حيوية الاسلام وقدرته على الوصول الى العقول والقلوب بدون دعاة يعبرون البحر وهذا دليل قوة ذاتية في الاسلام .

● ● رحلتك من الشك الى الايمـــان هل جاءت عن عمـد وترتيب أم أنها جاءت بالمصادفة وكيفما اتفق؟ ٠

ـ جاءت كيفما اتفق فلم أخطط أنى أشك مثلا حتى الساعة السادسة وبعـد ذلك أبدا فى الايمـان ولكننى كانسان مفكر أعدت النظر فى كل المسلمات فى حياتى ويمكن هذا هو عيب المفـكرين كلهم يبدأون فى نفى المسلمات ليصلوا الى اليقين الذى لا شـك بعده ٠

● ● هل من الضرورى على كل انسان له عقل يفكر أن يقطع رحلة الشك حتى يصل الى اليقين ؟ ٠

ـ لا ضرورة اطلاقا لكن عند المفكر ربنا يجعله مفكرا يعيـد النظر فيما حوله أما الشخص العادى فقد يكرمه الله بالجلاء البصرى والشفافية فيدرك الأمور بقلبه ، تقول له ربنا موجود اثبت لى يقول لك أنا حاسس بالله مثلما تحس انك مبسوط والدنيا نهار والشمس طالعة فلا اثبات فى مثل هذه الأمور كذلك مسألة وجود الله بالنسبة لى الآن مثل شمس النهار وبالعكس وجودك أنت يا انسان هو الذى يحتاج الى اثبات لأنك محل شك فأنت اليوم موجود غدا غير موجود تموت ويحملونك فوق خشبة وتتلحد فى القبر فوجودك يحتاج إلى اثبات لأنك محل شك لكن الوجود الوحيد الثابت هو الله ، وكل المخلوقات وهمية فليس الانسان بحاجة الى أن يبدأ رحلة الشك ولكن يمكن لأن العصر الذى نعيشه هو عصر الحاجة واثبـاتات وبراهين ، والعقل تبجح لأنه اخترع له كذا اختراع وقال « أنا ياما هنا ياما هناك » وأصبح يتدخل فى كل شىء ، وكل حاجة يقول لك اثبت لى لدرجة أن فيه علم اسمه «علم الكلام» لذلك يجب على المفكرين المؤمنين أن يردوا على اللجاجة والتنطع ومواجهـة كل من هم فى سنة أولى حضانة فى الدين والرد على ما يدور فى الأذهان خاصـة

الشباب مثلما جاء فى « حوارى مع صديقى الملحد » وهو نوعية جديدة لمشاكل عصر المنطق واللجاجة ولكن الانسان السوى بفطرته السليمة لا حجاب بينه وبين الله لأن الله عنده حيلة ماثلة ليس فى حاجة الى برهان ٠

● لم تصل الفلسفة باصحابها الى شئ خاصة فيما يتعلق بالبحث فى الميتافيزيقا وراء الطبيعة عن الغيبيات فهل هناك حاجة للفلسفة ؟ ٠

ـ صحيح الفلسفة لا توصل الى شئ ولكنها مثل لعبة الشطرنج تمرينات عقلية واستخلاص من مقومات وجزئيات صغيرة لحقائق وقوانين ، انما الفلسفة التى تبحث فى الله فلا جدوى منها لأن الله فوق العقل وهو غيب الغيب تستشعره اذا كنت من أهل التقوى والقلوب الشفافة ، والفلسفة اذا كان لها من فائدة فهى لهواة التأمل والتمرينات العقلية ٠

● هل ترى أن عودة المرأة للمنزل ينقص من حقوقها ومساواتها ؟ ٠

ـ غير صحيح لأن المكان الطبيعى للمرأة هو بيتها وهى ستمتاز بذلك أكثر عن الرجل لأنه سيعهد اليها ببناء الانسان وهذا قمة التشريف الذى يرفع من قدرها ٠

● ومسألة ارتداء المرأة للحجاب يقال انه حجاب على عقلها وفكرها فما رأيك ؟ ٠

ـ على العكس مما يقال فالحجاب عفة وصيانة وطهارة تكف نفس من ترتديه ومن حولهن عن الاثارة الغريزية وهنا ينطلق العقل من عقاله فهو حجاب شكلا ولكنه فى الحقيقة ارتفاع للحجاب

وما أكثر العراة وهن محجبات عقلا وما أكثر المحجبات وهن طليقات فكرا ٠

● ● ما هو مفهومك للجمال ؟

ـ الجمال في مفهومي هو سجايا نفسية لأن الجمال الظاهر لا يلبث أن يزول ويذبل مثل جمال الوردة عمرها قصير ولكن الجمال الباقي هو الجمال الداخلي ، والجمال الباطني ، الذى هو جمال الأخلاق ٠

● ● هل نجد مساحة من التشاؤم في شخصية د٠ مصطفى محمود ؟ ٠

ـ زمان من ٣٠ سنة في بداية كتاباتي كانت مساحة التشاؤم والشك كبيرة وقاتمة وتستطيع أن تجد تغلب الفكر المادى على شخصيتي في القصص القصيرة وكتبي الأولى حتى بدأت سحابة التشاؤم تنقشع عني شيئا فشيئا فلم أعد أرى نفسي متشائما ٠

● ● هل تتفاءل وتتشاءم بأشياء معينة ؟

ـ اذا كان قصدك أتفاءل اذا رأيت قطة بيضاء وأتشاءم لو رأيت قطة سوداء وأقفل الباب فهذا كلام فارغ ولكنني أغلب التفاؤل في حياتي وأكون كلما ألم بي مكروه كما قال الله جل وعلا « وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم » وهذا هو معنى التفاؤل عندى أمارسه وأنا شديد الأمل في الله ٠

● ● من هو د٠ مصطفى محمود ؟ ٠

ـ مجرد مفكر يحاول أن يفهم ويتتلمذ على الحياة ٠ ويتعلم من كل انسان يصادفه وكل مخلوق من النحلة والزهرة والفراشة وكل أملي في الحياة أن أكون خادما لكلمة لا اله الا الله وأن أستطيع أن أجلو للشباب مزيدا من الحقائق التي تحببهم في الدين أكثر وأكثر ٠

●● الى أى حد نجحت فى دعوتك الى العلم والايمان ؟ ٠

ـ أعتقد أننى مشيت مجرد خطوة واحـــــدة الى الأمام وكل ما قلته وكتبته ما هو الا عبارة عن مسودة أو بروفة لشىء لم أفعله بعد ٠

●● وما هو هذا الشىء الذى تريد أن تفعله بعد ؟ ٠

ـ لا أعرفه ، وربنا يعطينى العمر وأكتبه ٠

●● عنوان تراه مناسبا لمسيرة حياتك ؟

ـ « هجرة الى الله » ٠

● د . لويس عوض

وتهم بعضها صحيح وبعضها ظالم

● الدكتور الناقد الكبير د. لويس عوض منبر دائم للجدل والنقاش حتى لو بدا انه يكتب في عصر غير العصر الذى يعيش فيه ، واذا كنت تظن انك قادر على استفزازه بأسئلتك فان اجابته تجعلك مستفزا . ولأنه صنع بقلمه الناقد أجيالا وأسهم في اضاءة الطريق أمام كثيرين فمن حقه علينا ان نسمعه ، ومن حقنا نحن أيضا ان نختلف معه .

●● سألته : كيف تشخص الحالة الثقافية الآن ؟ .

قال د. لويس عوض : نحن نعيش حاليا مرحلة الفراغ الطبيعي الناشيء من انتهاء مدرسة وظهور مدرسة جديدة سواء في الأدب أو الفن أو السياسة ، وربما أيضا من الناحية الاجتماعية ، فهذا فراغ طبيعي لأن المجتمعات لابد لها من فترات تحضيرية حتى تظهر فيها الحركات الجديدة ، هذا ما نسميه المراحل الانتقالية .

●● اذن فنحن على عتبة مرحلة جديدة ؟ .

ـ مرحلة تتخلق الآن في أحشاء المجتمع المصرى وفي عالم الفنون والآداب بدايات أمل في نظام أكثر موضوعية وأقدر على التوازن مما نراه الآن .

●● وعلى هذا فانت لا ترى ان هناك داعيا للتشاؤم ؟ .

ـ نعم لأن التشاؤم هو وليد النظرة على المدى القصير .. انما الذى يقيس الأشياء بالمنظور التاريخي يرى أن المجتمع المصرى وهو يمر بمرحلة النقد الذاتي حاليا ، انما يساعد نفسه على تكوين هذه

الفلسفة الجديدة ، ودعائم نظام حياتنا الجديدة ، وفى تصورى أن جو الحرية المتوفر الآن يساعد على تبلور هذه الأفكار الجديدة والقيم الجديدة ·

●● وكيف السبيل ؟ ·

— فى اعتقادى أن أهم شيء قبل البحث عن نظام حياة جديد وهو أن يعرف المصريون ماذا يريدون بالضـــــبط وما هو حلمهم الاجتماعى الكبير ، هل هم يطلبون العدالة الاجتماعية أم يطلبـــون المجد والقوة ·· الى آخره ·

لابد أن يعرف المصريون بالضبط ماذا يريدون وما هو حلمهم الاجتماعى والسياسى ·

●● ماذا تقصد بالحلم هنا ·· هـــل ترى أن نترك الواقع لنحلق فى الأوهام ؟ ·

— لا أقصد الوهم ، ولكن الحلم عندى هو ما يمكن تحقيقه ، وهو العبارة الأخرى لكلمة الأمل العظيم ، فلابد أن يعرف المصريون ماذا يريدون ، وعلى هذا تبنى بقيـــة تصوراتهم لنظـــام المجتمع والعلاقات بين البشر فى الداخل والخارج وعلاقات الثقافات المصرية ببقية الثقافات المجاورة وهكذا ·

●● وأهم شيء يجب أن نعمل حسابه ونحن نحلم من أجل مستقبل جديد ؟ ·

— المهم ألا يتحول الحلم الى وهم ، لأن الحلم هو الذى يزودنا بالبوصلة لنعرف اتجاهنا ، فالبوصلة تتجه ناحية النجم القطبى ، المصريون يجب أن يكون لهم دائما نجم قطبى يرونه بوضـــوح ، ويتجهون نحوه ، شأن الملاح فى وسط الأمواج والأعاصير وظلمات الليالى ·

● ● تحديد اتجاهنا نحو المستقبل أليس ذلك اساسا مهمة جيل القادة أى جيل الرواد المثقفين ؟ ٠

ــ أنا أقول انه لكى نأمل شيئا كبيرا من قيادة المثقفين يجب أن نعرف بأمانة ما لديهم من امكانيات ، وفى تصورى أن الأجيال الرائدة بحكم تكوينها التقليدى وبحكم آمالها واحلامها القــديمة الصائبة والخائبة ، وبحكم صلتها غير الواضحة بالجيل الحالى من الشباب ، وربما عدم فاعليتها بسبب فقدان التواصل بينها وبين جيل الشباب ، لذا فى تصورى يجب أن ندرك أنها أدت رسالتها وأنها يجب أن تعد العدة لتسليم الراية الى من يأتى بعد ٠

● ● هذا جيد جدا ٠٠ فهل يعنى هذا أن جيلكم قد اقتنع اخيرا بأن جيل الشباب أصبح على مستوى المسئولية ليتسلم الراية من جيلكم ؟ ٠

ــ اسأل نفسك هذا السؤال ٠٠ الى أى مدى يثق الجيل الحالى من الشباب فى الجيل الرائد من المفكرين والى أى مدى يقرأونه والى أى مدى يقيمونه واذا كان الجواب بالايجاب فستخرج بنتيجة واحدة وهى أن جيل الرواد لا يزال له دور فى حياتنا الفكرية والثقــافية والأدبية والفنية ، اما اذا كان الجواب بالســلب فيجب أن نخرج قوانين الحياة لتطبق علينا كما تنطبق على غيرها من المجتمعات ، وأن لكل جيل رجاله أو ما يسمونه فرسانه ، وانه لابد أن نعد العدة لتسليم القيادة الفكرية لأجيال جديدة ٠

●● ولكن جيل الرواد ينظر الى جيل الشباب بعدم الثقة ويرى أنه جيل متسرع يريد أن يحقق فى ايام ما حققه جيل من الرواد فى سنوات ؟ .

ـ المشكلة فى نظرى هى أنه الى أى مدى يمكن أن تثق في تبلور القيادات الجديدة الفكرية والأدبية والفنية فى جيل الشباب ، هل نضجوا بما فيه الكفاية . أم أنهم لازالوا فى دور التكوين ؟

هذا سؤال خطير لأنه سيترتب عليه أننا اذا كنا نحس احساسا موضوعيا بعدم اكتمال القيادات الشابة ، فيجب أن نهيىء أنفسنا لقبول نظرية الفراغ كمرحلة غيبوبة لظهور مجتمع جديد . ومعنى هذا أن فترة الانتقال قد تستمر عشر سنوات أخرى حتى ينضج الجيل الجديد .

●● كما يتهم جيل الرواد ، الجيل الجديد بالتعجل وعدم اكتمال التكوين الثقافى فان جيل الشباب يتهم ، جيل الرواد بأنه لا يحاول أن يسمعه ولا يحاول أن يفهمه ليأخذ فرصته ودوره فى تحمل المسئولية ؟ .

ـ هذه تهم بعضها صحيح وبعضها ظالم لأن على الجيل الجديد أن يثبت أنه قد نضج ليتسلم القيادة ، اما أن تسلم الراية لجيل لم يكتمل بعد ففى هذا مجازفة كبيرة ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى هناك وجه حق فى اتهام الجيل الجديد لجيل الرواد بأنه لا يحاول أن يسمعه ويفهمه ، ومنشأ هذا الاتهام ليس سوء النية أو أنانية الجيل

القديم ، ولكنه فقدان التواصل بين الأجيال ، فنحن فى بعض الأحيان نبدو كمن يمثلون فى مسرحية اللامعقول · حيث كل منا يخاطب نفسه وهو يحسب انه يخاطب غيره ، فالمونولوج هو الســائد فى مجتمعنا وليس الديالوج ·

فاذا كان الشباب يريد أن يأخذها على الجاهز فهو واهم ، واذا كان يتصور أن غيره سيدفع الثمن وهو يتسلم القيادة دون تضحية فهو أيضا واهم ، وهذا الكلام ينطبق على الكتاب والصحفيين الشبان وعلى أساتذة الجامعة وعلى كل فئة لها وجود فكرى أو ثقافى من بين الشباب ·

● ● نعود اليك ·· لماذا تركت واقع المجتمع المصرى لتعيش فى عصر النهضة الأوربية من خلال كتاباتك الأخيرة ؟ ·

ـ كلامك هذا نموذج آخر لعدم التفاهم بين الأجيال لأن بعض أبناء الجيل اللاحق بى مثل سامى السلامونى وخيرى شلبى تصوروا أننى ابتعدت عن الموضوع والمعركة ، وربما أنا فى حقيقة الأمر كنت أجمع وقودا جديدا للمعركة ، وفى الوقت الذى كان كل النـــاس تبحث عن عصر ذهبى فى مجتمع ماض قائم على الغيبيات ، كنت من الأصوات القليلة التى كانت تذكر النــــاس بالصراع بين دعاة المجتمع الالهى والمجتمع الوضعى فى عصر النهضة الأوروبية · وكان هذا هو جوهر كل الناس فى هذا العصر ، وهو حتميــة لانتصــار الانسان على المقولات الغيبية ، فمن تصور انى ابتعدت عن الحاضر

عجز عن الربط بين ما أكتب وبين مـــا يجـرى الآن على الساحة . بينما أن كل مثقف يعرف جيدا مضمون ما أكتب وأنا فى الواقع كنت حائرا فى سبب عجزهم عن المتابعة لأنى أعرف عنهم أنهم من خيرة المثقفين الجدد فى مصر .

● ● هل تعنى محاولتك تطبيق ما حدث فى عصر النهضـة الأوربية على مجتمعنا أن التاريخ يعيد نفسه ؟

ــ التاريخ لا يعيد نفسه بحذافيره انما هناك مستويات فى تطور الأمم متشابهة ويجب دائما أن ننظر الى الوراء للاستفادة من تجارب التاريخ سواء فى بلادنا أو فى بلاد الغير ، لأننا لسنا نسبح وحدنا بين الأمم ، وما يقال عما يسمى بالبحث عن الأصالة هو فى نظرى أكذوبة كبرى .

● ● ولكن يا دكتور للشرقيين وضعيتهم المختلفة عن الغرب الأوربى فى ماضيه وحاضره ؟ .

ــ أنا متأسف .. لا أعتقد أن للشرقيين ســـــمات جوهرية تختلف عن سمات بقية أبناء البشر ، لأن التراث الحضارى متصـــل فى الزمان والمكان ، وأرقى أنواع الحضارة دائما يستوعب كل ما هو ايجـــابى فى الحضـــارة السابقة عليه ، ولذا فأنا أحس مثـــلا بأن « بيتهوفن » ليس ألمانيا ولكنه مصرى ، وكل العمالقة فى العلم والفن والأدب . وعبر التاريخ ، ما وجدوا لولا الحضارات السابقة .

والحياة الاجتماعية لابد أن يكون فيها حد أدنى من الديالوج ،

فالشباب للأسف شغل نفسه أكثر من عشر سنوات ، ولا سيما بعد الهزيمة بالبحث عن حلول ميتافيزيقية غيبية لمشكلات المجتمع المصرى ، وكانت هذه أول صعوبة فى اجراء الحوار بين الأجيال لأنك لا تستطيع أن تتصور رجلا مثل د. زكى نجيب محمود تربى على الوضعية المنطقية وافنى حياته فى الدعوة لها ، يقبل أن تكون الغيبيات هى أساس الدعوة الاجتماعية .

نفس الكلام ينطبق على توفيق الحكيم رغم أنه صاحب عصفور من الشرق وبعض الاتجاهات التى تجسم الروحانية ، الا أنه فى نهاية الأمر ينظر الينا والى نفسه نظرة المستشرق أو على الأصح نظرة الرجل الغربى عندما يتحدث عن حضارة القرن العشرين . فهذا النقد الذاتى الذى نجده فى أعمال توفيق الحكيم للحضارة الغربية شبيه بنقد « شبنجلر » للحضارة الغربية تصورها أنها آيلة للاندثار والانهيار ، فهذه الموضة الشائعة أيام كان طالبا ، حتى قلقه ضد الديمقراطية الذى نجده فى مؤلفه « شجرة الحكم » هو ثمرة لتاثر الحكيم بالتيارات الفكرية السياسية التى بدأت فى العشرينات والثلاثينات ، والحكيم تعلم فى هذه الفترة فى أوربا وتأثر بهذه التيارات السياسية .

● تحديدا ما الذى تاخذه على الحكيم و د. زكى نجيب محمود ؟

ــ يعنى أنا أقول ان هذه الأجيال التى تكونت هذا التكوين الذى لا مجال فيه للغيبيات كان من الصعب عليهم أن يقدموا حلولا

مقبولة للأجيال الشابة الجديدة التى كانت تبحث عن حلول للمجتمع المصرى فى الغيبيات ، وهـذا معنى ما ذكرته من أن هناك عدم تواصل بين الأجيال ولا تفاهم ٠

انما أنا أحس بأن شباب مصر بدأ يخرج من البحث عن عصر ذهبى فى الماضى البعيد ، وبدأ تحت ضغط الأحوال الاقتصادية يبحث تحت مواقع أقدامه ، وهذه بداية اكتشاف الحلول العملية لمشكلات المجتمع المصرى ٠

● ● نصل اذن الى السؤال عن المطلوب بالضبط من الأجيال الجديدة لتتسلم الراية من جيل الرواد ؟ ٠

ـ لابد للأجيال الجديدة من أن تخوض معركتها بشجاعة وأن تتقدم لتتسلم الراية مع كل ما يتضمنه هذا من المجازفات ، لأن طه حسين عندما عاد من فرنسا عاد بروح المجازفة والتحـــدى للقيم التقليدية ، ومنصور فهمى أيضا رغم أنه تحول بعدها الى محافظ كبير الا أنه بدأ حياته ثابتا ، لا أكاد أذكر اسما من هذه الأسماء الرائدة الا وكانت فى حياته حقبة من التحدى وتحمل مســئوليات التحدى ٠

● أنيس منصور :

فصلوني بسبب حمار

● ندم أنيس منصور على مغامرة قام بها فى روما أيام الشباب حيث كان سببا فى عذاب فتاة هناك وكانت الغلطة غلطته ثم أنه كان يتهرب فى مصر من فتاة ويتهرب من سيدة عجوز تمنى لو كان معه مسدس يطلقه عليها ولكن الله سلم .. وكان هذا طبعا أيام الصبا والشباب حيث لم يكن أنيس منصور قد تزوج بعد لدرجة أنه سئل وقد قاربت سنوات عمره الثالثة والثلاثين عما اذا لم يكن لديه قلب يحب به ويتزوج من يحبها ، فأجاب بطريقة ساخرة :

« علميا طبعا لى قلب وأحببت ولكن لا توجد علاقة بين الحب والزواج كما أنه لا علاقة بين اعجابك بالقمر وشرائه أو اعجابك بالفاكهة وشراء محل فاكهانى ، والزواج يحتاج الى مؤهلات من بينها الاستقرار والوفاء والصبر والتضحية وحب البيت والأولاد وحاجة ثانية يا أخى هى بنت الحلال » .

بالقميص والشورت

ويبدو أن أنيس منصور قد وجد « بنت الحلال » التى جعلته يخرج عن صمته عن الزواج الذى دخل قفصه الذهبى فى ٣٠ من نوفمبر ١٩٦٣ .

وبين رأى أنيس منصور فيما قبل وبعد الزواج عبر عن ذلك بعد زواجه قائلا « لقد وجدت الزواج مختلفا تماما عما فكرت أو تصورت ، فهو أحسن وأعمق وأكمل علاقة بين رجل وامرأة متفاهمين ومتحابين أيضا وهذا ما لم أكن أعرفه قبل أن أتزوج » .

● ● ولما سألته : لماذا لا يعرف أحد شـــيئا عن حياتك البيتية ؟

ـ قال الزوج أنيس منصور ·· يعرف عنى الأصدقاء ·

● ولكن القارىء يهمه أن يعرف أيضا ؟ ·

● ● القـــارىء يهمه الكاتب لأنه معروف انما زوجته غـير معروفة ·· وأنا لست ممثلا حتى يتفرج علينا الجمهور ·

ـ وبمناسبة حكاية التمثيل ربما لا يعرف كثيرون أن لأنيس منصور قصة مع التمثيل وهو لم يزل بعد تلميذا بمدرســـة أبى حمص الابتدائية حين قام بتمثيل دور أحد الحراس على باب « معن ابن زائدة » فى مسرحية قدمتها المدرسة اشترك فيها الطفل أنيس محمد منصور وقد ظهر على مسرح المدرسة بالقميص ـ و «الشورت» وعلى كتفيه سيف خشبى ، وكان الذى يهم أنيس منصور من دوره فى التمثيل الذى قام به لأول وآخر مرة كما قال هو « فقط أن أمثل ·· أن أظهر ·· أن أقف على المسرح وأظل واقفا فى مواجهة الجمهور طوال هذه المسرحية » ·

زوجتى مؤلفة تليفزيونية

● ● ونعود للحياة البيتية للزوج أنيس منصور ونسأله كيف تعرفت على زوجتك ؟

فيصر أنيس منصور على الاحتفاظ بهذه القصة لنفسه ·

● ● وأسأله ·· عن أهم صفات زوجته ؟

ـ فيقول ·· أننا متكاملان ذكاء وواقعية وحبا اجتماعيا وبعد نظر وهى تفهمنى وتعرف احتياجاتى بالضبط ، وحكمها على الأشياء

حكم منطقى حاد ، لا تعرف جبرا لخواطر فيما يتعلق بما أكتبه ، فهى لا ترحم ولا تجامل •

● ● كلامك هذا عن زوجتك يعنى أنها مثقفة ؟ •

ـ نعم هى مثقفة وكان عندها استعداد وموهبة لكتابة القصص وجربت وكان لها قصة عرضها التليفزيون اسمها « حقنة بنج » وأخذت جوائز ، وكانت من اخراج نور الدمرداش وأعدها ممدوح الليثى وأنا كتبتها •

● فما هى فكرة أو حكاية قصة « حقنة بنج » ؟ •

ـ لقد سألت مخرجها نور الدمرداش الذى قال •• ان حقنة بنج قد تم اعدادها فى سهرة تليفزيونيــــة لمدة ساعتين فى أوائل السبعينات •• حوالى ٧٢ تقريبا ، وهى تحكى عن واحد جاءته أزمة صحية استدعت اجراء جراحة له ، وبعد اعطائه « حقنة البنج » راح (يهلوس) كاشفا أثناء الهلوسة عن أسرار خطيرة تتعلق بعصــابة كان ينتمى اليها هذا المريض الذى اكتشف بعد نجاح الجراحة التى أجريت له أن أسرارا عن العصابة تناثرت هنا وهناك فبدأ يطارد كل من يظن أنه سمعه أثناء تخديره بحقنــــة البنج وكانت أولى ضحاياه احدى الممرضات التى كانت تعالجه وتوالت جرائم القتل بعد ذلك •• وكان هو مرتكبها المجهول ، فى نفس الوقت الذى كانت تطارده العصابة وتهدده بعــــد أن أفشى أسرارها ويتتبع البوليس خيوط ما يحدث لتدور مشاهد مطاردة مثيرة بدأت « بحقنة بنج » التى يقول عنها المخرج التليفزيونى الكبير أنها كانت سهرة مثيرة كثيرا ما طالب اعادتها المشاهدون » •

● ● ونعود الى ضيفنا أنيس منصور لأقول له .. ذكرت أنك أنت الذى كتبت « حقنة بنج » فماذا كان دور زوجتك ؟

فيقول : هى فكرتها ولكننى كتبتها باسمى .

● ● والسبب ايه ؟

ـ لأن القصة لو كتبتها باسمها ستأخذ مثلا مائة جنيه لكن لما أكتبها باسمى أحصـــــل على ٥٠٠ أو ألف جنيه باعتبارى كاتبـا مشهورا .

● ● يعنى هى خسرت أول عمل .. فهل هذا هو السبب الذى لم يجعلها تستمر ؟

ـ كان من الممكن أن تستمر وتصبح مؤلفة معروفة لكن كانت عندها مشكلة وهى أنها مهما كتبت سيقال أن زوجها أنيس منصور هو الذى يساعدها مما يجعلها تفقد ميزة الاحساس بموهبتها من أول عمل أدبى .

● ● ألم تحاول أن تشـــجع زوجتك على تنمية مواهبهـا الأدبية ؟ .

ـ كل ما أعمله يكفى جدا ألا يكون عندى وقت .

فصلونى بسبب حمار

● ● أستاذ انيس منصور ألم يـــكن لديك وقت أيضا لأن تنجب أطفالا ؟

ـ لقد وجدت أبى وأمى يتعذبان جدا وتعذبت بسببهما وكان من الممكن أن أزداد تعاسة لو كان عندى أطفال صغار مرضى ، لأن

أشد ما يثير عطفى وشفقتى هو مرض أو بكاء طفل ٠٠ هذه مسألة مفزعة جدا بالنسبة لى تنكد على حياتى كما أننى ضعيف أمام كل أب وأم ٠

ويلخص أنيس منصور نشأته فى هذه العبارات فى كتابه « الا قليلا » حينما يقول (لم أجد الاستقرار العائلى ولا الجدران المتينة كأنى يتيم أو أننى يتيم ٠٠ كأننى طفل قد تبنوه فى ظروف لا أعرفها ٠٠ كأننى شرعى المظهر لا شرعى الاحساس » ، هذا لدرجة أن أنيس منصور قد حاول الانتحار ، وأسأله ٠٠

● لكن لا شك أن ظروفك وزوجتك أفضل من والديك وظروف أبنائك فيما لو جاءوا ستكون أحسن منك حين كنت طفلا ؟ ٠

فيجيب أنيس منصور ٠٠ لا أعرف ولا أضمن ٠

● أليست هذه مبالغة فى التشاؤم ؟

ـ أتراوح فى كثير من الأحيان بين التفاؤل والتشاؤم ٠

● والقدر والنصيب أليس لهما مكان فى حياتك ؟

ـ لهما مكان طبعا ، وقد تعلمت من والدتى التوكل على الله والايمان بالقدر والنصيب ٠٠ « زى ما تطلع » ٠٠ (زى ماتيجى) ٠

● ورغم ذلك فانك لم تتوكل « زى ما تطلع وزى تيجى » ؟ ٠

ـ ذلك لأن ما عانيته جعلنى مترددا لأن احتمالا ولو بسيطا لأن يشقى أبنائى يجعلنى أتجنب المجازفة ٠

● ● وماذا تعلمت من والدك ؟ .

ـ تعلمت منه تذوق الأدب والشعر والفن .

● يبدو أن ارتباطك بوالديك جعلك شديد الحب لهما ؟

ـ جدا لدرجة أن من أشقى يومين من ثلاثة أيام فى حياتى هما يوم توفى والدى ١٩٤٧ ، ويوم ماتت أمى ١٩٧١ وبكائى كله يتعلق بالترحم عليهما .

● ● ما هو اليوم الثالث الذى شقيت به حياتك ؟

ـ يوم فصلت بسبب مقال كتبته عن حمار الشيخ العز بن عبد السلام ١٩٦١ .

وبالعودة الى هذا المقال المنشور فى صحيفة أخبار اليوم ١٩٦١ وجدنا أن حكايته تدور حول خلاف بين الشيخ العز بن عبد السلام أيام المماليك وبين السلطان ، على سيادة القانون ، فالقانون مع الشيخ يحميه ايمانه ، والسيف مع السلطان يحميه ألوف المماليك الطغاة الظالمين .. وخاف الناس وأشفقوا على الشيخ وقانونه من سيف السلطان وظلمه ، وقالوا له ، الصبر يا شيخ .. قال : لا صبر على ظالم ، قالوا له : الحلم يا شيخ .. قال : لا حلم من جاهل .

ويمضى الشيخ مغادرا مصر مع حماره.ولكن السلطان يسترضيه ويوافق على تنفيذ أوامره بتأديب أمراء المماليك الذين كانوا رقيقا بيعوا فى الأسواق وجىء بهم الى مصر عبيدا ليحكموا الأحرار ، ولذلك أمر الشيخ العز بن عبد السلام باعادة بيعهم عقابا لهم على ظلمهم ، وباع الشيخ حماره فى نفس السوق فلا فرق بين الحمير والأمير كلها أو كلهم حيوانات مادامت بلا عقل ولا حرية .. باع حماره لأنه قرر البقاء فى مصر بعد أن تحررت من العبيد الذين

يحكمون الأحرار ٠٠ وطويت صفحة العز بن عبد السـلام ولكنه الشيخ يطل برأسه وبروحه فى ساعات الأزمات فى التاريخ ٠

وبعد نشر المقال فصل أنيس منصور لأنه يبدو أن السلطات آنذاك قد فهمت أن المقال تعريض بها رغم أن أنيس منصور لم يخطر فى باله شىء من هذا فهو شرف لا يدعيه وتهمة لا يدفعها ٠ ومع ذلك ظل مفصولا سنة كاملة من بلاط صاحبة الجلالة ٠

مجرد صـدفة

● ● وأسأل كاتبنا الكبير أنيس منصور عن بداية علاقتـه بالصحافة ؟ ٠

فيفاجئنى بأن اشتغاله بالصحافة مجرد صدفة ٠٠ « لأن أعمل بالصحافة ، وما حدث هو أننى ذهبت مع زميل لى يعمل بصحيفة « الأساس » ١٩٤٧ ومن هنا بدأت علاقتى مع الصحافة حيث بدأت عملى صحفيا كاتبا ٠٠ أول وثانى ما نشرت كان قصتين ، وثالث ما نشرت « شعر » من الأدب الألمانى المترجم الى اللغة العربية ٠٠ وهكذا فقد اشتغلت صحفيا ولم أكن صحفيا بالدرجة الأولى وانما كنت صحفيا يعمل بالمؤسسات الصحفية المختلفـة ، ولم أمارس ٩٠٪ من الأعمال الصحفية فلم أعمل مثلا مندوبا فى وزارة ولا مخبرا ولم أعمل ريبورتاجات صـحفية أبدا ، انما بدأت عمـلى صحفيا كاتبا ٠

● ● ولكنك توليت أعلى ما يطمح اليه صحفى وهو رئيس تحرير ورئيس مجلس ادارة ؟ ٠

ـ هذا لا يمنع لأنه لما يكون رئيس التحرير ورئيس مجلس الادارة ، مثقفا وأديبا فسيفيد من يعملون معه جدا ، فقـد كنت

أشجع كل صاحب موهبة واعطيه فرصته ليكتب ومهما يكتب لا يهمني .. ليس عندي عقد .. انما لما يكون فيه رئيس تحرير بلا ثقافة فانه سيجني على أجيال كثيرة تعمل معه ، فليس من مصلحته أن فيه واحد عنده حس أدبي مثلك أنه يأخذ فرصته لأنه لا يريد لأحد أن يكون أحسن منه ، فتجد أن السقف يهبط ، وأى واحد يحاول أن يرفع رأسه بموهبته سيصطدم بالسقف «الواطى» لرئيس تحرير غير مثقف ، فكيف يؤتمن مثل هذا على الشباب الذين يعملون معه ممن عندهم موهبة وثقافة .

● ● حينما التحقت للعمل بالصحافة اخذت فرصتك بقوة .. كيف حدث هذا ؟

ـ لأن الذين كنت أعمل بينهم رءوس كبيرة ، وقد كنت أصغر من كتب اليوميات في « الأخبار » بين عمالقة كالتابعي والعقاد وعلى ومصطفى أمين وسلامة موسى .. فليس لدى أحد منهم عقد تجاه أى واحد يلمع أو يظهر بموهبته ، وكانت مسئولية بالنسبة لى ، وسألت نفسى .. ماذا أفعل بين هؤلاء المفكرين الكبار ، فاخترت أن يكون لى أسلوبى المتميز بينهم واستطعت أن أطاولهم لأن السقف كان عاليا والكل كبار فلا أحد يخشى من أحد على نفسه اذا نجح وأصبح كبيرا .

مشاكل بعد التخرج

● ● ذكرت أنك عرفت طريقك الى الصحافة بالصدفة .. فهل يعنى هذا أنك لم تكن تعرف طريقك بعد تخرجك ؟ .

ـ لقد بدأت مشاكلى كشاب بعد تخرجى .

● ● قبل التخرج .. ألم يكن لديك مشاكل ؟ .

ـ أنا أعتبر أن فترة الدراسة الجامعية محذوفة من شبابي لأنني كنت طالبا نظاميا يقرأ ويكتب ، غايب عن المجتمع تماما ولا أعرف عنه « حاجة » ولا عندى استعداد لأن أعرف .

● ● بعد التخرج كيف بدأت مشاكلك ؟ .

ـ لقد كنت مثل مجند لبس بدلة عسكرية وتدرب واستلم سلاحه ، المفروض أنه ذاهب للجبهـــة .. فأنا كذلك تخرجت في الجامعة ومعى أسلحة لأواجه بها المجتمع وأتغلب على مشـــاكله ، فوجدت أن الأسلحة التي أعطتها لى الجامعة غير مناسبة لمواجهـــة المجتمع .. فأنا دارس فلسفة « هعمل بيها ايه » فى المجتمع .. فاكتشفت فجأة أن الأسلحة التي معى لا تصلح فى جبهة الحياة .. وأحد يريد مسكنا ماذا يفعل له أفلاطون .. واحد يريد عملا يأتى له بمرتب ما الذى يقدر أن يعمله له أرسطو أو ما هى علاقة المنطق الوضعى أو الفلسفـــة الوجـــودية بالسكن فى مدينـــة « امبـــابة » وصعوبة المواصلات وصعوبة الحياة .

ويكفى أن أضرب لك مثلا .. أننى لم أشاهد فيلما سينمائيا فى حياتى الا بعد التخرج ولا مسرحا ولا أى « حاجة » وهـــذه من أبسط متع الحياة أو الثقافة العملية ، فلما آتى أبحث عن مشاكلى كشاب أجد أننى أبحث عن العمل وتحسين وضعى المادى والأدبى فى نفس الوقت الذى أنا حريص فيه على توسيع مداركى وتحسين وتجميل أسلوبى الأدبى والمشاركة فى الحياة الفكرية .

وما عدا ذلك فهو ثانوى .. وأعتقد أن هذه مشاكل أى شاب ولكن بدرجات متفاوتة .

● من خلال لقاءاتك بالشباب أليس هناك خلاف أو انقطاع فى الاتصال الفكرى بين جيلنا نحن الشباب وجيلكم ؟

لا أعتقد أن هناك خلافات فردية انما هى خلافات عصرية ·· فكل واحد يتحرك فى ظروفه ، يعنى لما أسألك ·· ما هى البيئة ؟ هى أثر العقل والجسم الانسانى فى الظروف المحيطة بك ، فـكل واحد جيله أو ظروفه أو بيئته الفكرية مختلفة ولكن القضايا واحدة فى جميع العصور ، لكن أسلوب التعبير يختلف ·

وفيه عبارة مشهورة للفيلسوف الايطالى « كروتشة » ! أن التاريخ ليس الا تاريخ الحرية » ، كل تاريخ البشرية هو تاريخ من أجل مزيد من التحرر من الجوع والخوف والمرض والقهر والجهل فكل مشاكل البشرية واحدة لكن التعبير عنها فى مواجهتها أو استسلاما أو معارضة لها يختلف من جيل الى جيل ، وأنا أرى أن لهذا الجيل نفس المشاكل ، لكن المشاكل نفسها ·· أحجامها وأوزانها تغيرت وأساليب الشبان فى مواجهتها تغيرت ·

● ● لقد كان من السهل على شباب جيلكم أن يلتقى برواد الفكر والثقافة والأدب فى مصر بينما أصبح ذلك صعبا بالنسبة لشبان جيلنا ·· فما تعليقك ؟

ـ عن نفسى فان بابى مفتوح دائما لكل الشباب سواء فرادى أو جماعات وأرحب بأى دعوة الى ندوة أو حوار ·

الحقيقة عاريـة

● ● وأسأل الرحالة أنيس منصور عما اذا كان قد وجد اختلافا كبيرا بين الشعوب خلال رحلاته المتعددة ؟

فيقـول :

الشعوب فوق الجلد مختلفين ·· أصـفر وأحمـر وأسـود

وأبيض ، ولكنهم تحت الجلد سواء ، فقط الظروف تتغير والتـــاريخ والانسان ، مثل حيوان « الكانجرو » الذى يجلس على ذيله ، يجلس على تاريخه .

● ● رغم أن الشعوب تحت الجلد سواء وفوق الجلد مختلفين الا أن هذا الاختلاف الشكلى يعمقه الانسان بنفسه رغم تطور الحضارة .. فكيف تتنبأ بمستقبل العالم والانسان ؟ .

ـ نحن نعيش في خطر مستمر وأصبح تطور الحضارة الانسانية خطرا على الانسان ، كلما تقدم العلم تقدمت وســـائل الدمار .. أيضا فنحن كنا نتصور أن الانسان يعيش فى قنبلة موقوتة ، ولكن المشكلة الآن أن القنبلة الموجودة هى قنبلة نووية لا فكاك منهـا . فهى لا تصيب القريب منها أو تصيب من فجرها .

بل تصيب الآخرين .. مثلما حدث من انفجار المفاعل النووى فى « تشرنوبيل » لم يصب أهل مدينة « كييف » وحدهم وانمـا أصاب أوربا الشرقية كلها زرعا وضرعا وثمارا ونساء وأطفالا .

غير هذا هناك خطر الهباب الذى يخرج من مصـــانع أوربا الوسطى ينزل عبارة عن ملح وأحماض ، فى النرويج والسويد مما يقتل الأشجار والنباتات ، ويخرج من ألمانيا وفرنسا وسط أوربا مارابانجلترا ويصل لكندا . فهذا العالم الذى نعيشـــــه أصبح بتطوره المستمر خطرا على أصحابه ، فنحن ننتقـــل من خطر الى خطر ، وانتهينا من الحرب النووية الى حرب الكواكب ، وبعد حرب الكواكب ستصبح حرب الكواكب النووية .

فأنا أرى أن الانسانية تنتهى من خطر الى خطر ، لذا فالنظر الى المستقبل ليس نظرة وردية لأنه لا توجد ضوابط لقوى الدول العظمى على الفتك والدمار ، لذلك فلن يمضى وقت طويل حتى نفاجأ

بانفجار مقصود أو غير مقصود يقتل ملايين الناس ، ويصيب ملايين آخرين بالمرض ، وملايين آخرين بالمرض حتى الموت ٠

وهكذا نجد نوعا من الفتك الحضارى القائم على التطور الهائل جدا فى النشاط النووى ٠

فانا أرى أن الانسانية فى خطر اذا لم تتمكن من كبح جماح نفسها ٠

●● اين تكمن عظمة الانسان ؟

ـ عظمته فى أنه فان محدود ومع ذلك مشغول بالخلود والأبدية ٠

●● وأين تكمن ماساته ؟

ـ هذه مأساته أيضا ٠

●● ما هو الاختراع الذى ترى أنه لم يخترع بعد ليكمل نقص الانسان ؟

ـ الانسان ناقص بطبعه ، ولم يخترع بعد الجهاز الذى يجعلك تتحمل وتستسيغ ما لا تحب ولا تتحمل ، وأعتقد أنه لن يوجد جهاز يجعلك تتحمل شخصا ثقيل الدم أو انسانا غبيا لأنه من أسوأ الأشياء التى يقابلها الانسان فى حياته أن يجد انسانا غبيا أو ثقيل الظل ٠

●● هل دائما على الانسان أن يكون صريحا وصادقا خاصة مع هذا الصنف من الناس ؟

ـ بقدر استطاعته لأن الصراحة أحيانا منجية وأحيانا مؤذية وهناك تعبير يقول ٠٠ ان الانسان اخترع اللغة ليخفى بها مشاعره ، وفى أسطورة عند الاغريق أن الحقيقة جاءت للناس عريانة فنفروا منها فلما تغطت اقبلوا عليها ٠

● وهكذا يجب على الانسان أن يستر الحقيقة ولو بورقة توت كما جاء فى كتاب قالوا للفيلسوف أنيس منصور حيث يقول :

« ان الانسان يجىء الى الدنيا عاريا ويتركها عاريا ، ولكنه يحاول طول عمره أن يختار ورقة التوت المناسبة التى يضعها على قلبه وعقله ولسانه وقلمه أيضا » .

لا أعرف نفسى

● ● وأسأل فارسنا أنيس منصور .. هل معنى ذلك انك تستطيع أن تخفى مشاعرك ؟ .

فيرد بصراحة مفلسفة .. فيه حاجات أخفيها اما لأن المعنى لم يكتمل بعد أو أنه ليس من الحكمة أن تصارح الناس برأيك فيهم ، لأن الناس لو صارحت بعضها يمكن تقتل بعضها ، لكنه نوع من الاخفاء أو الكذب الاجتماعى أو المجاملة ، يعنى أنك تعرف الحقيقة لكن تغض النظر عنها .

● ● قدرة الناس على اخفاء مشاعرهم ألا يجعلك تسىء الظن بهم ولو فى بعض الأحيان ؟

ـ سوء الظن من بعض الفطن كما يقول الحكماء ، ومن السذاجة أن تحسن الظن بالناس . ومن القسوة أن تسىء الظن بهم ، ولكن الاعتدال بين حسن الظن وسوء الظن هو أصعب الفضائل ، لذا قال أرسطو منذ ٢٤ قرنا : أن الفضيلة وسط بين رذيلتين ، فتكون القضية هى بين الاسراف فى الثقة وعدم الاسراف فى الثقة ، وأنا أعتقد أن هذه الحكمة لا يدركها الانسان الا متأخرا .

● ● وحينما تعرف حقيقة انسان متأخرا هل تصدم ؟ .

حدث أن صدمت كثيرا .. فى الأول كنت أندهش .. الآن

أصبح شيئا عاديا فلم أعد أستغرب من أى انسان أطلع مغشوش فيه لأن هذه طبيعة الأشياء ..

●● ما هو أسوأ ما في أنيس منصور الانسان ؟

ـ يجوز سلامة نيتي أو سهولة تصديقي لما يوجعني أو يؤلمني لأنني رجل عاطفي جدا من السهل أن تحركني اذا شيئا آلمني .

●● متى ترى أنه يجب أن تكون ناكرا للجميل ؟

ـ أنا لا أذكر أنني أنكرت من كان له فضل على .

●● حتى لو طعنك بعد ذلك ؟ .

ـ أنا أقول أنه كان له فضل على لكن بعد ذلك أصبح رجلا شريرا ، والناس عادة تنسى المعروف وتذكر الاساءة ..

●● مثل ماذا ؟

ـ افرض واحد ماشي معاك في الشارع وجاءت سيارة تدوسه فأنت بسرعة جذبته بعيدا عن السيارة فاصطدم بعمود النور .. فهو لن يذكر لك أنك أنقذت حياته وانما سيذكر أنك « خبطتـــه عورته » ، فممكن جدا شخص يعطيك ثم يسىء اليك ، فهذه الاساءة تذكرها وتنسى كل ما قدمه لك .

●● ماذا تلعن ؟

ـ أنا لا ألعن الا بعض الناس نتيجة أفعالهم .

●● هل تفقد صبرك ؟ .

ـ أنا غالبا صبور .. لست عصبيا .. مزاجي معتدل وأميل للهدوء والتكامل والانطواء .

● ● هذه الصفات التي ذكرتها هل تعني أنك اكتشفت نفسك ؟ .

ـ منَ الصعب جدا أن أعرف نفسى ، لدرجة أنه رغم رؤيتى لنفسى كل يوم فى المرآة وأنا أحلق ذقنى لكننى أؤكد لك اننى لا أعرف ملامحى بوضوح شديد لأننى لا أتفرس وجهى وانما أرى مجموعة من المساحات تتغطى بالصابون فأزيلها دون نظر الى ملامحى الجسمية ، فما بالك بملامحى النفسية .

● اذن انت لا تعرف من انت ؟

ـ لا أعرف بالضبط من أنا ويمكن يكون من السهل أن أعرف الآخرين ولكن من الصعب أن أعرف نفسى .

● لكنك كثيرا ما تتحدث عن نفسك وآلامك وتعب عينيك ومصرانك .. فلماذا ؟

ـ أى فنان مشغول بنفسه لأنه بالنسبة لى أنا الجرس أو الوسيلة لمعرفة الآخرين .

● ● واخيرا سألت الأديب والمفكر والفيلسوف مجمع المواهب أنيس منصور عن العنوان الذى يرغب أن يتصدر ملف حياته ؟ .

فقال بعد لحظات تفكير لم تطل ..

« جاء فى ظروف غامضة وسوف يختفى فى ظروف أكثر غموضا » .

● صلاح أبو سيف :

من بولاق الى العالمية

رغم أنه رائد الواقعية فى مصر ورغم أنه احد المخرجين الثلاثة الذين يتمتعون بسمعة عالمية وحاصل على جائزة الاخراج الأولى من الدولة عشر مرات كما حصل على وسام الفنون والعلوم .. ولا تفتح كتابا او موسوعة سينمائية بأى لغة الا وتجد اسم صلاح ابو سيف وتاريخ حياته وأفلامه ، الا أن مخرجنا العظيم يرى أنه لم يحقق أكثر من عشرة فى المائة من طموحاته السينمائية رغم أنه قد اكتشف السينما وعالمها فى العقد الأول من عمره .

يحدثنا صلاح أبو سيف عن ذكرياته من البداية وحتى اليوم .

وكانت البداية فى حى بولاق حى العمال والثورات حيث نشأ فى عائلة متوسطة وفى سن العاشرة اكتشف السينما صدفة وبهر بها ، كان ذلك سنة ١٩٢٥ حينما أصبح اسماعيل صدقى رئيسا للوزراء فغير نظام التعليم وجعل المرحلة الابتدائية تمتد من أربع سنوات الى خمس سنوات ، ولذلك حاولت المدرسة أن يستوعب تلاميذها هذه السنة الزائدة فى دراسة مسائية على أن تبقى الدراسة كما هى أربع سنوات ، وفى يوم من الأيام لم يكن صلاح أبو سيف على استعداد للدراسة المسائية ولكن عليه أن يعود فى نفس موعد الانصراف من المدرسة الى بيته فراح يتمشى فى شوارع القاهرة لتضييع الوقت حتى وجد زحاما فى أحد الامكنة فدخل يسأل عن السبب فقيل له « انها السينما » التى دخلها الفتى صلاح أبو سيف ليجد « شارلى شابلن » و « طرزان » فبهر وراح يعمل دعاية فى مدرسته عن السينما فى اليوم التالى ، وأصبحت مشاهدة السينما عادة تعود عليها صلاح أبو سيف وأصبح يتطلع الى أن يكون ممثلا

ظنا منه ان الفنان الذى يظهر على الشاشة هو كل شىء فى الفيلم ، وظل هذا الاعتقاد فى ذهن الفتى من سن عشر سنوات حتى الثانية عشرة حتى اكتشف عكس ذلك تماما ٠

من القاهرة الى المحلة

ففى أحد الأيام التى خرج فيها من السينما وجد فى أحد المكتبات كتابا بعنوان « كيف تكون ممثلا سينمائيا » ٠

وراح صلاح أبو سيف يتصفح الكتاب وتطلع الى اقتنائه لقرائته ولكن ثمنه كان أغلى من تدرايه المادية « قرشين صاغ » ، فطلب من البائع فى شارع محمد على بسذاجة أن يحتفظ بالكتاب معه حتى يحضر له الفلوس ، فضحك البائع وقال له : « روح » يعنى اذهب لدارك يا شاطر ، وهكذا فعل الفتى صلاح أبو سيف وأحضر القرشين صاغ ولا يدرى كيف حصل عليهما ، المهم أنه حصل على الكتاب ولم يجده متضمنا لعنوانه « كيف تكون ممثلا » ، وانما وجد به موضوعات متعددة عن صناعة الفيلم والمشتركين فيه ومنه موضوع عن المدير الفنى أو المخرج ، تقول بعض سطوره ٠

« اذا دخلت استديو من الاستديوهات ستجد رجلا مهما جدا يجلس على كرسى ، متجهما يفكر ، لذلك لا تحاول أن تقترب منه أو تسأله أو تكلمه فى شىء لانك ستزعجه لانه أهم واحد فى البلاتوه ، انه المخرج الذى يحرك الممثلين ويعيد صياغة كل ما يتعلق بالفيلم » ٠

وبعد أن قرأ صلاح أبو سيف ما قرأه فهم لأول مرة أن الممثل ليس وحده ، بل هناك شخصية أخرى متحكمة ومتسلطة على صناعة الفيلم هى شخصية المخرج ، فقرر صلاح أبو سيف أن يكون مخرجا ولكن كيف يكون ذلك ؟

لقد حاول أن يسأل ويتقصى من الجرائد والمجلات للوصول الى معلومات عن المخرج ، ولكن اهتمام الصحافة كان متجها أساسا الى الحديث عن الممثلين ، حتى وقع فى يد صلاح مجلة مسرحية تصدر فى القاهرة وبها مقال يتحدث عن المعهد الوحيد لدراسة السينما فى العالم وهو معهد «موسكو» ، ولكن أنى لابن بولاق «بموسكو» :

واستمر صلاح أبو سيف فى دراسته فانتقل الى المرحلة الثانوية ، وبدأ الحديث عن السينما يكثر بينه وبين زملائه ، وراح هو يعمق اهتمامه بها بقراءة المجلات الأجنبية التى تكتب عن السينما ، ولحسن الحظ كانوا يدرسون لغات مكثفة ، حتى استطاع بقراءاته فى المجلات الاجنبية أن تتكون لديه حصيلة جيدة وكثيرة عن السينما الى درجة أن راح يترجم بعضها ويبعثه للمجلات الفنية لنشره ، كمجلة « المصباح » ٠

وبعد انتقاله من المرحلة الثانوية الى مرحلة الدراسة النهائية فى المدرسة التجارية العليا ازداد اهتمامه باللغات وبالكتابة للصحافة فى النقد الفنى عن صناعة السينما فى وقت لم تكن هناك معلومات متوفرة عنها لانه لم تكن هناك صناعة للسينما فى مصر ، وصار الشاب صلاح أبو سيف يحرر صفحتين فى مجلة أسبوعية وأراد الاستمرار فى الكتابة فى النقد الفنى ولكن المكافأة التى كان يتقاضاها شهريا كانت مئة وخمسين قرشا ، لم تكن بالطبع تسمح بمعيشته فى ظروفه العائلية الصعبة فأضطر الى الالتحاق بوظيفة ميرى فى شركة مصر للغزل والنسيج بالمحلة الكبرى ، وكان صلاح حزينا مبتئسا فها هو يترك القاهرة حيث السينما والمسارح ، ولكن وجوده فى المحلة مع مرتب الوظيفة أعطاه فرصة للدراسة المكثفة والمتخصصة لفن السينما فراح يبعث لشراء كتب من الخارج عن فن السينما ، وعرف الكثير الذى لابد أن يتصف به المخرج ٠

دائما فى قلبى

عرف صلاح أبو سيف أن المخرج لابد أن يكون متمكنا من فنون وعلوم كثيرة ، كالموسيقى ، والمنطق والفلسفة وعلم النفس ، والفنــون التشكيلية ، والدرامــا والمسرح والنقــد ، ولذلك درس تاريخ الفن والسينما ، وتسلح بالثقافة الفنية اللازمة لاى مخرج ، ولكنه كان يريد أن يحول دراسته النظرية الى دراسة عملية ، ففكر فى السفر الى الخارج ، الى أوربا لتكملة دراسته الفنية السينمائية ، صحيح أن أوربا ليس بها معاهد للسينما لكن المجال هناك أوسع للاحتكاك بصناعة السينما واستديوهاتها ، التى سبقتنا اليهــا أوربا ، وبينما كانت فكرة السفر تراود صلاح أبو سيف وصل الى مصر نيازى مصطفى الذى حضر من ألمانيا حيث درس هناك السينما عمليا ونظريا وكتب عدة مقالات أسبوعية دسمة عن فن السينما .

وبينما صلاح داخلا الى مكتبه بشركة الغزل والنسيج شاهد نيازى مصطفى يقف حائرا لا أحد يلتفت اليه من الموظفين ، حتى دعاه صلاح أبو سيف الى فنجان من القهوة وكانت دهشة المخرج العائد من ألمانيا لمعلومات صلاح عن السينما ومخرجيها الكبار ونظرياتهم وحرفيتهم : وأتبع نيازى دهشته بسؤال صلاح عن كيفية معرفته بكل هذه المعلومات ، ولما أجابه بأنها نتيجة اجتهاده وتثقيفه لنفسه ، قال له : وما الذى يجلسك هنا فليس هذا مكانك ، ان مكانك هناك فى القاهرة : « تعال معنا الى استديو مصر » وكان العمل جاريــا فى تكوينه ، واشترك صلاح معه فى فيلم تسجيلى عن بنك مصر وشركاته ، وكان الجزء الذى اختص به هــو شركــة مصر للغــزل والنسيج التى يعمل بها : كان دوره فى الفيلم مرافقا يشرح كيفية العمل فى شركة الغزل ، التى نقله منها نيازى مصطفى الى العمــل معه فى استديو مصر بعد تكوينه ، ليبدأ فيه حياته العملية مع فن السينما ، كمساعد فى قسم المونتاج ، فى نفس الوقت الذى يعمل

فيه كمساعد مخرج ، واشترك في عدة افلام اهمها « العزيمة » ٠ وجاءت الفرصة لصلاح أبو سيف للسفر فى بعثة الى فرنسا ١٩٣٩ مكنته من مشاهدة أفلام العباقرة الروس والانجليز والامريكان فى دور السينما الخاصة التى تعرضها وقراءة ما يكتب عنها ، لدراسة هذه الافلام ، لكن للاسف قامت الحرب العالمية الثانية ، فصارت معيشة صلاح أبو سيف صعبة فى جو الحرب وصفارات الانذار وضرب الطائرات والمبيت ليلا فى الملاجىء حتى جاءت باخرة مصرية لنقل المصريين من أوربا بعد تجمعهم فى « مرسيليا » ٠

وعاد صلاح الى مصر ليرأس قسم المونتاج في استديو مصر فى الوقت الذى اخرج فيه بعض الافلام التسجيلية ، وبعض الافلام القصيرة حتى سنة ١٩٤٥ حين جاءته الفرصة لاخراج فيلم روائى طويل هو « دائما فى قلبى » بطولة عقيلة راتب وعماد حمدى : ولتبدأ مرحلة جديدة فى حياة الفنان المخرج صلاح أبو سيف ٠

جس النبض

بدأت هذه المرحلة من سنة ١٩٤٥ الى سنة ١٩٥٠ قدم خلالها صلاح أبو سيف خمسة أفلام مختلفة ما بين العاطفية والغنائية والتاريخية ، والكوميدية ، الى درجة أن النقاد قالوا ان صلاح أبو سيف قد تفوق فى كل هذه الانواع وكلما قدم نوعا منها قالوا انه النوع الذى سيتخصص فيه : لكن نوع الافلام التى يريدها صلاح أبو سيف لم يكن قد اخرجها بعد ، انها أفلام النقد الاجتماعى، ولكن قبل أن تأتى هذه المرحلة قدم مخرجنا الكبير أول عمل سينمائى كانتاج مشترك بين مصر وايطاليا : ورغم ذلك فان هذه المرحلة يسميها صلاح أبو سيف مرحلة « جس النبض » أو « تحسس مواقع الاقدام » ، لتبدأ مرحلة جديدة هى التى تطلع اليها مخرجنا منذ خطواته الأولى فى عالم السينما ٠

لك يوم ياظالم

بدأت هذه المرحلة منذ سنة ١٩٥٠ الى ١٩٥١ والتى عمل فيها صلاح أبو سيف على تصوير كفاح الشعب المصرى فى بولاق مسقط رأسه : وكيف يعانى الناس هناك ويكافحون من أجل الحصول على لقمة العيش ٠

فأقدم مخرجنا العظيم على فيلم « لك يوم ياظالم » الذى يتم تصويره فى الاحياء الشعبية والحمامات البلدية ، ولكن كل المنتجين تخوفوا من مثل هذا الفيلم ورفضوه : حتى استديو مصر رفضه ، وكانت الحجة هى أن هذا النوع من الافلام لا ينجح ، لأن موجة الافلام التى كانت سائدة كان بطلها « الشرير » وليس الطيب ، ووجد صلاح أبو سيف نفسه أمام تحد لابد ان يواجهه ، فاما أن يكون هو على صواب ، واما أن يكونوا هم على صواب ولا عمل له حينئذ فى السينما وليتركها الى عمل آخر ، وقبل التحدى واضطر الى انتاج فيلم « لك يوم ياظالم » على حسابه رغم موارده المحدودة ولكن كان لابد من شىء من التضحيات الكبيرة فى سبيل عمل عظيم ، وأثبتت التجربة أن صلاح أبو سيف كان على حق فقد نجح فيلمه نجاحا ماديا وأدبيا ٠ وأعتبر بداية للافلام الواقعية وان كان قد سبقه فيلم « العزيمة » الذى عمل فيه مساعد مخرج ٠

رسالة لعبد الناصر

وتاتى بعد ذلك مرحلة اخرى فى حياة صلاح أبو سيف لها أهميتها أيضا ٠٠

تبدأ هذه المرحلة من سنة ١٩٥١ الى سنة ١٩٥٦ حيث عمل ستة أفلام اعتبرها النقاد أهم ستة أفلام فى الواقعية بدأت بـ

« لك يوم ياظالم » كما ذكرنا وتلتها أفــلام « الاسطى حسن » ، « ريا وسكينة » ، « الوحش » ، « شباب امــرأة » ، « الفتــوة » وكلها أفلام تعبر بصدق وأمانة عن مشاكل وهموم وحياة الشعب المصرى . تلت هذه المجموعة من الافلام مجموعة أخرى تمثل مرحلة جديدة ، هى ما يسمونها بمرحلة « افلام المرأة » ، تحدث فيهـــا صلاح أبو سيف عن العاطفة والحب ومشاكل المرأة المصرية : من هذه الأفلام « لا أنام » « الوسادة الخالية » ، « الطريق المسدود » ، « أنا حرة » ، « هذا هو الحب » ، « لا تطفىء الشمس » وتلا كل ذلك ما يعتبر عودة صلاح أبو سيف لافلام النقد الاجتماعى وتمثلت فى فيلميه « بداية ونهاية » ، « لا وقت للحب » .

بعدهـــا اختير المخرج الكبير ليكــون أول رئيس لمجلس ادارة أول شركة للانتاج للقطاع العام ، وحاول أن يغير وجه السينمـــا المصرية بالانتقال من السينما التجارية الى الهادفة المفيدة ، ولــكن أمل صلاح أبو سيف حورب داخليا وخارجيا فقد أدى تحويل الانتاج السينمائى الى قطاع عام الى ايقاف مطامع المستغلين والموزعين الأجانب الموجودين بكثرة فى ذلك الوقت الى درجة أنهم بعد ما أنشىء القطاع العام للانتاج السينمائى ، أوقفوا انتاجهم وقاموا بتهريب أموالهـــم الى لبنـــان والخارج ، وقـــد كان لذلك أثره فى تعطيل الانتـــاج السينمائى ، وكان من نتيجته أن صـــغار العــــاملين والسينمائيين بعثوا بتلغرافات الى الرئيس جمال عبد الناصر يقولون له فيهـــا « نحن متعطلون ولا نجد ما نأكل به فى عهد الاشتراكية » .

لذلك كان لابد من خطة لنظام جديد لتغيير النظام القديم فى صناعة السينما المصرية للبعد بها عن الاسفاف لانتاج أفلام لهـــا قيمة فنية وتمتع الجمهور فى نفس الوقت « لأنى أعتقد أن الفـــن متعة » كما يقول صلاح أبو سيف ، ذلك فى الوقت الذى راح فيه

من هربوا بأموالهم الى لبنان لمحاربة السينما المصرية بتشجيع من دول كبرى يهمها ضمن ما يهمها اضعاف صناعة السينما فى مصر ، بقيام صناعة كبيرة للسينما فى لبنان تسحب البساط من السينما فى مصر ، خاصة وانهم استعانوا بفنيين وفنانين من مصر ، لعمل أفلام باللهجة المصرية ، ولكن المخطط ضد صناعة السينما المصرية فشل لأن الجمهور المصرى لم يقبل على فيلم مما أنتجته القوى المعادية فى الخارج ٠

وفى هذا الوقت صدرت الأوامر للشروع فى انتاج افلام مصرية لمواجهة شكاوى صغار العاملين والسينمائيين الذين استنجدوا بعبد الناصر ، وكانت الخطة الموضوعة هى انتاج عشرين فيلما فى السنة وتلك كانت مهمة شاقة كما يقول صلاح أبو سيف لأن المسالة تحتاج الى اختيار قصص وتوزيع انتاج : وسيناريو ، وغيرها مما يستلزم التحضير للفيلم ، وكان ذلك يحتاج على الأقل لفترة تحضير سنتين ولكن الذى حدث هو انتاج أفلام سريعة ومسلوقة لتشغيل السينمائيين والعاملين فيها ، وسميت هذه الأفلام ، أفلام «حرف ب» على ان تعرض فى التليفزيون فقط ولكن بعض المشتغلين فى صناعة السينما قالوا انه يمكن عرض هذه الافلام لتسد الفراغ فى دور السينما : وكانت فرصة لاعداء القطاع العام ، اعداء النظام ، لمهاجمة صناعة السينما فى مصر مستدلين بما عرض من أفلام على « ان هذا هو انتاج الحكومة عندما تدخلت فى الفن ويجب ان ترفع يدها عن الفن » ٠

ولكن استطاع صلاح أبو سيف ومعه المخلصون من السينمائيين رغم كل الظروف أن يتغلبوا على الازمة وتم انتاج أفلام مثل « الأرض » ليوسف شاهين ، « الحرام » لبركات : « ثورة اليمن » لعاطف سالم ، « القاهرة ٣٠ » لصلاح أبو سيف ، وغيرها من الافلام التى لازالت خالدة حتى اليوم وهى من انتاج القطاع العام ،

سألنا المخرج الكبير فجاءت اجابته أن انتاج مثل هذه الافلام وان نجح على المستوى الفنى الا أن نتيجته كانت خسارة مادية ٠

ورغم ذلك لم يستمر صلاح أبو سيف الا ثلاث سنوات رئيسا لمجلس ادارة أول شركة للانتاج السينمائى فما هى الأسباب ؟

مؤرخ فرنسي يتحدث للوزير عن « أبو سيف »

وعندما جاء « جورج سادول » وهو مؤرخ فنى فرنسى ، فى زيارة للقاهرة قال للدكتور حاتم وزير الاعلام آنذاك « حرام أن يكون لديكم مخرج كبير كصلاح أبو سيف وتجلسونه على مكتب بينما يمكنه أن يفيد بلدكم بما يقدمه من أفلام أكثر مما يفيدكم من كونه مديرا » ، وقال د٠ حاتم لصلاح أبو سيف هذا الرأى للمؤرخ الفرنسي ، فوافقه عليه ، وعاد الى عمله مخرجا بعد توقف ثلاث سنوات فى أعمال ادارية ، وكان من أكبر انجازاته فى تلك الفترة انشاء « معهد السيناريو » الذى تخرج فيه أعظم « السيناريست » فى مصر ٠

وتوالت أفلام صلاح أبو سيف « الزوجة الثانية » ، القضية ٦٨ ، وغيرهما مما خلد مخرجنا الكبير كواحد من العظماء فى مجاله وكانت سياسته هى عمل فيلم كل سنة أو سنتين أو ثلاثة حتى لا يقدم الا الأفضل والأجمل والأروع والأمتع ، ولذلك لم يكن غريبا أن يقدم « القادسية » ، وكان على وشك أن يقدم فيلما مصريا انجليزيا ، بانتاج بريطانى لولا أن تكاليف الفيلم المقترح كانت هائلة « ١٥ مليون جنيه استرلينى » بأسعار بداية الثمانينات ٠

المهم نريد أن نقول ان المخرج المصرى العبقرى صلاح أبو سيف هو مخرج ذو مكانة عالمية ، ومن أعظم آماله أن ينتشر الفيلم المصرى والعربى على المستوى الدولى ٠

●● وأسأل صلاح أبو سيف عن أسباب أزمة السينما المصرية الآن ؟

انها أزمة ضمير عند من يعملون بصناعة السينما ، لانهم يعتبرون السينما وسيلة ثراء ولا هدف آخر ٠

●● اذن ما هي السينما يا مخرجنا الكبير ؟ ٠

ـ السينما رسالة لأن الفن رسالة لخدمة الناس والمجتمع مع الامتاع أيضا ٠

●● ولكن ما نشاهده الآن ماذا تسميه ؟

ـ أسميه اسفافا من مجموعة تجار يسيئون الى سمعة مصر وسمعة شعبها فى الخارج ، بأفلام تافهة ٠

●● وما الحل ؟

ـ لابد من عقابهم مثلما يعاقب تجار المخدرات لانهم مثلهم يخربون العقل والذوق ويدمرون الانسان ٠

● ومسئولية عقاب من يسيئون الى صناعة السينما مسئولية من ؟

ـ يقول صلاح أبو سيف : مسئولية نقابة السينمائيين ، وغرفة صناعة السينما ٠

● د . عبد العظيم رمضان

والطريقة السحرية لشعب مصر
للتغلب على الصعوبات

د. عبد العظيم رمضان صدم كثيرين عند تصحيحه لبعض الأخطاء الشائعة عن الثورة العرابية والتي صارت كحقائق تدرس فى المدارس .. فقد ذكر مؤرخنا ان مظاهرة عابدين اتفق فيها .. الخديو توفيق مع عرابى نفسه ـ كما ذكر فى مذكراته وايده فيهما الامام محمد عبده ـ وذلك لاقصاء رياض باشا رئيس النظار الذى لم يكن الخديو يقبله ، ولكن مظاهرة عابدين تحولت بعد ذلك الى مطالب شعبية وهكذا! كما يقول د. عبد العظيم رمضان فان الحوادث يسيطر عليها أصحابها فى البداية ثم تسيطر هى عليهم فى النهاية ولكن ذكر مثل هذه الحقيقة اغضب البعض وجعلهم يتهمون الدكتور المؤرخ ، وقد اردنا فى هذا الحديث أن نتعرف على المزيد من الحقائق لخاصة امام سيل المذكرات التى بعضها يشوه التاريخ وبعضها يهيل عليه الوحل وبعضها مثل الدبة التى ارادت هش ذبابة عن صاحبها فقتلته والبعض الآخر لا يخلو من غرض فى نفس يعقوب ، ولذلك كان سؤالى الأول للدكتور عبد العظيم رمضان :

●● ما الفائدة من داب المؤرخ وبحثه هو وغيره من المؤرخين عن حقائق تاريخية تظل مقبورة فى بطون كتب لا يقرؤها الا دائرة محدودة من الناس بينما تظل الاخطاء شائعة والحقائق تائهة والمعلومات المغلوطة سائدة ؟

د. رمضان : هذا هو الذى جعلنى أهتم بنشر دراساتى التاريخية كحلقات فى الصحف اليومية والمجلات الاسبوعية ، لتقرأها جماهير الشعب من كافة الطبقات ، وكانت بداية هذه الفكرة عندما دفعت بكتابى « عبد الناصر وأزمة مارس » منذ أكثر من عشر سنوات ، الى دار روزاليوسف لتطبعه ككتاب ولكن الأستاذ الكاتب

والمفكر الفنان حسن فؤاد رأى أن تنشر فصوله كحلقات فى مجلة « صباح الخير » التى يرأس تحريرها وقد اعترضت فى ذلك الحين اعتراضا شديدا واعتبرت ذلك امتهانا للكتاب وللتاريخ ، فقد كنت حتى ذلك الحين أفخر بانى أكتب للخاصة ولا أكتب للعامة ، أى اننى كنت أعيش فى برج عاجى ، وقد قلت له انه يحسن به نشر بعض صور الفتيات الجميلات فذلك أنفع لصحيفته من نشر دراسة تاريخية علمية ، ولكنه أجابنى أنه يتحمل المسئولية ثم فوجئت حين بدأ نشر فصول الكتاب بأن مجلة « صباح الخير » قد ارتفع توزيعها بضع عشرات من الالوف كما عرفت ، وعندئذ أيقنت بأن الشعب المصرى يجب أن يقرأ التاريخ وأنه ليس كما يزعم خصومه شعب لا يحب القراءة ، وانما هـذا الشعب له معدة عقلية قوية تستطيع أن تهضم الأعمال العلمية الجادة .

التبر والتراب

● ● ولكن كما تنشر الصحف السيارة .. الحقائق التاريخية لمؤرخين فانها تنشر أيضا ما يشوه التاريخ لهواة كتابة التاريخ وأصحاب المذكرات التى لا تخلو من غرض خاصة وأن بعضهم كان بوابا أو ساعيا فى ميدان الاحداث ؟

د. رمضان : على القارىء أن يميز بين ما يكتبه مؤرخ أكاديمى محترف وبين ما يكتبه صحفى يريد أن يعمل ريبورتاجا ، أو ما يكتبه أحد الذين لعبوا دورا فى الاحداث عن ذكرياته أو مذكراته التى هى بالضرورة منحازة ، على سبيل المثال فان ما يكتبه الأستاذ محمد حسنين هيكل أو ما كتبه عن « ملفات السويس » هو كتاب سياسى وليس كتابا تاريخيا .

●● وما هو الفرق بين الكتاب السياسى والكتاب التاريخى ؟

ـ د. رمضان : المؤرخ ليس لديه موقف سياسى يريد أن يخدمه ويجند الاحداث والوثائق لخدمة هذا الهدف السياسى وانما المؤرخ تهمه الحقيقة التاريخية بالدرجة الأولى ، رغم أنها مصطبغة بايدلوجيته وبفكره وبنظريته الاجتماعية وبتفسيره التاريخى ، حتى أننى أقول أن المؤرخ يقدم رؤيته التاريخية للحدث التاريخى ولا يقدم كتابا تاريخيا بالمعنى الشائع ، ولكن الكاتب السياسى هو الذى يكتب ليس بهدف توضيح الحقيقة التاريخية من منظور معين وانما هو الذى يكتب لخدمة موقف سياسى أو شخصية سياسية أو غرض سياسى ، فمسألة توظيف الوثائق لخدمة هدف سياسى غير مطروحة فى ذهن المؤرخ وانما هى مطروحة فى ذهن الكاتب السياسى .

●● ولكن كاتبا كحسنين هيكل قد رد على مثل هذا الرأى ضمنا عندما دعم بكم كبير من الوثائق كل واقعة أو حدث يرويه ؟

ـ د. رمضان : نشر الكم الكبير من الوثائق فى كتاب الأستاذ هيكل كملاحق لدراسته التى وظف فيها تلك الوثائق لخدمة موقفه السياسى وخدمة النظام السياسى الذى لعب دورا فيه ، هو من قبيل الذكاء الذى اشتهر به الكاتب الكبير محمد حسنين هيكل ، فهو يعرف أن الوثيقة التاريخية هى وثيقة صامتة لا تنطق الا اذا استنطقها المؤرخ ، فالوثيقة ممكن أن تشبهها بقطعة من الصلصال يمكن تشكيلها ، يضاف الى ذلك أن الوثيقة فى رأيى هى حفنة من تراب قد تكون غالبيتها تبرا « ذهبا » والباقى ترابا ، وقد تكون غالبيتها ترابا والقليل منها تبرا ، وقد يكون فيها ذرة تبر واحدة ، وعلى المؤرخ أقول المؤرخ وليس الكاتب السياسى ، أن يستخرج

الحقائق منها ، أما اذا تناولها سياسى فهو يستطيع أن يشكل منها كما يشاء ٠

حيـاد المؤرخ

● ● أليس للمؤرخ أيضـا وجهة نظـر واتجاهات يمكن ان يوظف الوثائق لخدمتها ؟ ٠

ـ هـذا الذى تقوله عن المـؤرخ صحيح[1]، وهذا ما جعـل « شليجل » يصف المؤرخ بأنه « نبى استردادى ، فـاذا لم يكن نبيا استرداديا فهو ليس بمؤرخ » ، ومعنى ذلك أننى لا أصف كل من يحمل درجة الدكتوراه فى التاريخ بأنه مؤرخ وانما المؤرخ هو الذى لا يملك فقط الدرجة العلمية وانما يملك قبلها الملكة التاريخية والثقافة الواسعة العريضة التى تشمل كل فنون المعرفة أو معظمها ، والذى ينطلق من ايديولوجية اجتماعية بالضرورة والذى يملك رؤية تاريخية للاحداث والذى يفهم فلسفة التاريخ ويهضمها هضما جيدا وهو المثقف الذى يشارك فى قضايا بناء بلده ولا ينعزل عنها ، وهو الذى يفهم التاريخ ليس مجرد استرداد جثة الحدث من الماضى وانما هو الذى يبعث الحياة فى الحدث التاريخى ويجعله يتحرك لينفعل به القارىء كما ينفعل بأى حدث معاصر وهذا ما جعل « كروتشه » يقول : ان كل التاريخ تاريخ معاصر » ٠

● ● ولكن المؤرخ بشر مهما كان ولن يكون محايدا ؟

ـ د٠ رمضان : من الذى تحدث عن حياد المؤرخ ، المطلوب من المؤرخ ان يكون موضوعيا وأن يكون أمينـا لا ينحـرف بالحقائق التاريخية الى غايات سياسية أو مواقف شخصية ، ولكن لابد أن يكون له موقف يخدمه بمعنى أن هذا الموقف هو الذى يحـدد له

اختياره ، وعلى سبيل المثال فان حركة اليســـار فى مصر قبل أن أكتبها كتابة علمية فى كتاب عن « تطور الحركة الوطنية » لم يكن يدرى عنها المؤرخون شيئا ، لأنهم ببساطة شديدة لم يكونوا يرونها على الاطلاق تدخل عندهم فى الحركة الوطنية ، حتى جاء مؤرخ يساوى مثلى رأى فى الحركة اليسارية جزءا لا يتجزأ من الحركة الوطنية وأنها ليست حركة أجرامية وتخريبية كما كان يصورها رجـــال القانون فى ذلك الوقت .

حـرية الصراخ

●● بالمناسبة أين تقف الحركة اليسارية اليوم من الحركة الوطنية ؟

ـ د. رمضان : تعتبر فى مرحلة انحدار محزن بالمقـارنة الى ما كانت عليه فى العشرينات والأربعينات ، حيث أنها الآن فى حالة انحسار شديد بسبب عجز قياداتها عن تفهم واحتضـان الظـروف والمتغيرات العالمية التى طرأت على الفكر اليسارى ، وأستطيع القول أن اليسار عندنا فى « جريدة الاهالى » هو يسار عتيق جدا وعفى عليه الدهر ، وهو يشبه فى تخلفه اليمين فى مصر فهو يمين عتيق ومتخلف فكريا ، وبدون مواكبة للمتغيرات الفكرية العالمية سواء على صعيد اليسار أو على صعيد اليمين فان الوسط فى مصر سوف يبقى هو أقوى التيارات .

●● ما هو الحزب الذى ترى انه يعبر عن حركة الجماهير فى الشارع المصرى ؟

ـ د. رمضان : الجماهير فى مصر ليست فى حالة حركة حتى يعبر عنها حزب من الاحزاب ، وانما هى فى حالة جمود وســكوت وصمت ، فهى مشغولة بلقمة العيش وبمواكبة القفزات المجنونـة

المتوالية فى الأسعار وهى مذهولة لا تكاد تصدق ما يحدث ، هـذا بالاضافة الى الانقلابات الاجتماعية التى حدثت فى مصر المعاصرة بنزول المثقفين الى أسفل السلم الاقتصادى وصعود الجهلاء الى أعلى السلم الاقتصادى ، مما جعل الجماهير المصرية التى تمثل ضمير المجتمع ووعيه ومبعث النشاط فيه فى حالة شلل عام ، وبالتالى فلا يوجد حزب يعبر عن حركة الجماهير ٠

● ● اذن فمـا هى أهميـة وجـود الاحزاب على الساحة الديمقراطية الآن ؟

ــ د٠ رمضان : الاحزاب الموجودة أهميتها هى فيما أطلق أنا عليه اسم ممارسة حرية الصراخ ٠

عـابر طريق

● ● نعود الى كتب المذكرات ٠٠ ما رأيك فى كتاب أعتماد خورشيد ؟

ــ د٠ رمضان : لم أقرأ كتاب اعتماد ولا أنوى أن أقرأه حتى لا أفسد معلوماتى التاريخية ولانه نوع من المذكرات التى لايستطيع أى مؤرخ فى العالم يحترم نفسه أن يستند اليها فى اعـادة بنـاء الحدث التاريخى ، فالمؤرخ عليه أن ينتقى مادة بناء الحدث التاريخى من مصادر أكثر مصداقية ٠

● ● ولكن عدم قراءتك لمثل هذه النوعية من الكتب لا تعنى أنها لا تنتشر بل هى تجد اهتماما أكثر من الكتب العلمية الجادة ؟

ــ د٠ رمضان : اننى لا أعترض على نشر هذا الكتاب أو غيره ، ولكن على الجمهور ان يحذر باستمرار من الخلط بين كتاب تاريخ يتضمن دراسة تاريخية محققة وموثقة وبين أى شهادة تاريخية ،

والفرق بين الاثنين هو كالفرق بين حكم يصدره قاض على مستوى عال بعد تحقيق الوقائع والشهادات المتعلقة بحدث من الاحداث ، وبين شهادة عابر طريق ٠

الفرق مع المغرب

● ● كنت فى المغرب ٠٠ ما هى نظرتك الخاصة التى عدت بها من هناك ؟ ٠

ـ د٠ رمضان : الاستمرارية والتواصل بين القديم والحديث أو بين التراث والحداثة فهناك يعنون بتطوير القديم ووصله بالحديث ، فالحديث عندهم تطوير للقديم ، والأمر مختلف هنا فالتراث عندنا لا صلة له بالمعاصرة فأنت تسمع موسيقى التراث التى لا صلة بينها وبين الموسيقى الحديثة ، ولكن موسيقى التراث هناك هى امتداد مستمر حتى الوقت الحاضر يشترك فيها الشعب كما اشترك على مدى العصور ، وكذلك الامر بالنسبة للفكر فهو استمرار وامتداد وليس انقطاعا ٠

تسييس الثقافة

● ● تم تعيينك عضوا بالمجلس الأعلى للثقافة ٠٠ ما الذى يمكن أن تؤديه لهذا المكان ؟

ـ د٠ رمضان : اذا كان ثمة دور يمكن أن ألعبه فى المجلس الأعلى للثقافة فهو هز الجمود الذى يسيطر على بعض لجانه وخصوصا لجنة التاريخ والآثار ، وقد تكلمت بالفعل مع وزير الثقافة فى فصل التاريخ عن الآثار ، وبعث الحياة فى هذه اللجنة الخالدة ، وفى الوقت نفسه فأن مهمة المجلس الأعلى للثقافة فى رأيى هى مهمة حضارية تتمثل فى ضرورة وقوفه ضد التيارات الرجعية التى تريد

أن تدفع بمجتمعنا الى الوراء ، وبمعنى آخر لابد من تسييس المجلس الأعلى للثقافة ٠

●● ماذا تقصد بذلك ؟

ـ د٠ رمضان : الثقافة بدون سياسة ليست ثقافة ، لأن المثقف مرتبط بعصره وغير منعزل وهو الذى لا يدفن نفسه فى الكتب وانما يخرج الى الحياة الاجتماعية العامة ويدلى برأيه فى كل ما يحدث ويحاول أن يطور المجتمع للامام ، هذه هى نفس مهمة المجلس الأعلى للثقافة ٠٠ ألا يدفن فى الأعمال العلمية وانما عليه أن يعايش مجتمعه ويحاول أن يدفعه للامام ٠

لست متنقلا

●● يقال انك تنتقل بين الاحزاب ٠٠ من التجمع الى الوفد الى الوطنى ٠٠ ما هى الحكاية ؟ ٠

ـ د٠ رمضان : لم انتقل من موقعى وانما الآخرون هم الذين ينتقلون ٠ وعلى سبيل المثال فأنا رجل أو كاتب أو مفكر أو مؤرخ يسارى « اليسار هو المعارضة وقد يفهمه البعض على انه الشيوعية ولكنه جبهة عريضة تمتد من أقصى اليسار الى الوسط وتشمل الشيوعيين والناصريين والتيار الاسلامى وتشمل فى الوسط الوفد من الناحية السياسية » ولم أغير هذا الموقع على الاطلاق ، وفى نفس الوقت أن التجربة العالمية للاشتراكية قد أثبتت ضرورة أن « الليبرالية هى الحرية السياسية وتعدد الرأى والليبرالية فى الاقتصاد تعنى النظام الرأسمالى » وليست نظاما اقتصاديا فقط وانما هى نظام سياسى أو محاولة تزويجها بالفكر الاشتراكى ، ومن هنا فقد أيدت الوفد لأنه حزب ليبرالى ولكننى لا أؤيد سياسته

الاقتصادية ، وأنا أؤيد الحزب الوطنى فى سياسته الخارجية ولكنى لا أؤيده فى سياسته الداخلية ، وأنا أؤيد حزب التجمع فى سياسته الداخلية ولا اؤيده فى سياسته الخارجية ، وحتى الآن لا يوجد الحزب الذى يعبر عن فكرى السيـــاسى والاجتماعى بالشكل الذى يدفعنى الى الالتحاق به ، وهذا ما يجعل البعض يظن أننى أتنقل ، وعلى سبيل المثال فلم أؤيد اطلاقا سياسة حزب الوفد الاقتصادية ولم أؤيد اطلاقا سياسة الحزب الوطنى الداخلية ولم أؤيد اطلاقـــا سياسة حزب التجمع الخارجية فأين التناقض فى موقفى ؟!

المستبشرون

● ● كيف تنظر الى المستقبل فى مصر ؟ ..

ـ د. رمضان : انظر الى المستقبل فى مصر فى ضوء التاريخ الطويل لمصر الممتد عبر سبعة آلاف عام ، فأنا على اقتناع تام بأن مصر التى عاشت سبعة آلاف عام لا تستطيع أية قوة أو حـدث تاريخى أن يقتلها اى يوقف تقدمها . وانما الحركة التاريخية لأى شعب تبطىء احيانا وتتوقف احيانا ولكنها تستقر بشكل جذرى . واعتقادى الراسخ أن شعب مصر سوف يتغلب بطريقته السحرية التى لم يعـرف التاريخ كنههـا حتى الآن ، على كل الصعوبات التى تواجهه ، وأضرب لك مثـلا على ذلك : فان مصر قبـل صلاح الدين الأيوبى وفى أواخر عهـــد الدولة الفاطميـــة كانت دولة ضـعيفة للغاية حتى انها تحالفت مع دولة بيت المقدس الصليبية ، ولكن لم يكد يتـــولاها صـــلاح الدين حتى انقلبت الى دولة عظمى بتلك الطريقة السحرية التى لا يعرف كنهها التاريخ ، واستطيع القـول بأننا فى حاجة الى قضية عامة نلتف حولها .

● صبرى أبو المجد :

نعم .. ألفت كتابا يشيد بالملك فاروق

خمسون عاما قضاها الكاتب الكبير صبرى ابو المجد فى بلاط صاحبة الجلالة ٠٠ كانت هذه الفترة كافية لأن يعى التاريخ ويعيد صياغته فى كتبه ومقالاته العديدة ٠٠ والحوار مع صبرى أبو المجد مهم بقدر اهمية التاريخ الذى يحفظه فى ذاكرته ٠٠ وبقدر اهمية كتاباته التى تفجر دائما العديد من القضايا ٠٠ وعلى هذه الصفحات نستضيف صبرى ابو المجد الصحفى وعضو مجلس الشورى ٠٠ والمجالس القومية المتخصصة وامين المجلس الأعلى للصحافة ليروى لنا وقائع خمسين عاما قضاها فى شارع الصحافة ، وليكشف الكثير من الأسرار لأول مرة ٠٠

● لماذا تأخرت عن كتابة مشوار عمرك مع الصحافة بالرغم من كونها هى الجديرة بأن تكون البداية التى تبدأ بها سلسلة كتبك ؟

ـ أنا مجرد هاو ، يحب هذه المهنة الشاقة ، ففى محرابها تعمدت ، ومنها نلت الكثير وسوف اكتب ان شاء الله كتابا عن نصف قرن صحافة ، واعتقد ان هذا الكتاب لو قدر له ان يصدر فسيغضب منه الكثيرون ٠

ـ حتى عام ١٩٥٢ كان للصحافة المصرية وضعها الخاص ، ولقد تميز هذا الوضع بان الصحفيين كانوا اسرة واحدة بالرغم من اختلافهم حزبيا وايديولوجيا حيث كان لهم ناد متواضع فى قصر النيل ٠ يجتمع فيه كل أصحاب القلم ، وكان الصحفى منا يأتى

ليقول : « غدا انا كاتب كذا فى الموضوع الفلانى » فيقول صحفى آخر « سأرد عليك بعد غد » ، ثم يتنـــاول الجميع طعام العشـاء معا ، ويلعبون ويتسامرون معا ، اذ كانت العلاقات بينهم أخوية ، يؤدى كل منهم واجبه وان اختلفت السبل والأدوات ٠

ولقد كانت الصحافة ـ عندئذ ـ تتمتع بحرية أكثر مع ملاحظة انها كانت حرية الحزب أو حرية مالك الصحيفة ٠ بعضنا يبالـغ حينما يقول انها كانت حرية مطلقة ، بل كانت حرية تسير مع خط الصحيفة وخط الحزب الذى تصـــدر عنـه ، ومن كان يـرى من الصحفيين ان توجهات الحزب أصبحت دون هواه كان ينتقـــل بسهولة الى صحيفة اخرى يتفق خطها أو يقترب من خطه هو ، فلم يكن فى مقدور صحفى ممن يعملون فى صحف حزب الوفد مثـلا ان ينتقد سياسة الحزب ٠

الخديعـــة

● واذا اتينا الى ملامح الصحافة بعد ثورة يوليو ١٩٥٢ ؟

ـ منذ عام ١٩٥٢ الى عام ١٩٧٤ استطيع ان اقرر أن الصحافة كانت موجهة حتى قبل تنظيم الصحافة عام ١٩٦٠ ، كان يوجـد رقيب عسكرى ورقيب مدنى ٠ وكان للصحفيين نطاق معين يتحركون فى حدوده ، واذا اصطدم صاحب القلم بامور خارجة عن هذا النطاق مثل الثورة أو قادتها يحدث ما لا تحمد عقباه ، وهناك تجربتـان فى هذا الصدد ٠

التجربة الأولى هى جريدة « المصرى » التى اختلفت مع مبادىء الثورة فتم تعطيلها ، والتجربة الثانية تمسنى أنا شخصيا ٠

● كيف ؟

– فى بيان صدر فى يونيو ١٩٥٥ أكد مجلس قيادة الثورة على أن الرقابة لن تتدخل فيما يتعلق بنظام الحكم بعد فترة الإنتقال المحددة من يوليو الى ديسمبر من العام ذاته ، وسوف تكون حرية الصحافة مطلقة . فانخدع البعض بهذا البيان وكنت من بينهم فرحت أكتب عن الديمقراطية . وعن ضرورة تكوين الأحزاب . ونشرت تحقيقا صحفيا عن هذا الموضوع . وضعت له استمارة استفتاء وزعتها على عشرة آلاف مواطن تناولت فيها رأيهم فى نظام الحكم بعد الفترة الانتقالية .

ومازلت أذكر ان مواطنا أجاب ردا على سؤال : هل لك ملاحظات أخرى ؟ بانه يطالب بمحاكمة أعضاء مجلس قيادة الثورة ، وعندما صدرت مجلة المصور وبها التحقيق والاستفتاء انقلبت الدنيا رأسا على عقب فصودرت المجلة وتم اعتقالى .

معنى هذا ، ان خطوطا رئيسية لم يكن فى استطاعة الصحفى تجاوزها ، ومن ملامح هذه الفترة أيضا ارتباط الصحفى بالدولة سواء فى عمله أو فى لقمة العيش ، لهذا لم يستطع كتاب كبار مثل : احسان عبد القدوس وأحمد أبو الفتح ، وغيرهما أن يعملا فى أية صحيفة بعد أن غضب عليهم المسئولون وهو أخطر ما فى هذه المرحلة .

هذا السبب وحده ، هو الذى دفع بعضنا الى الجبن . وجعل الكثيرين منا ينظرون الى الصحافة على أنها مهنة موظفين ، فانعكس الخطر فى انعدام الثقة بالنفس أولا . وانعدام الحرية ثانيا ، ليس على المستوى الصحفى وحسب بل على جميع المستويات .

حرية الصحافة اليوم

● ● وما هى سمات المرحلة الثالثة فى تاريخ الصحافة المصرية بعد عام ١٩٧٤ ؟ .

ـ من عام ١٩٧٤ الى عام ١٩٨١ كانت حرية الصحافة حرية محدودة ، فبدلا من أن تكون الرقابة على أمور لا تتصل بأجهزة الدولة أو سياساتها أصبحت الرقابة مقصورة على حماية موظف فى الاذاعة أو التليفزيون أو فى وزارة الثقافة مما يدل على أن الرقابة حتى ١٩٧٤ كانت تحمى أفرادا لا سياسات ، ولقد توارى هذا البعد بعد ذلك وانحصرت الرقابة على الجوانب العسكرية أو أمور أخرى بسيطة تصدر بشأنها تعليمات الى القيادات الصحفية ، ولكن الشىء المؤكد أن حرية الصحفيين اتسع مداها عما قبل .

● ● واذا وصلنا الى المرحلة التى نعيشها الآن ؟

ـ بلا أدنى شك أو جدال ، فمنذ عام ١٩٨١ حتى اليوم نعيش فى حرية ذات نطاق واسع ، فلم يقصف قلم ، ولم تصادر صحيفة ؤ ولئن كانت هناك صحيفة أو أخرى قد صودرت فالمصادرة لم تكن لأسباب رقابية بل لأسباب ترجع الى الصحيفة ذاتها . كخلاف حول الجمعية التى تصدر عنها ، أو خلاف حول تجاوزها للأغراض التى صدرت من أجلها .

انا و .. مباحث امن الدولة

● ● نعود الى مجلة المصور حينما كنت رئيسا لتحريرها ، فهناك من يتهمك بأن الراحل عبد الفتاح حسن ، أحد قيادات حزب الوفد ، أرسل اليك مقالا لتنشره فاذا بك ترسل المقال الى مباحث أمن الدولة ؟ .

عندما أثير في أواخر السبعينات الحديث عن نقل مياه النيل الى اسرائيل ، وأنا أعلم أن هذا الموضوع لا صحة له مطلقا حيث كنت قد فاتحت المرحوم السادات فيه فنفاه نفيا قاطعا ، وقال ان الموضوع محاولة من جانبنا لاثارة الرأى العام فى اسرائيل ضد بيجن .. عندئذ أرسل لى عبد الفتاح حسن خطابا يفيض رقة ووطنية طلب منى نشره فى المصور . فقلت له أن حقيقة الموضوع كذا كذا ــ كما أخبرنى الرئيس السادات ــ فهل أنشر رسالتك أم أبلغ الرئيس السادات بها ؟ فقال لى عبد الفتاح حسن ، يكفينى أن يصل صوتى الى الرئيس ليعرف أننى من المعارضين لنقل مياه النيل الى اسرائيل .

اذن فالمرحوم عبد الفتاح حسن هو الذى سمح لى بأن أنقل للرئيس السادات مضمون خطابه ، وقد نشرت فى الأسبوع ذاته أن الأستاذ عبد الفتاح حسن أرسل لى خطابا يتعلق بموضوع نقل مياه النيل الى اسرائيل . ثم أرسلت صورة من الخطاب الى الرئيس السادات . مثلما طلب منى عبد الفتاح حسن فبعثتها واحتفظت بالأصل .

اننى أقول هذا لأول مرة ، بعد ذلك حينما اعتقل المرحوم عبد الفتاح حسن فى أحداث سبتمبر ١٩٨١ فوجىء فى التحقيق بصورة خطابه التى ارسلتها الى رئاسة الجمهورية بناء على طلبه ولم يكن الخطاب به ما يدين عبد الفتاح حسن بل كان صفحة فخر له ، لأنه كان يدافع عن قضية وطنية .

المهم أن جريدة « الأهالى » لسان حال حزب التجمع ، نشرت على لسان عبد الفتاح حسن أنه غاضب منى بل ويطلب التحقيق معى ، وعندما حدثته نفى لى أن يكون هذا الكلام المنشور أثناء سجنه قد صدر عنه . واننى موضع تقدير عنده ، ثم طالب زميل

صحفى بعد ذلك نقابة الصـــحفيين باحالتى الى مجلس تحقيق ، فبعث لهم عبد الفتاح حسن نفيا لاتهامى ، وطلبت من على منصور المحامى رفع دعوى قضائية على ناشرى هذا الاتهام ، ولقد اتصل على منصور بالمرحوم عبد الفتـــاح حســـن فأخبره أنه على استعداد لأن يشهد لصالحى أمام المحكمة ٠

ومما يقطع بأن هذا الاتهام صراع حزبى ، أن د٠ حلمى مراد بعث لى أثناء تلك الفترة خطابا قاسيا يتناول الموضوع نفسه ، فلم أشأ أن أكون وسيطا أنقل للسادات ما قاله عنه ، فلماذا لم تثر قصة هذا الخطاب ؟ ان اثارة مثل هذا الموضوع جرح لاحساسى ، بعد أن قضيت ما قضيت فى العمل الوطنى ، وما يؤلمنى أن تظل هذه الموضوعات عالقة فى أذهان الآخرين ٠

فاروق ٠٠ أمل الشعب

● ● وماذا عن أنك كتبت كتابا تمدح فيه الملك الســـابق فاروق ؟

ـ نعم كتبت عن الملك فاروق ، وكنت سأحدثك أنا عنه قبل أن تطرح سؤالك لقد نشرت جريدة « الأهالى » أننى ألفت كتابا عن فاروق ، وأنا لا أذكر ذلك ، فقد شاركت فى تأليف كتاب عنه فى نوفمبر ١٩٤٣ حينما كنت تلميذا فى المرحلة الثانوية وذلك بمناسبة حادث «القصاصين» ، حيث تأثرت كشاب بهذا الحادث ، وطلبت من كبار الصحفيين أن يكتبوا ذكرياتهم ومشاعرهم عن هذا الحادث ، اذ أن فاروق وقتها كان يمثل الأمل لهذا الشعب ، ولم يكن فساده قد ظهر بعد ، وقد كتب عن فاروق مثلى : حافظ محمود ، واحسان عبد القدوس ، ومحمد حسنين هيكل ، والسيدة روز اليوسف ، ثم قمت بجمع هذه المقالات لتصدر فى كتاب صدر فى أوائل أو

منتصف عام ١٩٤٤ ، وبعد صدور هذا الكتاب بعدة أشهر تم اعتقالي بتهمة قتـــل الوزير الأول للملك وهو الدكتور أحمد ماهر رئيس وزرائه .

أنا لا أتنكر لتاريخي ، فقد أيدت الملك لأن الحزب الوطني الذى كنت أنتمى اليه كان يؤيده ، ولأن البلد جميعها كانت تؤيده في حادث القصاصين الذى أصيب فيه ، ثم انقلبت عليه بعدئذ ، لأن الكاتب السياسى ليس جامدا ، ثم كيف تحاسبني الآن ، وبعد كل هذه الأعوام عن صفحتين كتبتهما فى المرحلة الثانوية ؟ ولمـــاذا لا تحاسب هؤلاء الذين مدحوا الملك فاروق ثم أصبحوا ضـــده ، ومدحوا عبد الناصر ثم هاجموه بشدة وكانوا مع السادات فانقلبوا عليه ، والذين تاجروا بالكلمة وأثروا من ورائها ثراء فاحشا ؟ .

أسرار ووثائق ..

@ @ من الملاحظ أنك تعتمـــد فى كتاباتك على الوثائق .. كيف تحصل عليها ؟ وما أهم الوثائق التى حصلت عليها ؟ .

ـ الحصول على الوثائق مسألة حظ ويعتمد على حب الناس ، فمثلا المستشار ســـميح طلعت وزير العدل الأســـبق ـ وابن عبد الوهاب باشا طلعت وكيل الديوان الملكى وأحد خصوم الانجليز الذين طالبوا باخراجه من السراى ـ أعطانى وثائق لا أعتقد بوجودها فى « عابدين » ولا فى أى مكان آخر ، وهذه الوثائق ستفتح الباب

لإلقاء أضواء جديدة على بعض الأحداث كاشتراك مصر في حرب ٤٨ .

ومن الوثائق الهامة جدا رسائل محمد فريد ، فقد حصلت الثورة في الستينات على مذكرات هذا الزعيم بقرار وزارى تقدمه أحد المحضرين مما اعتبره نجله المستشار عبد الخالق فريد اهانة وقد نفذ القرار باعتباره رجل قانون ولكنه قال لى سأعطيك ما هو أخطر منها ، فأعطانى كل رسائل والده الى جده ووالدته وأصدقائه .. وقد كانت كلها في مظروف لم يفتح منذ وفاته ، وهو يحتوى على أكثر من مائتى رسالة بخط يده ، يتناول فيهما تاريخ مصر السياسي .. ولو كان في العمر بقية وكتبت حياة محمد فريد في المنفى من خلال هذه الرسائل ، فانه سيكون عملا يسقط القداسة عن شخصيات عديدة ، وينصف شخصيات أخرى ظلمناها كثيرا .

أيضا من الوثائق الهامة محاضر التحقيقات في قضية مقتل السردار التي كان من المتهمين فيها ابراهيم موسى أحد عمال العنابر « الأمي » الذى لا يقرأ ولا يكتب ويعمل باليومية والذى رفض الاغراءات والبراءة نظير اعترافه على زملائه فاعدم ، في حين اعترف أحد حملة الدكتوراة في القانون من فرنسا ونائب سابق على زملائه .. وقد بحثت عن أهل هذا العامل الشريف ، فوجدت ابنتيه تعيشان في غرفة بالشرابية وأعطتنى احدى البنتين مخطوطا (١٥٠٠) صفحة تركه المحامي عندهم وهو نسخة من محاضر التحقيقات في مقتل السردار فوجدته كنزا يحوى معلومات عن نشأة الجمعيات السرية مما ضمنته الجزء الأول من مذكراتي في السجن .

● جمـــال حمـــاد :

والمبدأ الذى تحقق فى عهد مبارك ولم تحققه الثورة

● احد المشاركين فى ثورة يوليو ، ومؤرخها فى أهم كتاب عنها منذ قيامها بعنوان « ٢٣ يوليو اطول يوم فى تاريخ مصر » . كما يكتب الآن دراسات هامة عن حرب أكتوبر من خلال الوثائق التى سمحت له القيادة العسكرية بالاطلاع عليها لأول مرة.

بدأ محدثنا جمال حماد حكايته مع التاريخ منذ المرحلة الثانوية .. حيث كان يحصل فى امتحانات هذه المادة على الدرجات النهائية .

كما كان أول كتبه « معارك الاسلام الكبرى » وآخرها عن « غزوة بدر الكبرى » .

.. ومعه .. مع المؤرخ . جمال حماد . كان هذا الحوار ..

● ● ماذا تذكر من طرائف ثورة يوليو :

من المواقف الطريفة أن الفريق حسين فريد رئيس أركان حرب الجيش بعد ما تم أسره فى مكتبه بمعرفة المقدم يوسف صديق ورجاله . كان يهبط السلم فى مبنى رئاسة الجيش فى طريقه الى المعتقل الذى كان الكلية الحربية التى كانت تواجه رئاسة الجيش مباشرة وتصادف أن عددا من قادة الضباط الأحرار كانوا واقفين فى مبنى رئاسة الجيش ومنهم جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر وزكريا محيى الدين وعبد اللطيف بغدادى وحسن ابراهيم وأنا .. فرأينا أن رئيس الأركان سيمر من أمامنا وخلفه الرجال مصوبين السونكيات فى ظهره ، وفى اتفاق لا شعورى وجدنا أنفسنا مصطفين صفا واحدا وأدينا له التحية العسكرية بطريقة مثالية فكانت مسألة غريبة جدا بالنسبة للرجل وهو فى هذا الموقف الصعب فرد علينا

بلهجته الجافة الخاطفة المعتـــادة قائلا : متشــــكر جدا ، واستمر فى سيره الى المعتقل .

وأبرز مثل على ذلك الاحتفال برحيل الملك فاروق فعملنا له حرس شرف وحرس سلاح وموسيقى وسلام ملكى .. فهى مراسم الاحتفال بنهاية عهد وبداية عهد جديد .

●● كيف تسلسل هرميا دور القادة فى ثورة يوليو ؟

على الرغم من صعوبة هذا الموضوع فاننى فى نهاية كتابى عن ثورة يوليو قمت بكتابة سطور قليلة أعتقد أن فيها الرد على سؤالك .. قلت : ان لثورة يوليو أب روحى هو الفريق عزيز على المصرى ، وللثورة قائد هو اللواء أركان حرب محمد نجيب ، وللثورة صانع ومدبر هو المقدم أركان حرب جمال عبد الناصر . وللثورة جنود مجهولون هم ضباط الصف والجنود الذين خرجوا معنا فى ٢٣ يوليو وأدوا دورهم فى سبيل تحرير شعب مصر ولم يسمع عنهم بعد ذلك ولم تدون لهم أسماء .

●● واهم أحداث الثورة بترتيب أهميتها ؟

انهاء عهد أسرة محمد على واعلان الجمهورية ، وجلاء القوات البريطانية عن مصر ، وتأميم قناة السويس وانشاء السد العالى .

●● ألم تتأثر عاطفيا كانسان وأنت تؤرخ للثورة خصوصا وأنت احد المشاركين فى قيامها ؟

.. رغم أن لى بالقطع ميولا شخصية أو عواطف بالنسبة لبعض الأشخاص فى الثورة الا أننى حاولت قدر طاقتى البشرية ان أتجرد من هذه العواطف وأن أكتب الحقيقة وحدها بكل أنصاف خاصة وأننى لم أنتم لأى حزب أو أى مذهب من المذاهب طوال حياتى .

● ● ولماذا تأخر كتابك عن ثورة يوليو ثلاثين سنة ؟

كان من المحال أن أكتب عن الثورة وعبد الناصر والسادات في الحكم أصحاب القوة فلو جاملتهم سمتهم بالنفاق ، وان لم أجاملهم ربما يحدث لي أضرار أو أذى ، لهذا كان من المحتم الانتظار حتى تتهيأ الظروف لأن أكتب بحياد ، وأنت تلاحظ أن كل ما كتب عن الثورة أثناء وجود الرئيسين الراحلين لم يكن بالتاريخ الصحيح .

الثورة مبادىء لا تنتهى

● ● كتب البعض أخيرا محددا نهايات تاريخية للثورة فهل انتهت ثورة يوليو ؟

اطلاقا لأن الثورة مبادىء مستمرة وان زالت أشخاص الثوار فهل يمكن القول ان مبادىء الثورة التى نادت بها من القضاء على الاستعمار وأعوانه واقامة جيش وطنى قوى والتخلص من تسلط رأس المال والاقطاع واقامة عدالة اجتماعية وحياة ديمقراطية سليمة .. هل من الممكن القول أننا لا نريد هذه المبادىء اليوم أو أنها انتهت . انها مبادىء حية ومازالت مستمرة ولا يمكن أن تتغير وان حدث خطأ فى تطبيقها فان هذا ليس عيب الثورة بل عيب الأشخاص القائمين بالتطبيق أما الثورة فمستمرة ولن تنتهى .

● ● اقامة حياة ديمقراطية سليمة لماذا تأخرت الثورة فى تحقيقها ؟

ليس من المنتظر بعد قيام ثورة أى ثورة أن تحقق الحرية فى الحال رغم أن الثورة نادت بهذا والدليل على ذلك الثورة الفرنسية رغم مبادئها العظيمة التى كانت تنادى بها من الحرية والاخاء والمساواة (والتى ما زالت موجودة حتى اليوم دليل استمرار

الثورة) قد تولد عنها أكبر حكم ديكتاتورى وهو حكم الامبراطور نابليون ثم عادت مرة أخرى أسرة البربون الحاكمة ولكن الشعب الفرنسى ثار بعد ذلك وانتصر لمبـادىء الثورة وسرت الحيـاة الديمقراطية وان تأخرت ولكنها جاءت وتحققت وثبتت واستمرت ، كذلك ثورتنا بدأت بحكم فردى هذا أمر لا ننكره فى عهد عبد الناصر ثم حصل نوع من التغير الواضح الى طريق الديمقراطية فى عهد السادات ولكنه لم يكن طريقا مكتملا ، ولكن نحمد الله اننا استطعنا بعد ثلاثين سنة من الثورة أن نتمتع بحكم ديمقراطى سليم وانى أشهد أنه لأول مرة فى عهد الرئيس مبارك قد تحقق المبدأ السادس من مبادىء ثورة يوليو ·

● ● وانت تؤرخ لحرب أكتوبر الا ترى انها عملية شاقة خاصة وان المسائل العسكرية تحاط بسرية تامة أكثر من المسائل السياسية ؟

نعم الكتابة عن المعارك العسكرية شاقة جدا لأنك تكتب بدون وثائق أو مراجع موثقة لذا تصـبح الكتـابة العسكرية نوعا من الاجتهاد والتحليل الفنى ، لذا يحتاج الباحث العسكرى الى ثقافة عسكرية أكاديمية راقية وتجارب شخصية وخبرة فى القيادة حتى يمكنه عقد المقارنات وتوضيح أوجه الاختلاف فى النظريات العسكرية وتخيل بعض الأحداث التى تحتاج لمثل هذا التخيل بالاضافة الى القدرة على الكتابة والتحليل ·

● ● ما هو ترتيب أبطال حرب أكتوبر حسب اهمية دور كل منهم كما تراه ؟

لا أستطيع أن أقوم بهذا الترتيب وانمـا أقول لك أن البطل الحقيقى هو الجندى المصرى البسـيط الذى حمل بندقيته وركب الزورق الصغير فى طريقه الى السـاتر الترابى ليتسلقه بأظافره

وأقدامه ويواجه بعد ذلك حصون خط بارليف فيقتحمها ويدمرها ..
وينطلق الى الأمام بصدره ضد أحدث أسلحة العدو ومعداته ويرفع علم مصر على الضفة الشرقية للقناة .. هذا هو البطل الأول والأخير مهما تحدثنا عن دور الأسلحة والقادة ..

● ● لماذا كانت اسرائيل تهزمنا دائما قبل انتصار أكتوبر ؟

— لأننا لم نكن نستفيد من تجاربنا السابقة أو نعترف بأخطائنا وحولنا الهزائم فى حرب ١٩٥٦ الى انتصارات وأخيرا صدقنا أنفسنا ، ومن العجيب أن الخطة الحربية التى اتبعتها اسرائيل سنة ٦٧ كانت صورة طبق الأصل من خطتها الحربية سنة ٥٦ لذلك لما سئل موشى ديان وزير الدفاع كيف تكررون نفس الخطة فى حربين متتاليين ألم تكونوا تحسبون امكان أن يكتشفها المصريون ؟ فأجابهم بأنه لا أحد يقرأ ، وهذا هو الواقع لأن الكتب الاسرائيلية كانت ممنوعة من دخول مصر فى حين أنه من المفروض ان كل ما كتب مثلا عن حرب ٥٦ كان لابد من ترجمته وتوزيعه على قادة القوات المسلحة على أوسع نطاق لكى نستفيد من التجربة والخطأ .

● ● ما هى أهم نتيجة لحرب أكتوبر ؟

— الى جانب أنها نقطة تحول استراتيجية كبرى بالنسبة لمصر فى جميع النواحى العسكرية والسياسية والمعنوية والاقتصادية باعتبارها أول انتصار للقوات المسلحة المصرية منذ عهد طويل ، الا أن أهم ما فيها أن المصرى استعاد كرامته المفقودة .

● ● كيف تكون لمصر ارادة عسكرية مستقلة بعيدا عن ضغوط القوى الكبرى التى تتحكم فى انتاج السلاح ؟

— الدولة الصغير التى تريد أن تكون حرة فى جميع تصرفاتها لابد أن تكون لديها مصانع لانتاج السلاح والذخائر ، ولقد لاحظنا

أن وزير الدفاع المشير محمد عبد الحليم أبو غزالة السابق قد كشف الستار عن الجهود التى تبذل لانتاج أسلحة وذخائر مصرية وهذا طبعا خطوة عظيمة فى سبيل تحقيق الاعتماد الذاتى على أنفسنا وقت الحرب ولو أن هذا طبعا يحتاج الى تكاليف كثيرة وتضحيات كثيرة من الشعب لأنه لا يمكن أن نصل الى ما نبتغيه بدون تضحيات ٠

● ● كيف ترى دور الصدفة فى أحداث التاريخ ؟

ـ من المحتمل أن تحدث قطعا مصادفات يلعب فيها الحظ دوره فى بعض المعارك الحربية مما يؤدى الى تغيير مجرى المعركة بشكل كامل ٠

● ● على سبيل المثال ؟

ـ « مونتجمرى » عندما قام بهجومه فى معركة العلمين فى سنة ١٩٤٢ ، بالصدفة المحضة كان عدوه الفيلد مارشال « روميل » ثعلب الصحراء غائبا عن مسرح العمليات وكان موجودا فى ألمانيا ولم يحضر الا بعد بضعة أيام ، وطبعا هذه صدفة ، لأن مونتجمرى لم يكن يخطط للمعركة على أساس غياب روميل ، ولو كان روميل موجودا لا شك أن المعركة كان سيتغير مجراها لأنه يتمتع بعبقرية فذة على تكتيكات حرب الصحراء ، ولكنه عندما عاد كانت المراحل الأولى الحاسمة قد انتهت وتمكنت القوات البريطانية من اختراق الخطوط الدفاعية الألمانية فكان هم روميل كيف يقوم بسحب قواته من مواقعها بعد فوات الأوان أو اللحظة الحاسمة لأن لكل معركة لحظة حاسمة ، وكانت تلك اللحظة قد لعبت فيها الصدفة دورها بغياب ثعلب الصحراء عن أرض المعركة ٠

● ● كانت فرنسا وانجلترا القوتين الكبريين فى عالم الأمس واليوم روسيا وامريكا فما هى فرصة الأمة العربية فى المستقبل لتكون قوة كبرى ؟

ـ العرب بما لديهم من موارد وموقع استراتيجي وامكانيات ، لديهم فرصة كبيرة جدا أن يكونوا احدى القوى الكبيرة التى تؤثر على مجريات الأمور فى العالم ، ولكن للأسف يكفى أن أقول المثل الذى يقال عن اسرائيل انها جزيرة صغيرة تعيش فى بحر من الخلافات العربية .

● ● أى مرحلة من التاريخ قديمة ووسيطة وحديثة تود العيش فيها ؟

ـ كنت أتمنى من أعماق قلبى أن أعيش فى فترة الرسالة النبوية المحمدية وأن أكون جنديا من جنود الجيش الاسلامى .

● ● من هو القائد الذى يحظى بتقديرك ؟

ـ أنا أعتبر أن الرسول عليه الصلاة والسلام هو القائد الأول حقا لا شك فى هذا فاذا استثنيناه فان القائد الذى أعجب به كل الاعجاب فى التاريخ الاسلامى هو خالد بن الوليد لأنه قائد فذ على مستوى يفوق أعظم مستويات القادة فى التاريخ ، أما التاريخ الحديث فمن القادة الأفذاذ قطعا الفيلد مارشال روميل ، وفى التاريخ الفرعونى تحتمس الثالث ورمسيس الثانى وحور محب .

● ● هل تتخيل قيام حرب عالمية ثالثة ؟ .

ـ من المستحيل قيام حرب ثالثة لأن معنى ذلك انتهاء الحياة من فوق سطح الكرة الأرضية .

● ● اخيرا ·· كانسان مصرى ·· كيف ترى مستقبل مصر ؟

أتمنى أن كل مصرى لا ينتظر من أحد ان يوجهه لأداء واجبه ، ولو ان كل مصرى فى موقعه قام بالواجب المفروض عليه باخلاص واتقان وبضمير حى ، ولو نزعنا من قلوبنا الأحقاد والمهاترات والمهاجمات الشخصية وانصرفنا جميعا الى ما فيه خير أمتنا ، لأصبحت مصر هى المستقبل ، نريد لها كلنا الرفعة والرخاء والتقدم لنحتل مكاننا الذى كان دائما على مر العصور حتى تعود مصر دائما كما كانت هى التى تقود المنطقة ·

مكّرم محمد أحمد :

تأثرت بسيرة عبد الناصر
وشجاعة السادات

● حينما يكون لديه وقت فراغ يشمر عن ساعديه لمعاونة زوجته في شغل البيت ..

وعندما سألته عن طبيعة هذا الشغل قال :

« انه يبدأ بغسيل الصحون الى اى شىء تتصوره ، وهذا شىء يشرفنى رغم اننى رجل صارم » .

يقول هذا محدثى رئيس مجلس ادارة دار الهلال ورئيس تحرير مجلة « المصور » ونقيب الصحفيين الأستاذ مكرم محمد احمد .

وهو يعاون زوجته فى عمل البيت لسببين :

أولهما : ان كل من يمارس عملا فكريا عليه أن يريح رأسه وذهنه لبعض الوقت عن طريق ممارسة أى عمل يدوى يبدأ بغسيل الصحون وينتهى برعاية شجرة صغيرة .

وممارسة هذه الأعمال البسيطة في البيت أفضل من ممارستها مثلا فى بلاد أوربا من أجل بضعة دولارات يضطر الزوج من أجلها الى مكابدة العناء تحت ضغط زوجة كثيرة المطالب قد تفكك شمل الأسرة .

ومما يحمد مكرم محمد أحمد ، ربه عليه أن منحه زوجة اختارها منذ كانت زميلته بقسم الفلسفة بجامعة القاهرة .

وهو يتحدث عنها بحب شديد وتقدير أشد لأنها كانت مقدرة لكل ظروفه ، فيقول عنها : « كانت مطالبها فى حدود قدراتى ولم

تكن تمثل ضغطا على لأنها تنتمى الى أسرة كريمة وأنا أعتبر أن هذه نعمة من ربنا » •

ذلك بعكس نوع آخر من النساء كثير المطالب يقول عنه رئيس مجلس ادارة دار الهلال ورئيس تحرير المصور ونقيب الصحفيين انك لو إستسلمت لهذا الصنف من النساء اللائى لا يعرفن مطالبهن أين تقف فمن الممكن « تلاقى » نفسك فى طريق مسدود » •

ولأن مكرم محمد أحمد قد تزوج ممن تقدره وتضع لنفسها حدودا لمطالبها فى حدود قدراته فهو أيضا يقدرها ولا يجد غضاضة فى مساعدتها فى شغل البيت اذا وجد وقتا لذلك ، ولهذا عندما سألته :

● ● لمن تهدى زهرة ؟ قال : لزوجتى •

عالم مختلف

ومن الزوجة الى الأولاد : أمل وأمنية •• تزوجتا ، وايهاب سيأتى دوره •

سألت مكرم محمد أحمد : كيف تعامل أبناءك ؟

وأجاب : أعطيتهم قدرا كبيرا جدا من مساحة الحرية والاستقلال ، وقد صانوهما حقيقة ، وكانوا على مستواهما •

● ● ولكن هل كانت مطالبهم كمطالب مكرم محمد أحمد حينما كان فى مثل عمر أبنائه ؟

ـ كنت وأنا صغير أدرك حجمى فى البيت ومقدرا لظروف والدى وقدراته كصاحب دخل محدود ، ولا أستطيع أن أقول إلك

اليوم ان ابنـك عندما يطلب مطالب فوق طاقتـك إنه لا يحبـك ولا يحترمك ، ولكنه يعيش فى مناخ تسوده قيم استهلاكية وتسوده المحاكاة بعد أن ضمرت قيمة العمل ، وضمرت قيمة الثقافة فهـو بالتالى وفقا للقيم المتاحة يريد أن يكون مثل أقرانه • وكون هذا سيتعبنى أكثر أو أقل ، وهو صحيح يفكر فى هذا ويعرفه ، ولكن صحيح أيضا أن عالمه مختلف تماما عن عالمنا •

على الجمال والاقدام

ولا أحد ينكر طبعا أن عالم جيلنا يختلف كثيرا مثلا عن جيل مكرم محمد أحمد ، الذى يمثله بحياته التى بدأت فى مكان بين القرية والمدينة •

ـ فى منوف بمحافظة المنوفية فى يوليو ١٩٣٥ حيث ولد •

ـ من أسرة متوسطة الحال تتكون من أشقائه الخمسة ، الذى هو أكبرهم ، عدا أختين أكبر منه ، علمهم الأب جميعا رغم دخله المحدود من عمله كمسئول عن ادارة أعمال أسرة الدفراوى ، خاصة فيما يتعلق بمصانع الدخان •

ـ بدأ علاقته بالصحافة منذ الصف الثالث الابتدائى حينما كان يقرأ لأحد أفراد أسرة الدفراوى ، وكان كفيفا ، صحيفتين على الأقل يوميا خاصة أخبار الوفيات ليجامل الناس •

ـ بعد تخرجه من قسم الفلسفة بكلية آداب القاهرة ١٩٥٢ •

عمل مكرم محمد أحمـد محررا بقسم الحوادث بصـــحيفة الأهرام •

وكان ضائق الصدر لاهتماماته الأدبية والثقافية ولذا كان يود العمل بالقسم الثقافى ، غير انه أحب قسم الجريمة الذى عمل

به من ثلاث الى أربع سنوات يعتبرها من أخصب سنوات حياته لأنه رأى المجتمع من خلال الجريمة ٠

ـ أول مكافأة حصل عليها كصحفى كانت عن « جريمة فى المتحف » ، شكره عليها فى خطاب الصحفى الكبير محمد حسنين هيكل دون أن يعرفه ، ورفع مكافأته من ثمانية جنيهات الى ثمانية عشر جنيها ٠

ـ ومن قسم الجريمة الى قسم الأخبار ثم الى قسم التحقيقات الصحفية ، وكان أول تحقيق كبير قام به كان عن حقائق صراع « الهوارة والعرب » الذى كشف فيه لأول مرة قصة الناس الذين يقدمون أنفسهم داخل أكفان طلبا للسماحة ، أو الأخذ بالثأر ، وحرك هذا التحقيق ، التليفزيون الفرنسى ليتعاقد على تصوير قصة العرب والهوارة ٠

ـ ثم عمل مكرم محمد أحمد مراسلا « للأهرام » فى دمشق ، ثم مراسلا حربيا فى الجزائر واليمن ، وجنوب اليمن ، وحرب الصومال والحبشة ، والثورة الاريترية ، وفى اليمن ركب « الجمال » وسار أكثر الأيام والليالى على قدميه وهو لذلك يعرفها قبيلة ٠ قبيلة ، وموقعا ٠ موقعا ، ومدينة ٠ مدينة ، كما يقول ٠

ـ آخر مرة عمل فيها مراسلا حربيا كانت فى موقع متقدم فى غزة فى ١٩٦٧ فى الأيام البائسة كما يسميها ٠

ـ ثم عمل سكرتيرا لتحرير الأهرام ثم رئيسا لجهاز « الديسك » المركزى ، ثم مديرا لتحرير الأهرام ثم أخيرا رئيسا لمجلس ادارة دار الهلال ورئيسا لتحرير مجلة المصور ، ثم أخيرا نقيبا للصحفيين ٠

التغيير ثلاث مرات

وأسأل مكرم محمد أحمد ..

● ● هل ندمت مرة على شيء كتبته ؟

ـ يقول : لم أندم على شيء كتبته لسبب بسيط هو أنني لا أستبطن ذاتي جالسا فوق مكتبي ، وانما أسعى جادا لقراءة الواقع على ضوء التاريخ والرؤية المستقبلية ، وأن أكون صادقا في هذا ، وهذا هو المطلوب من كل كاتب صحفي ، وليس في كل مرة توفرت هذه العناصر ، لأن الانسان ينضج بالتجربة وينضج بالزمن ، ولكن أحس أن رؤيتي لم تكن كاملة في هذا الموضوع أو غاب عني شيء في ذاك الموضوع ، انما الندم لا أعتقد .

● ● هل تكتب في ظروف معينة ؟

ـ الكتابة ترتبط بظروف القلق الذي أكون موجودا فيه ، فعندما كنت في صحيفة يومية تقع لي جميع توترات عملية الكتابة وتحت ضغوط استعجال المطبعة لي ورقة ورقة ، لكن ربما تكون الكتابة في مجلة أسبوعية مستريحة ، وأزعم أن الكتابة عندي ليست شيئا سهلا .

● ● هل تغير شيئا بعد أن تكتبه ؟

ـ أحيانا أغير الكلمة ثلاث مرات حتى لا تخرج من مدلولها الذي أقصده .

رئيس ورشة !

● ● واسأل مكرم محمد أحمد عن علاقته بالصحفيين الذين يعملون معه ؟

ـ فيقول : علاقتى تقوم على أساس أن ما لدى وأستطيع أن أعطيه لا أبخل به ، وفى نفس الوقت كنت متصورا ان « الورشة » قد انتهت فى الصحافة المصرية ، ولكن مازال على أن أكون رئيس « الورشة » ، وأى شاب صحفى يكتب موضوعا أقوم بتعديل المقدمة أو تقديم عبارة محل أخرى ، أو أعيد لآخر صياغة خبر صغير ، وذلك لكى يتعلم كل واحد كيف يكتب •• من الخبر الى التحقيق الصحفى ، كما أن علاقتى بالمحررين هى علاقة حوار مستمر •

● ● من تعتقد أنه خليفتك من الصحفيين ؟

ـ لست فى مكانة من يبقى له خليفة ، لأنه يوجد عشرات ومئات الصحفيين الذين « يبزوننا » وسيكونون أحسن منا •

● ● ولكن بوجه عام أليس هناك فرق بين جيل وجيل ؟

ـ لم يكن مهما بالنسبة لنا على وجه الاطلاق ماذا نرتدى •• أو ماذا نأكل •• أو ما هى الفروق الطبقية بيننا •• ، بل كان مهما •• كيف نفكر •• وماذا نقرأ •• وماذا نعرف •• ، وكانت الفروق بيننا تتعلق بالمعرفة والحس ، وكان يكفى لكى أكون سعيدا أن ألعب مع رفقة من الأصدقاء ، « الكرة الشراب » ، وكان يكفى لسعادتى الحصول على درجات متقدمة فى الدراسة لكى أصبح موضع اهتمام الأسرة والشارع والجيران •

● ● اذن كان جيلكم أفضل ؟

ـ لا يمكن أن أقول هذا بل لكل جيل مميزاته ورؤاه وظروفه ،

وانا أرى أن جيلكم أكثر من الناحية العملية ، وهو بالتالى مؤهل أكثر لتجاوز الصعوبات الضخمة التى تكتنف حياته •

● ● ترى من كان له الفضل عليك ؟

ـ كل أستاذ كان يدرس لنا فى الجامعة ، مدرسة فى حد ذاته ، وكان د• زكى نجيب محمود من أكثر الناس الذين أثروا على ، وعلى جيلى وأجيال أخرى ، حيث كان يتبنى ما يمكن أن نسميه الحماس الصارم جدا للنظرة العلمية ، وقد غرس فينا هذه النظرة وأهميتها ، كما عرفنا الامام محمد عبده ، كأحد أئمة التنوير • من خلال عثمان أمين الذى كان يدرسه لنا ، كما كان خالد محمد خالد يثير اهتمامنا بقضاياه الهامة والحيوية عن الديمقراطية واحترامه للنظام الديمقراطى الغربى الذى كان يعتبره التجسيد الحقيقى للشورى الاسلامية •

● ● ماذا علمك والدك ؟

ـ تعلمت منه المباشرة والصدق حتى ولو كان على نفسى • وأن أواجه الحقائق بوضوح شديد ، وتكون عندى شجاعة الرأى ، وأعتقد أننى تعلمت من والدى كل ما يمكن أن يكون فى من فضيلة •

● ● أين الفلوس من اهتماماتك ؟

ـ لم تكن قضية المال بالنسبة لى محور حياة ، ولا مشكلة ، ولا حافزا •

● ● والمسافة بين ما تقول وما تفعل ؟

ـ دائما تقع المفارقة بين ما تعتقد وما تفعل ، بين ما تعتقد وبين سلوكك ، والفارق بينهما عندى محدود :

طوابير الكف

● ● هل من بين قراءاتك للصحف أبواب الحظ والنجوم ؟

ـ لا أستطيع أن أمنع نفسي من أن أقرأ الحظ ، وربما يرجع ذلك الى أنه كلما تعقدت الحياة ، تحب النفس هذه الأشياء ، لا تحبها لأنها تثق فيها ، بل لأنها تجد فيها نوعا من الراحة أو الانفراج النفسي .

وأكثر ناس تشترى كتب الطالع والنجوم هم الأمريكان رغم أنهم أكثر المجتمعات رقيا وعلما وتكنلوجيا ، كذلك في اليابان، عندما تذهب الى شارع « الجينزا » في طوكيو بعد أن تغلق كل المحلات أبوابها ، تجد اليابانيين واليابانيات يقفون طوابير أمام قراء الكف .. فالانسان يتجه دائما الى الغيب والمستقبل لأنه يحس أنه أصغر من القدر وأصغر من المجهول وأصغر من الغد .

في لقاء الرئيس

● ● ومن الحظ الى الألوان أيها تفضل ؟

ـ أفضل الدرجات المتفاوتة جدا بين الخضرة المضيئة الفاتحة حتى تغمق وتصل الى الحمرة .

● ● بأى زهرة تشبه الديمقراطية ؟

ـ الديمقراطية ليست زهرة بل هي بناء وجهد ونضج ، تنمو يوما بعد يوم ، وهي اصرار على موقف .

● ● في كل لقاءاتك بالرئيس حسنى مبارك ما الذى تجده يتكرر دائما ؟ .

ـ شيئان اثنان ، رغبته الشديدة في أن يفهم الجميع تبعات الديمقراطية ، وصبره العظيم على كل اخطائها .

● ● والشخصية التاريخية التى تعجب بها ؟

ـ فى كل فترة من فترات الحياة كل منا يعجب ويتأثر بالعديد من الشخوص ، فمن منا فى الاسلاميات لم يتأثر بعمر ابن الخطاب الذى يقى بداخلنا ووجداننا ، ومن منا لم يتأثر مثلا بسيرة سعد زغلول ، ومن منا لم يتأثر بشكل ما بسيرة عبد الناصر ومن منا لم يعجب بشجاعة السادات عندما أراد أن يواجه مشكلة ما بطريقة ما ، ومن منا لم يتأثر بشخصية السيد أحمد عبد الجواد فى قصص نجيب محفوظ .. فهناك عشرات بل المئات من الشخصيات التى تأثرنا وأعجبنا بها .

● ● ومن يعجبك من الكتاب ؟

ـ محمد حسنين هيكل ، وأحمد بهاء الدين ، ومجموعة كبيرة من الأدباء الشبان والكتاب الصحفيين الشبان .

اتألم من هؤلاء

● ● ومن يكون مكرم محمد أحمد ؟

ـ أنا صحفى حاول أن يؤدى مهمته بالصورة التى يراها هو كاملة وربما لا تكون كاملة ، ولا أتصور أبدا اننى قادر على أن أصل الى القمر ، وانما لى أهداف صغيرة متتابعة ولكنها على طريق متقدم .

● ● هل هناك سبقا صحفيا حزنت لأن رئيس تحرير صحيفة اخرى سبقك به ؟

ـ لا يوجد .

● ● وفلسفتك في الحياة ؟

ـ هي أنني أكثر الناس حماسا للنظرة العلميـــة التى هى دائما جزء من تفكيرى ويجب أن تـــكون جزءا من تفـــكير كل انسان بصرف النظر عن أنه يعمل فى معمل ، أو يمـارس العمل الاكاديمى .

● ● وممن تتألم ؟

ـ من الناس الذين يزيفون الحقيقة أو يجبنون عن مواجهتها .

● ● وردود فعلك لمن ينتقدونك ؟

ـ عندما يكون انتقادا جادا أو حقيقة يتعلق بفكرة ، سوف أكون على استعداد دائم لأن أقول لمن ينتقدوننى أنهم على حق اذا كانوا على حق ، انمـا عندما يتعلق الأمر بتزييف ووهم وتلفيق ضلالات صغيرة فانني أفضل الصمت لأن من حولى يعرفون الحقيقة .

● ● متى تجرى وتلهث ؟

ـ وراء الحدث .

● ما هو أسعد يوم فى حياتك ؟

ـ حقيقة بلا شك ٦ أكتوبر .

هذا العصر احبه

● ● من يطربك .

فيقول مكرم محمد احمد :

ـ كل واحد يحب فترة شبابه ، وكان أحب وأجمل الأشياء الى ، حوالى الساعة الثالثة بعد الظهر ، وأنا نائم أو قاعد فى البيت أقرأ مجلة ، وأستمع الى أغانى عبد الوهاب الطويلة مثل ·· عاشق الروح ·· والجندول ·· وغيرهما مما تربى عليه وجدانى ·

وأكثر مطربتين أحبهما · وهما على طرفى نقيض ولا يمضى يوم دون أن أسمعهما ·· وهما فيروز واسمهان ·

●● لماذا فيروز واسمهان ؟

ـ فيروز هى الصوت الحالم ·· القيثارة التى جسدت لبنان بداخلها وصهرته من خلال شموخها وغنائها الجميل وحسها المرهف وعالمها الذى يكاد يكون عالم عرائس وأخيلة · كما أن فيروز تعكس كل صفو السماء ·

أما « اسمهان » فهى تجسيد حقيقى بالفعل للحياة فى شحمها وفى دمها ، تكاد تعكس كل سخونة الأرض ·

●● من الغناء الى الرياضة هل لك هوايات ؟

ـ كنت فى الثانوى منضما لفريق « الهوكى » ، وكنت ألعب ـ البنج بونج ـ حتى كنت عضوا فى نقابة الصحفيين ، لكن على الأقل أحس أن العمل اليدوى مهم جدا لأى واحد يشتغل عملا فكريا ، لذا فأنا حريص جدا · جدا على العمل اليدوى لمدة ثلث ساعة على الأقل ، والعمل اليدوى يبدأ بغسل الصحون وينتهى بأن ترعى شجرة صغيرة ·

●● ما العصر الذى تحب أن تعيش فيه ؟

ـ لا أحب أن أعيش عصرا غير عصرنا هذا لأنه عصر مناهج العلم والرؤية واكتمال المعرفة وتشعبها ، مما لم يكن موجودا من قبل ·

● ● وهل يمكن ان تفقد الكلمة المكتوبة جاذبيتها امام الفيديو بعد التليفزيون وما قد يستجد ؟

ـ انهم يقرأون جريدة اخبارية على شاشة التليفزيون فى أوروبا ، وفيه قنوات فقط للأخبار طول النهار ، لكن سيظل القالب المقروء له أهميته الكبيرة ، وستبقى العلاقة بين الكاتب والقارئ ، والمحلل والقارئ ، لأن اضاءة الحدث وجوانبه عمل يحتاج الى الكلمة والتعليق ٠

هذه أشياء تسعدنى

● ● وأساله :

● ● هل ترى أن الحياة الشخصية للشخصية العامة شئ يخصها فقط ؟

ويجيب :

ـ ما دمت قررت أن تكون جزءا من العالم العام ، تصبح مسئولا عن حياتك الخاصة فى القول والمسلك ، وبالتالى فالحدود الواسعة بين العام والخاص غير موجودة ولا ينبغى أن تكون موجودة ٠

● ● ومن هو صديقك ؟

ـ الذى عندما أحتاجه أجده

● ● ولماذا نراك نادر الابتسامة ٠٠ هل ذلك من سمات رئيس مجلس الادارة ؟

ويقول :

ـ عندما يكون هناك داع للابتسام أبتسم ، عندما أقرأ مقالا جيدا لصحفى شاب أبتسم اعجابا ، عندما آكون بصحبة أصدقاه عندما أسمع نكتة ٠

●● واخيرا اسال : لمن تفتح بابك ؟

فيقول مكرم محمد أحمد :

ـ أفتح بابى دائما لكل من معه خبر جديد أو تحقيق جيد ، وأظنك جربت ٠

فقلت : نعم بالتأكيد ٠

● سعد زغلول فؤاد :

قال لى الرئيس مبارك

● قال للرئيس حسنى مبارك عندما قابله :

طوال عمرى وانا فى العمل السياسى لكننى منذ ان سجنت لأول مرة عام ١٩٤١ وحتى اليـــــوم وانا معارض لكل الحكام والحض لكل الحكومات .. واليوم ولأول مرة فى حياتى آكون مؤيدا لك .. ومؤمنا بك .. لقد مكثت ١٣ سنة بعيدا عن مصر أعانى مرارة الاغتراب والحرمان من الوطن وانا الذى فى سبيل حرية هذا الوطن بذلت الكثير من الدم والعرق ، واعتصرت المعتقلات والسجون كل شبابى ورحيق عمرى ، فكم كان مؤلما ان اجدنى محروما حتى من زيارة وطنى واليوم وعلى يديك عدت الى بلدى .

فقال الرئيس : طبعا تعود الى بلدك ، مصر مفتوحة ابوابها لكل عربى .

قال المواطن المصرى للرئيس : حقيقة اول ما توليتم الحكم عارضتكم واستمررت فى معارضتكم اى اننى ظللت معارضا رافضا مثلما كنت مع الحكام السابقين .

قال الرئيس مبارك : خليك معارض أنا مزعلش من المعارضة ، اليوم فى مصر المعارضة من مقومات الدولة .

ويضيف المواطن المصرى الهارب الى باريس عبر سنوات طويلة ماضية :

لقد وجدت فى الرئيس حسنى مبارك النموذج للحاكم المصرى الذى ظللت أبحث عنه طوال السنوات الأربعين الماضية .

هذا الحوار حدث بين الرئيس مبارك وبين المناضل المصرى

القديم الذى يعيش فى باريس صحفيا يكتب فى مجلة كل العرب ،
انه سعد زغلول فؤاد الذى استطاع لأول مرة فى عهد الرئيس
مبارك أن يأتى الى مصر آمنا مطمئنا ، ومعه دار حوار طويل • بدأ
بنشاطه الوطنى منذ أن كان طالبا فى كلية الحقوق فى الأربعينات
حيث كان الاحتلال البريطانى لا يزال جاثما فوق الصدور ، وفى
مظاهرة تضم حوالى أربعين ألف طالب وقف بينهم سعد زغلول
فؤاد خطيبا ، موجها انذارا الى دولة الاحتـــلال بالجلاء والا فعلى
بريطانيــا أن تتحمل ما سوف يسيل من دماء ، وهتف : تحيـا
الثورة • الثورة يا مصر الثورة ، وطافت المظاهرة كليات جامعة فؤاد
الأول « سابقا » ـ القاهرة الآن ـ مرددة هذا الهتاف •

يقول سعد زغلول فؤاد « مستعيدا ذكريات هـذه الأيام من
شهر نوفمبر ١٩٤٥ » « كان معى زميلى المرحوم مصطفى موسى رئيس
الطلبة الوفديين ، وبعد هذه المظاهرة صدر قرار مجلس الجامعة
برئاسة على ابراهيم باشا بفصلى وزميلى نهائيا من الجامعة ، فرد
الطلبة بالاضراب احتجاجا على هذا الفصل ، فدعا محمد حسنين هيكل
باشا رئيس مجلس الشيوخ الى اجتماع حضره مندوبون عن الطلبة
يعرض فيه عودتى وزميلى الى الجامعة والغاء قرار الفصـل بشرط
تقديم اعتذار ينشر فى الصحف ، فرفضنا هذا الشرط وأصدرنا بيانا
نشر فى صحيفة « البلاغ » نقول فيه « لن ندنس أيدينا باعتذار » •

جمعية سرية فى المستشفى

وبعد الفصل من الجامعة ورفض الاعتذار للعودة قدم سـعد

زغلول فؤاد أوراقه الى الجامعة الأمريكية بقسم الصحافة ، وفى المساء يدرس فى «الحقوق» اللغة الفرنسية ، ولكن فى العام التالى وبالتحديد في ٢١ فبراير ٤٦ تلاحقت الأحداث ، يقول سعد « في هذا اليوم الذى كان يسمى يوم الجلاء قامت مظاهرة أسقط فيها الانجليز برصاصهم اكثر من عشرين شـــهيدا بميدان التحرير ، وكنت أحد الذين يساعدون فى نقل الجرحى الى أن أصبت أنا الآخر مع من كنت أنقلهم من الجرحى الى المستشفى ، وفيها كونت وزملائى جمعية سرية لاغتيـال جنود الاحتـلال الانجليزى ، فقـد أقسمنا الا هتـافات ولا مظاهرات وانما سنقاوم السلاح بالسلاح ، قنابل نلقيها على تجمعات جنود الاحتلال ».

أما كيف تحصل هذه الجمعية السرية المكونة من طلبة الحقوق على القنابل ؟ يقول سعد زغلول فؤاد « كنا نحصل على القنابل بواسطة أحد العمال المصريين بمعسكر الانجليز بالعباسية ، كما كان الضابط مجدى حسنين يحصل لنا على القنابل بسرقتها من الجيش الانجليزى » .

ولكن هل كانوا يضربون غير الانجليز ممن يتعاونون معهم ؟

يقول محدثى « لم نكن نضرب غير العسكريين من الانجليز ، وقد حاولت معنا بعض الأحزاب أن تقوم باغتيال بعض الأســماء المصرية العميلة ، ولكننا رفضنا أن نقتل مدنيا واحدا ولو كان خائنا » .

واذكر ـ يضيف سعد زغلول فؤاد ـ انه في يوم ١١ يوليو ١٩٤٦ ذكرى ضرب الانجليز للاسكندرية ، وقفت على كوبرى قصر النيل من ناحية ميدان التحرير خلف تمثال الأسد ، حيث كان موجودا فى هــذه المنطقة فندق سميراميس ، مقر قيـادة الانجليز ومعسكراتهم ، وعندما نزعت مسمار الأمان وهممت بقذف القنبلة

من خلف تمثال الأسد بكوبرى قصر النيل ، على ثلاثة جنود انجليز ، لاحظت على رصيف آخر مصريا معمما ، فتراجعت عن القاء القنبلة ، وضغطت على مسمارها خشية اصابة هذا المواطن المصرى ، مفضلا لو حدث وانفجرت القنبلة أن تنفجر فى ولا يصاب بها برىء ، وفوجئت بزميلين كانا فى حمايتى هما صلاح محمود لصالح ، وعباس حسن .. يقتربان منى ويسألانى :

لماذا لم تلق بالقنبلة ، فقلت ابتعدوا قبل أن تنفجر ، وحينما شاهدت سبعة من الجنود الانجليز ألقيت بالقنبلة عليهم » .

وهنا يجب أن نتوقف ونقارن بين هذا الموقف ، وبعض من يحملون مدافعهم يطلقونها فيصيبون الأبرياء الذين لا ذنب لهم ولا جريرة ، سوى أنه يتصادف مرورهم فى الوقت الذى يطلق فيه حملة رصاص الارهاب طلقاتهم على هدف حاكموه غيابيا ، وحكموا عليه بالاعدام حتى ولو كان هذا الهدف لا يختلف معهم سوى بالكلمة يملكها ، فرق بين الكفاح الوطنى وبين الارهاب ، ولنتذكر مع ضيفنا سعد زغلول فؤاد وزملائه الطلبة كيف كانوا لا يمارسون الارهاب ضد مواطن مدنى حتى لو كان خائنا عميلا .

رئيس محكمة شجاع

يقول محدثى « فى يوم عيد جلوس الملك فى ٦ مايو ١٩٤٧ قررنا أن نحدث أكبر عدد ممكن من الانفجارات فى القاهرة حتى نطفىء أنوار الأفراح المصطنعة بعيد الجلوس ، فالقيت وزملائى قنابل على دار وزارة الأغذية الانجليزية ، ومبنى الاستعلامات الانجليزية ، وكنا حريصين الا تحدث هذه الانفجارات الا بعد خروج الموظفين بحيث تخلو هذه الأبنية تماما بحيث لا يصاب أحد ، ولكن حدث ما لم نتوقعه ، فقد انفجرت قنبلة فى سينما « مترو » وأصيب

مصريون ، وانتابنا الفزع فمن الذى ألقى هذه القنبلة وأصاب المدنيين ؟ لقد كنت قد كلفت « كورت » الألمانى ، وكان أسيرا هاربا ضممناه الى جمعيتنا السرية ، كلفته والمرحوم كمال يعقوب يضرب السفارة الانجليزية ولكنهما لم ينجحا لشدة الحراسة على السفارة فظننت أنهما فجرا بدلا منها سينما مترو ، وتمت محاكمتهما وثبتت براءتهما ، واتضح أن الذى القى القنبلة على السينما هو عملاء الصهيونية فى مصر .

يستكمل سعد زغلول فؤاد ذكرياته فيقول :

بعد نجاح هذه الانفجارات فى منشآت انجليزية اختفيت هاربا ، فتم رصد عشرة آلاف جنيه ـ بأسعار ذلك الزمان ١٩٤٧ تعتبر ثروة ضخمة ـ لمن يرشد عنى ، ونشر اعلان بذلك فى الاذاعة والصحف وظل ذلك الاعلان يتردد يوميا الى أن تم القبض على بعد ذلك ، بواسطة أحد العملاء ، ولكنه لم ينل سوى عشرة جنيهات فقط ، ونال العشرة آلاف جنيه « ألمانى » كان المسئول عن توريد أسرى الألمان الذين كنا نضم بعضهم الى جمعيتنا ، فكان أول المرشدين عنى ، وظلت محاكمتى وزملائى سنتين ، وكانت محاكمة وطنية ترافع فيها ثلاثة وثلاثون محاميا كان على رأسهم مكرم عبيد باشا الذى وقف يترافع ببلاغته المعروفة قائلا : « اذا كنا لا نعاقب اذا أطلقت الأعيرة النارية فى الأفراح ابتهاجا . فكيف نعاقب عليها اذا ما أطلقت احتجاجا » وترافع المحامون الآخرون متحدثون عن جرائم بريطانيا ضد الشعب المصرى وانتهت المحاكمة بالسجن مع الأشغال الشاقة ، ثم خففت الى حدها الأدنى بالحبس سنتين ، وكنت وزملائى قد قضينا ثلاث سنوات ، فأفرج عنا ، وصرح رئيس المحكمة حسن بسيونى للصحف

بقوله « لو استطعت أن أحكم بالبراءة لحكمت بالبراءة » وقال فى الحيثيات « ... واستفزتهم اعتداءات جنود الاحتلال على المواطنين المصريين ، ومع صغر سنهم أساءو اختيار الوسيلة » .

دون تفتيش

ومن مرحلة الجهاد بالقنبلة انتقل الكفاح بالكلمة ولكن كان لابد من العودة للقنبلة مرة أخرى أمام محتل لم يعد فى الامكان ازاحته الا بالقوة .

يستمر محدثى سعد زغلول فؤاد متذكرا فترة من التاريخ ، فيقول « بعدما خرجت من السجن عملت بالصحافة فى جريدة « الجمهور المصرى » واستخدمت الكلمة كوسيلة للمقاومة فكشفت أوكار الاحتلال وعملائهم ، وحملت على البوليس السياسى ، وظللت هكذا الى أن الغيت معاهدة ١٩٣٦ ، وبدأ الكفاح فى منطقة القناة ، فتطوعت فى فرق الفدائيين فى التل الكبير قائدا لكتيبة خالد بن الوليد التى كان المتطوعون فيها من طلبة جامعة القاهرة والاسكندرية ، وكان القائد المباشر لى وجيه أباظه .

وكانت قيادة قوات الفدائيين تتكون من مجموعة من القيادات الوطنية من مختلف الفئات ، أذكر أنها كانت تضم احسان عبد القدوس ، وأحمد أبو الفتوح ، وجمال عزام ، وعبد الوهاب حسنى المحامى ، ومدحت عاصم الذى كان يستثمر ملامحه التى يتوه فيها الانجليز فكان يأتى لنا عبر ممرات التفتيش يرتدى جاكتة قطيفة خضراء ، وقبعة قطيفة خضراء أيضا كان يرفعها لتحية الانجليز عبر ممرات التفتيش فيحسبونه واحدا منهم فيسمحون له بالمرور دون تفتيش رغم انه كان يحمل السلاح لنا » !

احتجاجات دبلوماسية بسببى

وتقوم الثورة ويمضى الانجليز حاملين عصاهم يرحلون ، ولما كانت الديموقراطية لا تبدو بوادرها فقد كان محدثى واحدا ممن اعتقلوا لمطالبتهم بالحرية والديموقراطية وأفرج عنه فى ١٩٥٦ وفى يوم جلاء جنود الاحتلال بعد فشل العدوان الثلاثى يحكى سعد زغلول فؤاد ماذا فعل فى ذلك اليوم وماذا فعل به بعد ذلك •

كنت مندوبا لمجلة روزاليوسف الى بورسعيد لتغطية انسحاب قوات العدوان الثلاثى ، وأردت استطلاع رأى القنصل الانجليزى والقنصل الأمريكى فأغضبونى وأغضبتهم ، وذهبت الى القنصلية السوفيتية فاعترضنى أحد المخبرين المصريين •

ورأى القنصل الروسى المشهد ، وكانت نتيجة ما حدث ثلاثة احتجاجات ، من القنصلية الانجليزية والأمريكية ، والروسية التى احتجت على وجود حارس مصرى منعنى من الدخول ، وكان لتلك الحادثة أثر فيما بعد عندما أصدر خالد محيى الدين جريدة المساء فعيننى محررا فيها ، ولكن زكريا محيى الدين اعترض على تعيينى أنا وثلاثة آخرون هم لطفى الخولى ، محمود عبد المنعم مراد ، على الشلقانى ، وكان اعتراض زكريا محيى الدين بالنسبة لى على أساس اننى أثرت مشاكل دبلوماسية أثناء عملى الصحفى ، فعملت بالقطعة ، وكتبت مقالا بعنوان « مؤامرات ضد الشعب المصرى » •

فى البلاد الغربية

ولم يجد محدثى بدا من السفر خارج الحدود إلى الجزائر

مندوبا عن مجلة « روزاليوسف » لتغطية ثورة الشعب الجزائرى ، ولكن سعد زغلول فؤاد منع من السفر فذهب للدكتور عبد القادر حاتم رئيس هيئة الاستعلامات يستفسر منه عن سبب منعه من السفر فأخبره بان ذلك بناء على تعليمات من جهات الأمن ، فقرر أن يغادر البلاد هاربا عبر الحدود الى بنغازى فشارك فى مظــاهرات هناك ضد الاحتلال الايطالى ، ثم ذهب الى طرابلس ومنها الى الجزائر بمساعدة جمعية المختار ، وجيش التحرير ، ومن الجزائر وافى مجلة « روزاليوسف » و « صباح الخير » ، واذاعة صــوت العرب ، بريبورتاجات عن ثورة الجزائر ، وتابع سعد زغلول فؤاد تنقله من بلد عربى الى آخر ، يقــول « اعتقلت فى المغرب لمــدة أربعــة شهور على يد سفاح العصر « بوفقير » بسبب مقال كتبته ضــد الحرب التى شنها ضد الجزائر ، وفى بغداد خطف جنود عبد الكريم قاسم كاميراتى وشجوا رأسى بكعوب بنادقهم انتقامــا منى بسبب ما كنت أبعثه من أخبار وربيورتاجات عن أعمال عبد الكريم قاسم فى العراق ، وقام عبد المجيد فريد الملحق العسكرى المصرى بالعراق بتهريبى الى الكويت ، واتهمت هناك بالشيوعية وحبست حتى وصل أمرى الى أحمد بهاء الدين رئيس تحرير « صباح الخير » وأجرى اتصالاته التى انتهت بالافراج عنى ، وسفرى الى سوريا ·

هذا هو الحاكم الحقيقى

وظل سعد زغلول فؤاد مطاردا ومعارضا سياسة كل العهود من عبد عبد الناصر الى السادات الى بدايات عهد الرئيس حسنى مبارك حتى وجد فيه الحاكم المصرى الحقيقى ·

يقول « لقد وجدت فيه مصريا حقيقيا ينبض بالوطنية وبالحرية

وأود أن أشارك بقلمى فى مسيرة الديمقراطية التى تعيشها مصر ، وعندما سمح لى الرئيس مبارك بالعودة وجدت شقتى قد اغتصبت خلال غيابى عن مصر ولكنى سأعود فالحياة على الرصيف فى ظل مناخ الحرية والديمقراطية أفضل مليون مرة من الحياة فى قصر فى أمة مستعبدة » .

● د . عاطف العراقى :

مساحة الخرافة أكبر من مساحة العقل

● ازعجنى محدثى بتحليلاته وتفسيراته واجاباته على أسئلتى ..
فهو يرى انه لا يوجد عندنا اديبة واحدة حقيقية رغم شهرة بعضهن على مستوى الوطن العربى ، وهو يرى أن الغزو الثقافى ينبغى أن نرحب به لا ان نطلق صيحات النفير والتحذير منه ، وقال ان أمريكا على قوتها وتقدمها أكثر تخلفا من فرنسا وانجلترا ، ومن رأيه أن جائزة نوبل لا يوجد عربى تنطبق عليه شروطها الموضوعية كما يقول ، وان انتاج ادبائنا فى هبوط وليس فى صعود ، ويسمى الشعر الحر « الشعر السايب » ، ويؤكد ان مصر يمكن ان تعود لمجدها لو تم وضع كبار ادبائنا ومفكرينا على راس الصحافة المصرية ، وأكثر من موضوع طرقناه مع د. عاطف العراقى أستاذ الفلسفة بجامعة القاهرة وخبير الفلسفة بمجمع اللغة العربية وصاحب أكثر من عشرين كتابا منهـا النزعة العقليـة فى فلسـفة ابن رشـد ، الفلسـفة الطبيعيـة عنـد ابن سـينا ، مذاهب فلاسـفة المشرق ، تجديد فى المذاهب الفلسفية ، الميتافيزيقا فى فلسفة ابن طفيل التى حصل بها على جائزة الدولة التشجيعية ، وهو عضو لجنة الفلسفة والاجتماع بالمجلس الأعلى للثقافة وعضو لجنة ابن رشد ، واتحاد الكتاب وهو صاحب فكر عقلى نقدى ينشره فى الصحف المصرية والعربية ، ولذلك كان الحوار ساخنا .

● ● وبدأته بسـؤالى الأول عن رأيه فيما يقال بأن دراسة الفلسفة قد تؤدى بصاحبها الى الالحاد ؟ .

فقـال د. عـاطف العراقى : ليس ذلك بالضرورة لأن ميـزة الفلسفة فى جانبها العقلى النقدى ألا يكون الانسـان امعة ولذلك تقترن الفلسفة بالعقل مع حب العلم ، لهذا فأنا لا أسلم بكل شىء حتى لو اجتمع على الموافقة عليه كل الناس ، ولذلك أنا أتعجب مثـلا

ممن يهاجمون الحضارة الغربية ويستفيدون بثمارها ، وأعجب لمن يخافون تلك الحضارة فهل نحن محتلون لنخاف ، فبدلا من أن نخاف قوة الحضارة الغربية علينا أن نكون أقوياء لأنه ليس مطلوبا من القوى أن يضعف ولكن مطلوب من الضعيف أن يقوى ، كذلك يقلقنى المتهافتون على ربط القرآن الكريم بالنظريات العلمية رغم أنها متغيرة والقرآن ثابت •

● ● ولكن لا يوجد تناقض بين العلم والدين ، فاذا كان العلم قائما على العقل فان الدين أيضا يدعو الى استعمال العقل ويحث على طلب العلم ولو فى الصين وطلب العلم من المهد الى اللحد والعلم فريضة على كل مسلم ومسلمة ؟ •

ـ هذا صحيح فالدين يدعو الانسان الى التأمل والبحث العلمى فى الكون والانسان ، ولكن من الخطر أن نحاول المطابقة بين النظريات العلمية والآيات القرآنية لأن هناك الجديد الذى يغير هذه النظريات •

● ● الا ترى ان الحضارة الاسلامية التى قامت بفضل الدين هى التى كان لها الفضل فى وضع أقدام أوربا على عتبات النهضة ؟

ـ لا أحد ينكر ذلك فقد استفادت أوربا من الحضارة الاسلامية ولم نستفد نحن ، فبعد العصر العباسى حدث نوع من الانهيار الفكرى وسادت الخرافات فى حين أن أوربا قدست المنهج العلمى ، ويكفى دليلا على هذا أن العالم العربى يعتز بالغزالى وابن تيمية رغم أنهما نموذجان غير عقلانيين ، بينما اختارت أوربا ابن رشد كنموذج لأنه فيلسوف عقلى بالاضافة الى أنه طبيب أيضا •

● ● نريد تفصيلا أكثر لداءات التخلف عندنا ؟

ـ أولا غياب القدوة فلم يعد المثل الأعلى نماذج اجتهدت

وصنعت نفسها بعصاميتها كطه حسين ، ولكن أصبح المثل هو لاعب الكرة والفنانون والراقصات والوصوليون .

أيضا وقوفنا عند التراث وتقديسنا له وكان ينبغي أن نأخذ منه ما يفيدنا ونضيف اليه تطورات العصر فلا يتحكم فينا التراث ولكن نحن الذين يجب أن نتحكم فيه .

كذلك اسرافنا في التفكير المحلي ، لهذا لم يحصل أديب عربي على جائزة نوبل (*) .

● فقاطعت د. عاطف العراقي قبل أن يكمل عرض داءات تخلفنا ـ ولكن جائزة نوبل ليست موضوعية وتدخل فيها عوامل سياسية ؟ .

ـ لقد درست كل ما يتعلق بهذه الجائزة وتأكد لي أنها موضوعية الى أقصى درجة ، فاذا لم يحصل عليها أديب عربي فالعيب فينا وليس في من يمنحونها ، لأنه لو واحد حصل على جائزة في الثانوية ولم يقبل في معهد رياضي فذلك لأنه ليس رياضيا وان كان متفوقا دراسيا ، فشروط الجائزة لا تنطبق علينا ، ومن الشروط أن يكون انتاج الأديب في صعود وليس في هبوط حين ترشيحه للجائزة ، ولو طبقت هذا على أدبائنا لوجدت أن انتاجهم في هبوط فليس الحكيم أو نجيب محفوظ أو يوسف ادريس في انتاجهم الآن كانتاجهم زمان ، كذلك الجيل الجديد من الأدباء يكتبون وعيونهم تجارية على شباك المسرح والسينما ومسلسلات التليفزيون .

(*) كان ذلك قبل حصول نجيب محفوظ على الجائزة .

لو حدث هذا

لعاد مجد مصر

ويضيف د. عاطف العراقى مكملا تشخيصه لداءات تخلفنا ــ سببا آخر لتخلفنا هو الهجوم على العلم والعقل ، ومثل ذلك شائع فى مصر بطريقة مستهجنة ، فهناك الخوف من الغزو الثقافى ، وأنا لا أصدق وجود ذلك الغزو ، فالعصر العباسى مثلا كان مفتوحا لكل التيارات واستفاد منها واستفادت الحضارة العالمية منه ، واذا أنا قارنت ذلك العصر بعصرنا فأجد مضحكات مبكيات ، فحين نسمع عن شاب قتل أمه وأباه ويجدون فى مكتبته بعض الكتب عن الفلسفة الوجودية فيقال انها السبب الذى دفعه لاغتيال والديه ، فاننى لا أملك الا الحزن لهذا التفكير السطحى لأنه لم يوجد فيلسوف « وجودى » قتل أباه أو أمه ، وحينما كتبت مقالا فى حينه لتوضيح وجهة النظر الأخرى ، لم ينشر المقال ، وهذه مشكلة أخرى من مشاكلنا وهى أنه لا يتاح للرأى الآخر فى القضية الواحدة أن يدلى برأيه ولا يسود سوى أصحاب الصوت العالى .

كذلك اذا نظرت لوسائل النشر تجد أن نصيب الخرافة فيها أكثر بكثير من نصيب العقل ، كذلك تجد بعض المتحدثين الدينيين ينمون اللامعقول فى الرءوس ، لذلك أنا أرى أنه لو أصبح على رءوس أجهزتنا الاعلامية مفكرون كبار لانصلحت أحوالنا ، وعلى سبيل المثال لو كنا جعلنا توفيق الحكيم وزكى نجيب محمود ونجيب محفوظ ويحيى حقى رؤساء لتحرير صحفنا لتغيرت مصر .

● ● ولكن هذه القمم الفكرية فى اعتقادى لن يوافقوا على اقتراحك ؟

ــ رفضهم سيكون نوعا من الاحباط حزنا على المأساة الفكرية

فى مصر ، لكن لو أعطيتهم كل الامكانيات وكل واحد عنده رأيه يقوله لأصبح حالنا غير الحال ولعادت مصر لسابق مجدها .

● ● وأنت عضو فى لجنة الفلسفة والاجتماع بالمجلس الأعلى للثقافة .. لماذا لم تفعلوا شيئا ؟

ـ لجنة الفلسفة والاجتماع لا تملك الأموال التي تجعلها تتحرك ، والمجلس الأعلى للثقافة لا يمكن أن يؤدى عمله الا اذا كان هيئة مستقلة ماليا . ولكن ما المانع الآن لأن يكون جزء من ميزانية الثقافة للمجلس الأعلى ؟ اننا نبحث عن خمسة جنيهات مكافأة للأعضاء فلا نجد ، وهناك كتب أصدرها المجلس الأعلى للثقافة منها كتاب عن أستاذ الجيل « لطفى السيد » لم يصدر وله أربع سنوات بل لا توجد مجلة فلسفية واحدة فى مصر .

● ● مع كل احترامنا للفلسفة يادكتور فمن يقرأ غير فلسفة الحياة وواقعها الصعب حيث لا يعنى المواطن غير البحث عن لقمة العيش ؟ .

ـ من الذى قال ان الفلسفة بعيدة عن نبض الجماهير ، والدليل عن نفسى ـ متواضعا ـ لا توجد مشكلة ثقافية أو فكرية فى مصر الا وتكلمت فيها من قضايا الفن الى قضايا تنظيم النسل ، فالمثقف لا يقف عند تخصصه بل يتجاوزه الى ما يهم المجتمع .

لماذا لا توجد
امرأة فيلسوفة ؟

● ● رغم تقدم مصر القديمة فلم نعثر فيها على فيلسوف .. لماذا ؟ .

بسبب الكهنة لأنهم كانوا قيدا على كل فكر حر ، فلا يهمهم الا التفسير الضيق للدين ، وعندما ظهرت جذور فلسفية عند « اخناتون » عن التوحيد ، حاربه الكهنة وقضوا على دعوته •

● ● مصر الآن والعالم العربى يرى د• زكى نجيب محمود انه لا يوجد فيها فيلسوف واحد •• فما رأيك ؟ •

ـ لقد انقطع وجود الفلاسفة فى العالم العربى منذ وفاة ابن رشد فى ١٠ ديسمبر ١١٩٨م ، والسبب فى عدم وجود فيلسوف عربى هو سيطرة الفكر المتزمت ، فكل من يقول برأى فيه جرأة يقومون بتكفيره ، فوجود الفيلسوف مرتبط بالمجتمع الحضارى ، فبينما غيرنا صعد الى القمر ، مازلنا نحن نبحث فى قضية الأصالة والمعاصرة ، بل انه لا توجد لدينا شخصية فى أى شىء ، انظر الى الشارع المصرى حتى فى الأزياء تجد تشكيلة •• فهذا يرتدى جلبابا ، وذاك يرتدى بدلة ، وثالث يرتدى عباءة ، هذا عارى الرأس ، وذاك يلبس طاقية ، فحتى الأزياء لا توجد لنا شخصية أو زى وطنى نتميز به ، فكيف يمكن أن يوجد فيلسوف ، لقد أصبحنا أصحاب توكيلات فكرية مستوردة فهذا يعبر عن الوجودية ، وثان يعبر عن الماركسية ، وثالث يعبر عن الرأسمالية ، وهكذا •

أيضا تجد أن أصحاب الثروات لا يشجعون الا الفكر الرجعى مثل « العمدة » الذى يحكم قرية لا يهمه أن يتعلم أحد فيها لأن ذلك سوف يفتح العيون على انتقاده مما يهدد حكمه ونفوذه •

● ● ولماذا لا توجد امرأة فيلسوفة ؟ •

ـ المرأة لا صلة لها بالفلسفة لغلبة الناحية العاطفية عليها لأن من المفروض فيمن يتعامل مع الفلسفة أن يكون عقلانيا

موضوعيا ، بل حتى فى مجال الأدب الصادق لا تنجح المرأة لأن المرأة ذاتية فلا ينتظر منها على مستوى العالم كله أن تنتج أدبا عالميا يتجاوز الذات .

● ولكن هناك فلانة ، وفلانة ، وفلانة من الأديبات القديرات ؟ .

ـ انها الدعاية التى صنعت من تتحدث عنهن ، فكل أعمالهن الأدبية ان لم يكن كلها لا تساوى شيئا ، ولكن الدعاية المكثفة هى التى تجعل من أعمال من تسميهن أديبات ، قيمة من أثر الضجيج ، ولكن فى المنظور النقدى الصحيح تجد أعمالهن فى غاية .. و .. » .

ولذلك فلا توجد عندنا امرأة أديبة ولا يوجد عندنا امرأة ينتظر أن تكون بارعة فى الفكر العقلى ، أقول ذلك رغم اعتزازى بالمرأة .

اسلحة الخرافة

● نتجاوز حدودنا الى الحدود الدولية كيف ترى مستقبل تقدم أوربا وامريكا امام غياب الأخلاق هناك ؟ .

ـ الفرق بين الحضارة والمدنية أن الحضارة لها أساس أخلاقى ، ولكن المدنية ليس بالضرورة أن تقوم على أساس أخلاقى ، فمن الممكن لفلان أن لا يعرف كيف يكتب اسمه ، وسلوكه وعلاقاته متخلفة ومع ذلك يركب سيارة على أحدث طراز ، فهو عند ذلك انسان متمدين ، ولكن سلوكه متخلف فلا يكون متحضرا ، ولذلك تجد أن أمريكا « مدنية » أكثر منها « متحضرة » ، بالمقارنة مثلا بفرنسا وانجلترا اللتين هما أكثر حضارة منها ، لذلك فأمريكا متخلفة حضاريا بالنسبة لفرنسا وانجلترا ، لأنه فى زحمة الاختراعات

المدنية نسيت أمريكا البعد الانسانى والجانب الخلقى ، فأصبحت القوة المادية لديها هى المقياس والمعيار ، لذلك لا تجد فيها لا آداب ولا فنون واذا وجدت فهى مذاهب أدبية تكون فيها عالة على العلماء المهاجرين اليها ، بعكس انجلترا وفرنسا اللتين تزدهر فيهما الآداب والفنون وتخرج منهما مذاهب عالمية :

● ● ما رأى الفلسفة فى قضية الفن للفن أو الفن للحياة ؟

ـ أنا من أنصار الفن للفن لأن للفن قواعد لا يصح أن أحطمها عن طريق ربط الفن بالمجتمع ، لذلك فما نسمعه من أغان فى مناسبات وطنية هى أغان استهلاكية ضعيفة فنيا ، ولذلك تموت بمجرد ولادتها ، وكذلك الشعر كفن من الفنون لابد أن يلتزم بالوزن والقافية فاذا أخرج عن قواعده لم يعد فنا ولذلك فالشعر المسمى « بالحر » اسميه أنا « الشعر السايب » ، ولهذا فاغلب شعرائنا المعاصرين الآن غير جديرين بلقب « شاعر » •

● ● وأسال د• عاطف العراقى : هل تجد صدى لآرائك التى تنشرها فى مصر والعالم العربى ؟ •

ـ يقول أستاذ الفلسفة : لا يوجد صدى لأن للخرافة أسلحة أكثر ، ولو استعرضت خريطة العالم العربى تجد مساحة الخرافة أكبر من مساحة العقل ، وكلما تقدم العقل خطوة ، تصدت له الخرافة لتؤخره خطوات الى الوراء •

ولذلك أرى أن التقدير لما أبديه من آراء قد يأتى مستقبلا •

د . محمود عودة :

ورأى علم الاجتماع فيما حدث للمجتمع المصرى

● لا شك أن كل ما طرأ على المجتمع المصرى .. هى تغييرات مؤقتة ، وليست ظواهر دائمة لأن طبيعة الشخصية المصرية لا تقبل أى قيم هابطة كما دلت على ذلك تجارب الغزو الأجنبى عبر التاريخ المصرى الطويل ، وهذا ما يطمئننا على الشخصية المصرية فى ظل التحولات الاجتماعية الحالية ، التى تبدو أشبه بالنار التى تصهر مجتمعنا فتذيب الخبث والشوائب والدخيل علينا ، وتبقى على الجيـــد الأصيل من شخصيتنا .

وحتى نعرف أين نحن الآن ، علينا أن نشخص أدواء المرحلة التى نعيشها ، لنكون على بصيرة ووعى ونحن نضع قائمة العـلاج المطلوبة .

● ● فما أهم هذه المتغيرات التى حدثت فى مجتمعنا خاصة خلال الخمس عشرة سنة الماضية ؟

يحدثنا الدكتور محمود عودة أستـــاذ علم الاجتمـاع ورئيس قسم الاجتماع بجامعة عين شمس ، فيقول :

نستطيع أن نقول أن ثمة تغيرات كبرى قد حدثت فى المجتمع المصرى خلال الخمس عشرة سنة الأخيرة ، وهى تغيرات بحكم عمقها وجذريتها وشمولها لكافة الأصعدة الاجتماعية ، والاقتصـــادية ، والسياسية ، والثقافية ، والفكرية ، يمكن أن نصفها بأنها تحول اجتماعى بالمفهوم الدقيق للكلمة .

بين ٦٧ و ٧٣

● ● هل انعكست هذه التغيرات على الشخصية المصرية ؟

ـ لقد شملت التغيرات التى جرت الى الدرجة التى انعكست فيها على سمات وخصائص الشخصية المصرية التى كان من المعتقد أنها تتمتع بدرجة عالية من الثبات والاستمرار النسبيين ٠

كالارتبـــاط بالأرض والوطن ، وغير ذلك من الســـمات والخصائص ٠

● ● متى بدأت هذه التغيرات ؟

ـ الحقيقة أن هذه التغيرات قد بدأت فى الاتجاه الذى اتخذته فيما بعد ، اثر هزيمة يونيو ١٩٦٧ ، وهى الهزيمة التى ضربت فى الصميم ، المشروع القومى الذى قاده جمـــال عبد النـــاصر فى الستينات ، اقتصاديا وسياسيا ٠

● ● ومتى تبلورت ؟

أخذت هذه التغيرات تتبلور فيما عرف بسياسة الانفتـــاح الاقتصادى ، التى تبنتها الدولة رســـميا ، كأيديولوجيا سياسية واقتصادية بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣ ٠

● ● ولكن الانفتاح كان له غاية طموح فى بداية الأمر ؟ ٠

ـ هذا صحيح ، فقد تمثلت سياسة الانفتاح الاقتصـــادى ـ نظريا ـ فى بداية الأمر ، فى اتاحة الفرصة أمام تعددية النشاط الإقتصادية وتشجيع الاستثمارات الخاصة ، وجذب رأس المـــال العربى والأجنبى للاسهام فى مشروعات التنمية ٠

• • اذن فقد كانت النوايا طيبة ؟

ـ ربما كانت تلك هي النوايا الطيبة التي دفعت الى تبني مثل هذه السياسة على المستوى الرسمي .

• • فما الذي حول هذه النوايا الطيبة الى واقع سلبي ؟

واقع الأمور قد يخذل النوايا في كثير من الأحيان ، وهنا نأتي الى تقييم عام لسياسة الانفتاح بعدما آلت اليه نتائجها بعدما يزيد على العشرة أعوام .

معيار موضوعي

• • قبل تقييم سياسة الانفتاح .. لماذا انقسمت الآراء حوله مؤيدين ومعارضين ؟

ـ لابد أن نشير الى أن كل تحول اجتماعي ينتج آثارا ، يراها البعض ، ايجابية وطيبة ، ويراها البعض الآخر ، بوصفها آثارا سلبية فليس ثمة حكم قيمي أو موحد ومطلق على نظام اجتماعي ما ، أو تغير اجتماعي ما ، ذلك لأن التحول الاجتماعي ، مهما كانت أهدافه ومراميه ، فانه في الوقت الذي يضر فيه بمصالح البعض « وأعني بعض الفئات الاجتماعية » ، فانه يفيد البعض الآخر ، ومن ثم فان الحكم على التحول الاجتماعي مرهون الى حد كبير بنوعية المصالح الاجتماعية والاقتصادية التي ينطلق منها هذا الحكم .

• • هل يعني ذلك أنه لا يوجد معيار موضوعي للحكم على نتائج التحولات الاجتماعية ؟ .

ـ نعم .. ليس هناك معيار موضوعي للحكم على نتائج التحولات الاجتماعية الكبرى ، ويظل هذا المعيار الموضوعي محكوما بما اذا كان التحول يحقق مصالح القلة أو الكثرة من أفراد المجتمع وفئاته

وطبقاته ، وما اذا كان التحول الاجتماعى هذا يؤدى الى نمو قدرة المجتمع على اشباع حاجات أفراده ، أو يؤدى الى زيادة اعتماد المجتمع على غيره فى مواجهة هذه الحاجات .

● ● فلنحاول الآن تقييم الانفتاح طبقا للاعتبارات التى ذكرتها .

ـ ليس من شك أن سياسة الانفتاح التى جرى تبنيها فى حقبة السبعينات كان لها آثار بعيدة المدى على مختلف جوانب الحياة الاجتماعية والاقتصادية ، تتضح فى قضية اعادة توزيع الدخل القومى فى مصر لصالح فئة معينة من الأثرياء ، حيث انعكس نمط النمو فى هذه المرحلة على نمط توزيع الدخل بين شرائح المجتمع .

● ● هل يمكن الاستدلال ببعض الاحصائيات للتعرف بشكل عام على النتائج الاجتماعية الملموسة ؟ .

طبقا لأحد تقارير البنك الدولى لعام ١٩٨٠ ، ارتفع نصيب أعلى ٥٪ من السكان دخلا من ١٧٪ فى أواخر الستينات الى ٢٢٪ فى أواخر السبعينات ، بينما انخفض نصيب أفقر ٢٠٪ من السكان من ٧٪ الى ٥٪ خلال نفس الفترة .

● ● على أى شىء يدل ذلك ؟

ـ يدل على أن توزيع الثروة فى مصر قد ازداد اختلالا لصالح الفئات العليا على حساب الفئات الدنيا ، وضاعف من آثار ذلك على البنية الاجتماعية ، موجات التضخم التى اجتاحت مصر فى نفس الحقبة ، والتى تراوح معدلها بين ٢٠٪ و ٣٠٪ فى المائة سنويا .

ويكشف ذلك عن وجود هوة واسعة بين ما تحصل عليه الطبقات العليا من جهة أخرى .

تطلعات استهلاكية

● ● الى أى مدى كان الانفتاح انتاجيا ؟

ـ نستطيع أن نقول أن سياسة الانفتاح الاقتصادى لم تتمخض فى نهاية الأمر عن تسمية قدرات المجتمع الانتاجية كما كان مأمولا ، وزيادة اعتماده على ذاته ، بل ربما أدت فى كثير من الأحيان الى نتائج عكسية ، تمثلت فى ضعف القدرات الانتاجية للمجتمع ، وضعف قدرته على اشباع احتياج أفراده ، ومن ثم زيادة اعتماده على الخارج واندماجه مع النظام الرأسمالى العالمى .

● ● ما الذى يوضح ذلك ؟

يتضح ذلك بجلاء فى التناقص الحثيث فى انتاج الغذاء ، والتزايد المستمر فى معدلات المواد الغذائية وغيرها ، ونمو النشاطات الاقتصادية الطفيلية .

● ● اذن أصبح الانفتاح استهلاكيا ؟

بطبيعة الحال ، وتمثل ذلك فى ترك الأبواب على مصاريعها أمام التغلغل السلعى الاستهلاكى ، من خلال الاستيراد غير المراقب .

● ● وهل أثر ذلك على القطاعات الوطنية المنتجة ؟

أثر تأثيرا سلبيا ، بل وترك نفس التأثير على مجمل البنية الاجتماعية .

● ● تقصد القيم الاجتماعية والأخلاقية ؟ .

هو كذلك .

● ● كيف حدث ذلك ؟ .

من خلال رفع التطلعات الاستهلاكية والقيم المرتبطة بها ،

وتنمية وتدعيم القيم الفردية « قيم الكسب والشـــطارة والفهلوة والمتعة » فى مقابل تهديد القيم الجماعية والانتاجيــــة ، طالما أن النشاطات الطفيلية أصبحت هى التى تحظى بنصيب الأسد من الدخل .

آثار الهجرة

● ● هل توجد علاقة بين التغيرات التى حدثت وبين الهجرة للخارج ؟ .

واكب هذه التغيرات فى السياسة الاقتصادية وصاحبه وترتب عليه ، تبنى سياسة حرية حركة العمـــــل ، وفتح أبواب الهجرة الخارجية . والعمل فى الخارج ، فى نفس الحقبة التى تزايدت فيهــا أسعار النفط ، ومن ثم شهدت الدول النفطية ازدهارا مكنها من التسارع بمعدلات تنميتها ، وكانت قوة العمل المصرية المهاجرة هى وقود هذه التنمية العربية .

● ● ما هى انعكاسات هذه الهجرة على المجتمع المصرى ؟

لعبت الهجرة دورا هاما فى تغيير البنية الاجتماعية فى الريف والحضر ، وعلى الرغم من أن هذه الهجرة قد أدت الى بعض النتائج الايجابية الهامة ، والتى تتمثل فى تحويلات المهاجرين ، وما أدت اليه فى بعض الأحيان من تحسين ميزان المدفوعات « كما حدث فى أواخر السبعينات » واعادة بناء جانب لا بأس به من مساكن القرية المصرية ، وبناء وتعمير ـ ربما أحياء بأكملها فى المدن المصرية الكبرى وتمويل جانب كبير من الاستيراد ، وتحسين مستوى معيشة قطاع لا بأس به من السكان فى الريف والحضر ، الا أن الهجرة كان لها نتائجها وآثارها السلبية التى لا يمكن تجاهلها .

● هل من امثلة على ذلك ؟ ٠

مثل استشراء التضخم والغلاء وانتشار القيم الاستهلاكية ، ونقص الكفاءات الفنية الانتاجية ، وتدهور القيم الاجتماعية المرتبطة بالانتاج ، وشيوع النمط الاستهلاكى ، وبعض مظـــاهر الارتداد الثقافى والقيمى ٠

وأخطر من ذلك كله ما يمكن أن نسميه التحول النقدى أو الاقتصادى فى العلاقات الاجتماعية ، حيث أصبحت العـــلاقات الاجتماعية والانسانية مفرغة من مضمونها الانسانى ومشحونة بدلا منه ، بالمصالح الاقتصادية والنفعية ، وما نلمسه من جرائم تصدم القيم والمشاعر التقليدية ، وتهدد العلاقات الحميمة والوثيقة مما يعتبر خير شاهد على مثل هذه التحولات الاجتماعية ٠

الثقافة الجديدة

● ● ما مدى انعـــكاس التغيرات الاجتمـاعية على الحركة الثقافية ؟ ٠

حينما تطغى القيم المادية وما يرتبط بها من تطلعات ، تتوارى بالضرورة القيم المعنوية ، ومن بينها الثقافة والمعرفة ، وبصفة خاصة حين يكتشف الناس أن قيمة العلم والثقافة لا تحظى بعائد مادى ، يعادل الأنشطة الأخرى ، وحينما ينشغل النـــاس ــ فى مجتمع استهلاكى ــ باشباع احتياجات استهلاكية تفرضــها القيم الجديدة « الاستهلاكية » وتطاردهم بها من خلال أجهزة الدعاية والاعـــلان وغير ذلك ، فان ذلك بالطبع ينعكس على المثقفين لأنهم شريحة من المجتمع ، ومن ثم فهم أيضا يخضعون للتطورات التى تطرأ عليــه ويتأثرون بها ، وما ينطبق على حركة قوة العمل والضغوط التى دفعت اليها ينطبق عليهم أيضا كقوة عمـــل فكرية ، بمعنى أنهم

يهـــاجرون ، ويضـــطرون الى بيع انتاجهم الثقـــافى ، وهم قد نشطوا وينشطون الآن فى الدوائر الثقافية فى المجتمعـــات التى هاجروا اليها ٠

وبصرف النظر عن الضغوط التى دفعت المثقفين الى الهجرة ٠ فقد تأثرت الحياة الثقافية والحركة الثقافية ، وظهر ذلك بوضـــوح فيما هو معترف به الآن ، ويناقش على مستوى الصحف القـــومية ، من أن هناك أزمة ثقافية فى مصر ، أزمة انتاج ثقافى وأزمة استهلاك ثقافى أيضا ٠

●● والموجود الآن من الثقافة ماذا تسميه ؟

هى ثقافة أصبحت موجهة فى معظمها للفئات الجديدة الهامشية التى وجدت نفسها فجأة على قمة الهرم الاجتمـــاعى ، ومن ثم فهى ثقافة استمتاع واستهلاك «ترفى» تتمثل فى المسرح الهابط والأفلام الهابطة والأغانى الهابطة ، وغير ذلك ٠

أسباب التحولات

●● أخير ٠٠ ما أسباب كل هذه التحولات ؟

تأتى التحولات الاجتماعية والثقافية فى مجتمع ما ، نتيجـــة التحولات اقتصادية جذرية وهو ما حدث فى مصر ، وعادة ما يكون ذلك نتيجة لقرار سياسى ، ومرجع ذلك الى الوضع التاريخى للدولة فى مصر ٠

لقد كانت التغيرات الكبرى حتى فى النظام الاقتصادى تأتى فى مصر نتيجة لقرار سياسى وليس لحركة اجتماعية أو ثورية كما هو الحال مثلا فى التاريخ الأوربى ، وربما يرجع ذلك الى الدور الاقتصادى التاريخى للدولة فى مصر ٠

●● **هل هناك عنوان أو تسمية بارزة لهـذه التحولات فى الخمس عشرة سنة الأخيرة ؟ ٠**

يمكن أن نصفها بأنها « تحول اقتصادى للعلاقات الاجتماعية » ، أو « الانقلاب الاجتماعى الصامت » ٠

● د . أحمد شفيق :

لا بديل عن التقدم العلمي

حينما اعلن طبيب رومانى - فى مؤتمر صحفى بالقاهرة اكتشافه لعلاج الروماتيزم عن طريق حقنة تحتوى على خلاصة الطين الرومانى .. لم تحدث ضجة او زوبعة كتلك التى ثارت حول الطبيب المصرى د. احمد شفيق ولهذا فكرت ان اذهب للجراح العالمى د. احمد شفيق لأعرف رايه وارى كيف هو الآن بعد ان هدأت الضجة ..

● ● قلت للدكتور أحمد شفيق : الضجة التى اثارت حول اكتشافك لعلاج مرض الروماتيد والاصوات الخافتة التى دارت حول اعلان الطبيب الرومانى عن اكتشافه لعلاج الروماتيزم بحقنة تحتوى على خلاصة الطين الرومانى .. كيف تنظر الى الموقفين ؟ .

قال : الموقف يدعو الى الاسى فعندما يعلن المصرى عن اكتشاف علاج جديد لمرض من أخطر أمراض العصر ثم يواجه بضجة مفتعلة لا أساس لها .. مع اتخاذ عدة خطوات من إيقاف وعدم اتصال بالتلاميذ ومشاكل تاريخيا لن يستطيع أحد أن يفسرها .

● ● لقد فسروها بانها لحماية المرضى ؟ .

- حماية المرضى من ماذا ؟ نحن لا نعالج المرضى وهؤلاء الـ ٢٢ مريضا الذين عالجتهم كانوا جزءا من البحث الذى اجريته حول فعالية الدواء الذى اكتشفته وكانوا متطوعين بمحض إرادتهم . وانا لم أقل اسم الدواء ولا قلت ان الدواء تم تصنيعه وانما قلت سأطرحه لشركات الدواء لتصنيعه .

●● اذن ما سبب هذه الخطوات التى اتخذت ضده ؟

ـ لا اقدر أن اقول الا انه لا كرامة لنبى فى قومه ٠

●● هـل لعقدة الخواجة دخل فى الضجة السلبية حولك والصمت الايجابى حول الطبيب الرومانى ؟

ـ طبعا بالتأكيد ، فنحن شعوب عانت من الاستعمار الأجنبى قرونا وقرونا فأصبحنا ننظر للمستعمر كأنه طينة من غير طينتنـا وننظر اليه بعلو واكبار ونظرة كلها نوع من أنواع الاندهاش والانبهار وأنهم ليسوا بنى آدمين مثلنا ، فهذه هي النظرة التى ولدنا ونشأنا عليها . كأن الاجنبى لا يمكن ان يخطىء وكل ما يفعله الاجنبى لابد أن يكون صحيحا . فللأسف ما زالت عقدة الاجنبى تمسك بخناقنا ٠

الخطا ايجابى

●● عندما قرات عن الطبيب الرومانى وعلاجه الطينى ٠٠ ماذا كان رد فعلك كطبيب ؟٠٠

ـ انا لست ضد أي شيء جديد لانه ممكن من ابسط الاشياء يخرج أكبر الابتكارات العلمية العالمية ، وهذه قاعدة معروفة ، ولهذا نحن لا نهون من أى أمر حتى ولو لم يكن اختراعا جديدا أو ابتكارا جديدا . بل مجرد ملحوظة أو معلومة جديدة يأتى بها أحد الباحثين وأكبر الاكتشافات التاريخية التمويلية التى غيرت مجرى التاريخ ، بدأت بملاحظة ، فهذا « نيوتن » لاحظ ان التفاحة تقع الى أسفـل لا الى أعلى فوضع قانون الجاذبية ، وهذا « أرشميدس » لما دخل « البانيو » لاحظ أن المياه تعلو وتفيض فاذا خرج منها عادت الى وضعها الأول ، فصاغ لنا قانون الطفو ٠

اذن انا لست ضد أى شيء جديد لكن لابد أولا ان يكون هذا

الجديد قد أخذ الاسلوب والطابع العلمي ، وثانيا ان نقوم بتقييم هذا الجديد بمعرفتنا ، وبعد هذا نستطيع أن نقول ان هذا شيء مفيد . ولى ملاحظة أخرى وهي انه نفرض أن ظن الطبيب الروماني لعلاج الروماتيزم طلع غير مفيد فان هذا لا ينفي ان صاحبه اجتهد ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من اجتهد وأصاب فله أجران ومن اجتهد وأخطأ فله أجر واحد » .. ونحن دائما في الناحية العلمية نقول ان النتائج السلبية للبحث العلمي تعادل في نتائجها النتائج الإيجابية ، بمعنى انك تقول لمن بعدك من جيل العلماء انه « خلاص » هذا الطريق أغلق لأن نتائجه سلبية حتى لا يكرر أحد ما قمت به من تجارب لا يجدى نفعها .

انتصرت عليهم

●● الضجة التي ثارت حول اكتشافك لعلاج الروماتيد هل هل أغضبتك وأزعجتك أم ماذا كان شعورك بالضبط ؟ .

ــ في الحقيقة هذه الضجة ليست غريبة على وليست غريبة على أى عالم يشتغل في مجال العلم لاننا نعلم ان هناك ما يسمى بالحقد العلمي . لكن ما يدعو للمرارة ان هذا الحقد العلمي يكثر وجوده في دول العالم الثالث بمعنى ان الناس العلميين الواحد منهم يجب ان يعلو على من حوله أو انه يضرب بهم الأرض .

اما الدول المتقدمة فقد استبدلت بالحقد العلمي بما يسمى التنافس العلمي ، بمعنى ان ابقى « كويس » وانت أيضا تبقى « كويس » ، لكن الحقد العلمي يجعلنا ندمر أى واحد صغير عمل شيئا جديدا ، أو يخبطه خبطات شديدة جدا يمكن ما يقدرش يقوم منها .

لكن بالنسبة لى انا متمرس على هذا الضجيج ولم يؤثر في لانني

اعتقد اننى اقف على أرض صلبة ، وتعودت ان مثل هذه الأعاصير أو الزوابع التي اعتقد انها فى فنجان لا تؤثر فى بل بالعكس تزيدنى صلابة واصرارا وتصميما على المضى قدما فى البحث العلمى •

وفي الوقت نفسه صممت أن آخذ حقى الشرعى والقانونى من كل الذين أثاروا هذه الضجة ، والحمد لله انتصرت عليهم ، وكان الحكم فى صالحى بالنسبة للمسائل القانونية •

ملحوظة تقلب العالم

●● كيف توصلت لاكتشافك ؟ •

ـ الاكتشاف عبارة عن عناصر مستخلصة من المادة اللبنية ، وقد قابلنا هذه العناصر التى استفدنا بها فى علاج الروماتيد أثناء اجرائى لبحوث أخرى على علاج الخلايا السرطانية ، فقد ظهرت لنا بعض العناصر التى استطعنا ان نستفيد بها فى علاج بعض الامراض التى نسميها مجموعة « القولاجين » التى على رأسها مرض الروماتيد الذى يصيب اعدادا هائلة من الجنس البشرى فى كل دولة من دول العالم ، والى الآن لم يستطع أى دواء ان يشفيه ، وكل الادوية الموجودة ما هى الا أدوية تسكينية وضررها أكثر من نفعها الا أن المريض يضطر اليها تحت وطأة الالم الشديد الذى يحس به •

●● قلت •• انك اكتشفت دواء الروماتيد أثناء اجرائك لبحوث أخرى •• فهل يعنى ذلك ان هذا الاكتشاف جاء بطريق الصدفة ؟ •

ـ الصدفة كانت هى كل شىء بالنسبة لاكتشافى هذا ، ولكن ماذا تعنى الصدفة ؟ انا احللها لك تحليلا فلسفيا •• الصدفة هى قوة الملاحظة ولا يوجد بحث يبدأ الا بملحوظة أو معلومة ، والقوة

هنا والقدرة هي ان توقف هذه الملحوظة اذا مرت امامك وتتفحصها وتمحصها ، وتبدأ تأخذ من هذه الملحوظة بداية الخيط وتستكمل البحث الى ان تصل فى النهاية الى شىء جديد .

ولا يمكن لشىء ان يحول مجرى التاريخ الا البحث العلمى فلا معارك ولا حروب ولا انتصارات ولا امبراطوريات انما هى الابحاث العلمية والتى تلعب فيها الصدفة دورا كبيرا .

● ● هل أنت مستمر فى علاج مرضى الروماتيد حتى الآن ؟ .

ـ لا .. أنا توقفت بعد علاج ٢٢ متطوعا كجزء من البحث العلمى ثم توقفت لانى كنت أجرى بحثا ، انما انا أولا وأخيرا أستاذ جراحة ، والروماتيد ليس مجالى ولكن كل ما هنالك انه ظهرت فى مرحلة من مراحل البحث العلمى فى مرض السرطان وهو مرض جراحى نتيجة وجدت آنه يمكن الاستفادة بها فى مرض آخر وهو الروماتيد .

قبل الضجة

● ● بصراحة هل أضافت لك ضجة اكتشافك لدواء الروماتيد شهرة كنت بحاجة اليها؟ .

ـ أولا من ناحية الشهرة انا لم آكن فى حياتى محتاجا للشهرة مثلما وصلت اليه فى السنوات الأخيرة ، والشهرة جاءتنى ليس عن الطريق الشخصى فيما يتعلق بالممارسات الخاصة فى العيادات انما جاءت بالابحاث العلمية التى قمت بها فى طريق العلم فى تاريخ العالم ، فتوجد عمليات باسم أحمد شفيق « عملية شفيق ١ ، عملية شفيق ٢ ، وأضفت الى تاريخ البشرية « ثلاثين عملية » جديدة باسم أحمد شفيق .

وأضفت الى تاريخ البشرية توصيف «٨» أمـراض جـديدة لم توصف من قبـــل ، وأضفت أيضا اضافات تشريحية وفسيولوجية وباثرولوجية ، كل هذا من نتيجته ان وشحت لجائزة نوبل ، وما زال الترشيح ساريا ، وانتخبت لدائرة المعارف الامريكية لعام ١٩٨٥ ، وانتخبت عضوا في هيئة تحرير المجلات العالمية فى القولون والشرج وفى المسالك البولية وفى جراحة سرطان العقم ، هذا اضافة الى انه لا يوجد كتاب جراحة في العـــالم يخلو من اضافات أحمد شفيق ٠٠ كل هذا كان قبل الضجة ٠

تغيير التعليم

●● بعد هذا الذى حققته على المستوى المحلى والعالمى هل بقى من آمانك شىء لم تحققه بعد ؟ ٠

ـ انا اعتقد اننى ما زلت مجندا فى جيش البحث العلمى ، لانه يوجد ما بين « ٨٠٪ و٨٥٪ » من الامراض فى الطب غير معروف سببها ، وبالتالى غير معروف طريقة علاجها فتتعدد الأنماط العلاجية ، فتجد السرطان له خمسين نوعا من العلاج لأن سببه غير معروف ، وهذا يدعو الى مزيد من البحث العلمى لأن حقيقة الطب فى مجموعه كعلم لم تواكب العلوم الاخرى فى التقدم ، لأن الاطباء غير متفرغين للبحث العلمى لانهم يعتبرون انفسهم « مطبقين » فى عياداتهم وفى المستشفى ٠

لكن البحث العلمى يريد شخصا متفرغا بالكامل للبحث العلمى مثل راهب فى المحراب ، من أجل هذا يقولون انه يجب على اثنين من الناس ألا يتزوجوا حتى يتفرغوا تفرغا كاملا لمسئولياتهم الجسيمة ، هما : الزعيم والعالم ٠

● ● هل انت متزوج ؟ .

ـ للأسف انا متزوج .

● ● هل انت نادم على زواجك ؟ .

ـ طبعا نادم لأن مسئوليات الزواج عطلتنى كثيرا عن التفرغ الكامل للابحاث العلمية .

● اخيرا ماذا ينقص مصر لتاخذ مكانها فى طليعة الأمم المتقدمة ؟ .

ـ خط واحد لا بديل له وهو التقدم العلمى ، ولن نصل الى ذلك الا بتغيير طريقة التعليم التلقينية السائدة عندنا الى طريقة منهجية هى طريقة الفكر والاخذ والعطاء ، والى جانب الاخذ بالمنهج العلمى والبحث العلمى لابد من اهتمام الدولة بالعلماء والموهوبين ، وأن تعتبر الصرف على البحث العلمى خطة من الخطط الاستثمارية ولو أن عائدها ليس قريبا ولكنه سيأتى حتما على المدى الطويل .

● طاهر أبو فاشـا :

هذه حكايتي مع شهر زاد

● كعادتها السنوية .. تستقطب الشاشة الصغيرة جمـــاهير واسعة من كل مكان .. تشدهم لمشاهدة الفوازير .. والاستمتاع بها .. وتنشيط الفكر لحل فوازيرها .

والجديد ان .. « نلتقى بفزورة وحدوتة » التى كتبها هذه المرة .. طاهر أبو فاشا .. وهو ليس غريبا على اجواء الف ليلة وليلة .. فقد سبق له ان قدم وعلى مدى سنوات طويلة .. الف ليلة وليلة ولكن فى الاذاعة .

وفى حديث الذكريات .. يطوف طاهر أبو فاشا عبر الليالى .. موضحا الفرق بين الف ليلة الاذاعية ، والف ليله التليفزيونية .. أيضا حكاياته مع أبطال هذا العمل التراثى الشهير .

● ● يقول طاهر أبو فاشا :

حكايتى مع ألف ليلة وليلة هى قصة المصادفة التى تنقلب الى واقع فقد اهدى الأستاذ «برانق» وزميل له كتاب « ألف ليلة وليلة » من طبعة مهذبة ، الى مدير الاذاعة فى الخمسينات وما كاد يقرأها حتى خطر بباله أن يجعل منها برنامجا اذاعيا ، ووقع اختياره على لاعداد حلقاته .

وقد اختلفت مع مخرج ألف ليلة وليلة صديقى محمد محمود شعبان حول نهاية الحلقات فقـــد كانت نهايتها عبارة عن موسيقى تقول « جونج » ، ولكننى وانا أكتب الحلقات حتى الفجر وقد أذن الديك فكرت أن يكون صياح الديك هو ختام الحلقات .

كانت البداية ١٥ حلقة

ورغم أن « بابا شارو » تظاهر بتردده فى الموافقة الا أنه فاجأنى بتنفيذها ، ورحت استكمل كتابة الحلقات ، وكنت أتقاضى عن الحلقة الواحدة خمسة جنيهات ، وكتبوا معى عقدا بخمس عشرة حلقـــة بخمسة وسبعين جنيها ، وكنت راضيا وسعيدا وقريرا بل كنت أرى أنهم مبذرون فكيف يدفعون لى هذه المبالغ الطائلة ٠

وبعد اذاعة الخمس عشرة حلقة تهافتت على الاذاعة ، التليفونات والخطابات يطلبون المزيد من ألف ليلة وليلة فزيد العقد من خمس عشرة حلقة الى ثلاثين واستمر النجاح وشدت « ألف ليلة وليلة » ، الجماهير أكثر حتى أننى بعد انتهاء كل حلقة كنت انظر من الشباك فاذا بى أسمع الناس فى البيوت والمقاهى يقولون مغنين « ألف ليلة وليلة » يعنى « حاجة لها العجب » فكان هذا يرضينى ويشعرنى بالزهو ، وظللت فى كتابة المزيد من الحلقات حتى ثمانمائة حلقة ارتفع أجرى خلالها من خمسة جنيهات الى عشرة جنيهات ٠

عقدة شهريار

ويضيف طاهر أبو فاشا :

وهـــذه الحلقات « ألف ليلة وليلة » تدور حـــول شـــهرزاد وشهريار ، وهى فى حقيقتها وجوهرها دفاع عن المرأة فقد كان الملك الدموى الظالم شهريار يتزوج كل يوم صبية حتى اذا أصبح الصباح قتلها والسبب أن زوجته خانته مع عبد من عبيدها ، فأراد شهريار أن ينتقم من الجنس كله ، هكذا تقول الرواية فى الكتاب ٠

ولكن هناك رواية أخرى تقول ان شهريار عنده عقدة أخرى لذلك يقتل العروس فى الصباح حتى لا ينكشف أمره ٠

وأعود فأقول ان « ألف ليلة وليلة » دفاع عن المرأة فقد قبلت شهرزاد أن تقدم نفسها لشهريار واستطاعت أن تتركه معلقا ليلة بعد ليلة حتى قضت معه ألف ليلة وليلة وبرىء الملك من دمويته ..

بين الاذاعة والتليفزيون

يستكمل طاهر ابو فاشا حديثه عن « ألف ليلة وليلة » فيقول ان الثمانمائة حلقة التى أذيعت ليست كلهـا من الكتاب لان كل ما أخذناه من الكتاب هو من خمسين الى ستين حلقة فقط انتهى بعدها الكتاب ، وبدأت أنا أصنع حلقات جديدة من خيالى أو أصنعها من الحواديت التى اسمعها من جداتنا وما غير ذلك ، أما لماذا لم نستكمل الحلقات الى « ألف ليلة وليلة » فكان لذلك أسبابه اضافة الى اننا أردنا اسدال الستار والناس يصفقون على أن نستمر وقد استنفدت الحلقات أغراضها .

● وعن الفرق بين ألف ليلة وليلة الاذاعية وألف ليلة وليلة التليفزيونية يقول طاهر أبو فاشا ..

انه فرق كبير جدا ، ومع احترامى وتقديرى لاحمد بهجت كاتب أول عمل تليفزيونى لالف ليلة الا أنها لم تكن «هى» ، رغم أنه كاتب متمكن .

شهرة واسعة

● ويضيف طاهر أبو فاشا فى معرض ذكرياته عن ألف ليلة وشخصياتها الاسطورية .. ان هنـاك الشـاطر حسن ، والملك السمندل من ملوك الجن ، وقد حاولت أن يكون الحديث بين هـذه الشخصيات مسجوعا مما يعطيها طعما ومذاقا ، خاصة لأن الأبطال اذا كانوا عفاريت مثلا لا يصح أن يتكلموا كلاما عاديا فيقول عفريت

مثــلا « هات كوب ماء » وانما يقــول « دموعك يا اسى أثرت فى نفسى » ، فالسجع يعطيهـا روحـا أخـرى ، وأنـا اتصـور أن ألف ليلة وليلة فيها رائحة حى « خان الخليلى » ورائحة العنبر الذى فيه .

وعما تركته ألف ليلة لكاتبها طاهر أبو فاشا يستطرد معترفا :

إنها أعطته شهرة واسعة لا يستحقها ، فالكل يعرف اسمى ولكنهم لا يعرفون شخصى اذا قابلونى أو رأونى ولكنهم اذا عـرفوا هشوا وبشوا لى ، وكثيرا ما كنت أقدم نفسى لسائق التاكسى أو بعض الموظفين فى بعض المصالح ، فتنفك العقد وتنحل المشاكل لأن الناس يحبون ألف ليلة وكاتبها العبد الفقير .

وحتى الآن عندما أكون ذاهبا الى التليفزيون وأشير لســائق التاكسى فيقول لى لا .. اننى ذاهب لمكان آخر ، فاقول له فى أذنه أنا صديقك طاهر أبو فاشا الذى يكتب لك ألف ليلة وليلة ، فيقول : أهلا ويأخذنى بكل ترحيب ولا يأخذ أجرا .

فكأن الفن يقرب ما بين الناس ويحببهم بعضهم فى بعض .. وأنا أحسست بهذا مع ألف ليلة وليلة التى أعطتنى شهرة كبيرة .

اضراب شهر زاد

●● ولمـا سألت كاتب الف ليلة وليلة عن تصوره لليلــة الثانية بعد الالف ؟

قال طاهر أبو فاشا :

كنت عامل الليلة الثانية بعد الالف وكتبتها فعلا وكنت أنوى تقديمها فى ختام الحلقات عندما تكتمل الالف ليلة وليلة ، ولــكن

كما قلت لك لم تذع الا «٨٠٠» حلقة فقط ، وكان فى تصـــورى أن شهرزاد فى الليلة الثانية بعد الالف جاءت للملك ورفضت أن تحكى له حكايات جديدة ، فيتعجب شهريار ويقول :

انت تعلمين اننى لا أنام الا على الجرعة التى تسكبينها فى سمعى كل ليلة » .

فتقول « وأنا لا يمكن أن أحكى لك ، ونام الملك تلك الليلة ورأى فيما يرى النائم أن جميع أبطال ألف ليلة يحاكمونه ، ومنهـم السندباد البحرى ، الشاطر حسن ، معروف الاسكافى ، الملك السمندل وغيرهم ، يقولون لشهريار « ان كل الناس يعيشون مع زوجاتهم فى أمان الله . فلماذا انت الذى تقتل زوجاتك ، انك مجرم » ويحكمون عليه بالاعدام ويخرجون له السيف لقتله ، فالسيف يلامس رقبته ، فيئن أنينا مكتوما تسمعه شهرزاد .

فتقول له : « مالك يامولاى » .

فيقول : « الحمد لله . الحمد لله .

فتقول له شهريار : « ماذا حدث يامولاى » .

فيقول شهريار : « لا شىء ، لا شىء » ، وتدخل احدى الجوارى فتقول لشهريار .

« ان الصبايا العذارى فى ساحة القصر ينشدن نشيد شهرزاد ويحتفلن بك يا شهرزاد » ، ويغنون لها أغنية شهرزاد .

وبذلك تنتهى الليلة الثانية بعد الالف والتى لم تذع ، وأهديها لمجلتكم « الاذاعة والتليفزيون » بمناسبة شهر رمضان اعادة الله عليكم وعلى المسلمين بخير .

● صلاح طاهر

الخيال هو بداية التاريخ الحضارى

● في الطريق إلى الفنان التشكيلي المصور صلاح طاهر تذكرت ان اغلبنا لا يفهم كثيرا في كثير من اللوحات المرسومة . التي هي عبارة عن خطوط في اليمين او الشمال وامام وتحت أو متداخلة بدون أن توحي بشيء الى من يراها الا أعينا مثقفة على درجة واعية بالفن التشكيلي وآخر التطورات في مذاهبه ، وتذكرت مع ذلك أيضا حديثا قديما لمفكرنا الكبير توفيق الحكيم يصف فيه دهشته وحيرته من عدم فهمه لمذهب جديد في الفن التشكيلي اسمه « الكوبزم » .

ولطالما وقفت الساعات والأيام اتأمل لوحات هـذا الكوبزم وأضرب رأسي بيدي لأفقه ما فيها من جمال وأتهم نفسي . تارة ثم اتحامل على ذهني المسكين أرغمه بالجهل تارة وبالغباوة تارة ويموت الشعور على فهم أسرار الابداع في هذه اللوحات التي تصور مثلثات ودوائر ومكعبات ومربعات داخل بعضها في بعض وقد صبغت بالأحمر الكابي والأزرق الزاهي والأصفر الفاقع » .

● ● وكان طبيعيا أن يكون سؤالي الأول للفنان صلاح طاهر عن الاشكال الفنية للرسم من تكعيب وتجريد وسريالية وكل ما ليس له علاقة بالواقع ؟

قال : الفن أصلا أو عموما هو تمرد على الطبيعة فالانسان لجأ الى الفن لانه لم يقتنع بالواقع والطبيعة الموجودة أمامه فعمل على تعديلها وتطويرها . وما هي الفائدة اذا صور الفنان الطبيعة كما هي ؟ . ان التصوير الفوتوغرافي يكون أكثر دقة ، لذلك فان الفنان ينفصل عن الطبيعة ليصنع طبيعة أخرى مختلفة وهذا مما يفسر

مذاهب الفن المعاصر من تكعيب وتجريد وسريالية وكل ما له علاقة بالواقع لأن الفن فى حقيقته مخالفة للواقع ·

●● هل يعنى مخالفة الفن التشكيلى للواقع انه لا يواكب عصر العلم والتكنولوجيا ؟ ·

لا نزاع أن عصر العلم والتكنولوجيا قد شكل الحياة بطريقة جديدة مختلفة عن الماضى لدرجة ان هناك فنونا استعملت فيها العلوم الالكترونية والكومبيوتر وان كانت محاولات لم تصل الى المستوى النهائى ، كذلك هناك فنون استعملت فيها الاشعة ومنها الفن التشكيلى ·

وقد شاهدت هذا فى لندن وباريس وواشنطن ، فرأيت لوحات مذهلة أمام الشاشة بألوان وخطوط متغيرة بلا فرشة ولا ألوان ولا قماش ، انها لوحات أبدعها العلم عن طريق الأشعة ، وهذا الفن المتحرك هو أحدث صيحة فى عالم الفنون وهو مستقبل الفن ومنه التشكيلى الذى لم يعد مجرد لوحات ثابتة بل سيصبح لوحات متحركة متغيرة الالوان والاشكال ·

●● هذا الاتجاه الى الفن المتحرك المعتمد على تكنولوجية العلم افلا يؤذن بزوال دولة الفن التشكيلى الذى يبدعه الانسان بالفرشاة والالوان بحركات اصابعه ؟ ·

أن الانسانية ترتقى ولكن تبقى بقايا تمثل العمل بالاساليب العادية وان اختلفت الصورة ، فالفن سيستعمل فيه العلم والتكنولوجيا · وان بقيت المادة مثل الألوان والفرشاة ولكن الابداع الفنى سيتمشى مع طبيعة العصر المتطور والذى ينفذ بتطوره الى أعماق الحياة فى كل ثانية وكل لحظة ·

●● كيف تستوحى موضوعات لوحاتك ؟ وما الذى يحدد استقلال الشخصية الفنية ؟ ·

أشياء أتذكرها أو أراها قد توحي لى بعكسها أحيانا أو مكملة لما فى ذهنى أحيانا أخرى ، ومصادر الايحاء كثيرة ومختلفة من قراءات أو سماع موسيقى ، أو الطبيعة نفسها ، وهذه هى مرحلة اجادة الصنعة والسيطرة عليها ، فارسم لوحة وأضع عليها توقيعى وتمشى ولكن لابد أن يكون للفنان أسلوبه وشخصيته ، و « اناتول فرانس » يقول « الشخص هو الأسلوب » والعمل الفنى عمل ابداعى غير مسبوق حتى لو لم يوقع عليه صاحبه فتعرف انه هو الذى أبدعه ولكن رحلة التأثر ضرورية فى البداية حتى يستقل الفنان بشخصيته ٠

● ● التصوير هل نقرؤه بالعقل اكثر أم بالعين بمعنى هل الفن التشكيلى فن ذهنى أم فن حسى ؟ ٠

هو فن ذهنى فى اقله وحسى فى اكثره ، فهو فن الوجدان والحس لكنك لا تستطيع أن تفصله عن العملية الفكرية فالفنان يسلم نفسه للعقل الباطن وهو واع ليخرج المختزنات الفكرية لذلك العقل الباطن ليبدعها خياله الذى هو أساس والفكر مكمل ، وكل التاريخ الحضارى للانسان بدأ بخيال ٠

● ● هل من الممكن أن ينفعل الحيوان بلوحة مرسومة ؟

من المعروف عن الحيوانات انها تتأثر بالاصوات ، تتمايل على الذبذبات التى تحس بها ، انما من ناحية البصريات لا أستطيع الحكم أن كان الحيوان يتأثر بها أم لا ، وذلك يتطلب تجارب علمية معملية لاثباتها أو نفيها ٠٠

● ● لو رسمت مثلا لوحة بها بعض أصابع ثمرة « الموز » وقربتها من قرد أو « نسناس » الا يكون هناك انفعال واقبال لالتهام ثمرة الموز ؟ ٠

ربما اذا كانت اصابع الموز مرسومة بصورة فوتوغرافية بالحجم

الطبيعى بشكل دقيق ، يجوز القرد أو النســـناس ينفعل لــكن لا أستطيع أن أحكم •

●● متى اكتشفت في نفسك موهبة فن الرسم ؟ •

لا استطيع أن أحدد بالضبط متى كان ذلك ولكننى وعيت على حبى للرسم وولعى به فمارسته لانه لا يكفى ان تحب الشيء بل تعيش فيه وتؤديه وذلك يحتاج مع الموهبة الى الدراسة والتذوق والتزود مع كل المعـــارف والثقـــافات لأن ذلك يوسع مداركك ويعطيك عمقا ووعيا وابداعا فى الفن الذى تمارسه أو العمل الذى تؤديه •

●● ما هى اللوحة التى تعتز بها ؟

هنـــاك لوحة اعتز بهـــا الى حد ما وهى « سوق شهر زاد » المستوحاة من حكايات ألف ليلة وليلة ولكن للاسف هذه اللوحـة أخذها سفير ايران منذ حوالى عشرين سنة ولا أعرف ما هو مصيرها حتى الآن •

●● وآخر لوحاتك ؟ ؟ •

رســـمت أربع لوحات مســـتوحاة من السيمفونيات المشهورة واستعد لرسم السيمفونية الخامسة التى اضع فيها قوام العمـــل الموسيقى وفى نفس الوقت الخصائص والقيم التشكيلية الخطيـة واللونية التى احاول ان احققها بروح شرقية •

●● هل من الممكن أن نقول أن هناك فنا تشكيليا عصريـا له سماته ومميزاته ؟

أولا أحب أن أنبه الى أن تعبير فن تشكيلى تعبير غير دقيـــق لا اعترف به لأن كل الفنون تشكيلية لذلك يبقى على مجمع اللغـــة العربية أن يبحث لنا عن اسم دقيق يعبر عن فن الرسم أو فن التصوير أو ما يسمى الفن التشكيلى •

أيضا أنا لا وافق على النعرة المحلية أو التمرقية التى سبالغ فيها لأن الاتجاه العالمى يسود الفنون والثقافة والآداب واذا ما عرفنا أن الطابع العالمى هو السائد وتحدثنا عن التصوير بالذات فان المادة الخام المستعملة وهى الزيت والألوان والفرشاه تشكل اتجاه العمل ٠

واذا تحدثنا عن الفنان الفرعونى فانه كان يستخدم ألوانا معينة على الجدار الحائطى تتطلب تخطيطا معينا ومسطحات لونية معينة لها تقاليد معينة تخدم الاغراض الدينية ٠

كذلك الفن الاسلامى قوامه التجريد وكانت له رسالة ومفهوم يختلف عن العصر الآن فالبيئة نفسها توحى بالشكل الفنى المرسوم فى بلدنا وغير بلدنا ، فمهما رسمنا على أحدث تقاليد الرسم فلابد أن تجد شيئا مصريا فى اللون والاحساس وانت ترى ان الفن الاسلامى مكون من مؤشرات اندلسية وتركية وايرانية انصهرت فى الشكل الاسلامى العالمى ولكنك تجد مع ذلك فيه فنا اسلاميا تونسيا وفنا اسلاميا تركيا ، وهكذا ، ولكن كله فن اسلامى يصطبغ بالطابع الاسلامى ٠

● بصفتك فنانا تشكيليا هل ترى لهذا الفن دورا فى القضاء على غريزة القبيلة والقطيع فى اطار رسالة الفن بوجه عام ؟ ٠

ـ من جمال الفن وقيمته انه يؤلف بين القلوب لدرجة ان مشاكل سياسية بين دولة وأخرى ممكن للفن أن يزيلها ، وأذكر أنه فى فترة ما كان بيننا وبين الصين عداء وبين الصين والعالم عداء ولكن عندما نجد أن فيه فرقة صينية تقدم عروضها الفنية أو رسامين يقيمون معرضا لرسوماتهم تجد نفسك تشعر بانسانية الانسان لأن الفن يعود بالانسان للحس البشرى الجميل بصرف النظر عن الاتجاهات السياسية والوطن والدين ٠

● ● امانيك للفن التشكيلي بوجه خاص وأمانيك العامة ؟ .

امنيتي للفن التشكيلي ان يتفهمه الناس عن طريق عيون مثقفة واعية واعتقد ان الهوة بينهم وبين هذا الفن بدأت تضيق ، وارجـو ان الوعي الثقافي والحضاري يزداد ، ويزداد معه عدد الناس الداخلين في دائرته لأن ثقافة الحواس كلما زادت أصبح تصرف الانســـان أرقى ، وأتمنى أن يصبح الحب هو دستور حياتنا العامة والخاصة .

● أحمد عبد المعطى حجازى :

وخطران يهددان الثقافة

بعد سنوات من عزلة الغربة عن الوطن وبعد ما خط الشيب فوديه وازدحمت في نفسه اغنيات الحنين الى مسقط الراس عاد المجدد الكبير احمد عبد المعطي حجازي الى مصر ليشارك في اثراء ساحتها الأدبية : عاد حجازي مع عودة المنـــــاخ الطبيعي لمصر مناخ الحرية والديمقراطية اللازمان للابداع الحقيقي ، عاد ليشارك كل اربعاء من خلال منبر الأهرام في تكوين رأى عام مستنير ، وبين رحلة البـداية حتي العوده الى مصر كان للشاعر الكبير قصة طويلة ناقشنا خلالهـــا على مائدة الحوار الكثير من القضايا الساخنة التى تجيش بها ساحة مجتمعنا الآن .

دور قاصر

● عن الحال الذى آلت اليه الثقافة في مصر ؟

اجاب أحمد عبد المعطي حجازي :

هناك خطران داهمان على الثقافة .

أما الخطر الأول فهو ان الأساس الذى قامت عليـــه الثقـافة العربية الجديثة والذى تقوم عليه أية ثقافة انسانية في أى عصر من العصور ، هو أساس الآن مدمر .. وأقصد بهذا الأساس :

الايمـــان بالانســـان وبعقله وبقـدرته على الابداع والاضـــافة والتجديد والثقـــة في المستقبـــل وفي قدرة الانسان على مواجهـة مشاكله واغناء حياته .

هـــذا الأســـاس مدمر بمـــا نراه الآن من تيـــارات تدعو الى

الانسحاب من العصر وتطعن في كل الانجازات العقلية والاجتماعية والسياسية والثقافية التي حققناها في هذا القرن وفي القرن الماضي ·· المرأة لا تتخلى فقط عن السفور بل تتخلى حتى عن فكرة مساواتها بالرجال ! ··

الجامعة لا تتخلى فقط عن فكر طه حسين بل يصل الأمر الى ان تؤدى طالبات كلية الطب الامتحان وهن منقبات ! ·· ويفرض طلبة كلية دار العلوم على اساتذتهم حذف قصائد الغزل من منهج الدراسة ! ·· ويمنع طلاب الجامعات الاسلامية حفلا موسيقيا ·· وبعض الكتاب يدعون الى مصادرة الكتب و ·· بعض الكتاب والفنانين انقلبوا على أنفسهم وتحولوا الى دراويش ·· والأرصفة والمكتبات ممتلئة بمؤلفات تدعو الى تدمير المجتمع وتدمير الدستور والعودة الى حكم العصور الوسطى ·

ما معنى هذا ·· معناه ان الأساس العقلاني والانساني الذى قامت عليه ثقافتنا الحديثة ، قد انهار من اساسه كاملا ·

هناك من يتصدون بالطبع لهذه الغزوة البربرية ·· لكن من الواضح أن الأغلبية بما فيهم أجهزة الدولة نفسها يتفرجون ··

الخطر الداهم الآخر · يتمثل فى عجز المؤسسات الثقافية الراهنة عن التصدى لهذا الخطر الأول ·· فكثير من هذه المؤسسات الاعلامية والاتحادات الأدبية والفنية والمنابر الثقافية المختلفة ·· تدار ادارة عاجزة ركيكة وتتحول فى كثير من الاحيان الى ابعديات أو عزب أو اقطاعيات للمسيطرين عليها يحققون من خلالها مصالحهم الأنانية ويقربون صبيانهم ويستبعدون كل بذرة طيبة ويسدون كل نافذة يمكن ان تأتى ببصيص من الضوء ·

ما هو الدور الذى تلعبه الصحافة فى حياتنا ·· ؟ ما هو الدور الذى تلعبه الاذاعة والتليفزيون والمجلات الثقافية واتحاد

الكتاب واتحادات الفنانين ، حتى الآن ‥ ؟ هذا الدور اما مقصـــور على الدعاية للأشخاص لا للأفكار أو انه دفاع عن المصالح الشخصية ، بل ان هذه الأجهزة لا تكتفي بالصمت بل هى التى تهدد ليس الثقافة فقط وانما الثقافة والامانة والسلام الوطنى والحاضر والمستقبل ٠

فى عقر داره

وبعـــد ان انتهى شـاعرنا من بيـــان الاخطـار التى تهـدد الثقافة بدأت اناقشه واطرح عليه وجهة النظر الاخرى ‥

● ● قلت له : بعض النماذج التى ذكرتها لتطرف الطلبة هى حالات فردية لا ينبغى تعميمها على مجموعة طلاب جامعات مصر لأن هذا يظلم المجموع بجريرة افراد ؟

قال ما حدث ليس فى جامعة واحدة بل فى جامعات كثيرة ‥ جامعة القاهرة ‥ جامعة عين شمس ‥ جامعة اسيوط ‥ جامعـة المنيا ‥ جامعة الاسكندرية ‥ اذن هى ظاهرة شاملة وحجمهـــا كبير ٠

● لا خلاف على ان استعمال القوة لوقف حفـــل موسيقى أو تعطيل عرض مسرحى ‥ الخ ‥ شيء نستنكره جميعا ‥ ولكن الفنـــانين الذين اعتزلوا الفن بارادتهم واللواتى تحجبن أو تنقبن أو فضلن البيت على العمل باختيارهن ‥ ليس لنـــا أن نلومهن الا اذا تعدت ارادتهن فرضها على الآخرين وما عدا ذلك فهو حرية شخصية ؟ ٠

نظر الى احمد عبد المعطى حجازى نظرة فيها ريبة وقال :

الواقع انه ارهـاب وليس حـرية شخصية ، لأن من يعلن ان الغناء حرام وان من لا تتوب هى واقعة فى الحرام ‥ فهذا يشكل

ارهابا على من يغني ويشجع على الغناء ، وعندما يقال ان بحث طـه حسين فى الشعر الجاهلى كفر ·· اذن كل من يفكر فهو كافر وهذا ارهاب ·

هـذا الارهاب لم يقف عند حد الكلام والكتابة والاحـاديث والكاسيتات والكتب الرجعية التى تغمر حياتنا ·· بل وصل الى حد ان مسلحين يتصدون ليس فقط لوزارة الداخليـــة ولكن للكتاب كمكرم محمد أحمد الذى نعلم انه تعرض لمحاولة اغتيال ، وعشرات من الكتاب تلقوا خطابات تهديد ·· هـل هـذه حرية شخصية ، وحوادث جزئية ·· ان الذين يتبنون هذا الرأى متأمرون ولهم مصلحة شخصية وارتباطاتهم معروفة ·

انا لا ادعو الدولة لأن تمنع هذا الرأى من التعبير عن نفسه · ولكن ابدى دهشتى لان الذين ينتقدون ما نحن فيه ويعبرون عن خوفهم وتشاؤمهم من المستقبل ·· لا يجرؤون على التصدى لهذا التيار الذى يكفر طه حسين والذى ··

ولم ادع محدثى يكمل فقلت له ·· تكفير طه حسين قضيـة قديمة انتهت ·

فقال أحمد عبد المعطى حجازى : عشرات مثـــل أنور الجندى هاجموا طـه حسين والعقـاد وزكى نجيب محمود ، ويوسف ادريس ولويس عوض ·

● ● اليس اعادة الكلام فى موضوعات قديمة يعتبر فراغـا عقليا ؟

حجازى : انه ليس مجرد تكرار لكلام قيل من قبل ·· فقـــد هوجم طه حسين فى جامعة المنيا هجوما مريرا فى المدينة التى ولد فيها فى عقر داره ·· هذه حملة جديدة هدفها كتاب هـــذه الأيام ومثقفوها ·· والذين يهاجمون الآن طه حسين بجلالة قدره وهو بطل

قومى ، يقصدون ان يرعبوا الأجيال الجديدة التى لم تستطع ان تصل الى مستوى طه حسين ، واذا كان طه حسين هدفا للهجوم وهو من هو فى ضمير الأمة فمن الطبيعى أن أخاف أنا ويخاف غيرى من أن نقول أى كلام فيه شيء من الصدق والصراحة .

● ● هل كان المثقفون فى برج عاجى ولم يكتشفوا خطر هذه التيارات الا اليوم ؟

حجازى : لقد ارغم العشرات من الفنانين والكتاب على الهجرة

وسنت قوانين تطارد أى رأى حر ، الى درجة انه جمع خمسة آلاف فى يوم واحد من السياسيين والصحفيين والكتاب والشخصيات العامة وقذف بهم فى المعتقلات ، وطردت العناصر الصالحة من أجهزة الاعلام ..

صحوة عقلانيـــة

● ● اذن فما هو الحل لمواجهة الخطر الذى يواجه الثقـافة مما تحدثت عنه ؟

حجازى : الحـل هو ايقاظ الفكر العقلانى وتنشيطه فى مصر ومواجهة الحقائق كما هى وينبغى تطهير كل هذه الأجهزة من الذين ينافقون هذا التيار .. ينبغى ان يسترد المجتمع روح الأمن والثقة فى المستقبل .. ينبغى ان نتكاتف لحل مشاكلنا المختلفة .. ليس فقط حل المشكلة الثقـافية ولكن كل مشـاكلنا الاجتمـاعية والاقتصادية ، ومشاكل الشباب لابد لها من حلول .

باختصار لابد من مشروع قومى تنهض به مصر وتلعب دورها فى الداخل والخارج .. هذا هو الحل .

● ولكن على الجانب الآخر هناك حل آخر مطروح .. هو الحل الاسلامى أو ما يسمى بالصحوة الاسلامية .. فما رأيك ؟

حجازى : أنا لست ضد صحوة اسلامية أو موجة من التدين ولكن أنا أعلم ان الاسلام فى جوهره دين عقلى .

دين يمجد العقل ويمجد الانسان ويعترف بمطالب وحاجات الناس ويشجعهم على النظر فى دنياهم وتلبية مطالبهم ولا يسرف فى التحريم بل يشجع على اليسر والدعوة بالموعظة الحسنة .

ان العودة الى جذور وأصول الفكر العربى الاسلامى دعوة لا غبار عليها .. ولكن لماذا نختار الجوانب المظلمة والضيقة والسلبية فى تاريخنا ونترك الجوانب المشرقة والايجابية والعقلانية . لماذا نستورد وجهات نظر اسلامية غريبة عن مجتمعنا ولا تتلاءم مع ظروفنا وتاريخنا وثقافتنا .

اننا نريد صحوة اسلامية ليس فى مصر فقط ولكن فى كل البلاد الاسلامية .. ولكنها الصحوة التى تقدم الاسلام تقديما صحيحا للعالم كله .

لذلك فانه فى تصورى ينبغى ان تقوم الصحوة الاسلامية على عدة أسس ..

● الصحوة العقلانية الانسانية فى التراث العربى الاسلامى .

● البحث عن حلول للمستقبل وليس اللجوء للماضى لأن الصحوة الاسلامية ليست تحقيقا لنوع من الخلاص الفردى يعود فيه الانسان الى نوع من التدين التقليدى أو يعود الى شىء شبيه بالتسليم والفرار من الحياة .

● أن تقوم هذه الصحوة أيضا على ادراك ان المستقبل لا يمكن

ان يتحقق الا بتعاون بشرى ·· فنحن لا نستطيع ان نتحدث عن صحوة ونقاطع الثقافة والانسانية بل لابد ان نؤمن باخوة البشرية على مختلف مذاهبهم وجنسياتهم ·

الصحوة الاسلامية هى أولا وقبل كل أى شىء صحوة سلمية ، بمعنى انها صحوة بشر لا صحوة نصوص ·

واذا كنا نريد ايقاظ النصوص فينبغى ان نكون نحن متيقظين ·· أما ان نتصور ان النصوص هى التى ستوقظنا من نومنا فهذا غير صحيح ، وعلى هذا ينبغى أن نبدأ بأنفسنا ونستيقظ ··

هذه هى الصحوة الاسلامية كما أتصورها ·

الأمل القادم

● ● هل هناك أمل ؟

حجازى : الأمل قائم طالما ان الناس تسأل وتقرأ وتستمع وتبحث عن اجابات وحلول للمشاكل ·· وطالما أن هناك حياة فهناك أمل ·· لأن مصر لن تستطيع أن تعيش فى هذا النفق الضيق الذى لن يصل بها الا الى الظلمات ·

● ولكن المنوط بهم الأمل سواء من الكتاب أو الدعاة ـ كما جاء فى مضمون مقالك الأول بالأهرام ـ اما قد غابوا أو غيبوا أو استراحوا ·· ؟

حجازى : آمالى ليست فى المثقفين الحاليين ·· هناك أجيال جديدة مليئة بالحيوية والرغبة الحقيقية فى العمل وهؤلاء هم كتاب المستقبل ومثقفوا المستقبل ولا يجدون أية فرصة ليقوموا بدورهم ·· هناك فنانون وشعراء وأدباء لا يجدون فرصة للظهور ·

● ● اذن فالأمل مرهون بظهور الجيل الجديد واتاحة الفرصة أمامه .. وهى فرصة غير متاحة كما قلت الآن فأين المخرج ؟

حجازى : من قال لك ان الطريق سيظـل مسدودا للأبد .. والذين يسدون الطريق ليست لهم قـوة الا قوة الدولة .. واذا أرادت الدولة حقا أن تساهم فى العودة الى العقل .. فينبغى عليها على الأقل أن تكون عادلة فى اتاحة الفرصـــة أمام الشباب فى المؤسسات الثقافية والأجهزة الاعلامية ، لأنها ليست ملكا لأشخاص بعينهم ولكنها ملك للشعب ، وللشباب الحق فى ان يكونوا موجودين فيهـا .

صدى البداية

● أما عن شاعرنا الكبير نفسه ، فقد ولد في مدينة تلا بمحافظة المنوفية ، جاء لوالده على كبر وهو فى الخمسين من عمره فاعتنى بتربيته وتحفيظه القرآن الكريم ، وما كاد يصـل الى سن التعليـم (ست سنوات) حتى حفظ نصف القرآن الكريم ، ونظرا لتفوق قدراته عن مستوى الصف الأول الابتدائى فقد بدأ دراسته من الصف الثانى ، وعندما أصبح عمره ثمان سنوات حفظ القرآن الكريم كله ، وعنـدما صار فارسنا قادرا على القراءة والكتابة بدأ يطالع فى مكتبة والده ، وبعد انتهائه من مرحلة التعليم كان أحمد عبد المعطى حجازى بطبيعة الثقافة الشعرية المتاحة له فى هذه الأيام من أواخر الأربعينات وأوائل الخمسينات مشدودا (الى الشـعر الرومانتيكى) .

● ● واسأل فارسنا احمد عبد المعطى حجازى : كيف تحولت الى كتابة القصيدة الحديثة ؟

يجيبني : كانت قصيدتي « الطريق الى السيدة » وما تبعها مع تطور ذاتي ليس متأثرا بأحد ، مما جعلني أعتقد أنني أفضل ممن سبقوني بسنة أو سنتين ، وكان تطوري هو بايقاعي الخاص الذي أدى الى كتابتي للقصيدة الجديدة التي كانت لمستقيمة مع بدايتي لأنها تدور حول تجربتي في المدينة بالاضافة الى أن القصائد وجدت صدى هائلا لدى الناس .. القراء ، والمثقفون ، والنقاد الذين اعتبروا شعري الأول تعبيرا ليس فقط عن تجربة شخصية بل رأوا فيه تعبيرا عن تجربة البلاد .

أستاذ بجامعة باريس

وفي الوقت الذي تطورت فيه القصيدة الجديدة وتطور معها شاعرنا أحمد عبد المعطي حجازي ، كانت تحدث في مصر أيضا تطورات وتغييرات في المجتمع والناس على كل المستويات السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، حتى جاءت هزيمة ١٩٦٧ فصدمت الجميع ، وحولت آمال كوكبة أهل الأدب والفن والثقافة الى أطلال ، ثم كانت عودة الروح بحرب أكتوبر ١٩٧٣ التي انفعل بها كل المبدعين لدرجة أن شاعرنا كتب ثلاثة قصائد خلال تسعة أيام نشرها منذ بدء الحرب المجيدة ، وتمر الأيام ويكتب الشاعر مقالا ينتقد فيه تصريحات للوزير المسئول حول سياسة وزارة الثقافة آنذاك ، فيمنع نشر المقال ، فيسافر الشاعر الى باريس محتجا ولكنه يعمل كمراسل لمجلته « صباح الخير » ، وفي نفس الوقت انتهزها فرصة لاتقان اللغة الفرنسية والاتصال بالعالم عن طريق فرنسا ، وكان مقدرا لهذا السفر الا يستغرق أكثر من عام ولكنه امتد الى سنوات وصار هناك أستاذا لتدريس الشعر العربي بجامعة باريس ..

● فكيف حدث ذلك ؟

اسال شاعرنا فيجيبنى :

أتيح لى أن أكتب مقالتان هامتان فى صحيفتين فرنسيتين مما لفت نظر أقسام الدراسات العربية بجامعة باريس التى دعتنى للقاء مع طلاب وأساتذة الدراسات العربية الذين أجبتهم عن أسئلتهم حول الشعر وشعرى بوجه خاص ، وبعد هذه الندوة عرض على رئيس القسم ان أقوم بتدريس الشعر العربى لمدة ساعتين فى الاسبوع ، واستطاعت الجامعة ان تقدم لى وظيفة مدرس بها •

انا ونزار قبانى

وحتى انفرج الوضع وأصبح المناخ فى مصر مهيأ لعودة كل الطيور المهاجرة عاد شاعرنا واشترك فى احدى الأمسيات الشعرية لمعرض الكتاب الدولى ولكن حجم التأمل فى شعره كان أكبر من حجم التصفيق له •

●● فسألته : قيل وقتها ان الشاعر أحمد عبد المعطى حجازى لم يعد بذلك الوهج الذى كان عليه عندما كان فى مصر فقد أخمدت الغربة فى باريس جذوة شعره •• فما رأيك ؟

استفزه سؤالى فاجابنى :

عندما تكون هناك ندوة فى معرض الكتاب يكون الجمهور عشوائيا مختلطا لا يشده الا الموضوع ، فاذا كانت القصيدة موضوعها « أطفال الحجارة » تشد الجمهور حتى لو كانت قصيدة رديئة ، ولو قدمت له قصيدة أفضل بكثير حول موضوع ليس هو موضوع الساعة يكون تأثيرها أقل •

اذن الموضوع هو الذى يحدد طبيعة تلقى الجمهور ، ولو كنت بمصر خلال الفترة التى قضيتها بباريس لتطورت نفس التطور ،

ثم انى أكتب الشعر بلغة غير اللغة الصحفية ، لكن بعض الشعراء لكى يجذبوا الجمهور يختارون أسخن الموضوعات ويكتبون فيها بلغة صحفية بسيطة ان لم تكن أحيانا مبتذلة .

● ● قلت لشاعرنا .. اذا لم يكن هدفك ان تصل للقاعدة العريضة من الناس بمتابعة موضوعات الساعة .. فهل يكون الهدف هو الاعتصام فى برج عاجى من التاملات الشعرية التى لا يتفاعل معها الجمهور ؟

قال أحمد عبد المعطى حجازى متحديا : انك لا تستطيع مع جمهور المجتمعات الاستهلاكية الذى أتى لشراء « فرخة » ان تعرض عليه صورة زيتية أو موسيقى سيمفونية ، لن يشد جمهور المجتمعات الاستهلاكية الا أحمد عدوية ، والفن ليس هو « الجمهور عايز ايه » انما « الشاعر عايز ايه » ، ولابد لمن يريد ان يفهمه ان تكون له علاقة بالشعر ، لذا لابد من التأكيد على استقلالية لغة الفن عن لغة الصحافة ، ولغة كل فن عن كل فن آخر .

● ● سألت شاعرنا : هل أنت أكثر توزيعا أم نزار قبانى ؟

قال بغير مجاملة : لابد ان يكون هناك فرق بينى وبينه فهو له طريقة خاصة فى الكتابة يبحث فيها عن الموضوعات التى تثير الناس سواء ما نظمه فى ديوانه « طفولة نهد » أو فى دواوينه الأخرى الشبيهة أو قصائده الأخيرة عن أطفال الحجارة وعن بيروت وبغداد وغيرها من الموضوعات السيارة ، وشاعر مثلى يعتقد ان الموضوع مجرد مثير للشعر ، والشعر هو اللغة التى يعبر بها الشاعر عن واقع العالم ، فأنا أعبر بلغة الشعر التى هى مختلفة عن اللغة التقريرية ، ولا شك ان الجمهور يفهم الخبر أكثر مما يفهم القصيدة ، وبعض الشعراء يحاول أن يقترب من الخبر فيكسب جمهور الصحافة ، ولكنه يخسر الشعر ، بعكس الشاعر الآخر الذى

يحاول أن يكون وفيا لمتطلبات الشعر وبالتالى وفيا لجمهور الشعر ، ولذلك فان قصيدتى تجد قبولا واسعا لدى جمهور الشعر الذى يجب ان يسمع ويتذوق ، وهو جمهور ليس ضعيفا ، ولكن نزار قبانى يوزع أكثر منى ، غير ان وصول الشاعر الى جمهور واسع ليس شهادة لشعره ولكنه مكسب للشاعر فقط ، واذا سألت نفسك : من يوزع أكثر : هل يوسف السباعى أم نجيب محفوظ ؟ ترى ان من يشترون ليوسف السباعى على الأقل الى عهد قريب أكثر من نجيب محفوظ ، لكن نجيب بشهادة النقاد والمثقفين لا يقارن بيوسف السباعى .. انظر ما توزعه أغانى أم كلثوم وما توزعه أغانى عدوية ، انه يوزع أكثر لكن هل هذه شهادة له أم شهادة على العصر الذى نعيش فيه ؟ ، والفنان الذى يزيف تجربته حتى يستأثر بالاعجاب الوقتى الواسع لا يخسر الفن وحده ولكن أيضا يخسر القيمة الأخلاقية ، ولا يهمنى كشاعر أن أكسب جمهورا بالتنازل عن قيمى لأنى أضع أمامى المستقبل والقيمة الباقية لأننى أمين مع نفسى ، ولا شك ان الشاعر الذى أتيحت له الثقافة والمعرفة وخرج من مقاييس المحلية ودخل المقاييس العالمية يتصرف بطريقة مختلفة .

● ● اذن تجربتك فى باريس قد انعكست آثارها عليك ؟

يقول الشاعر أحمد عبد المعطى حجازى : لقد أصبح اطلاعى على الشعر الفرنسى والانجليزى مصدرا أساسيا لثقافتى ، ولذلك أصبح حكمى على الشعر مختلفا عن الشاعر الذى لم يقرأ الا ما تنشره الصحف العربية ، والجديد فى تجربتى الباريسية أن الموضوع اليومى أصبح دوره محدودا جدا فى شعرى ، وأصبح موضوع شعرى هو فى الأصل تجربتى الباطنية وذكرياتى القديمة وحنينى الى أماكن بالذات ومشاهد وأزمنة ، وادراكى لوضع الانسان فى الحضارة الحديثة وتأملاتى فى موضوع الموت والمصير والزمن ... الخ .

● ● اذن هى مرحلة تاملية فلسفية ؟

ــ هى كذلك اضافة الى إن اللغة تطورت عندى وإضـــافت لى تجربة باريس بعدا كونيا وعالميا ، فلم تعد مقتصرة على اهتماماتى القومية بل الانسان فى أبعاده الواسعة ، وأتاحت لى فرصة اشتغالى بالتدريس فى جامعة باريس ان أقوم بتدريس الشعر العربى تدريسا منهجيا باستخدام المنهج الأوربى مما فرض على قراءة الشعر من أيام الجاهلية حتى الوقت الحاضر ، فقمت باعادة استكشاف للثقافة العربية بالاضافة الى الاتصال بالثقافة الغربية .

● ● وأسال الشاعر الكبير أحمد عبد المعطى حجازى عن الأمل الوحيد الباقى لوحدة أمة المحيط والخليج .. وهو الثقافة ؟

فقــــال : الوحدة العربية غير قائمة الآن الا بالثقافة التى هى الأساس الراسخ أو الرمز الوحيد لامكانية قيام هذه الوحدة من خلال اللغة الواحدة والأدب الواحد وبالتالى صنع وجدان مشترك ، لأن الأدب يخلق الوجدان نتيجة ثقافة تمتد الى العصور التى بدأت فيها الثقافة العربية تصبح ثقافة أمة كبيرة خاصة بعد الاسلام .

فالثقافة لعبت وتلعب دورا كبيرا فى وحدة هذه الأمة التى تحتل منطقة من أخطر المناطق وتمنع بالتالى التمزق والخلخلة ..

اذن وان كنا نتمنى قيام وحدة عربية سياسية واقتصادية الا أن أن مثل هذه الوحدة لا يمكن أن تقوم الا على أساس ثقافى ، والذى هو الأساس الباقى الذى يساعد الناس على الاستفادة من خبرة الماضى لبناء المستقبل .

● ● اذن انت ترى أن هذه هى رسالة المثقف ؟

ــ نعم ورسالة المثقف أيضـــا أن يحمى الوجدان العربى من الانهيار التام نتيجة الهزائم والنكبات والعدوان المستمر على الأمة

العربية والصراع والحروب الطائفية والاقليمية بين بلدانه ، وواجب المثقف هنا أن يقدم الأمل ويحاول باستمرار أن يحاصر اليأس من أن تنتشر عدواه ، وأن يقدم المثقف اجابات على الأسئلة المطروحة ، وأن يدرك الأمور العارضة والطارئة ويتجاوزها ، ويتمسك بما هو أساسي وجوهري ويشير اليه ، ويساعد الناس على التمسك به •

المقاس المطلوب

● ● ولكن الا ترى ان المثقف العربى لا يؤدى رسالته على الوجه الذى أشرت اليه ؟

ـ للأسف الناس يستسهلون اتهام المثقف العربى بأنه متواطىء مع السلطة ومشغول بمصالحه ومعزول ، وهذا غير صحيح ولكننى أعترف أن المثقف العربى لم يستطع أن يبنى تقاليد لعمله تسمح له بأداء واجبه حتى ولو كانت الظروف غير مواتيه •

ولذلك فحتى يؤدى المثقف واجبه ، يجب على الأقل أن يكون له « منبر » ، لأنه الآن لا يستطيع آن يخطب فى الشارع مثلما كان يفعل مصطفى كامل فى العصر الحديث ، يجمع الناس فى مسرح ، لتصل كلمته من خلالهم الى الشعب كله ، الآن لا نستطيع أن نفعل هذا الا من خلال الصحف والاذاعة والتليفزيون والكتاب ، والسينما حتى المسرح ، والنادى ، يعنى أى تجمع •

وكما أنه يجب تمكين المثقف من اسماع صوته ورأيه للناس ، فيجب أيضا أن يتفاعل مع الآراء الأخرى •

العودة للقرن ال ١٨

● ● من خلال رؤيتك العامة للثقافة العربية •• الى أى مدى استطاعت التعبير عن الشخصية العربية ؟

هذا السؤال ليست عندى اجابة جاهزة عنه ، ولكن يمكننى أن أقول أن بعض الأعمال الأدبية ، الروائية والشعرية والمسرحية ، نجحت فى التعبير عن جوانب من الشخصية العربية •

● ● لماذا لم تنجح هذه الأعمال الأدبية فى التعبير الكامل عن الشخصية العربية ؟

لان الوجود الانسانى ليس وجودا جزئيا ، بمعنى أنه لكى تكون عندنا ثقافة متكاملة ، يجب أن يتكامل المجهـــود العلمى فى هذه الثقافة مع المجهود الأدبى ، بحيث يتم تشخيص واقعنا علميا ، وتشخيص الذات الداخلية أدبيا •

اذن لابد أن يكون لدينا أدب وعلم ، فكر وفلسفة ، وفن •• فاذا تكامل هذا النشاط نستطيع أن نقول أن هناك تعبيرا كاملا عن الشخصية العربية •

الآن طبعا هناك أعمال أدبية ، ولكن هذه الأعمال الأدبية اذا وجدتها متوفرة فى مجال فانك لا تجدها متوفرة فى مجال آخر ، بمعنى ان هناك لا شك نشاطا فى مجال الرواية ولكن هل هناك نشاط فى مجال الشعر ؟ ، فيه نشاط فى مجال الابداع الأدبى فهل هناك نشاط يقابله فى مجال النقد الأدبى ؟ ، فيه نشاط فى مجال الأدب عامة فهل هناك نشاط فى مجال العلم ؟ ••

فنحن صحيح نكتب باللغة العربية أدبا عربيـا ، ولكن هل نكتب باللغة العربية بحوثا علمية •

اذن فالتعبير الثقافى أعرج وغير متكامل ، لأنه موجود فى مجال وغير موجود فى مجال آخر ، لذلك فالانتاج الثقافى العربى غير متكامل ولا زال بدائيا ناقصا فى التعبير عن الشخصية العربية •

● ● ولكن أليس المثقف يتحمل جزءا من مسئولية عدم قيامه بالتعبير وأداء دوره ؟

ـ طبعا لأن الموضوع ليس عقبات أخلاقية بسبب وجود جوانب لا يستحب الكلام فيها أو أن بعض قوى تمنع المثقف من أن يؤدى دوره ، أيضا فالمثقف مقصر فى حق نفسه ، فهو لا يزال يستخدم وسائل ومناهج بدائية ، ولم يستوعب بعد الثقافات العالمية ، ولم يستفد من التراث العربى ويطوره ولم يستفد بالوسائل الحديثة لجمع المعلومات . بل ان البعض ما زالوا حتى الآن يشتمون طه حسين على كتابه « فى الشعر الجاهلى » . فهؤلاء الناس لا يريدون أن يغلقوا باب الاجتهاد الآن ولكنهم يريدون أيضا أن يجرموا أو يتهموا الاجتهادات التى حدثت بالأمس ، فماذا يريدون ، هل يريدون العودة بنا الى القرن الثامن عشر ؟!

الرأى العام والضمير المشترك

● ● اذا كان دور المثقف غائبا نتيجة الظروف التى شرحتها فمن اذن برأيك الذى يقود الرأى العام العربى الآن ؟

السؤال الآن .. هل هناك رأى عام عربى ؟ لا يوجد ، والا عندما حدث ما يحدث فى لبنان (*) ، أو بين هذه العاصمة وتلك من العواصم العربية .. لماذا لم تخرج مظاهرة واحدة من خمسة أشخاص .

وعندما تتعرض أمتنا للعدوان .. لماذا لا تتحرك الجماهير العربية .. ليست فقط مظاهرات بل حتى فى الكتابة لا يوجد رأى عام ، لأن الرأى تفكك وتمزق وأصبح طوائف وعشائر وقبائل

(*) أيام الحرب الأهلية واجتياح اسرائيل لبيروت .

وكل انسان عاد الى دائرته الصغيرة جدا ، فى أحسن الأحوال عائلته . فنحن فى حاجة الى ضمير مشترك .. الى رأى عام .

● ● من هو المسئول عن خلق هذا الضمير المشترك والراى العام الواحد ؟

المثقف والشاعر والروائى والفنان والسياسى والاقتصادى والمهندس .. المجتمع كله يشارك فى هذا .

● ● دور المثقف والشاعر والروائى والفنان والسياسى معروف ومفهوم .. فكيف نفهم دور الاقتصادى مثلا فى بلورة الرأى العام ؟

الاقتصادى لابد أن يشرح لى أهدافى الاقتصادية التى تجعلنى وأنا أسعى الى الربح لا أقوم بتجريف الأرض الزراعية وتحويلها الى صحراء أو مبان ، أو واحد يقف بسيارته فى عرض الشارع ليشترى « جبنة » ويعطل السيارات التى خلفه ، ذلك لأنه لا يوجد احساس ، ولا رأى عام ، بعكس زمان كان يوجد رأى عام ..

● ● كيف كان يوجد رأى عام زمان ؟

فى العقود الأولى من هذا القرن ، كلنا نجد مثلا سيد درويش يساهم فى خلق الرأى العام بأغانيه وألحانه ، وطه حسين كان يساهم بآرائه النقدية ودراساته ومسرحياته ، أيضا العقاد ، والشيخ على عبد الرازق .. فهؤلاء كانوا يساهمون فى بلورة الرأى العام فى كافة الجوانب .

مجتمع رحب مفتوح

● ● الا يوجد أمل فى عودة مثل هذا الراى العام قويا مؤثرا ؟

نحن ننتظر عودة من هذا النوع الآن ، وأتوقع ذلك خاصة بعد ما أصبحنا مجتمعا مفتوحا رحبا ولديه استعداد لتقبل الرأى

الآخر واعطاء الفرصة لهذه الآراء لكى تتفاعل وتتصارع وتنتهى الى حلول مفيدة منتجة ٠

أتوقع ذلك نتيجة الظروف الراهنة فى مصر والتى نساعد على ترسيخ تقاليد جديدة للعمل الثقافى ، تنتهى الى مفهوم أن المثقف ليس هو الاعلامى ، وانما هو الذى يقوم بواجبه بما يراه حق ، والرقيب على هذا هو وجدانه وضميره ٠

فاذا ترسخ هــذا المفهوم ونشأ على أســاسه جيل جديد من المثقفين ، تنشأ للثقافة مؤسسة معنوية ٠

وكذلك فى كل المجالات بحيث يكون هناك وجدان مشترك ، والا تحولنا الى حبشة ٠٠ اذن لابد من « سلك » ٠٠ ينتظم الناس ليكونوا مجتمعا ٠

وهذا « السلك » غير المرئى والذى ينتظم الناس هو العقل ٠ الوجدان ٠ الثقافة ، والا ظل عقد المجتمع منفرطا ٠٠ ناس تذهب الى أمريكا ٠٠ كندا ٠٠ أوربا الخ ٠٠ ، فأصبحنا أشبه « بعشة الفراخ » التى انفتحت فقفز الدجاج هنا وهناك وفوق السور وخارج البيت ، لا تستطيع أن تجمعهم ، نحن نريد أن نعود لنكون مجتمعا نشيطا ثقافيا وعلميا وفنيا وأدبيا واعلاميا وسياسيا واقتصاديا ونقابيا وفى الجامعات ٠٠

فكل فرع من هذه الفروع له دور فى قيام مجتمع حقيقى له وجدان مشترك وضمير مشترك ، يصنع فى النهاية الرأى العام الذى يحس ويشارك وأنا شخصيا عندما أرى معرضـــا للكتاب يتردد عليه الناس يوميا بالمليون ، وأمسيات وندوات شعرية يترددون عليهـــا بالمئـــات والآلاف ، فهذا شىء مطمئن ويدعو للتفـــاؤل والاستبشار ٠

فنحن الآن نعيش مرحلة أكثر ايجابيــة وأقل ســلبية من السابق ، وينبغى تنمية ودفع وتعميق هذا لاعطائه صفة الدوام والتواصل التاريخى لأنك اذا أخرجت الانسان من تاريخه صــار قردا ، هذا ما يجب أن نتنبه اليه لأن مشكلتنا هى انعدام التواصل بين الحاضر والماضى والمستقبل ، لأن كل من يعمـــل عملا ، يأتى شخص آخر جديد يمحو القديم وينسخه •

لهذا فمن أجل أن يوجد التواصل لابد من عمل ثقافى دائم وثابت لكى يظهر رجل مثل طه حسين يغير العقل المصرى والعقل العربى •

● نزار قبـانى :

أنا أول من أمم الشعر وجعله ديمقراطيا

● الشاعر العربي الكبير نزار قباني قال لي « انه لم يمكنه أن يقول ما قال سوى في بلدين احدهما بيروت ولكنها تخترق (*) فلم يبق الا مصر التي مهما يقال عنها فقد اكدت انتماءها القومي والعربي .. وستبقى ينبوعا حضاريا وثقافيا وقوميا لنا جميعا » .

كانت البداية مع رحلة شاعرنا الكبير مع الشعر والحياة .. فقال ..

اكتشفت بذور الشعر فى نفسى بالمصادفة ، فقد جربت قبل الشعر عدة محاولات ، فحاولت أن أرسم ، وجربت تعلم الموسيقى ، وفى النهاية وجدت أننى سأكون فى كلا الفنين ثانويا ، وليس من الدرجة الأولى ، فتحولت فى سن الـ ١٦ سنة عام ـ ١٩٣٩ ـ الى الشعر لأننى اما أن أكون الأول واما ألا أكون .

وبعد خمس سنوات طبعت أول ديوان لى فى دمشق سـنة ١٩٤٤ بعنوان « قالت لى السمراء » ، ثم دخلت السلك الدبلوماسى وأتيت فى أول بعثة دبلوماسية الى مصر من سنة ١٩٤٥ الى ١٩٤٨ . وأصدرت ديوانى الثانى « طفولة نهد » .

ومنذ بداياتى حاولت أن يكون الشعر صوت الانسان فى كل مكان بوسائل كثيرة أهمها وسيلة اللغة ، واعتبرت الشعر أداة لانارة واضاءة وجدان الشعب العربى ومساعدته على أن يحقق ذاته وأفكاره سواء العاطفية أو السياسية .

(*) فى زمن الحرب الأهلية حين أدلى نزار بهذا الحديث .

ثم تنقلت في السلك الدبلوماسي بين لندن والصين وأسبانيا وبيروت ، ومن حصيلة هـــذا الترحال الدبلوماسي تكونت عندي تجارب كثيرة أعتبرها أول وأهم كتاب في ثقافتي ·

وكانت قضيتي في المرحلة الأولى من شعري هي قضية « المرأة » باعتبارها جزءا خطيرا وأساسيا من حياة المجتمع الذي كان لابد لي أن أقاتل من أجل تحريره كما نقاتل في سبيل تحرير أي جزء من الأرض ، لأنني أعتقد أن المرأة في مرحلة ما ، أهم من الأرض ، لأنه اذا حررت الأرض ولم تحرر المرأة فما تكون قد فعلت شيئا ، وأعني بتحريري للمرأة في شعري هو أن أضعها في المكان الحضاري اللائق وأن أجعلها مواطنة من الدرجة الأولى ، حيث لابد أن نعترف بانسانية المرأة ، وشعورنا بزمالتها لا شعورنا بامتلاكها ، بل هي انسان له فكر وذوق وأحاسيس ·

ما تاجرت بالحشيش

● ● دفاعك هذا الحار عن المرأة هل كان هو سبب شهرتك وكثرة معجبيك من الجنس الآخر ؟ ·

لا ·· لا ·· قضية الشهـــرة عن طريق المرأة غير واردة ، لأن شهرتي جاءت عن طريق « الصدق » في معالجة القضايا سواء كانت قضايا عاطفية أو سياسية ·

أما بالنسبة للمرأة وشعر الحب فأنا أول من تحدث عن الحب كظاهرة طبيعية مرتبطة بالانسان ، فمن منا لم يحب ؟

والحب في نظري في مرحلة من المراحل عبارة عن عطـــاء سماوي ، لكن هنـــا في الشرق العربي تعاملنا مع الحب كنوع من المهربات كالحشيش ، شيء ممنوع ·

وقد كنت أشعر دائما أن هذا خطأ لأنه لا يمكن ممارسة القمع على شعور طبيعي من مشاعر الانسان ، لذلك أعلنت الثورة ضد التفرقة العنصرية فى الحب بين الرجل والمرأة ، فبينما المرأة مقموعة ولا تستطيع أن تقول أو تعلن حبها أو كرهها فان الرجل يستطيع أن يعشق متى يشاء وممن يشاء ، وهذا ما جعلنى أخطو الى ثورتى التصحيحية :

ويقول عني الأغبياء
انى دخلت الى مقاصير النساء وما خرجت
ويطالبون بنصب مشنقتى
لأنى عن شئون حبيبتى كتبت
أنا مثل غيرهم ما تاجرت بالحشيش

شعب مصر يؤكد انتماءه

● ● بعد محاولاتك لتصحيح أوضاع رأيتها خاطئة بالنسبة للقضايا العاطفية فكيف بدأت محاولاتك لتصحيح الأوضاع السياسية ؟

جاء دور السياسة بعد حرب ٦٧ ، فكتبت قصيدتى المعروفة « هوامش على دفتر النكسة » ، التى عريت فيها عاهات الأمة العربية ، وتكلمت بصدق جارح ، لأنه لم يكن هناك مهرب من أن أنقد هذا النقد الذاتي ، لأن من بعده تبدأ حركات التأسيس والتصحيح ، ولا يزال الشعر السياسى بالنسبة لى مفصلا رئيسيا ، لأن حياتنا كلها مغطاة بالسياسة ، فنحن نعيش السياسة فى صحونا ونومنا ، وطعامنا وشرابنا ، وأنا أعتقد أن الشاعر يستطيع أن يكون قائدا سياسيا يوقظ وجدان الجماهير العربية ويتكلم

بلسانها ، لذلك فانا أعتبر الشاعر هو الناطق الرسمي بلسان الأمة ٠

●● الذلك يمكن القول أن مملكة الشعر والأدب تستطيع أن تنتظم عقد العروبة المنفرط ؟

طبعا وهذا حاصل الآن ، فالشعراء والأدباء هم الذين يجمعون الشمل ، في حين ان الدول العربية لا تستطيع أن تتفق حتى على موعد لقاء فيما بينها في مؤتمر قمة أو حتى وزراء خارجية ، ذلك بينما الشعراء والأدباء والفنانون يتنقلون من بلد عربي الى بلد عربي آخر ، والجماهير تشعر أن هذا هو الطبيعي ، فمثلا عندما نرى وفدا من مصر يذهب الى دمشق ليشارك في مهرجان المسرح ، أو آتي أنا الى هنا لألقي شعرا في معرض الكتاب أو أذهب الى ندوة في الأردن أو الجزائر ، ويتنقل الشعراء العرب بين البلدان العربية كأنهم يتنقلون في بيتهم ، أعتقد أن هذا دليل على أن الوحدة العربية معاشة بصورة طبيعية ، وهي لا تحتاج الى مواثيق ، لأن الكلمة هي الموحدة ، والقصيدة عندي مثل بركان يتفجر من داخلي والشعر يلعب دورا كبيرا في عملية التوحيد هذه ٠

●● هل شعرت بذلك خلال استقبال الجمهور المصري لك في معرض الكتاب الدولي ؟ ٠

نعم ٠٠ فالقصائد السياسية التي ألقيتها في مصر وتجاوب الجمهور معي كان استفتاء شعبيا رائعا أكد به الشعب المصري انتماءه القومي العربي ، وأنا فخور بهذه النتيجة التي تؤكد أن مصر مهما يقال عنها فهي تبقى ينبوعا حضاريا وثقافيا وقوميا لنا جميعا ٠

لا تغضبوا منى

● ● ان ما تقوله الآن هو عكس ما قلته لمجلة عربية من ان الثقافة فى مصر قد أصبحت ثقافة عدوية ؟ .

أرجو ألا تغضبوا من هذا فأنا لا أتحامل ، لأن مفكرين مصريين كبارا قالوا مثل هذا الكلام ، فالأستاذ توفيق الحكيم قرأت له حديثا في مجلة تصدر فى باريس قال فيه .. « ان هذا عصر السباكين فى مصر ، وان أصغر راقصة فى شـــارع الهرم تتقاضى أكثر مما يتقاضى هو ونجيب محفوظ من مردود كتبهم فى أربعين ســـنة ماضية » ، كذلك د. زكى نجيب محمود تكلم بنفس الصيغة وتحدث عن هبوط الثقافة

ومن رأيى أنه ليس عيبا أن نعترف بأن هذا العصر سواء فى مصر أو البلاد العربية أو أوربا ، هو عصر الهجمة المادية على الروح ، وهذا ما وقع .

ولا يمكننى أن أقارن الثمانينات بالأربعينات فى مصر حيث كنت أنا دبلوماسيا هنا ، وشهدت عظمة الثقافة المصرية فى عصر نهضتها التى بدأت فيما بين الثلاثينات والخمسينات حيث برز العقاد والزيات وطه حسين والبشرى والمـازنى ، وغيرهم كثيرون ، ومع نهضة الأدب كانت هناك نهضة فى الموسيقى بدأها سيد درويش وعبد الوهاب ، وتألقت فيها أم كلثوم ..

فقد كانت هذه الفترة مثل النيل تفيض علينا وعلى العـــالم العربى بكل أرجائه ، لذا عندما أقول أنه لم يعد فى مصر ذلك الزخم الثقافى فهذا مثلما ينطبق على مصر ، ينطبق على لندن ، مثلما ينطبق على باريس ، مثلمـا ينطبق على روما ، وكل البلدان التى تمـارس الثقافة ، ولكن يبدو لى أننا نغضب ونريد أن نقول أننا دائما معلمو

الثقافة .. لا يا أخي نحن نعلم ونتعلم ، لأن المرحلة الثقافية عبارة عن دورة وخط بياني قابل للارتفاع كما هو قابل للهبوط ، ومثلما نحن منحدرون سياسيا الآن فكذا الثقافة لا يمكن أن تنجو من هذا لأنهـا جزء من حيـاة الأمة ، ولا يمكن أن نقـول أن الثقافة بخير والسياسة منحطة .. لا .. لأن مرحلة الهبوط السياسي يقابلها مرحلة هبوط ثقافي ومرحلة هبوط شعرى ، ويجب أن نعترف بهذا لأن الدولة القوية تنتج الثقافة القوية والشعر القـوى العظيم ، لذا أعطني هذه الدولة وخذ شعرا عظيما .

الفجر الجديد

● ● هل يعني اعترافنا بالواقع الأليم سياسيا وثقافيا أن نعترف أيضا باليأس ؟

لا يا أخي ، ما تمر به الأمة العربية هو مخاض يشبه مخاض الأم في انتظار الوليد ، لذلك لا تحزنني حالة التدهور الموجودة الآن لأنها تمثل حالة قلق ، قلق في الثقافة والشـعر ، قلق في السياسة ، قلق في الاقتصاد .. وهذا القلق يسبق طلوع الفجر الذي لابد من طلوعه ، ولابد أن ينتهي هذا المخاض الى ولادة الانسان العربي الجديد .

● ● هذا الانسان العربي الجديد الذي نحلم معـك بمولده هل يمكن تحديد دائه لاستئصاله وصولا الى الفجر الجديد ؟ .

داء الانسـان العربي هو داء العصر كله ، عصر المـادة أو ما أسميه العصر الاستهلاكي ، حيث ميدان الروح يضيق وميـدان العقل يضيق ، بينما ميدان الجسد يكبر ، وهذه ظاهرة عالمية ، فتجد أن أوربا تحاول الرجوع الى ماضيها مثل حزب « الخضر » الذين يعودون للطبيعة والغابة ، ومثـل « الهيبيين » الذين يريدون كسر

أنظمة المدينة ، والعودة الى البرعوية والفكر الرعوى ، والبساتين والشجر ، هروبا من مدن الأسمنت ..

فأنا أعتقد وأنا أتأمل هذه الدلالات الموجودة فى العالم أن الحياة الاستهلاكية التى يعيشها المواطن العربى تعتبر هامشا على حياة الانسان العربى الذى لابد يوما عائدا لأصالته ونقائه الأول .

حكم المجانين

● ● هل يمكن في ظل الرعب النووى وأسلحة حرب النجوم أن يحقق دعاة السلام نجاحا في العودة الى الأصالة التى ينشدها الانسان فى كل مكان ؟ .

للأسف .. العالم واقع بين أيدى مجانين ، والذى أشعل فتيل الحروب الماضية كانوا مجانين ، ويا ويل العالم يوم تقع حرب عالمية جديدة ، ولكن أمام الأسلحة الفتاكة الهائلة التى نسمع عنها هناك جماعات السلام فى كل البلاد ، وأحزاب تطالب بالحد من السلاح النووى وتدميره ، ولكن على من تقرأ مزاميرك ياداود ، فهناك شئنا أو أبينا نزاع على البقاء بين الدولتين الكبيرتين « روسيا » و « أمريكا » ، ونحن لعبة بين الأرجل لا نستطيع أن نفعل شيئا لأننا لا نملك السلاح النووى ، ولا نستطيع أن ننصح بشىء لأن نصيحة الضعيف غير مقبولة .

● ● اذا تصورنا مجتمعا يزيح حكامه المجانين وينصب الشعراء حكاما له .. فهل تتنبأ بمستقبل أفضل للعالم ؟ .

انا لا أتصور ان يكون الشعراء حكاما ، لأن الانسان بطبيعته يحب السلطة ، فاذا كان ملاكا فى البداية ، فانه عندما يجلس على كرسى الحكم ، يحدث لعقله تغييرات كبيرة بتأثير هذا الكرسى ،

فيزداد غرورا واعتـــدادا بنفســـه ، وتزيد مطامعه ، لذلك ابق على الشعراء كما هم لأن لديهم مجموعة مثل عليا ، وأخشى من وصولهم لممارسة الحكم فيسقطون ويتبدلون ، لذا أفضل أن يبقى الشـــاعر شاعرا والحاكم حاكما ، ولكن هذا لا يمنع أن يكون هناك مجلس استشارى لإستشارة أهل الفكر فيما يتعلق بالسياسة كما كان يجرى فى أثينا القديمة ٠

● ● مادمت غير موافق على حكم الشعراء فهـــل تراهم قد اســتطاعوا فى عالمنا العربى كشعراء أن يـكونوا معبرين عن آماله وآلامه ؟

هذا يختلف من شاعر الى شاعر ، فهناك شاعر يعتبر الشعر عملية استشهاد ، وأنا من هذا الرعيل ، يعنى أنا ليست عنـــدى أوساط حلول ، لأننى أومن أن الكلمة يجب أن تقال ولو على حـــد السيف ، وهذا ما طبقته فى شعرى ، لكن هناك للأسف شـعراء « بجسدهم » يفكرون ، يتحامون على أسرهم وحياتهم ووظائفهم ، ولا يريدون أن يجرحوا أحدا ، وهؤلاء ليسوا بشعراء لأن الشاعر الذى يمشى بجوار الحائط يقول « يارب سترا » فهذا شاعر مستسلم ولا خير منـــه فى النهـاية لأنه شـــاعر غير قادر على المجابهـــة ودفع الثمن ، لأن للشاعر ثمنا كبيرا جدا ، وعلى الشاعر الذى يريد أن يحمل بوليصة تامين على قصائده ، أن يســـتقيل من مملـكة الشعر ٠

● ● كم عدد الشعراء فى الوطن العربى الذين يعتبرون الشعر عملية استشهاد ؟ ٠

أقل من عدد أصابع اليد ، لأن الانسان ضعيف أمام رزقه وأمام أولاده وزوجته وموقعه الاجتماعى ، لأن الانسان اذا غضب عليـــه ولا يملك أى مصدر رزق سوى الشعر أو الكتابة ، فماذا سيحل

به ؟ أيتضور جوعا أو يتسول ؟ ، هذا منطق ، لكن هناك « ناس بايعينها » ، مثلى ، يعنى تساوى الماء والحجر لديهم ، وبالنسبة لى أعتبر أن شعرى رائج ، ومن مردود شعرى أستطيع أن أعيش عيشة بسيطة ديمقراطية أربى أولادى ، وهذا كل ما أطلبه من حياتى ، لا أريد قصورا فى الجنة ولا على هذه الأرض ، ولا أريد « يختا » تنقلنى عبر البحار ، ولكننى أريد أن أبحر الى جهة واحدة هى قلب الجماهير العربية ٠

● ● اذا لم تكن تضع بوليصة تامين على شعرك ٠٠ ألم تضع بوليصة تامين لأولادك من بعدك ؟ ٠

لا أملك الا الشعر ، وأعتقد أن أولادى وأسرتى هم من أغنى الناس بشعرى ، كما كان أبناء أحمد شوقى وكل الكتاب والشعراء العرب ، لأن الاسم بحد ذاته ثروة أهم من السجادة العجمى وأهم من القصور والفيلات كلها ٠

● ● هل يعنى هذا أن ليس لك رصيد فى البنك ؟

ــ رصيدى عشرون ديوان شعر ، وأعتبر نفسى بهذا أغنى الأغنياء ٠

● ● كم عدد أولادك وهل يناقشونك فى أشعارك ؟

ــ عدد أولادى ثلاثة ٠٠ بنتان وولد ، وهم فخورون ويحبون شعرى ، ولكنهم لم يصلوا بعد لمرحلة النقد ، فلازالوا بعد فى مرحلة العبادة والوثنية لأبيهم ٠

● ● هل هناك جو نفسى معين تتهيأ فيه نفسك للكتابة ؟

ــ أنا لا أكتب القصيدة ، ولكن القصيدة هى التى تكتبنى ، فأنا لا أخطط لها ولا أعرف متى ستأتى ، لأن القصيدة عندى مثل

بركان ينفجر من داخلي نتيجة تجمعات وتراكمات نفسية ثم لا تلبث القصيدة أن تشكل نفسها .

●● هل بقى من طموحاتك شيء لم يتحقق ؟

ـ طموحي الكبير أن أجعل الشعر خبزا يوميا في متناول الجميع وهواء يستنشقه الجميع ، وأستطيع أن أقول بكل اعتداد وفخر أنني وصلت الى تحقيق هذه الأمنية ، فقد كان الشعر في الماضي رسميا في بلاط الملوك والأمراء بعيدا عن الشعب ، فأردت أن أجعل الشعر ديمقراطيا ، فكنت أول من أمم الشعر وجعلته في خدمة الجماهير العربية .

وينتهي الحديث مع الشاعر العربي الكبير نزار قباني ، وقبل أن يغادر ضيفنا الكبير « قاهرة المعز » أعلن في أمسية الشعر بمعرض الكتاب « يدخل الشعراء العرب ليعلنوا جمهورية الحب العربية في وجه جمهوريات الحقد والقبح والبغضاء » .

● عبد الوهاب البياتى :

الشعر العربى أشبه بحشرجة الموتى

● قبل موعدى للقاء الشاعر العربى الكبير عبد الوهاب البياتى القادم الينا من العراق الشقيق لزيارة القاهرة التى يشتاق اليها كلما ابتعد عنها ، جرى نقاش مع شاعر عربى آخر هو محمد مهران السيد حول العديد من قضايا الشعر ، وقد وجدت انه من المفيد ان اطرح هذه القضايا على الشاعر البياتى الذى يعمل مستشارا ثقافيا بالسفارة العراقية باسبانيا « اندلس العرب سابقا » ، وان كان يفضل مهمـــا كان منصبه الا يناديه احد الا بصفته كشاعر له فى رصيد مملـــكة الشعر أكثر من عشرين ديوانا ، وهو لا ينحاز الى الشعراء الا بحق ، ولذلك عكست اجابته حول قضية الوضع الراهن لحركة الشعر العربى ، مرارة الحقيقة التى لم يشأ ان يزينها او يدور حولها ٠

قال الشاعر العربى عبد الوهاب البياتى :

وضع الشعر العربى الراهن هو أشبه بجزر عائمة منفصلة عن الأخرى ، ولذلك فليس هناك حركة شـــعرية ، لأن « الحركة » يراد بها الرؤية الشعرية الموحدة ٠٠ فهل هناك رؤية شعرية عربية موحدة ، واذا كان الجواب كلا فما هو موجود اذن ؟

هناك شعراء ومن خلال كل شاعر نستطيع أن نتبين السبيل الى الجواب ٠

والمرحلة الحاضرة التى يمر بها العرب كأمة وشعب لاتسمح أيضا بوجود رؤية شعرية موحدة ، ذلك لأن المؤسسات الثقافيـــة القائمة فى العالم العربى سواء كانت مؤسسات رســـــمية أم غير

رسمية ليست لها رؤية موحدة أيضا ، وهناك اختـــلاط بالأوراق وبالاتجاهات وبالمدارس ٠

ويمـــكن أن أقول أن اللامعنى هو حجر الأساس فى الواقع العربى الحاضر ٠

حشرجات الموتى

● ● هل يمكن أن نقـــول ان اللامعنى الذى يخص واقع الشعر الراهن من أسبابه ذلك الغمـــوض كظاهرة اكتســـحت السبعينات بين الأجيـــال الجديدة ولازالت آثاره ســـارية فى الثمانينات ؟

نعم الغموض هو السائد فى الشعر العربى ، وهو ناتج عن قصور فى الرؤية وعجز فى الأدوات الفنية ، ولكن ليس هنـــاك غموض كلى وليس هناك وضوح كلى فى الشعر ، انما هناك شعر ، ولابد للشعر الأصيل الحقيقى أن يتواصل مع القراء ومع زمنه ومع قراء الأزمنة القادمة ٠

واذا كان الغموض هو منتهى الشعر فان الشعر فى مثل هذه الحالة يصبح ضربا من العبث ومحاولة غير مجدية لتحويل الواضح الى غامض ، وهذا ما أراه فى كثير من الشعر الذى أقرؤه ، ويكاد المثل القائل « أسمع جعجعة ولا أرى طحنا » أن يكون هو القانون السائد ٠

● ● هذه الجعجعة بلا طحن التى تســـود الشعراء ٠٠ هل تفسر لنا عدم فعاليتهم فى مجتمعاتهم مقارنة بمن عرفت من الشعراء العالميين ؟ ٠

ـ الحقيقة ربما معرفتى بهؤلاء الشعراء أفادت فى شىء مهم وهو أن نمط حياتهم يختلف عن نمط أكثر الشعراء العرب الذين تقترب

حياتهم من حياة « الهجنة » ، أى الحياة العادية التى لا تدل على أنهم شعراء حقا ، فهم يذبلون ويشيخون ويحنون رءوسهم ويركعون أمام أية عاصفة صغيرة تهب ، ولا يلبث المجتمع بمعـــدته الجبارة أن يسحقهم مع العظام وفضلات المدن التى يعيشون فيها ، فهم أشبه بالنباتات المتسلقة التى تولد فى الصباح وتموت فى أول المساء ، باستثناء أسماء قليلة جدا ٠

وحتى هذه الأسماء القليلة تعيش بالقرب من الوصف الذى سقته ٠ أما الشاعر الحقيقى فهو مغامر ومثقف هذا العصر ، وهو الرائد و « النبى » الذى آثر أن يعيش على حافة الخطر والشـــقاء الأبدى دائما وأبدا ٠

كما أود أن أضيف أن معظم الشعراء الكبار والعالميين الذين تعرفت عليهم لا يكاد ينفصل موقفهم الأخلاقى والانسانى وسلوكهم الشخصى عن أعمالهم الابداعية العظيمة ، فهم كل واحد ، أى الواحد الذى يصبح الكل ، والكل الذى هو الواحد ٠

● ● اذن ما الرسالة التى يقوم بها الشعر العربى الآن ؟ ٠

ـ لا توجد رسالة لأن الشعر العربى الآن هو أشبه بحشرجات تنطلق من أفواه شبه موتى فوق رءوس موتى آخرين لا يقلون عنهم موتا ٠

● ● انت تنظر للأمور بتشاؤم شديد ؟

ـ ليس تشاؤما ولكنه الواقع للأسف الشديد ٠

● ● ولـكن الواقع يقول أيضـا ان هناك شعـــراء تجاوزوا الحدود الاقليمية ؟ ٠

ـ حتى الآن لم يستطع معظم الشعراء أن يتخطوا الحـــدود

الإقليمية لنجوم السينما والتليفزيون ونجوم السياسة فى أحسن حالاتهم ٠

● ● هل يمكن أن تحمل حركة النقد جزءا من المسئولية عما آلت اليه حركة الشعر الراهن ؟ ٠

ـ حركة النقد فى مد وجزر ، وهى تقف بازاء الابداع أحيانا وقد تنعدم أحيانا أخرى ، وقد تتخلف عنه أحيانا أخرى ٠

والنقد مهنة صعبة وشاقة تتطلب مقدرة كبيرة ومعرفة بجميع جوانب العلوم الانسانية ولا يقدر عليها الا المبدعون الكبار لأن النقد ابداع لا يقل عن الابداع فى الشعر أو الرواية أو المسرح ، والنقاد الكبار قادرون قدرة الابداع العظيم ٠

● ● هل لدينا ما يسمى بالنظرية العربية فى النقد ؟ ٠

ـ لم تتكون حتى الآن معالم نظرية عربية فى النقد الأدبى ، ولكن هناك خليط من الاتجاهات المختلفة لنظريات نقدية قديمة وحديثة من مختلف الثقافات ٠

● ● هل سنظل نعيش على النظريات الأجنبية التى تصاغ من خلال موقف الناقد لما يطرحه الابداع الغربى ؟ ٠

ـ أرجو أن نكون حذرين فى التعامل مع مثل هذه الكلمات ، لأن قوانين النقد لا يمكن أن تتكون مالم يتم استقراء الأعمال الأدبية نفسها ، وبدون الاستقراء فليست هناك نظرية نقدية أصلية ، وما النظريات القديمة والحديثة الا معالم وصور فى طريق معرفة الناقد بالمدخل الى الابداع الجديد لكى يكتشف قوانينه الموضوعية الجديدة من خلال سبر أغواره ٠

وهذا يقودنا الى القول أنه ليست هناك نظريات نقدية سابقة

على الابداع العربى ، واذا كانت هناك نظريات سابقة فهى تستخدم للمعرفة وليست للتطبيق .

الترجمة .. وقصيدة النثر

● ● هل يمكن ترجمة روح الشعر الى اللغات الاخرى ؟

- يمكن ترجمة الشعر الجيد الذى تتوازن فيه وتتكافأ وتتوحد العناصر المكونة لقصيدة من كلمات ومعان ورموز وصور وجمل شعرية وموسيقى ، وعند طغيان أحد هذه العناصر على بقية العناصر الأخرى فان الاختلال فى الترجمة لا محالة واقع ، لأن هناك شعرا يعتمد على سحر اللغة التى يكتب بها ، وعند ترجمته الى لغة أخرى يزول السحر ولا تبقى الا الكلمات المرمية كما ترمى الأحجار على قارعة الطريق .

ولعل أهم معلم من معالم الشعر الجيد الذى يمكن ترجمته هو سمو تجربته الانسانية وكثافتها وعمقها وقدرتها على اختراق جدار اللغة للوصول الى ضفاف أزمنة أخرى ولغات أخرى .

● ● الدعوة الى تغليب « المحكيات » أو الشعر العامى .. هل هى دعوة تفيد وجدان الأمة وتثريه ؟

- قد تثرى اللغة العامية أحيانا ، اللغة الفصحى لقدرتها على اكتشاف جوانب من الواقع الغائب أكثر من قدرة الفصحى ، ولكننى أتعصب تعصبا شعريا للفصحى ، وأرى أنها هى الأصل ، وأنها هى الينبوع ، وما اللهجة أو اللغة العامية أو المحكية الا علامات مندرسة فى طريق تقدم الفصحى وازدهارها .

● ● قصيدة النثر .. هل تندرج كفرع من فروع الشعر .. أم أنها جنس من أجناس الكتابة الأدبية فقط ؟ .

ـ عندما أقرأ ما تسميه أنت بقصيدة النثر وأسميه أنا نصا أدبيا لا أكثر ، أتعامل معه كما أتعامل مع أى نص أدبى ، فاذا كان هناك ما يثير الاهتمام فهو نص ابداعى ، ولهذا فأنا لا أتعامل مع النصوص الأدبية من خلال النظر للأشكال التى كتبت بها ، بل من خلال كمية أو مقدار الابداع الكامن فيها ٠

وليست هناك حتى الآن أية أشكال تخطت القصيدة العربية بمفهومها القديم والحديث ٠

● ● هل ما يسمى قصيدة النثر أو ما نسميه نصا أدبيا .. له جذور فى تاريخنا المعاصر القديم ؟

ـ موجود منذ أقدم العصور فى أدبنا ولكن معظم النقـــاد لم يطلقوا عليه اسم قصيدة نثر أو ما شابه ذلك ٠

وهناك تناقض صـــارخ بين هاتين الكلمتين فكيف تـكون « قصيدة » ونثر » ، فهى اما قصيدة واما نثر ٠ وأتساءل ٠٠ لماذا هذا التهافت على الشعر اذا كان الكاتب لا يمتلك موهبة الشعـــر ، فهل النثر لون أدبى منحط الى هذه الدرجة حتى يتبرأ منه البعض فيطلقون عليه تسميات ليست منه فى شىء ، أو لا تمت اليــه بأى صلـــة ٠

آلهة الشعر

● ● هل يتراجع الشعر الحديث أمام الشعر العمودى نتيجة وجود أزمة فى الابداع ؟

ـ لا يمكن طرح القضية بهذا الشكل لأن الابداع متى توفر فانه يخترق كل الحواجز والقيود ، وعند ذلك لا يمكن طرح هذا السؤال ٠

ولنقل وهذا مجرد افتراض أن هنـــاك أزمة شعرية أو أزمة ابداع ، وهذا أمر طبيعى ، لأن الشـــعر نغمة نادرة ، ولأن آلهة الشعر عرفت بالبخل الشديد منذ أقدم العصور ، وهى أى هذه الآلهة لا توزع الخيرات على الجميع بعدالة ، وتلك قضية واقعية ، فنعود ونقول .. هل هناك أزمة ابداع ، الجواب كلا ، لأن وجود قلة مبدعة يكفى لانارة كل ليالى العصور القادمة .

وقد كان المتنبى أو أبو العلاء المعرى أو أبو نواس أمثولة لهذا السؤال ، وقد كانوا شعراء عظاما بالرغم من بخل العصـــور التى عاشوا فيها والتى رمت على قارعة الطريق بالعشرات والمئـــات من الشعراء الذين لم يكتبوا بيتا شعريا واحدا حقيقيا .

الفن للفن

● ● لماذا لم تكتب للمسرح الشعرى حتى الآن ؟ .

ـ يقول الشاعر عبد الوهاب البياتى :

ولادة الأنواع الأدبية والأشكال الشعرية ، ليست عملية آنية ظرفية وليس لها جدول زمنى يعود اليه الشاعر فيقرر أنه سيكتب كذا أو لا يكتب كذا .

والمسرح الشعرى وليد حركة ثقافية ووليد عصر معين يستدعى ظهوره .

وبدون الحتمية التاريخية والشعرية فان ظهور هذا اللـــون الشعرى أو ذاك لا يتم بشكل عفوى .

● ● ما رأيك فى دعوة الفن للفن ؟

ـ هذه التعابير سقطت من زمان تحت سنابك خيل الابداع

ان صح التعبير ، ولم يعد أحد يعرف بمثل هذه الدعوات فى عصر الثورات والخيانات وعصر استشهاد الانسان فى كل مكان ٠

●● أى الآداب أقرب الينا ٠٠ الغربيـــــة أم آداب أمريكا اللاتينية والعالم الثالث بشكل عام ؟ ٠

ـ ظروف أمريكا اللاتينية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية تكاد تقترب من ظروفنا ٠

●● أى ديوان من دواوينك أو أى قصيدة من قصائدك أقرب اليـــك ؟

ـ هذا سؤال تقليدى ولا أريد الاجابة عليه بشـــكل غير تقليدى ، لأنى أعتقد أن كل قصيدة أو ديوان يمثـــل مرحلة من حياتى ، ليست حياتى الشعرية وحسب ، بل يمثل وجودى كانسان. على هذه الأرض ، ومن ثم يمكن القول ، اننى لا أكتب الشعر لكى أصبح شاعرا فقط بل لكى أصبح انسانا ، وهذا هو هدف الشاعر فى كل العصور ٠

فكتابات الشاعر اذن هى شهادة على مولد الانسان الجديد ، وهى تمثل مراحل صعود الشاعر من الأرض الى المجرة ٠

●● متى شعرت أنك صعدت من الأرض الى المجرة ؟ ٠

ـ ربما فى منتصف حياتى الشعرية عندما اصطدمت بالواقع المرير وتحطم قلبى ، فشعرت أن خلاص الشاعر والانسان لا يتم فى مرحلة زمنية معينة ، بل ان نضال الانسان لا ينتهى ولن ينته أبدا ٠

●● متى كتبت قصيدتك الأولى ؟

– قصيدتى الأولى بدأت عندما أطلقت صرختى الأولى فى وجه النور وأنا فى يد القابلة .

●● كيف تكتب الشعر ؟

– أكتب الشعر مثلما أتنفس ، وعنـــدما لا أكتبه أشـــعر بالاختناق ، وأشعر أن أيامى تذهب سدى ، وأن حيـــاتى أصبحت بلا معنى .

● فاروق شــوشة :

الشاعر المدير

ما الذى يحدث للشاعر او المبدع حين يتولى المزيد من الأعباء والمسئوليات المتصلة بالعمل او الوظيفة ؟ هل تصبح هذه المسئولية عندئذ قيد فنه وابداعه ؟ ام ان اعباء العمل تتحول الى مادة حية للتجربة الأدبية والاحساس الأعمق بالحياة ؟ •

حول هذه التساؤلات وغيرها كان اللقاء مع الشاعر والاذاعى فاروق شوشة بعد ان تولى اعباء مسئولياته الجديدة كرئيس للشبكة الرئيسية فى الاذاعة •

● ● كيف ترى العلاقة بين الشاعر والوظيفة ؟

ـ لا أدرى لماذا يحلو لبعض الناس أن يتصوروا حياة الشاعر بعيدة تماما عن جو العمل والمسئولية ، وكأنما الصورة المثلى لديهم هى أن يكون الشاعر متفرغا تماما لتأملاته وانطلاقاته وشطحات خياله ، دون أن تربطه أية قيود أو مسئوليات من أى نوع وهى صورة كانت تلائم حياة الشعراء والمبدعين عموما فى زمان مضى بحثا عن المزيد من العطاء حتى ولو كان على حساب القيم الانسانية أولا • والفن ذاته ثانيا •

لكن المبدع الآن انسان مسئول يمارس عمله ـ أيا كان موقعه ـ بهذا الحس العالى من المسئولية ، ويشارك فى صياغة مجتمعه الجديد ، ويرى فى هذا العمل ـ مهما كانت أعباؤه وهمومه وسلبياته ـ مادة حية للكثير من عناصر فنه ، وتنمية وانضاجا لرؤيته الشاملة للحياة والانسان وتأملا للعديد من النماذج البشرية والمواقف الحياتية •

وبالنسبة لى ، فقد وضعنى العمل الاذاعى فى قلب الصورة الحية لحركة المجتمع والانسان ، وجعلنى أرى هـــذه الصورة فى وضوح ساطع بالرغم من اننى في الكثير من الأحيـان كنت أعيش تجربة الانفعال عنها فكرا ووجدانا وتطلعات لكننى من خـلال هـذا العمل عرفت الكثير واكتسبت الكثير وكتبت الكثير ٠

واذا كانت الوظيفة « رقا » فعلينا أن نواجهه وننتصر عليه من خلال حرية الابداع ٠

هؤلاء والوظيفة

● ● هل يستطيع المبدع الاعتماد على ابداعه كمصدر للرزق أم لابد له من وظيفة ؟

قال : حتى عميد الأدب العربى الدكتور طه حسـين اضطـر في مراحل عمره الأخيرة ولعدة سنوات أن يعتمد على دخله كواحد من رؤساء تحرير جريدة الجمهورية وكان مبلغ الخمسمائة جنيه الذى يتقاضاه ـ بشهادة من يعرفونه عن قرب ـ أسـاسيا فى مواجهتـه لأعباء الحياة ، وهو من حيث الأهمية والمكانة والشـهرة والانتـاج الغزير والعلاقات الواسعة والكتب التى تطبع بعشرات الألوف ٠

وربما يمثل العقاد الوجه الآخر من الصـورة ، وجه الكاتب والأديب والمبدع الذى عاش طيلة حياته من قلمه بعد أن تمرد عـلى الوظيفة مبكرا ، ولم يقبل أن يعيش مقيدا بشروطها ومسئوليتها ، لكن ماذا كان مصير العقاد ؟ لقد رحل عن الدنيا وكل ما فى جيبـه قروش وهو الذى ملأ الدنيـا فكرا ومعرفة وانتـاجا يقدر بعشرات الكتب المتنوعة وآلاف المقالات التى لم يجمع منها الـكثير بعـد فى كتب جديدة ٠

وفى مثل ظروف مجتمعنا يصبح عدم الاعتماد على العمل والوظيفة لونا من المغامرة والقفز الى المجهول وأنا أتكلم هنا عن معنى الارتباط الوظيفى فى أية صورة من صوره ، وهو الارتباط الذى حرص عليه توفيق الحكيم حتى آخر يوم فى حياته ويحرص عليه نجيب محفوظ ويوسف ادريس حتى اليوم ، فلولا دخلهم جميعا من الكتابة فى الاهرام والعمل فيه ، لما استطاعوا مواجهة أعباء الحياة الضارية ، بالرغم من انتاجهم الهائل كما وكيفا .

وفى حالات كثيرة قد يضيق الانسان بالوظيفة وبارتباطات العمل ، ويرى انها لون من الرق كما كان يسميها الشاعر محمود حسن اسماعيل ، ولكن مواجهة هذا الرق والتمرد عليه ــ بين الحين والحين ــ هو بعض قدر المبدع وامتحانه لأصالته وعنفوانه وقدرته على العطاء والاستمرار والتحاور .

الحقيقة المؤكدة

● ● هل يزيد العمل الاعلامي من الهالة المحيطة بالمبدع ويوسع في شهرته وعلاقاته العامة ؟

ــ هذا صحيح لكن الناس لا يرون عادة الوجه الآخر من الصورة وهو ان هذا المبدع الذى يمارس عملا اعلاميا ــ يعطى الكثير من وقته واهتمامه ، ومن نفسه للآخرين ، انه بدوره يزيد بجهده من لمعانهم وشهرتهم ومعرفة الناس بهم ، وهو لا يكف عن اقامة حفلات تكريمه لهم كلما ظهر لهم عمل جديد أو فازوا بجوائز جديدة ، أو أسهموا بنشاطهم فى مهرجانات ومؤتمرات أو قالوا شيئا أو كتبوا شيئا وفى الحساب الأخير فان ما يأخذه هؤلاء جميعا منه جهدا واهتماما ومتابعة وتقديما وتكريما يفوق بكثير ما يناله هو سواء بالنسبة لنصيبه من الشهرة أم اهتمام الحياة الأدبية والثقافية ذاتها .

● ● ولكن هناك من يمارسون هذا العمل الاعلامي دون ان يتمتعوا بموهبة أصلا ؟

ـ نعم ولا يستحقون عشر ما يتمتعون به من شهرة واسعة أو شبكة علاقات مفيدة ومنظمة · لكن هذا الوجه من الوجوه السلبية لا يطمس الحقيقة الأكبر وهي ان هذا العمل يعطيك من حب الناس ومتابعتهم واهتماماتهم ، لأنك تعطيه من نفسك واهتمامك ، وقد أعطيته الكثير على مدار أكثر من ثلاثين عاما متصلة التزمت خلالها بدائرة واحدة محددة هي دائرة العمل الثقافى ، وبمسئولية واضحة ومؤكدة هي أن يكون العمل الاذاعي الذى أمارسه في أى مستوى أو مجال عملا مفيدا للانسان المصرى والعربى ·

ويضيف الشاعر والمذيع فاروق شوشة لقد علمنى العمل الاعلامي ـ فى كل من الاذاعة والتليفزيون حقيقة مؤكدة وهى انه لا يضيع أبدا أى جهد صادق وأصيل ـ ولقد لمست هذه الحقيقة بنفسى فى كل مكان ذهبت اليه من أرجاء مصر ، وفى كل مكان من أرجاء الوطن العربى ، كان هذا الوجه يسبقنى ويقدمنى الى الناس ويفسح لى قلوبهم وعقولهم واهتمامهم فالحمد لله ·

ثلاثون عاما ولا مليم

● ● وما هو العائد الذى استفاد منه الشاعر فاروق شوشة من جهاز الاذاعة فى اذاعة شعره ونشره على الناس ؟

ـ دعنى أقول لك عدة أشياء بسيطة جدا تمثل موقفى ـ المبدئى ـ من هذا الأمر ·

أولا : محظور على من يعملون معى حيث أعمل ـ داخل ادارة البرامج الثقافية أن يقتربوا من دواوينى الشعرية ، أو كتبى الأدبية

والنقدية بالعرض والتقديم أو التناول فى الوقت الذى من حقهم أن يفعلوا ما يريدون بانتاج الآخرين من الشعراء من كل الأجيال والألوان والاتجاهات ولكننى أحظر عليهم تماما التعرض لانتاجى بأية صورة من الصور .

ثانيا : لم أتقاض طيلة عملى الاذاعى أى ما يزيد على ثلاثين عاما مليما واحدا عن أى شعر أذيع لى فى الاذاعة سواء قرأته أو قرأه غيرى ، بل لقد كنت طيلة سنوات متصلة شديد القرب من الشاعر محمود حسن اسماعيل الذى كان يعمل مستشارا ثقافيا للاذاعة ورئيسا للجنة النصوص وكان يأخذ رأيى فى تقييم أقدار الشعراء ووضعهم فى المرتبة التى يستحقونها من حيث المكافأة الاذاعية عن انتاجهم ، وأحيل الشاعر الكبير الى المعاش دون أن أكون بالفعل واحدا من هؤلاء الشعراء المعتمدين والمصنفين ، فما الذى يمكن أن يقال بعد هذا ؟

نبــوءة :

● ● هل يحد العمل الاعلامي من حرية الشاعر في الابداع والتعبير ؟

ـ من حسن حظ الشاعر انه يكتب بلغة شعرية أساسها الرمز والايحاء ، كلغة ظلال وايقاظ للأحاسيس والمشاعر وليست لغة مباشرة كلغة المقال أو الريبورتاج ـ ومن هنا فانه يستطيع أن يقول كل ما يريد مادام ما يقوله قد اتخذ طريق الفن الصحيح ومادام يملك أن يضع فيه صدقه ووعيه وتجربته .

ولقد مررت فى حياتى الشعرية ـ خلال عملى الاذاعى بفترات كنت فيها رافضا للكثير من المقولات التى رددناها طويلا وعرضناها على ساحة الكلام دون مضمون حقيقى ومع ذلك فقد استطعت أن

أحول عذاباتى الى شعر حملته مجموعاتى الشــعرية الأولى بدءا من ديوان الى مسافرة والذى من يرجع فيه الى قصـــائد مثل : فلتنزل الستار ، من سفر أيوب ، الحصار ، يعرف انها أول قصائد كانت تحذر من خطر النكسة القادمة الذى يستشعره الشاعر قبــل غيره ويشير اليه ، وقد تصور بعض النقاد أن لها ارتباطا بظروف حرب اليمن ، وأضحكنى هذا التفسير لأنها فى حقيقتها تعبير عن جوهر معاناتى فى تلك الحقبة من سنوات الستينات التى بدأت فيها خيوط الصورة تتشكل وتتجمع قبل حدوث زلزال النكسة ٠

درس تعلمت منه

● ● سالت الشاعر فاروق شوشة : كيف اســتطعت أن تحتفظ بجوهرة الشــعر فى داخلك بالرغم من زحام العمل الاذاعى والتليفزيونى ؟ ٠

فقال : انك تضع يدك على أحد عذاباتى الحقيقية فقد اكتشفت عند اصدارى لأعمالى الشعرية الكاملة ، اننى لم أكن مخلصا للشعر كل الاخلاص ، صحيح أن الرباط الذى يربطنى بالشعر قدرا وتعبيرا لم ينفصم قط ، لكننى أستطيع الآن أن أرى بوضوح كم شــغلت عنه . وكم سمحت لشواغل العمل أن تبعدنى ، وقد كان أخطر هذه الفترات وأطولها عند التحاقى بالعمل الاذاعى سنة ١٩٥٨ ، والتى استمرت عدة سنوات شغلت فيها بالشعراء عن الشعر وبالميكرفون عن القلم وبمعايشة التجارب والامتلاء بها عن الافصاح والافضاء ، لكنها كانت درسا تعلمت منه الكثير واستطعت بعدها أن أجعــل الشعر قبل العمل ، وأن يصبح اخلاصى له انعكاسا لاخلاص ذاتى ومعنى وجودى ٠

اعماقى تهتز وتتخلخل

● ● واسال الشاعر فاروق شوشة عن موقعه الشعرى بين شعراء عصره ؟ .

ـ فيوضح أنه أحد الأصوات الشعرية التى تبلور عنها ما يسمى فى حياتنا الأدبية بجيل الستينات ، والذى يلتمع من بين أسمائه : أمل دنقل وعفيفى مطر ومحمد ابراهيم أبو سنة وبدر توفيق وكمال عمار وفهمى سند وغيرهم ، ولقد تفتح وعيى فى نهاية الخمسينات وبداية الستينات على تيار الجديد فى الشعر والفن والثقافة ، يدب ويتدفق من حولى ويكسب فى كل يوم أرضا وموقعا ومسـاحة ، وكانت أصوات السياب والبياتى ونازك الملائكة وصلاح عبد الصبور وحجازى .. أكثر الأصوات الشعرية تألقا بالنسبة لجيلنا ، مرتبطة باعادة تشكيل وعى المجتمع كله ، واعادة صياغة فورته القوميـة والفـكرية ، وكانت قوائم الكلاسـيكية فى أعماقى تهتز بشـدة وتتخلخل ، لقد وجدت ـ كما وجد كثيرون غيرى ـ فى هذا الشعر الجديد ما كنا نبحث عنه : الطريق والطريقة ، وانجرفت لأصـبح واحدا من شعراء هذه الموجة الثالثة لجيل الرواد .

نبــوءة

● ● وعدت أسال .. ولكن ما هى همومك الفكرية والفنية كما تمثلتها خلال رحلتك الشعرية ؟ .

ـ **اجابنى** : يردنى سؤالك الى دوائر متعاقبة ومتداخلة أطلقت نفسى من خلالها كشاعر ، تفتحت عيناه على الوعى بالقرية المصرية ، وارتطم وجدانه بقسوة المدينة : العاصمة ، والاغتراب فيها ، وتشكل وعيه من خلال صراع العقائد والأفكار والانتماءات ، واستقر هـذا الوعى ـ منذ مقتبل العمر ـ عند ركائز أساسية تمثلها معالم الفكرة

العربية وروح العدالة الاجتماعية والحرية ، دون اهتمام بالخلافات والصراعات الفرعية حول صورها وأشكالها ، فالجوهر ـ وحده ـ يظل مبعث الاهتمام ، ومثار التحدى ، والشغل الشاغل للشاعر الواعى بهموم قومه وعصره ، واعتقد ان عالمى الشعرى يرتبط فى جوهره بساحة الأحداث والتجارب التى تركت أثرها عميقا فى وجدان الانسان المعاصر ، وفيها اقتراب مطرد ومستمر من مناطق لم أعد أراها محظورة ٠

ومنذ ديوانى الأول « الى مسافرة » الذى تنبأت بعض قصائده بحتمية حدوث النكسة ـ قبل وقوعها ـ وكأنها كانت تراها بالعين، الى ديوانى الأخير « الدائرة المحكمة » الذى تدين قصائده الواقع ، وتحض على تجاوزه وتغييره ، ويظل هذا الهم الاجتماعى الكونى وترا مستمرا وعصبا مشدودا وممتدا فى رحلة الشاعر من البداية حتى النهاية ٠

أما على المستوى الفنى فثمة اهتمام رئيسى يشغلنى دوما ، ولا أتخلى عنه ، وهو أن يظل النسق اللغوى لما أكتبه من شعر عربى الوجه والملامح والسمات ، غير هجين أو مسف ، لا يحاكى أساليب الترجمة ، ولا تستهويه مايسمونه موهبة الحداثة البنائة ، وان ادعت الرغبة فى التجاوز ، لا من حيث الصيغة أو المضمار أو المفردات والتراكيب ، بعيدا كل البعد عن استرفاد الكليشهات ، والقوالب التقليدية فى موروث الشعر العربى ، أو استدعاء المقولات الشعرية الجاهزة ، التى أصبحت فى عصور الضعف والتخلف نمطا شائعا ، يدعيه كل شاعر لنفسه ، ولا يخجل من انتسابه اليه ٠

أحلى عشرين قصيدة

● سألت الشاعر فاروق شوشة : ما هو موقفك من التراث الشعرى وكيف تتعامل معه كشاعر معاصر ؟ ٠

فيقول : لا أظن أن هناك شاعرا معاصرا قد أتيح له أن يتعرف على تراثنا الشعرى ، اقترابا وتذوقا ومراجعة ، كما أتيح لى ، من خلال قراءاتي المبكرة منذ اكتشاف بعض نماذجه فى مكتبة أبى ، أو خلال ثمانية عشر عاما متتابعة في رحلة الكشف عن أسراره وكنوزه عبر برنامجى الاذاعى « لغتنا الجميلة » ، وأستطيع أن أقول لك وأنا على يقين أنه لا يوجد شاعر عربى ذو أهمية لم أتعرف عليه . ولا نص شعرى متميز لم أتوقف عنده بالنظر والتأمل ، بل ان هناك ما أعتبره مكتشفاتى الخاصة فى رحلتي مع التراث مما لم يلتفت إلو يتنبه اليه أحد أو لم يتعرف على مصادره ، وهو ما أنوى اخراجه للناس فى كتب قادمة كما فعلت في كتابى « أحلى عشرين قصيدة حب في الشعر العربى » ، و « أحلى عشرين قصيدة فى الحب الالهى » ، وكم أسعدنى أن الكتاب الأول قد طبع أربع مرات فى سنوات معدودة ووزع منه فى بلد عربى واحد ما يزيد على تسعين ألف نسخة .

أدعياء الأدب

● **ويضيف الشاعر فاروق شوشة :**

. . ـ أقول هذا لأؤكد انتمائى العميق الى شجرة الشعر العربى ، فى عطائها المستمر والمتجدد عبر العصور ، وبالرغم من هذا الانتماء فقد وجدت نفسى كما قلت لك واحدا من شعراء الحركة الشعرية الجديدة ، وفى دواوينى الخمس المنشورة هناك الوجهان معا اللذان يمثلان حقيقتي الشعرية دون لبس ومواربة ، تلك الحقيقة التى لم يفهمها قصار النظر وأدعياء الأدب ، أنها حقيقة انتمائى الى شجرة الشعر العربى وما تنبته من غصون ، من خلال موقف يعى تراثنا فى امتداده وتطاوله وينتسب الى العصر فى جدته وحساسيته وتطلعه .

ويستطرد قائلا : وأنا أتحدث هنا عن تراث شعرى له من العمر ما يزيد على سبعة عشر قرنا من الزمان ، وليس تراث حركة الشعر الجديد الذى ظنه بعض الواهمين تراثه الشعرى الوحيد ، مع أن عمره لا يتجاوز الأربعين عاما ، قدمت خلالهـــا هذه الحركة الجديدة أربع موجات شعرية متتابعة ، تكاد بعض أصوات أحدثها عهدا من الشعراء تغترب بالشعر لغة ومعجما ودلالات ، فلا تعود اللغة ــ على أيديهم ــ وسيلة اتصال ، ولا العروض الخليلى ــ أوزان الشعر العربى ــ ضابط ايقاع وموسيقية ، بل يصبح ــ فى نظرهم ــ مجرد الالتفات الى مسار الشعر العربى تخلفا وردة ، وهكذا انفتح الباب أمام أدعياء الشعر فى هذا الزمان ، نتيجة لهذا العبث لفنون من الألغاز والاغراب والشعوذة باسم الحداثة والتجديد والتجاوز ، ولكن ــ يقول الشاعر فاروق شوشة ــ التيار الأصيل الممثل لحقيقة الشعر العربى المعاصر ، فى قدرته على التجديد والتمثل والاضافة ، وتحقيق الاتصال دون انقطاع ، مايزال هو التيار الذى يســـود الساحة الشعرية ويتحمل مسـئولية قيــادة المســيرة فى اتجــاه المستقبل .

الديوان الثانى

● سألته عن خطوته القادمة كشاعر بعد اصــدار المجلد الأول من أعماله الشعرية الكاملة الذى يضم دواوينه الخمسة التى أصدرها حتى الآن ؟ .

فأجاب : لا شك أن المزيد من الاخلاص للشعر هو ما أمارسه الآن بالفعل ، والقدرة على استيعاب حصاد هذا العمر الطويل من المعاناة ، والعمر الطويل من الشعر ــ قرابة ثلاثين عاما من الابداع ــ كفيلان معا بتصحيح المسار ، وتحقيق الاندفاع الى تخــوم عالم

شعرى جديد ، أحس أننى الآن على مشارفه من خلال ديوانى الجديد القادم الذى سيصدر خلال أسابيع قليلة ويحمل عنوان « لغة من دم العاشقين » ، وأعتقد أن هذا الديوان الجديد أفضل وأنضج ما كتبته من قصائد ، وحقيقة الصيغة الشعرية التى انتهيت اليها بالتمرس والتجربة والمعاناة ، وفيه أيضا ملامح الاشارة الى خطواتى القادمة على الطريق ، وأرجو أن يشكل هذا الديوان القادم الصفحات الأولى من المجلد الثانى من الأعمال الشعرية الكاملة ٠

ارتباط القدر والمصير

● ● وأعود بالذاكرة مع الشاعر فاروق شوشة لأساله عن أول عمل شعرى نشر له ؟ ٠

ـ فيتذكر : أنه قرب ختام المرحلة الثانوية نشر أول عمل مطبوع لى ، وكان مسرحية شعرية عنوانها « على مسرح التاريخ » ، يتناول موضوعها الفتنة الكبرى بين على وعثمان ومعاوية ، مثلهـا فريق التمثيل بالمدرسة ، وطبعتها المدرسة على نفقتها ، وأحسست وقتها أن نشر هذه المسرحية الشعرية هو البداية الحقيقية لارتباطى بالشعر قدرا وحياة ومصيرا ٠

توقف لابد منــه

● ● وأسأل فى دهشة : لماذا لم تستمر فى الكتابة للمسرح الشعرى اذن ؟ ٠

يقول : هذه هى المفـارقة ، فبالرغم أن بدايتى الشـعرية كانت مع المسرح الا أننى مع توالى مراحل النضـج ومجيئى الى القاهرة وتجربتى المتمثلة فى المرحلة الجامعية بعدها ، بدأت أكتشف أن الكتابة للمسرح ليست بهذه السهولة ، وأن اندفاع الصبا هو

الذي جرأني عليه وأنه لابد من أن يكون لدى الانسان فكرة كبيرة ووعي عميق بالتاريخ الانساني ، وبالتجربة الاجتماعية والحضارية لوطنه ، والقدرة على رسم أو تصوير النماذج البشرية ، وتطـــور القوالب والوسائل الفنية ، قبل أن يضم نفسه الى زمرة كتـــاب المسرح ، ولذلك أعتقد أن خطواتي القـــادمة ستكون في هــــذا الإتجـــاه .

● عبد الرحمن الأبنودى :

لا يوجد من يلبس جلبابا لا يعرفنى

● رغم ان الأب شاعر فقد مزق لابنه عبد الرحمن الأبنودى اول ديوان له ·· حبة كلام ·· وكانت الصدمة كفيلة بان تحول مجرى حياة الفتى الصغير الا ان موهبته الفنية كانت اقوى من ان تطغى عليهـا اية صدمات غير متوقعة ، لأنه نشا فى قرية ابنود وسط غناء الفلاحين والعمال ومواويلهم التى كان الفتى الصعيدى عبد الرحمن يرددها ، كما يقول فى زوايا الساحات والأسواق ليسمعها ويختزلها عقله الصغير الذى وجد نفسه فى اسرة تحب الشعر وتقرضه بدءا من الأب الى الأخ · حتى الأم الامية البسيطة كانت تحتفظ بكنـوز هائلة من النصوص والاغنيات والأشعار ·

نشأ عبد الرحمن الأبنودى فى هذا الجو الذى تفوح منه رائحة التراث الشعبى مما حدد طريقه ومنهجه فى الحياة كشاعر بالعامية المصرية ، التف حوله الناس فى « قنا » قبل أن يعرفه الناس فى القـاهرة ، وفى قنا كان مع زملائه من الأدبـاء مثـل أمـل دنقل يعقدون الأمسيات الشعرية التى كانت تنتقل اليها كراسى المقاهى ·

من المحكمة الى الأرض والعيال

ولأن الشعر لا يؤكل عيشا مثله سائر أنواع الأدب الأخرى ، فقد عمل الأبنودى « كاتب جلسة » فى محكمة « قنا » ، وكان معه أمل دنقل ، « محضرا » فى نفس المحكمة ·

ولكنهما كانا من أسوأ أنواع الموظفين ، فقد كان الأدب يسيطر على مخيلتهما ويصنع حلمهما فى المستقبل الذى يرونه كالطيف ·

فلم يكن مكانهما هناك بل فى القاهرة النشطة بثورتهـــا فى الخمسينات تدعو كل صاحب كلمة ليشارك فى معاركها وانتصاراتها وآمالها وآلامها ، واستجاب الأبنودى مع من استجابوا لنداء القاهرة ليكون الجميع ما يسمى بجيل الستينات فى الشعر والرواية والفن التشكيلى والتاريخ والنقد الأدبى .

الأرض والعيال

وكانت القاهـرة رغـم قسوتهـــا على طبيعـــة الأبنـــودى ونفسيته كقروى صعيدى ، الا أن القاهرة كانت شديدة الانسانية ، فقد وجد فيها الأبنودى من الأصـــدقاء من التف حوله وفتح أمامه الطريق الى وسائل الاعلام فى الصحافة والاذاعة والندوات وفى كل مكان ، لدرجة أن عبد الرحمن الأبنودى استطاع بعد عامين من مجيئه للقاهرة أن يصدر ديوانه الأول « الأرض والعيـــال » ، ثم توالت دواوين الأبنودى التى بلغت حتى الآن « ثلاثة عشر ديوانا » .

راعى غنم

ولأن لغة الشعر العامية كانت جديدة ، فقد اعتقد الأبنـــودى أنه رائد هذا اللون من الشعر وأنه بذلك قد اختط أسلوبا فريدا فى الأدب العربى شق لنفسه نهجا خاصا به ، ذلك لأنه لم يكن يعلم أن الراحل فؤاد حداد ، وتلميذه صلاح جاهين قد سبقاه الى هـــذا الأسلوب وذلك النهج .

واكتشف الأبنودى أن هناك من سبقوه فى تأسيس مدرسة شعر العامية ولكنه استطاع أن يكون أحد أركانها وان لم يكن رائدا لها ، ولكنه كان رائدا بلا شك فى تصوير حياة الصعيدى المصرى ونقل تفاصيل تلك الحياة الى المصرى فى المدينـــة ، وذلك كمـــا

صـــورها الأبنـــودى فى « جـوابات حراجى القط » و « الأرض والعيال » و « أحمد سماعين » و « وجوه على الشط » ، وغيرها من دواوين الأبنودى التى كتبها باللغة التى تحمـــل تاريخ الانسان الصعيدى الذى عاشره وأحبه وراقب حياته بتفاصيلها ، حيث عمل لبعض الوقت « يجمــع القطن » و « راعى غـنم » ، الى آخر كل ما يمارسه طفل فقير فى قريته .

وهيبة وموال النهار

● وكما تحدث الأبنودى بلسان قريته « أبنود » فى أشعاره ، فقد تغنى بلسانهم أيضا ، لأنه فى الوقت الذى كان فيه كل الأطفال ينامون ، كان الطفل عبد الرحمن يظل طوال ليالى الصيف ساهرا على سطح بيته ، يستمع الى الأصوات التى تشق الليل بالغناء تحت الشواديف وخلف السواقى .

● ومن منطلق معرفة الشاعر عبد الرحمن الأبنودى بنفسه وقيمته ، يقول :

ــ أستطيع أن أقول أنه لا يوجد رجل فى مصر يلبس جلبابا ، لا يعرف عبد الرحمن الأبنودى .. واذا لم يعرفنى من أشعارى فهو يعرفنى من أغنياتى ، ومن السير والملاحم الشعبية ، مثل سيرة أبوزيد الهلالى .. حيث استطعت نقـــل التراث الشعبى الى الراديو .. وأن أجعل له اعتباره واحترامه .

● ● ولما قلت للأبنودى أن نبرة الذاتية لديه عالية ؟ .

ــ أجابنى بهدوء : أنا أعتبر أن كل أديب أو فنان لا ينطلق أدبه أو فنه من منطلق ذاتى فهو ليس أديبا أو فنانا صادقا ، بمعنى أن القصيدة التى لا أتواجد فيها لا تصبح قصيدتى حتى لو كنت كاتبها .

● ● واستفسرت من الأبنودى عما يقصد بالذاتية ؟ .

ـ أوضح الشاعر الكبير أن الذاتية نوعان ، ذات مفردة منعزلة ضيقة ، وهناك ذات شاملة تستوعب ذوات الآخرين وتحتضن همومهم ، ولو كنت شاعرا بالمعنى الأول لما تحققت لى هذه الصلة الحميمة بينى وبين أبناء وطنى ، وحتى معاناتى الخاصة التى اعبر عنها فى قصائدى هى معاناة عامة ، ذلك لأننى أحتضن معاناة وهموم بلادى ولا أعيش لنفسى فقط .

● ● وسألت : ألهذا تجمع التراث الشعبى ؟ .

ـ قال الأبنودى : لأننا دخلنا فى فترة حرجة جدا تتغير فيها القيم بصورة سريعة ومخيفة ، وأن ظواهر بأكملها ووجوها بأكملها للشخصية المصرية تندثر وتنمحى .. ولابد لهذا الجيل أن يسجل هذه الظواهر ، لأنها قد تختفى فى الجيل المقبل وهـذا هو مبعث احساسى بالخطر ، وهذا ما يشدنى لدراسة المأثورات الشعبية كوجه لواقع العلاقات الاجتماعية والفكرية والروحية للانسـان المصرى ، وهو ما اعتبره دينا كبيرا على لابد من انجازه قبل أن أموت .

تحفيظ اللغة

● ● قلت للأبنودى .. هل كونك شاعرا بالعامية يمثل عداء للغة الفصحى ؟ .

ـ قال : أنا لم أعن بهذا ولكنى كتبت باللغة التى تحمل تاريخ الانسان الصعيدى الذى عشته فى قريتى أبنـود ، الذى يمثل سكانها قبائل عربية مهاجرة من قلب الجزيرة العربية ، حملت ضمن ما حملت لغتها العربية التى أخذها عنها المدونون وعلماء اللغة فى القرن الثالث الهجرى ، ما وضعوه فى كتبهم ، ولكن النظرة الضيقة

« حنطت » هذه اللغة ، بينما تجاوزها أصحابها الذين أخـذ عنهم العلماء ، وأنا أعتبر أن علماء الأدب في اللغـة العربية قد ارتكبوا جريمة في حق أعمال أدبية شعبية « نفوها » ، ولم تدون باعتبـار أنها نوع من الفن « الواطى » ، لأنها ليست باللغة الفصحى .

وهذا التقسيم يحكم الحياة الأدبية التى تحترم الأدب باللغـة الفصحى وتحتقر كل ما هو شعبى ، وهذه النظرة يجب أن تتغير خاصة وأننا في عصر اكتشاف الشعوب ، ولابد لنا من القاء الضوء على تراث شعبنا ، حتى نفهم هذا الشعب جيدا وحتى نستطيع أن نستنهضه من أجل صنع الحياة الأفضل .

⊛ ⊛ وقلت : ألا تخشى من لغتك العامية أن تظل قاصرة الفهم على الانسان المصرى فقط دون الانسان العربى ؟ .

فكان رده : أن لغتى التى أكتب بها أشعارى هى لغـة العرب فى كافة الأقطار العربية ، لذا قد تتعجب أننى أكثر شاعر عربى توجه له الدعوات لاقامة الأمسيات الشعرية فى البلاد العربية رغم كتابتى بالعامية المصرية .

مصر لن تهزم أبدا

⊛ ⊛ وعن واقع الأدب والفن ؟ .. سألت شـاعر العامية المصرية ، فأجابنى عبد الرحمن الأبنودى :

لا شك أن الأدب والفن هما الصفحة النقية التى ينعكس عليها وجه الأمة ، وكما يقولون : اذا أردت أن تتعرف على شعب فتعرف على أغنياته ، وهذا رمز لكل أنواع الفنون من شعر ورواية وسينما ومسرح ، فتستطيع أن تتعرف من خلالها على أحوال الأمة سـلبا وايجابا .

والقيم المختلفة في المجتمع لا شك أنها تعكس صورتها على الفن ، وانظر للسينما .. مثلا .. والواقع الذى تعبر عنه والقيم التى تنطلق منها ، فتستطيع أن تعرف ماذا لحق بالمجتمع من تشوهات كبيرة .

ولكن دائما وأبدا سوف يظل هناك هؤلاء الذين لا يتاجرون بمأساة شعوبهم وتمزقات أمتهم وانما يبحثون بمعاناة وأصالة مجدية عن سبل لتطبيب الجراح واضاءة الطريق فى أقسى الليالى حلكة .

ـ وسوف تظل مصر التى عبرت عصور الظلام والظلم وقهرت كل الغزاة ، باقية لن تهزم أبدا مهما كانت الصعاب ..

ويحدثنا الشاعر الكبير عبد الرحمن الأبنودى عن سفارته التى تطوع للقيام بها فيقول : قد لا يعرف الشعب المصرى أن جمهورى ومحبى أشعارى فى العالم العربى ربما يفوق كثيرا جمهورى العريض فى مصر ، فما ذهبت الى بلد عربى وأحسست لحظة واحدة بالغربة ، ولا أدرى هل هذا ناتج من طبيعتى واحساسى بالألفة دائما للانسان العربى فى أى مكان ، أو أن لأشعارى « الصعيدية » طبيعة خاصة قد تكون لها أسرارها الخاصة باللغة أو التعبير الصادق عن قضايانا العربية ، هى التى تجذب الجمهور وتوحده بها ، وفى فترة ماضية كانت هناك هجمة شرسة على مصر لم تفرق بين الخلافات السياسية بين الأنظمة وبين الشعب المصرى كشعب عميق الحضارة وذو تاريخ وحس قومي عال ، مما أدى الى غضبنا كمثقفين وأنا واحد منهم ، فكان لابد من الدفاع عن عروبة مصر ومكانتها وموقعها فى صدارة النضال العربى ، وتضحياتها الجسام من أجل الدفاع عن قضايا الأمة العربية كافة ، وكان لابد من توضيح ذلك داخل المواقع العربية نفسها ، فلا أظن أنه كانت هناك سوء نية مبيتة لمصر وانما

هو عدم وضـــوح الرؤية أمام البعض ، وخلال ذلك كنت القى قصـــائدى فى مصر مثبتـــا أن شاعرا من أى بلد آخر لو أنشـد مثل هذه الأشعار فى بلاده لقتل رميا بالرصاص ، ولكن فى مصر تستطيع أن تمارس وجودك وصدقك بوضوح ..

كان الحكام يحضرون ندواتى

●● وأسأل الأبنودى : كيف كان يسمح لك بأن تلقى إشعارا ثائرة فى بلاد عربية قد تجـــد حرجا فى بعضها ؟ .

ـ يجيب شاعر « الأرض والعيال » : المعروف أن أشـعارى ثائرة ولكنها لا تلعب لعبة المزايدة والرقص على آلام الأمة العربية وانما تحاول أن تضىء الطريق نحو بصـيص من الأمل فى هـــذه الظروف الصعبة .

وسـنـواء كانت الدعوات التى توجه لى تتبين مقاصدى أو لا تتبين ، فقد كان على أن ألعب بضمير صادق الدور الذى هو ليس دورى شخصيا وانما هو دور كل المثقفين المصريين الشرفاء ، وكنت أعتبر نفسى سفيرا شعبيا لبلادى فى كافة الأقطار ، وقد كنت من أكثر الناس سعادة بعودة مصر لتتبوأ مكانهـــا الطبيعى فى قلب أمتها العربية ، فمصر دائما كانت القلب والفكر والصوت وستظل أبدا . ولقد رأينا بأنفسنا ماذا حدث للعالم العربى حين عزلت مصر عن ممارسة دورها القائد فى النضال العربى بل وماذا حدث لمصر نفسها ، فلا حياة لمصر بدون الأمة العربية ولا حياة للأمة العربيـــة بدون مصر ..

ومن هنا نشطت خطواتى وارتفع صوتى من القيروان بتونس

حتى رأس الخيمة مرورا بالسودان والاردن وقطر والامارات العربية السبع ·· الخ ·

وكنت دائما ألتقى بنفس الوجوه ونفس الحفاوة وتتأكد لى فكرة أن الوطن العربى هو بلد واحد محدد المعالم والوجوه ، ولا تحس بالانتقال فيه مهما انتقلت ···

● وعن مدى اتساع صدور الحكام والمسئولين العرب لأشعار الأبنودى ، قال شاعر « المشروع والممنوع » :

على الشاعر الصادق القابض على فكرته ألا يضع اعتبارات الا لمبادئه وصدقه ·

وبالطبع كان هناك من تزعجه أشعارى ، ولكن الجمهور الذى أقصده بهذه الأشعار والذى يشكل الكتلة الأساسية للمستمعين كانوا دائما يعجبون ويطربون ويحتضنوننى بكل الدفء والمحبة ، وعلى كل حال فلقد اتسعت لى حتى صدور الحكام العرب الذين كانوا يواظبون على حضور أمسياتى ، كما كان يحضرها السفراء المصريون الذين كانوا يرون أن ما أقوم به هو خير دفاع عن مصر وأننى أقوم بالدور الذى يجب على المثقف الشريف أن يقوم به ، وكان يتم تكريمى دائما على المستوى الرسمى والشعبى معا ، وكل ما يهمنى أننى أسمعتهم صوت المصريين فى تلك الفترة حين « عبرت عن قضاياهم » وأثبت أن مصر لم تغادر عروبتها للحظة واحدة ·

● ويعبر شاعر « الزحمة » عن مدى الاقبال الذى حظيت به أمسياته فى الأقطار العربية فيقول :

ــ مثلا أنا عادة تستغرق أمسيتى حوالى الساعتين وأذكر فى احدى المرات أن اقمت امسية فى الشارقة فى قاعة تسمى

« افريقيا » التى يحدث لها أن امتلأ حتى آخرها بالجمهور الا فى تلك الأمسية التى قدمتها لدرجة أن بعض الفنانين المصريين الذين كانوا يمثلون احدى المسلسلات فى أحد الاستديوهات هناك مثل سميحة أيوب ، وأنعام سالوسة ، وغيرهما ٠٠ استمعوا الى من خارج القاعة ولم يجدوا مكانا لقدم ، وتعجبت سميحة أيوب فلم تكن تعتقد أن شاعرا مصريا يمكن أن تكون له مثل هذه الجماهير الطاغية ٠

المئة سنة وفؤاد حداد

● ● واسال عبد الرحمن الأبنودى عن سر تميزه وانتشاره كشاعر من شعراء العامية ؟

ـ يقول شاعر « أنا والناس » :

فى الواقع أنا لا أعتبر نفسى شاعرا عاميا أكتب بالفصحى الحية « فصحى ما بعدالتدوين » ، فلو تركت اللغة العربية الفصحى التى سجلها المدونون فى أوائل القرن الثالث الهجرى على طبيعتها ، لصارت هى اللغة التى أقول بها أشعارى اليوم ، فانا من منطقة نقاء هوى ، وهى منطقة « قنا بالصعيد » وكانت هذه المنطقة دائما منطقة تجمع للتجار والحجاج العرب من شمال أفريقيا والجزيرة العربية ، ومعظم سكان هذه المنطقة هم قبائل عربية مهاجرة من الجزيرة ، وهؤلاء الناس يتحدثون بفصحى غير مدونة ، لأن تطور الحياة وانقلاب ايقاعاتها أدى الى تطور شديد فى اللغة بينما ظلت الفصحى المدونة ثابتة ينظر اليها بقداسة تزيد من تحنيطها وتعليبها ، والغريب أن أحدا فى الواقع العربى لا يتحدث بهذه اللغة بما فيهم سكان الجزيرة العربية التى جمعت عنهم مفردات هذه اللغة ، وأنا شاعر محظوظ اذ أن فصحاى هى فصحى الواقع اللغوى العربى ، فانا مفهوم فى

« نجد » كما أنا مفهوم فى « عجمان » أو « أم دزمان » ، بينما يمكن للفصحى أن تتغرب فى مثل هذه الأماكن ، كذلك لا تصلح عامية القاهرة لمخاطبة هذه المواقع اللغوية النائية ، ومن العسير على شاعر عامية أن يتواصل مع الجمهور العربى بهذه الصورة التى تحدث لى ، بالاضافة الى تعبيرى عن « هم » عربى مشــــترك ، لذلك فان الجماهير فى تلك الأماكن تحس أننى أتحدث بلغتها هى وليست لغة مصر .

● واسأل : ورغم ذلك فان الحركة النقدية والتـاريخ الأدبى لا يعترف بك ولا بشعراء عامية آخرين متميزين .. فما هو السبب فى ذلك ؟

يقول شاعر « المد والجزر » عبد الرحمن الأبنودى :

.. اللغة كائن حى شأنها شأن المجتمعات . ولا يمكن أن تتقدم المجتمعات بنفس اللغة القديمة ، فاللغة بناء قومى لحركة التنـــامى الاجتماعى وللشعوب أدبها العظيم القيمة بالغ الأهمية ، ومع ذلك لم ينتبه اليه هؤلاء المسيطرون على حياتنا الأدبية ، وأدى ذلك الى نفى الكثير من الابداع الأدبى لشعوبنا كالملاحم والمسرحيات .. الخ .

ومازلنا نستلهم الملاحم اليونانية ، وابتلعنا فكرة أن شعرنا العربى كله شعر غنائى « مع أنه زاخر بالملاحم والابداعات الدرامية » فقط لأنه مكتوب بلغة الشعب ، فانظر معى كيف يؤدى التعسف الى القبول بالاقلال من شأن شعرنا العربى ، اذن من الواضح أن الخطأ فيهم وليس فينا .

يضيف الشاعر الأبنودى صاحب « وجوه على الشط » انظر الى شعر الراحل فؤاد حداد ، وأجبنى : هل تجد فى مصر خـلال

المائة عام الأخيرة شاعرا عربيا روحا ولغة واستلهاما مثـــله ، ومع ذلك فهوفي نظرهم شاعر عامية ، أي أنه أقل من ناظم ركيك النظم يكتب بالفصحى ، وطبعا هذا قصور في النظر الى اللغة وفي النظر الى الشعر ، وهذا واحد من الأخطاء العديدة التي يزخر بها الواقع الأدبي في مصر .

● ● وأسال شاعر « الفصول » : اذن أيهما تفضل ، تكريم حركة النقد الأدبي أم تكريم الجمهور ؟ .

ـ يقول الشاعر الكبير عبد الرحمن الأبنودي مؤكدا أنه يتحدى أي مسئول أدبي أن يدعي (أنني ذهبت اليه يوما بقصيدة ورجوته أن ينشرها) فأنا أعرف كيف أنقش شعري في قلوب الناس حفـاة وعراة ومثقفين ، وأنا أكثر الشعراء تمتعا بالنشر بغير نشر ، فأنا أتجه دائما للتجمعات الجماهيرية وللجامعات ، وللفلاحين في الحقول وألقي أشـــعاري ، كما أنني أبث لهم ملاحمهم من الراديو فتتعطل القرى انتظارا لصوتي وهذا شيء لا يعادله نشر أو اعتراف رسمي ، فأنا مكرم من أبناء شعبي ، وأعرف أنني محبوب ومرحب بي سواء ارتفع صوتي أو خفت ، كما أن دواويني تنفذ بعد صدورها بأيام قلائل ، وأقولها ـ ليس على سبيل التبـاهي ـ أنني من أكثر الشـــعراء توزيعا ، ولو أن الأداء عندي عنصر هام في صلب العملية الابداعية ، الا أن الكتاب هو وسيلتي المحايدة في التسجيل ، ويكفي الشاعر أن يموت راضيا عن الدور الذي يلعبه وهو على قيد الحياة ، أما المجد والخلود ، والتكريم فهذه أشياء لا أفكر فيها ، وأتركها لمن يســعون بطرق شريفة وغير شريفة لنيلها ، وأؤمن أنه سوف يأتي اليوم الذي يكرم فيه من يستحق التكريم ، وعليك أن تنظر الى حالة كحـالة فؤاد حداد اذ لم يبدأ الناس في التعرف على قيمته الحقيقية الا بعد رحيله .

ويختتم شاعر « بعد التحية والسلام » حديثه فيقول : لن تدوم الأخطاء المقصودة أو غير المقصودة ، فالشعب يعرف شعراءه ويميز أصواتهم ، ويقيم لهم التماثيل فى قلبه ووجدانه وهذا يجعل الانسان راضيا عن نفسه وسعيدا ٠

● حافظ عبد الوهاب :

لعنت فاروق على الهواء ولكننى نجوت

● انتهت تصفيات الترشيح لوظيفة مذيع بالاذاعة على خمسة اشخاص اربعة منهم من قسم اللغة العربية جاءوا بخطاب توصية من عميد كلية الآداب ماعدا حافظ عبد الوهاب خريج مدرسة التجـارة العليا « كلية التجارة فيما بعد » ورغم ذلك فقد كان هو الفائز الوحيد فى مسابقة الاذاعة للتعيين كمذيع ولهذا قصة يرويها حافظ عبد الوهاب احد رواد الاذاعة الأوائل ٠

يقول : شجعنى محمد فتحى الذى بدأ مع الاذاعة عام ٣٤ على أن أرشح نفسى كمذيع ، وكان هو أحد أعضاء لجنة الامتحان وقد اكتشف أن الزملاء الأربعة الذين انتهت بهم الاختبارات موصى عليهم والتوصية فى الزمن الماضى كانت تفتح الأبواب المغلقة ٠ فأراد محمد فتحى أن يتفادى هـذا المأزق الذى سيضر بى فاقترح على لجنـة الامتحان عدم المناداة على الممتحنين بأسمائهم خلال التصفيات النهائية بل ينادى عليهم بأرقامهم وكنت رقم ٣ وفزت بالترشيح كمذيع وبدأت رحلتى مع الاذاعة أول فبراير ١٩٣٦ ولكننى لم أسلم من الحانقين على نجاحى ومنهم المراقب العام بالاذاعة آنذاك الذى ناصبنى العداء فكان كلما يحدث خطأ فى الاذاعة يقول لابد أن المخطىء هو المذيع حافظ لدرجة أنه أيام الحرب العالمية الثانية كان على أن أقرأ نشرة الأخبار ومقتطفات من أقوال الصحف فى العاشرة صباحا فكان لا يأمن أن أقرأها ويحضر بنفسه ليقرأها هو ! ٠

● ● ما هى نوعية العلاقة التى كانت تربط أسرة الاذاعة فى هذا الزمن ؟

كان الدستور الاذاعى غــير المكتوب فيما بيننا كزملاء هو الاخلاص والحب والتفانى والأمانة المطلقة فى أداء الواجب ولو ظهر أن أحدنا أخطأ وخرج عن هذا الدستور كنا نجتمع ونحاسبه ، فكنا متعاونين واذا كانت لدى أحدنا فكرة برنامج يأخذ برأى الجميع فيه ، لذلك نجحنا ونجحت كل برامجنا وساعد على ذلك قلة عددنا نسبيا ولكن هذه الرابطة فقدت الكثير جدا من أسبابها اليوم نظرا لكثرة الأعداد الموجودة •

● ● ألم تكن تواجهكم أزمة النطق الصحيح باللغة العربية ؟

من شدة اهتمامنا باللغة العربية كان قارىء الأخبار يتواجد فى قسم الأخبار قبل النشرة بنصف ساعة على الأقل ليقرأهـا ويراجعها مع مصحح اللغة العربية الذى أوجدناه خصيصا لتصحيح نطقنا باللغة العربية وكان المرحوم الشيخ عبد العزيز البشرى يعنى دائما بالاستماع الينا الى أن جمع جملة من الأخطـــاء الشائعة فى اللغة بلغت خمسين فقمت باعداد قائمة بها وتوزيعها على المذيعين • الى هذه الدرجة كنا مهتمين باحترام المستمع ، ورغم ذلك لم يسلم الأمر من مواقف صعبة فمثلا كان الشيخ المراغى يتحدث حديث العصر يوميا فكان أن مرض وكنت أنا المذيع الذى عليه قراءة حديثه فى ذلك اليوم وكان ضمن الحديث آية قرآنية فيها كلمة « وحين البأس » ولكن غلطة مطبعية حولت الباء الى ياء فأصبحت « وحين اليأس » فقامت قيامة الأزهر يتهموننى بالخطأ فى القرآن وكتب الشيخ المراغى فى الصفحة الأولى بالأهرام يتهم الاذاعة بالخطأ فى اذاعة الآية وأصبحت التهمة مسئولية جنائية كنت معرضا فيهـا للطرد •

● ● ماذا ايضا من ذكرياتك التى لا تنسى فى الاذاعة ؟

كان الملك فاروق يفتتح الغرفة التجارية وكان معنا أجهزة ارسال جديدة لم نتمرن عليها جيدا ولما جاء دورى كمذيع لأصف موكب الملك وتحركاته بعد الافتتاح فتحت الميكروفون فلم أسمع نفسى فى السماعات التى أضعها على أذنى فأيقنت أن هناك خطأ من المهندس فاروق ابراهيم فى توصيل الارسال فتضايقت وقلت « يلعنك يا فاروق فى يومك الاسود اللى موش فايت » ولم أدر أن هذا مذاع على الهواء ولولا أنهم اقتنعوا أن المقصود بكلامى هو المهندس فاروق لا الملك فاروق لما نجوت ٠

● ● حدثنا عن دور المرأة فى عمر الاذاعة ؟

فى أول عهد الاذاعة كانت هناك مذيعة بصفة استثنائية هى السيدة عفاف الرشيد التى مكثت بالاذاعة حوالى ستة شهور ولم تستطع الاستمرار لأن الظروف لم تمكنها من ذلك حيث كان الأمر يتطلب منها التواجد فى الاذاعة منذ السادسة صباحا ، وبقيت الاذاعة شاغرة من السيدات حتى سنة ١٩٤٥ حينما جاءت السيدة صفية المهندس وتلتها تماضر توفيق وظل الأمر مقصورا عليهما حتى ١٩٥١ حينما بدأ الفيض ٠

ويضيف حافظ عبد الوهاب ـ ولا أظن أن المرأة تركت بصمات فى تاريخ الاذاعة أكثر مما تركته صفية المهندس التى وضعت الأساس فى البرامج الناجحة للمرأة والتى اشتهرت بها وقلدتها المذيعات بعد ذلك ٠

● ماذا تعلمت من الاذاعة ؟

التمسك بضبط المواعيد ، والأمانة فى أداء الواجب ، وحبى لأصدقائى والاخلاص معهم ، وحب الاستماع الى الفن بمختلف

أشكاله ، واختيار الكلمة التى توضع فى موضعها ، وأن أسجل على نفسى فى تقريرى اليومى الذى أعده لنفسى أننى أخطأت أو تلعثمت أو تأخرت عن الاذاعة بضع ثوان وذكر الأسباب والا عوقبت عقوبة معنوية من زملائى طبقا للدستور الاذاعى الذى بيننا ، فمثل هذه الأشياء تكفى لأن تجعل الانسان رجلا مسئولا .

● ● عند التاريخ للاذاعة المصرية هل ترى أن نضع فى الاعتبار الاذاعات الأهلية ؟

الاذاعات الأهلية كانت موجودة قبل الاذاعة الرسمية ١٩٣٤ وكانت منتشرة فى القاهرة والاسكندرية ولكنها لم تكن اذاعات بالمعنى المنظم الموجود بعد ذلك لأنها كانت اذاعات للاعلانات تتخللها فقرات غنائية وقد تعدت الاعلانات الى الاساءة الى المستمعين لدرجة الشتائم وعندما جاءت الاذاعة الرسمية تم الغاء هذه الاذاعات طبقا لنص العقد بين « ماركونى » والاذاعة المصرية .

● ● ما مصدر دخل الاذاعة مع بداية نشأتها ؟

كان دخلها قائما أساسا على الاعلانات مصدر رأسمالها الذى كانت تحصل شركة ماركونى منه على « ٧٠٪ » نظير ادارتها للاذاعة ولا تحصل الحكومة المصرية الا على « ٣٠٪ » لذلك كان دخلها ضعيفا لدرجة أنه بعد قيام الاذاعة بحوالى سنة كانت على وشك أن تشهر افلاسها .

● ● متى انتهى العقد مع شركة ماركونى ؟

كان عقد الامتياز لمدة عشر سنوات من سنة ٣٤ الى سنة ٤٤ ولكن من العجيب أنه بعد انتهاء مدة العقد لم تكن لدى الحكومة المصرية آنذاك القدرة على ادارة الاذاعة لأن وزاراتها المختلفة بدأت تتنافس على ادارتها ، لذلك قررت رئاسة مجلس الوزراء مد العقد

مع شركة ماركونى حتى ١٩٤٧ ، وبعدها انتقلت لاشراف الحكومة المصرية ٠

● هل ترى أن اذاعتنـا اليوم قـد وصـلت الى مستوى الاذاعات الأخرى فى العالم المتقدم ؟

لقد كانت اذاعتنا ثانية اذاعة فى العالم وأولى اذاعات العالم العربى وهى بعد خمسين سنة قد وصلت الى مستوى طيب وان كنا نطلب منها مزيدا من الاتقان والتنويع وزيادة الجرعة الثقافية العالية المستوى واختيار الأصوات الحلوة والتدقيق فيها ٠

كما أرجو أن يرتفع مستوى التلحين والكلمة المغناة وان تعود للتمثيلية الاذاعية رونقها القديم والبرامج الغنائية وكافة ألوان الفن الاذاعى ، لأن للاذاعة رسالة خطيرة فى الارتقـاء بذوق المستمع ومحاربة سوق الكاسيت الهابط مما أرجو أن تنجح فى القضاء عليه فى سنوات عمرها المقبلة ٠

● كيف أنشأت اذاعة الاسكندرية ؟

● يعـود بنا حافظ عبد الوهاب بشريط ذكرياته الى تلك الأيام منذ ثلاثين سنة ، حينما تحدث اليه مدير الاذاعة المصرية أمين حماد فى ذلك الوقت يوم ١٤ يونية ١٩٥٤ ، وطلب اليه السفر فى اليوم التالى الى الاسكندرية لانشاء اذاعة محلية بها ٠٠ فلما طلب حافظ عبد الوهاب مهلة من الوقت لاعداد نفسه لهذا الأمر ، قـال له أمين حماد : المسألة لا تحتاج منك الى استعداد سوى اعداد شنطة ملابسك ثم تلحق بك أسرتك بعد العثور على مسكن فى الاسكندرية ٠

يقول حافظ عبد الوهاب : كان انشاء اذاعة من العدم مسألة تحتاج الى وقت واتصالات وموظفين وبرامج يتم اعدادها وغير ذلك من متطلبات الاذاعة ٠ ولم يكن عندى فرصة كافية لاعداد كل هذا

لأن مدير الاذاعة اتصل بى تليفونيا فى أواخر يونيو ٥٤ وقال لى أن أرتب نفسى لافتتاح الاذاعة يوم ٢٣ يوليو بمناسبة عيد الثورة ، فقلت لأمين حماد ان هذا غير ممكن لأننى لم أفعل شيئا لأن اتصالى بجامعة الاسكندرية غير ممكن بسبب أجازة الصيف وجامعة الاسكندرية هى مركز الثقافة فى البلد . فقال لى مدير الاذاعة : ألا يوجد غير الجامعة ؟ قلت له : انها النواة التى يجب أن ننطلق منها لاقامة اذاعة ناجحة يقوم على برامجها رجال علم وثقافة وأدب ، كما أننا لا نزال نبحث عن مكان مناسب لنسجل فيه البرامج فكان رد أمين حماد مفاجأة لى حيث قال : شد حيلك لأننى رتبت مع صلاح سالم وزير الارشاد « وزارة الاعلام حاليا » أن نفتتح اذاعة الاسكندرية يوم ٢٣ يولية ، فاعترضت على ذلك .

يضيف حافظ عبد الوهاب .. وقلت لمدير الاذاعة : أنا متنازل عن تكليفى باقامة الاذاعة الجديدة ، وقل للسيد الوزير اننا مازلنا فى مرحلة تكوين أنفسنا لانشاء هذه الاذاعة ، فطلب منى أمين حماد أن أطول رقبته وألا أسبب له احراجا أمام الوزير ، فوافقت بشرط اعطائى مهلة كافية ...

بعد ذلك جاءنى تليفون من مدير الاذاعة وقال لى : علشان خاطرك أجلنا افتتاح اذاعة الاسكندرية من ٢٣ الى ٢٦ يولية بمناسبة خروج الملك فاروق ! ..

يواصل حافظ عبد الوهاب : فكرت أن أشكو للوزير مباشرة ، ولكننى خشيت أن مدير الاذاعة يكون قد قال له ان حافظ أخبرنى انه جاهز ، فكنت أمام تحد رهيب قررت قبوله وسهرت ليل ونهار فى اعداد البرامج واختيار المتحدثين والمطربين ومقدمى البرامج ، وتم الاعداد لاذاعة متكاملة افتتحت بالفعل فى ٢٦ يوليو ٥٤ وكان مقرها ٣١ شارع صلاح سالم فى شقة متواضعة مكونة من أربع غرف ،

حتى كلفت بالبحث عن مكان دائم يصلــح أن يكون دارا للاذاعة بالاسكندرية نظرا لما نرجوه لها من توسعات ، على أن يكون المبنى الجديد أحد ممتلكات العائلة المالكة ٠

ولما كان الوقت متأخرا سنة ١٩٥٦ حيث استولت المصــالح المختلفة على ممتلكات الأسرة المالكة فلم أجد الا مكانا يكاد يكون مهجورا كان قد بدىء فيه اقامة الأســـاس لمشروع بناء قصر لأسرة « طوسون » فذهبت الى الضابط المسئول عن الأموال المصــادرة وأبلغته بالأمر فاستصدرنا أمرا من وزير الارشــاد بالاستيلاء على أساسات القصر واستكملناهـــا لتكون هى الدار الدائمـة لاذاعة الاسكندرية بباكوس منذ ٦ يونيو ١٩٥٦ وحتى الآن ٠

●● ولكن ما هى الاضـــافات التى يمكن القول ان اذاعة الاسكندرية قد أضافتها الى تاريخ الاذاعة المصرية ؟

- كانت اذاعة الاســكندرية ســـباقة فى كثير من الفنون الاذاعية، فتاريخ الاذاعة المصرية يذكر لاذاعة الاسكندرية أنها صاحبة أول تمثيلية اذاعية كان اسمها « من القاتل » ؟ من تأليف محمد كامل حسن المحامى ثم انتقل فن التمثيلية الاذاعية بعد ذلك من اذاعة الاســكندرية الى اذاعة القــاهرة ثم بقية الاذاعات ، ثم كان برنامج « من النافذة » الذى كنت أقدمه وأختتمه بعبارة « موش كده والا ايه » قامت اذاعة القاهرة بعمل برنامج شبيه له اسمه « كلمتين وبس » ، وبرنامج آخر كنت أقدمه اسمه « زى النهاردة » تم تنفيذه تليفزيونيا بعد ذلك بعنوان « فى مثل هذا اليوم » ، وبرامج أخرى كانت اذاعة الاسكندرية رائدة فيها وأثبتت نجاحا بدليل تقديمها فى الاذاعة الأم ٠

● ● وما هو تقييمك لاذاعة الاسكندرية بعد ثلاثين سنة من بدء ارسالها وما رايك فى مشروع تعميم الاذاعات المحلية لتشمل محافظات الجمهورية ؟

ـ أنا أعتبر أن اذاعة الاسكندرية نجحت كأول تجربة للاذاعات المحلية على أساس أننا مهدنا لحب جمهور الاسكندرية لهذه الاذاعة لأننا أحسسنا أنه صاحب هذه الاذاعة وأنها جاءت لتخدمه ، وعلى هذا الأساس فقيام اذاعات محلية جديدة تغطى محافظات الجمهورية لا مانع من المضى فيها مادام الهدف هو خدمة الجمهور فى الدائرة المحلية التى تخدمها هذه الاذاعات في المحافظات المختلفة .

● على خليـــل :

هذه قصة محمد نجيب مع الاذاعة

● علي خليل .. واحد من الرعيل الأول الذي حمل على أكتافه « امانة » الاذاعة المصرية في اولى خطواتها ، كما حمل بعد ذلك تاريخا طويلا لتلك الاذاعة التي عاصرت عهودا وشهدت احداثا ساهم بعضها في تغيير المسار التاريخي للمنطقة ، حول كل ذلك كان الحوار الذي نستطيع من خلاله « قراءة » تاريخنا الاذاعي ومعرفة خباياه .. !!

●● كيف عرفت طريقك للاذاعة ؟

— قبل الافتتاح الرسمي للاذاعة قرأت اعلانا في الصحف يطلب شبابا للعمل في الاذاعة المزمع انشاؤها ، وتقدمت للامتحان الذي تكونت لجنته من الاذاعي الأول محمد سعيد لطفي باشا . وكان مستشار الاذاعة ، والمدير البريطاني للاذاعة ، ومستر فرنس ، وأحمد سالم من الرعيل الأول للاذاعيين .

أما الامتحان فكان يشمل المعلومات العامة .. واتقان اللغة العربية . والالمام المعقول باللغة الانجليزية .. ونجحت في الامتحان وعينت في ٥ مايو ١٩٣٤ أى قبل الافتتاح الرسمي للاذاعة بحوالي ثلاثة أسابيع ، حيث افتتحت في ٣١ مايو ١٩٣٤ .

●● كيف كانت الإذاعة هي اذاعة الحكومة المصرية وفي نفس الوقت كانت خاضعة للاشراف الانجليزي ؟

— كانت الاذاعة اللاسلكية للحكومة المصرية ، ملكا للحكومة ، ولكن لأننا كمصريين لم نكن في ذلك العهد نملك خبرات في هذا المجال الجديد الذي كان جديدا نسبيا في العالم كله .. أيضا ،

لذلك استعانت الحكومة بشركة بريطانيـة ، وكان الأمر الطبيعي آنذاك اذا احتاجت مصر الى خبرات أن تستعين بخبرات بريطانية فى كل شيء · وهذا بطبيعة الحال من آثار الاحتلال ، ولا أقول الاستعمار لأن مصر لم تكن فى يوم من الأيام مستعمرة بريطانية ، ولذلك بقيت لمصر هويتها وشخصيتها ·

والفضـل الأكبر فى ذلك يرجع الى الوطنية المصرية التى حفظت لمصر شخصيتها ، والأزهر الشريف الحافظ للدين الحنيف واللغـة الأصلية ، ولهـذا لم يحدث لنا ما أحدثه الاستعمار أو الاحتلال ، بغيرنا ، الذين كانوا أقل حظا منا ففقدوا اللغة وشوهت هويتهم ·

صراع مع الانجليز ··

●● كيف استطعتم المحافظة على الشخصية المصرية للاذاعة رغم الهيمنة الانجليزية عليها ؟

ـ كان بيننا خلاف فى السنوات التى سبقت وقوع الحرب الثانية ، ذلك أن الشركة البريطانية كانت تريد ادارة العمل على أساس تحقيق ربح تجارى ، لأن موردها لادارة الاذاعة كان ٦٥ فى المائة من مجمـوع الضرائب التى كان يتم تحصـيلها على أجهزة الاستقبال (الراديو) ، وهذه كانت لا تكفى ، فكنا دائما فى محاولات لمقاومة هذا البخل الذى كان له أثر على البرامج بطبيعة الحال ·

وحدثت صـدامات كثيرة بيننـا وبين الانجليز ابان الحرب العالمية الثانية ·· فعندما أعلن « على ماهر » رئيس وزراء مصر ، استقالته فى ختام بيان القاه أمام مجلس الشيوخ والنواب وقال

فى أسباب الاستقالة أن السفير البريطانى كان يشدد الضغط على حكومة مصر ليزج بنا فى الحرب ، وانه كان يعامل معاملة كانت تعرفها حكومات هذه البلاد فى عهود الحماية والاحتلال .

قبض على « على ماهر » وحددت اقامته ، ومن جنون السفير البريطانى أنه كان يريد أن يمنع اعادة اذاعة الخطاب الخطير ، ولكن مستشار الاذاعة سعيد لطفى باشا تصدى للمدير البريطانى ، وأذيع الخطاب مرة أخرى رغم أنف الانجليزى .

وعندما سجلنا للامام الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى ، شيخ الجامع الأزهر ، حديثا قصيرا بعد الدرس المعتاد بعد صلاة الجمعة ، وكان هو الذى طلب منا تسجيله لاذاعته ، وكان قد قال فى نهاية حديثه « واللهم قنا شر هذه الحرب التى لا ناقة لنا فيها ولا جمل » ، وصل خبر الحديث الخطير الى السلطات البريطانية ، وحاول المدير البريطانى منع اذاعة الحديث وساعده كبير المهندسين الانجليزى ، بأن يتم الاعتذار لشيخ الأزهر بأن حديثه المسجل قد تلف وغير صالح للاذاعة . ولكننى قلت له « اننى هنا مصرى مسلم ولا أستطيع أن أكذب على شيخى وعلى وطنى » ..

واستطعنا أن ننتصر على التعنت الانجليزى وأذعنا حديث شيخ الأزهر ، الذى لم نكن أقل شجاعة منه فى تلك الظروف الصعبة فى فترة الحرب العالمية الثانية ، وفى وجود قوات احتلال غاشمة .

يوم الثورة ..

● ● كيف كان الموقف بالنسبة للاذاعة يوم قيام الثورة ؟

ــ فى فجر ٢٣ يوليو أى قبل الساعة السادسة صباحا ،

وكان الجيش قد احتل مبنى استديوهات الاذاعة في شارع علوى ، وكانت تعليمات رئيس الوزراء أحمد نجيب الهلالى باشا وكان موجودا بالاسكندرية ، فى هذه الساعات الحرجة الا تصطدم الشرطة بالجيش وأشار رئيس الوزراء بأن يتم تعطيل محطة الارسال فى أبو زعبل ، فيعطى ذلك فرصة للحكومة والملك بتسوية الأمر مع الثوار دون ان ينتشر نبأ الثورة ٠

وكانت تعليمات الحكومة الا يصطدم مصرى بمصرى ، حتى اذا كان الجيش قد سبق الى احتلال محطات أبو زعبل وأمكن بدء برنامج الاذاعة فى موعده بالقرآن الكريم فى الساعة السادسة صباحا ، كانت أوامر رئيس الحكومة الهلالى باشا ٠٠ نفسه أيضا ، ان تتركوا الجيش يستخدم الاذاعة كما يشاء ٠ ولم يأمر – كما خطر للبعض – بأن تستعد قوات الحرس الملكى والسلاح البحرى الجوى ، بالاسكندرية ، للاقاة المتمردين بالقاهرة ، حتى اذا مرت ساعات النهار ، وعينت الثورة على ماهر باشا ، رئيسا للوزراء ، كان هذا هو الخط الذى اتبعه ، بل ذهب الى حد أن أقنع الملك بأن الجيش ثائر ولا داعى لأية مقاومة من جانبه ، لأنها مقضى عليها بالفشل ٠

وهكذا تم للثورة التمكن من السلطة دون اراقة دماء ٠

بيانات الثورة ٠٠

●● هل كنتم كشباب ٠٠ مقدرين لدور الاذاعة فى مثل هذه الأحداث الكبرى ؟

– كنا نحن الشباب القائمين على الاذاعة معتزين بخطورة جهاز الاذاعة الذى نخدم الوطن من خلاله ، وكانت الثورة ، تدرك هذا ،

ولذلك كان من أول ما احتلته مبنى « الاذاعة » لتكون هي صلتها الوثيقة الأمينة بمواطنيها ·

وجاء قائد الثورة (كما هو ظاهر لنا آنذاك) محمد نجيب ، الى دار الاذاعــة ، فى اليوم التالى للثورة فى ٢٤ يوليو ١٩٥٢ ، ليذيع بيانا للشعب بنفسه وبصوته ·

وفى ٢٦ يوليو أذاع قائد الثورة ، ورئيس الوزراء بيانات للشعب من الاسكندرية ·· بعد عزل الملك ومغادرته للبلاد ·

ولم يكن هذا الذى يحدث مفاجأة لنا ، فالقدامى منا الذين كانوا يعملون فى الاذاعة حين اقتحم هتلر النمسا ودخل الى فيينا ، اتجهت قواته أول ما اتجهت الى دار الاذاعة ، فاحتلتها · ثم قتلت السلطة الغاشمة رئيس الوزراء (دريفوس) ·

فقد كنا نعلم دور الاذاعة وأهميتها ، ولذلك استخدمتها الثورة ، وتفانينا فى أداء مهمتنا الخطيرة بكل دقة وبكل اخلاص للوطن وبما يرضي الله ·

ويطيب لى أن أقول اننا فى هــذه الآونة ومن قبلهــا ومن بعدها ، كنا دائما ننظر الى عملنا على أن مراقبنــا الأول والأكبر هو الله نرعاه فى وطننا ، ومن بعده المواطنون السامعون ·

وأنا أشعر كشيخ من الرعيل الأول من الاذاعيين ، أن هذا الشعور ما زال متمكنا ، ومستمرا فى الأجيال الثلاثة المتعاقبة ·

الاقالة واعتذار ··

●● أين كانت الاذاعة فى الصراع بين عبد الناصر ومحمد نجيب ؟

ـ فى خريف ١٩٥٣ قام الرئيس محمد نجيب ، بجولة كبيرة فى محافظات الصعيد ، وكان معه بطبيعة الحال فريق اذاعى لاذاعة الخطب والاجتماعات وتسجيلها ، واستمرت الاذاعة عشرة أيام تذيع فى المتوسط بين ساعتين وثلاث ساعات من الصعيد ، ما بين اجتماعات حية وتسجيلات ٠

وذات يوم قال لى صلاح سالم أحد أعضاء مجلس قيادة الثورة ، أن هذا الذى يذاع كثير ، ومن شأنه أن يضايق الناس وينفر المواطنين ، ولابد من أن نمنع هذه الاذاعات أو نختصرها ، وذلك حتى نبقى على حب الناس للرئيس وتعلقهم به ٠

فاقترحت عليه حتى لا يغضب الرئيس أن نسجل كل هذه الاحتفالات والاستقبالات والاجتماعات ، ونذيعها فى غير أوقات الاذاعة المعتادة ٠ أى فى الساعة الثالثة بعد الظهر (وكانت الاذاعة تتوقف من الثالثة الى الخامسة) ليستمع اليها من شاء ، بالاضافة الى هذا نذيع ملخصات لما يجرى فى نشرات الأخبار الرئيسية الساعة الثانية والنصف بعد الظهر ، والساعة الثامنة والنصف مساء ٠ فوافق صلاح سالم ٠

واتبعنا هذا الأسلوب الجديد لبضعة أيام ، ثم جاءتنى برقية من أسيوط ـ على ما أذكر ـ من الرئيس يحتج فيها على ما هو حادث ، فعرضتها على صلاح سالم ، فقال : سأتولى أنا الرد عليه ٠

ثم تمت زيارات الرئيس محمد نجيب فى الصعيد ، وعاد الى القاهرة وذهب اثر عودته الى أرض المعارض بالجزيرة ، ليفتتح معرضا للصناعات المحلية ، فرآنى بين المستقبلين وسلم على ، وقال : احنا سنلتقى بعد الافتتاح فى الاستديو ٠

وكان للاذاعة استديو فى هذا المعرض ، وكان مرتبا أن يلقى

الرئيس نجيب كلمة بعد الافتتاح ، من هذا الاستديو ، واستقبلته لأقدمه للسامعين .

فاذا به يحتج احتجاجا شديدا على ما حدث ، فأخذت أدافع عن النظام الذى اتبعناه ، وقلت له اننا أذعنا ما يقرب من عشرين ساعة اذاعة ما بين ساعة ونصف الساعة وسبع دقائق ، وقلت له أيضا حقيقة لم يكن يعلمها وهى أن معظم الأشرطة التى جاءت بالطائرة الينا أثناء رحلته ، كانت « ملخبطة » وان لجنة برئاسة الأخ الزميل حافظ عبد الوهاب ، كانت تواصل الليل بالنهار لنحاول ان نجد شيئا صالحا للاذاعة من هذه الأشرطة ذلك أن الكهرباء كانت غير منتظمة ومتقطعة ولأسباب فنية أخرى .. وهذه كلها حقائق .

ولكن الرئيس نجيب كان غاضبا وتكلم معى بغضب ولفترة من الوقت حوالى عشر دقائق أو أكثر ، وكنا داخل الاستديو والميكروفون مفتوح ، وكانت هذه الخناقة واصلة الى غرفة المراقبة الرئيسية الملحقة بالمعرض ، والى غرفة المراقبة الهندسية والاستديوهات بشارع علوى ، والى محطة الاذاعة فى أبو زعبل ، فكان غضب الرئيس محمد نجيب علينا ، على مسمع من جمع كبير من الزملاء ..

وانتهى هذا اللقاء في الاستديو دو نأن نسجل للرئيس محمد نجيب لأنه كان متعبا من أثر الرحلة التى جاء بها بالقطار الى المعرض مباشرة دون أن يذهب الى بيته .

واتفقنا على أن نسجل من مكتبه برئاسة مجلس الوزراء فى الساعة العاشرة من صباح اليوم التالى .

ولم أذكر اطلاقا أنه كان هناك تدخل من صلاح سالم ،

وفكرت حين التقى بالرئيس نجيب فى اليوم التالى أن أقدم اليه مستندا يثبت أن الاذاعة لم تقصر ، فاتصلت بمدير التنسيق فى بيته ، وكانت الساعة قد قاربت العاشرة مساء ، وطلبت منه أن يذهب الى مكتبه ويعد كشفا كاملا باذاعات الزيارة .

ثم لحقت به بدار الاذاعة وأخذت الكشف وذهبت به الى بيتى ، وفى الصباح قلت للرئيس : اننى قاربت الرقم الصحيح فى عدد الاذاعات وحجمها ، وأعطيته الكشف الذى كان يحوى سبع عشرة اذاعة تتراوح ما بين ساعة ونصف الساعة ، وسبع دقائق .

ولكن الرئيس نجيب ظل غاضبا أيضا وقال : هل أستطيع ان أحتفظ بهذا الكشف ؟ فطواه ووضعه فى جيب سترته العسكرية الأيسر .

وكان هذا الكشف الذى قدمته لأبرىء ساحة الجميع هو المستند الذى استخدمه الرئيس محمد نجيب ـ رحمه الله ـ فى الاحتجاج بجلسة من جلسات مجلس قيادة الثورة ، على ما صنعته الإذاعة معه فى خطبه واستقبالاته .

وعلمت فيما بعد أن هذا الكشف كان هو السبب فى انهاء خدمتى فى الاذاعة بقرار من مجلس قيادة الثورة ، ولكن الشهادة لله ، أرسل لى صلاح سالم فيما بعد يعتذر لى عما وقع ويقـــول انه كان ضحية دسيسة وانه كان فى البلد شائعة تقول ان محورا مكونا من محمد نجيب والرحمانى (رئيس الاذاعة) وعلى خليل ، سيقوم بانقلاب ضد مجلس قيادة الثورة ، ومعهم الاذاعة .

وكان الأميرالاى (محمد كامل الرحمانى) ـ دكتور سفير فيما بعد ـ صديقا حميما لمحمد نجيب .. وكان هو كبير معلمى

الكلية الحربية حين كان جميع أعضاء مجلس الثورة من تلاميذه ، وكان على تفاهم تام مع على خليل ٠

وأنه « صلاح سالم » يطلب منى أن أحدد أى مكان أريد أن أعمل به فى مصر أو بالخارج ، ومجلس قيادة الثورة سيلبى هذا الطلب ٠

ولكننى لم أطلب شيئا ، وانما طلبتنى الأمم المتحدة للعمل بها ، فزكانى مجلس قيادة الثورة تزكية كبيرة مشكورا ٠

وكان خروجنا ٠٠ أنا والرحمانى وآخرين من الزملاء كصالح جودت ، والشافعى البنا ، ومحمد المعلم ، وغيرنا ، بقرار من مجلس قيادة الثورة حتى يكون قرارا سياديا غير قابل للطعن ، ذلك أنه لم توجد أية اتهامات تتصل بتصرفاتنا ، وقد أعطانى صلاح سالم شهادة تقول ان انهاء خدمتى لم يكن لأسباب تتصل بالوطنية أو النزاهة والشرف ٠٠

● أحمد سـعيد :

لهذا السبب تركت صوت العرب

امجاد يا عرب امجاد ..

كان العرب ـ من المحيط الهادر الى الخليج الثائر ـ ينتظرون صيحته .. « يا أمة العرب ، نحن نناديكم » .

تانى :

لماذا تنادينا ؟ .. لا تذكرنا ! .. وبالله عليك فلتصمت ! ..

لكن احمد سعيد كان قد صمت فعلا .. والصدى فقط هو الذى لا يزال يتردد :

« اخى فى عمان .. اخى فى الكويت ، فى عدن ، فى تونس فى ... كف على الخبر ماجورا ، فتلك ايام خلت ... لسه فاكر ؟! ... الشياطين هى التى انتصرت فى النهاية ، والخونة ـ يا احمد سعيد ـ ، دشنوا كابطال ! .

● ● وهل هذه هى النهاية ايها الساذج ؟!

● صـوت الأشبـاح ، والعفاريت الزرق يرتفع من جديد .. ودنيا العرب « مسكونة » !

ـ ما حدث ليس هو أخر كلام !

ـ يعنى ايه ؟!

ـ هس ! .. لا تثرثر .. فقط ، طوبى لمن يكون وقودا جيدا لمـا هو أت .. هس ! ... من يبح يضل ! و .....

و .... اعذرونى حين تطاردنى الاشباح من الماضى - ومن المستقبل - اعذرونى حين تراودنى مثل هذه الافكار فى طريقى الى بيت أحمد سعيد مدير صوت العرب - الأسبق - مدير « امجاد يا عرب امجاد » - بينى وبينك والله زمان !

فى غرفة الصالون من منزله قلت : اين انت ؟ .. وماذا تفعل الآن ؟ .. ثم استدركت : بل قبل ذلك .. لماذا تركت صوت العرب فى عهد عبد الناصر .. ان ابتعادك من الاذاعة وقتها قصة لا يزال يكتنفها الغموض .. فتحدث يا أحمد سعيد ..

قال : كان ذلك بعد تراكمات كثيرة نتيجة وجود جبهات متصارعة ، وكنت لا احب الانتماء لأى جبهة رغم أن هذه الجبهات حاولت كل منها أن تضمنى اليها سواء جبهة المشير أو جبهة على صبرى ، وفى الاطار العام كنت متفقا مع عبد الناصر فى سياساته وان كنت قد اختلفت فى بعض المواقف على الأسلوب مثل بعض الممارسات أيام الوحدة أو الانفصال عن سوريا ، وفى الواقع كان يجب ان يبقى المشير وهو نائب عبد الناصر فى سوريا ، كذلك اختلفت حول تعجل عبد الناصر لتطبيق الاشتراكية لا حول الاشتراكية وان تطبيقها كان سيضع كثيرا من القوى الرأسمالية العربية الوطنية فى موقع معاد للثورة ، ولكن كل ذلك أو غيره لم يجعلنى اغير قناعاتى بسلامة توجهات عبد الناصر بشكل عام ، وجاء ٥ يونيو لنواجه جميعا الكارثة ونتائجها ، الى ان قيل عن مشروع للرئيس اليوغسلافى تيتو للصلح مع اسرائيل وتناثرت الأقوال ان عبد الناصر قد قبله وان كان يقال ان قبول عبد الناصر كان مناورة ، ولما سئلت فى القيادة المركزية لسلاح الطيران وكنت القى فيه محاضرة كان السؤال عن هذا المشروع وأجبت : ان من يقبله سيغتال وأن الأمة العربية لن تعدم من يفعل ذلك .. بعدها طلب منى أن آخذ

أجازة مفتوحة فقدمت استقالة مسببة فصدر قرار بفصلي وكان ذلك في سبتمبر ١٩٦٧ ، وقد زارني بعد ذلك حسن عباس زكي وزير الاقتصاد الأسبق ، بناء على تكليف من عبد الناصر ، وطلب مني الا اصطدم بالرئيس وان أتعاون معه ، وقال لى : ان عبد الناصر يطلبني لزيارته في بيته ، فقلت له ان يبلغ عبد الناصر ان أحمد سعيد قد استشهد في ٥ يونيو ١٩٦٧ ، وصدر قرار بفصلي من الاتحاد الاشتراكي انا ومجموعة من زملائي من أعضاء مجلس الأمة ، وفي ذلك الوقت كان الفصل من الاتحاد الاشتراكي يعني اشياء كثيرة ، منها رفع عضويتك من النقابات ومنعك من ممارسة نشاطك في المجتمع ، ولذلك أخذت وقتا طويلا استغرق سبعة شهور حتى استطعت اعادة قيدي في جدول المحامين باعتباري خريج حقوق ومحام سابق وان لم امارس المهنة الا ستة شهور فقط .

عشرون يوما في ليبيا

●● اذن فقد عدت بعد خروجك من الاذاعة لممارسة مهنة المحاماة ؟

ـ أحمد سعيد : لم يحدث لأنه كان من الصعب ان امارس المحاماة بعد انقطاعي عنها مدة طويلة وكنت أفضل العمل الاعلامي ، وقد جاءتني عروض كثيرة للسفر الى الخارج ولكن كان هذا مستحيلا لأنني كنت ضمن الموضوعين في قائمة الممنوعين من السفر ، الى ان طلبني بعد فترة العقيد معمر القذافي وكانت علاقته وقتها جيدة بالرئيس السادات الذي كان يعتذر الى ان صمم القذافي ذات مرة ان يصطحبني معه في طائرته ، فوافق السادات على مبدأ السفر وان ظل مترددا ، ثم فوجئت بأن مدير الجوازات ، يقول لي ان لديه تعليمات الا يعطيني جواز السفر ، واقترح الذهاب الى مكتب وزير

الداخلية وكان ممدوح سالم . فقال لى مدير مكتبه وكان النبوى اسماعيل (الذى أصبح وزيرا للداخلية فيما بعد) ان حل مشكلتى فى رئاسة الجمهورية ، فأجريت بعض الاتصالات وكان منها طلب رسمى الى الرئيس السادات تسلمه حافظ اسماعيل مستشار الرئيس للأمن القومي ومساعده عثمان نورى ، وفى اليوم التالى اخبرونى بأنه يمكنني ان استلم جواز سفرى وبالفعل سافرت الى ليبيا وصدر قرار بتعيينى مستشارا لمجلس قيادة الثورة للشئون العربية والاعلامية الليبية ، ولكننى لم استمر فى عملى لأكثر من عشرين يوما عدت بعدها الى مصر بسبب اختلافى معهم هناك حول السياسة الاعلامية التى يجب اتباعها فى بعض المواقف السياسية .

نشاط في الكويت وقطر

● ● كيف سارت حياتك بعد ذلك في القاهرة ؟

ـ أحمد سعيد : تلقيت دعوة من الكويت والامارات فقمت بزيارة كل من البلدين العربيين وتعاونت معهما اعلاميا بصفة شخصية وقدمت بعض الاستشارات لانتاج نوعية معينة من البرامج، مثال ذلك ... الاحتفال بالقرن الهجرى الجديد بعمل دراسات خاصة تتناول كل ما مر بالعالم الاسلامى يوم أول محرم بداية التقويم الهجرى ، عبر الالف والأربعمائة سنة الماضية ، وقد تولى تنظيم هذا العمل كل من الكويت وقطر ، وقد تولت قطر اخراجه فى عدة أجزاء من الكتب حيث كان عملا موسوعيا كبيرا شارك فيه أساتذة من الجامعات واستغرق انجازهم له (٣٦٠) يوما .

نموذج آخر لتعاونى الاعلامى مع الكويت وقطر أيضا فى عمل كبير آخر هو تحفيظ القرآن باللغة العربية مع شرح له باللغات الأجنبية ، والفضل فى ذلك العمل يرجع لقيادتين اعلاميتين تحملتا الكثير لكى يخرجا بهذا العمل الى النور وهما : عبد الرحمن المعضاض

مدير اذاعة قطر ، ود. عبد العزيز المنصور مدير اذاعة الكويت ، وقد انفقا على هذا العمل بسخاء يحسب لهما . عمل ثالث وهـــو نوع من أنواع المقارنة بين التدهور العربى الاسلامى الحالى وبين القفزات الحضارية فى الحرب والفكر والعلم فى عصور الاســـلام المزدهرة .

أيضا هناك أعمال تلفزيونية خرجت باستشارتى ـ لكنهـــا للأسف لم تعرض فى التليفزيون المصرى ـ اذكر منها عملا فكاهيا بطولة سيد زيان يمثل فيه لأول وآخر مرة باللغة العربية الفصحى ، وكان العمل تحت عنوان « الأحمق » ويتناول التجار والمستغلين من أيام العصر الأموى واعتقد انه يصلح للعرض الآن فى مصر التى تقوم فيها حملة ضد التجار الجشعين .

وأحب أن أذكر ان هذا النشاط كان يتم خلال تواجدى فى القاهرة مع بعض زيارات من وقت لآخر للكويت وقطر .

آخر من يضحك

● ● من المعروف عنك انك تمارس الكتابة وخاصة الكتابة المسرحية فهل تجد وقتا كافيا لانجازها ؟

ـ أحمد سعيد : نعم فقد الفت كتابا باسم « لا للفقـــر فى ظل القرآن » تناولت فيه رؤيتى للمال والملكية والانفاق فى ظل القرآن الكريم ، أما المسرحيات فقد كتبت مسرحية « فهد و ٦٧ » عن هزيمة ٦٧ وقد عرضت فى أواخر عملى فى الاذاعة .

ومسرحية « مطلوب ليمونة » وقد اعترض عليهـــا الرئيس عبد الناصر لأنه اعتبرها تلميحا لقيادات نظام الحكم .

أمـــا المسرحيـــات التى الفتها بعد خروجى من الاذاعة فهمـــا

مسرحيتان « العالم سنة مليون » ، وتناقش الانسان في المستقبل وكيف ستتحكم فيه الآلة ، وهذه النبوءة على وشك التحقق بالفعل فقد ساقت الاخبار انه خلال عشر سنوات ستستطيع اليابان انتاج انسان آلى له عقل يفكر ويتخذ القرار ٠

أما المسرحية الاخرى فهى « آخر من يضحك » وفيها اتخيل مذهبا خاصا بالموت وهو ان الحياة جديرة فقط بمن يقدم خدمة وأتخيل أن أحد الفلاحين الفراعنة قد وقع على سر كبير جدا وهو سر اله الموت نفسه ، وينجح من خلاله ان يرقى بنفسه ويصبح فرعونا لمصر ويخرج للمجتمع ٠

ماذا تفعل الآن ؟!

● ما هى احدث مشاريعك الحالية ؟

ـ أحمد سعيد : مشروع لا استطيع الآن ان اتحدث عن تفصيلاته كثيرا ولا عن المشاركين فيه لأن ذلك قد يضر بنجاحه ، ولكن ملخصه اننا ندرس مشروعا خاصا بالطفل العربى والطفل فى العالم الثالث وسيكون مفاجأة كبيرة ذات قيمة قومية وسيفتح افاقا كبيرة جدا لتعويض الطفل العربى وطفل العالم الثالث عن النقص الذى يعانيه تربويا وثقافيا ٠

وقد التقيت فى هذا المشروع مع زميل آخر له دراسة عن فى الطفل ، وقد كان لى شرف ان أكون صاحب الفكرة والمشرف على تنفيذها واعتقد ان هذا مهم جدا كنوع من أنواع الواجب المفروض على كل انسان يصل الى فكرة جيدة يستطيع أن يخدم بها الناس ٠

●● وعن سير نشاط حياتك اليومية ؟

ـ أحمد سعيد : استيقظ كل صباح وان وافيت الفجر للصلاة فهذا كرم من الله ، وأقرأ كل الصحف المصرية وبعض الجرائد العربية التى تصل الى مصر ٠

تدهور مستمر

●● هل تقرؤها بحسك الاذاعى القديم أم بحسك العادى ؟

ـ أحمد سعيد : للأسف الشديد اقرؤها بحسى الاعلامي وهذا ما يتعبنى جدا لأننى اجد فيها ما يسوؤنى ، لأنه يمكن لو ان الحال أفضل من الستينيات لشعرت بالتبلد واننى امثل جيلا فاشلا ، لكن الذى يحدث الآن انما هو تدهور مستمر ، وللأسف ينسب الى فترة الخمسينيات والستينيات أن لهـا علاقة بما نحن فيه ، وهذا خطأ ، أو انها فى اعتقادى علاقة لا تتجاوز العشرة فى المائة ٠

●● نعود لنشاطك اليومى بعد قراءة الصحف ؟

ـ اذهب لمكتبى فى شارع قصر النيل بالقاهرة وهـو اصلا كان مكتب محاماة ولكن لأننى لا امارس المحاماة ، فهو مكتب اعلامى للاستشارات الاعلامية اقضى فيه سحابة النهار ، ثم اعود للبيت للغداء مع الاسرة ، ثم اقوم بواجباتى الاجتماعية من استقبال اصدقاء أو معارف أو زيارتهم ، وفى المساء اتناول طعام العشاء مع الاسرة أثناء مشاهدة التليفزيون ٠

● ● ما الذي تحرص على مشاهدته في التليفزيون ؟

ـ أحمد سعيد : انا لا اشاهد التليفزيون خصيصا الا اذا كنت أمارس عملا آخر كطعام العشاء ، ولكنني مهتم بمشـــاهدة البرامج الاخبارية والتسجيلية وبعض البرامج كالباليه ، والموسيقى العربية ، وبعض الأفلام الأجنبية والعربية التى يكون عندي فكرة عن مستواها الجيد ..

● ● قراءاتك الى أي المجالات تتجه ؟

ـ أحمد سعيد : القراءات اغلبها يأخذ خط العمـــل الذى امارسه فى مكتبي الاعلامى ، فاذا كان مثلا عملا اعلاميا اسلاميا تتركز قراءاتي في هذا الاتجاه ، انما هوايتى فى القراءة أساسا تتجه الى التاريخ وكل ما يتصل به .

قل : لا

● ● ما هي خلاصة قراءاتك للتاريخ ؟

ـ أحمد سعيد : بقدر ما أنت قادر على أن تقول لا بقـــدر ما أنت قادر على أن تثبت وجودك ، ولو عدت لأول كلمة فى الاسلام لوجدت ان كلمة « لا » هى الأساس فى رأس قمـة التوحيد وهى « لا اله الا الله » ، والشعوب التى تريد أن تتحرر وتتقدم يجب ان تقول « لا » لواقعها المتخلف ، والفرد الذى يريد ان يرقى يجب ان يتمرد على واقعه ويقول « لا » لأنك ما دمت حيا لابد ان ترفض الواقع الا اذا عجزت أو شللت ، وحتى لو كنت بيد واحدة أو عين واحــدة لابد أن تتمـرد وتستثمر بقيـة حواسـك ، والا أصبحت كالسائمة .

● ● رياضاتك الأخرى غير القراءة .. ما هى ؟

ـ أحمد سعيـــد : لا يوجد ســوى هواية المشى فى نــادى الجزيرة .

منهج تربية اسلامى

● ● كيف تمارس حياتك الاجتماعية فى البيت مع الأسرة ؟

ـ أحمد سعيد : على أساس العصر .. فلى من زوجتى ولد وبنت ، ربيتهما على منطلق ان يكونا متفهمين للغة العصر ، ويعتمدا على نفسيهما ويفهمان ان هناك من هو أدنى منهما فيساعدانه ولا يتجبران عليه ، وان هناك من هو أعلى منهما فيحاولان الوصول الى مستواه ، كل هذا يتم طبعا فى اطار اننا مسلمون ولابد ان نرعى حق الله فى كل انسان . وقد اعتمدت فى تربية ابنتى وابنى على المنهج الاسلامى ان ألاعبهما سبعا وأربيهما سبعا وأصاحبهما سبعا ثم أترك لهما الحبل على الغارب . كما جاء فى معنى حديث لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

● ● أليس فيهما من أراد ان ينهج نهجك الاعلامى ؟

أحمد سعيد : جاءت مثل هذه الفكرة لابنتى ثم تركتها وسارت فى طريق التعليم التجارى وتزوجت ، أما ابنى خالد فهو مهندس .

● ● كيف شاركتك الزوجة مرحلة حياتك ؟

ـ أحمد سعيد : وقفت موقفا مشرفا وكاملا وتعاونت بكل ما لديها من قدرات لكى نتجاوز الأزمة وتحملت تخفيض المصروفات بعد ان ظللت بلا عمل وبلا معاش عدة شهور ، وكانت فى موقفها مقدرة لكل الظروف ، ولا أستطيع أن أقول الا أن هذه هى الوقفة التى يجب ان تقفها الزوجة مع زوجها ، وكانت زوجتى فى ذلك خير عون .

اين قمرنا ؟ !

● ● ما هو حصاد تجربتك للشباب العربى ؟

ـ أحمد سعيد : أول شىء ان يرفضوا الواقع ليس لأن الواقع ذليل ومهين ومزرى ولكن لأن رفض الواقع هو أولى خطوات التقدم ، ثم يأخذون بالعلوم المتصلة بالذرة والكيمياء والهندسة وغيرها من العلوم التى أوصلت الانسان الى عصر الفضاء ، وان يؤمنوا انهم أفراد فى مجتمع ، ويعودون الى الآية الكريمة « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان » ، لأنه لو شعر كل انسان انه جزء من المجتمع ورعى حق ذلك المجتمع فأنا واثق أننا سنتقدم ، وبدلا من الحملة لمقاطعة اللحوم لابد من الحملة أولا لمقاطعة الشر الذى بداخلنا ومقاطعة الأنانية والتسيب الذى نعانيه والذى جعل أمتنا العربية لا تستفيد بقمرها الصناعى الا بنسبة (١٣٪) وهو قمر أطلقته لها فرنسا ، بينما اسرائيل بدأت تطلق أقمارها ليس لأغراض سلمية مثلنا ولكن لأغراض عسكرية ، فمتى نتعاون كعرب بعلمائنا فى مصر وأموالنا فى دول كالسعودية والكويت لنضع لأمتنا قاعدة علمية لصناعتها وتقدمها ، مما أتمنى قبل موتى ان أرى بدايته ووضع حجر أساسه فنحن نملك أسطولا حربيا ولكن لا نملك قطعة غيار له مما يدل على اننا مظهريون فى أخذنا بعلوم العصر ومنجزاته ٠

● ● ما هى آمالك الأخرى التى تود ان تعاصرها ؟

ـ أحمد سعيد : أملى الذى أنا مستعد لأن أدفع عمرى وعمر أسرتى من أجله هو تحرير فلسطين ، ولابد لكى يحدث ذلك لابد ان تكون البداية بتحرر مصر من التخلف والسلبية والأنانية وان تتحرر من بعض أبنائها الذين يدمرون كافة أجهزتها لأسباب

شخصية ، فليس معنى ان يخطىء شخص كصلاح نصر ان يكون كل جهاز المخابرات بانجازاته سيئا ، وليس معنى ان جهاز الشرطة به ضابط منحرف ان الجهاز كله قد انحرف ، فليعاقب المنحرف ونذبحه ولكن لا نذبح رموزنا القومية ففى دول كبرى تحدث فضائح فى أجهزتها ولكن يبقى لتلك الأجهزة تقديرها واحترامها .

فى البدء كان الرفض

●● ما هى الحكمة التى ظلت فلسفة حياتك ؟

ـ أحمد سعيد : أولا . أولا الرفض كما قلت لك والا كان زمانى الآن قاعد على المعاش اقتات ما يأتينى من فتات دون ان أضيف لحياتى ، جديدا ، الشىء الآخر هو اننى لو غضبت أو فرحت أسرع التفكير فى مظاهر الرضى والغضب فلا يأخذنى زهو أو غضب وأتمادى وأستمر فيه سواء كان غرورا فى حالة الرضا أو حقدا فى حالة الغضب ، وانما أبدأ فى التفكير للتقييم السريع ، والتجاوز احدى نعم الله على ، وأرد ذلك دائما الى الخوف من الله وخشيته فى الناس .

● صـــلاح جاهين :

النوم هوايتى الوحيدة

انا فنان أكثر من صحفى ٠

هكذا يقول عن نفسه صلاح جاهين الذى كثيرا ما اثارت عليه رسوماته عواصف وزوابع كان يخرج منها منتصرا وأيضا مبتسما ، واقترانه بالكاريكاتير لا ينسينا اقتران اسمه بالاغنية الوطنية التى واكب بها مسيرة الثورة ليكون كاتبهـــا الذى يشرح انجازاتها بالكلمة المغناة ليرددها عبد الحليم حافظ مطرب الثورة ، كذلك كتب صلاح جاهين الصورة الغنائية وكتب الفوازير ٠ ولنبدأ معه من حيث بدأ ٠

يقول صلاح جاهين : بدأت كرسام ودرست سنتين فى كلية « الفنون الجميلة » وكنت أهوى الصحافة فتفاعلت معها بكونى رساما مما كان سببا في أن أكون رسام كاريكاتير وهذا يعنى فى معادلة هى : حياة صحفية لرسام بالخط تخرج بشـــكل متوقع رســـام كاريكاتير ، ولكى يكون متميزا يجب أن تتصف رسوماته بالجاذبية التى تشد الانسان بأى لغـــة ، كما يجب أن يكون عنـــد رسام الكاريكاتير القدرة على التلخيص بحيث يعبر عن مقالة طويلة بخطوط بسيطة وقليلة ٠

●● بمن تأثرت من رسامى الكاريكاتير ؟

تأثرت فى بدء حيـــاتى بصاروخان ، رخـــا ، وزهـــدى ، وعبد السميع وبعد أن اشتغلت بالكاريـــكاتير أعجبت بعـــدد من رسامى جيلى مثل بهجت ، وحجازى ، وايهاب ، وبحاليا مصـــطفى حسين ، ولو أنه قديم مثلنا ، ويعجبنى الرسام الفلسطينى ، ناجى

العلى » الذى كان خلال حصار بيروت يخرج كل يوم صورة جميلة معبرة عما يحدث ٠

● ● بعض الناس أثارتهم رسوماتك ماذا تذكر من هـــذه المواقف ؟ ٠

ـ آخرها كان مع المحامين حينما رافعوا على قضية فى « ١٥ » محكمة وحتى أدافع عن نفسى يلزمنى تأجير تاكسى أرياف أدور به على محاكم الوجه البحرى لأدافع عن نفسى ، والحقيقة أننى لم أكن أعرف لماذا هم غاضبون لأننى كنت فى أمريكا فى الوقت الذى نشرت فيه بعض الرسومات الخاصة بالمحامين لأن القانون الخاص بهم كان يناقش فى مجلس الشعب فى ذلك الوقت رغم أننى لم أكن أعرف ذلك لأننى كنت فى أمريكا ، فاقتنع بعضهم وتنـــازل عن دعواه وبعضهم تمسك بدعواه حتى حكم القضاء لى على أساس أن المحامين قضاياهم مرفوعة من غير ذى صـــفة ولو كانت مرفوعة من نقابة المحامين كانت تتفهم لكن ما حدث أن كل محام لا تعجبه رسوماتى يسارع الى رفع قضية « يجرجرنى » فيها للمحاكم ٠

● ● لماذا نفتقد مجلات كاريكاتورية فكاهية متخصصة مثل البعكوكة أيام زمان ؟

ـ لسنا فى حاجة الى مجلات كاريكاتورية لأن عندنا أشياء فى حياتنا مضحكة كثيرة جدا على نغمة « شر البلية ما يضحك » فيقال « وكم ذا بمصر من المضحكات ولكنه ضحك كالبكا » ٠

● ● ما هى أنواع الأغنية الوطنيـــة والى أى نوع تنتمى اغنياتك ؟

ـ أنواعها كثيرة ، منها الأغنية الســياسية ، والثــورية ، والتهييجية ، والتثقيفية ، وتنتمى أغنياتى الى الجزء التعليمى فقد

كنت إحاول شرح الاشتراكية والثورة لأقرب ذلك الى الأذهان وكان وجود عبد الحليم حافظ يساعد على ذلك لأنه لو غنى كلمة « بس » تلاقي كل الناس ترددها ، ورغم أنني كتبت أغاني في مستوى ما غناه عبد الحليم فلم تنتشر لأنه لا يوجد عبد الحليم فهو فرصة لكتاب الأغاني لا تعوض ٠

● ● كتبت « الصورة الغنائية » فما هو سر نجاح « الليلة الكبيرة » بالذات ؟ ٠

ـ الفكرة ممكن تأتى فجأة وأشتغل فيها ، ومن الممكن أنى اقعد أشتغل في اتجاه معين حتى أعثر على الفكرة ، و « الليلة الكبيرة » أنا عملتها وأنا « موش واخد بالى » ! ٠ فلم أكن أقصد أنها تطلع بهذه الروعة فهى « طلعت كويسة غصب عنى » ! ٠

● ● لقد قدمت الفوازير فهل ترى أنها ضرورية لشهر رمضان ؟ ٠

ـ أنا كتبت الفوازير لنيللى مرتين فى التليفزيون هى « عروستى » و « الخاطبة » ، والفوازير هى شيء نتسلى به لأنه هل يعنى « المسحراتى » له ضرورة ؟ ما كل الناس « صاحية » والتليفزيونات مفتوحة والراديوهات والنجف مولع والقهاوى مليانة ناس ، ولكن سواء الفوازير أو المسحراتى أو غيرهما فهما من مظاهر شهر رمضان ٠

● ● ما رأيك فى فوازير « فطوطة » ؟

ـ فى منتهى الحلاوة وفكرتها جاءت لفهمى عبد الحميد لأنه رجل طيب ومبروك وربنا بيحبه فعندما كان جالسا وجد ابنته ترتدى ملابس أمها فجاءت له فكرة فطوطة وهى فى منتهى النجاح

وهى من الشخصيات « الميتافيزيقية » التى من الممكن أن يقرر الانسان عن طريقها كل ما يريده بلا حرج ·

● ● ماذا تذكر من رباعياتك ؟ ·

ـ ما قلته فى رثاء الشاعر أمل دنقل :

باحكى عن الموتى وملك الموت

يحصد أمم ويدوى فى الملكوت

يقعوا كمثل ندف الثلج غير محسوسين

أو كالجبال يقعوا بأرعبها صوت

● ● متى يبدأ الفن فى الانحدار ؟ ·

عندما يبدأ تقليد الفن الجيد

● ● ما هى هواياتك الى جانب الاشتغال بالكتابة والرسم ؟

ـ هوايتى الوحيدة هى أن أنام !

● ● أيهما تفضل الاذاعة أم التليفزيون ؟

ـ الاذاعة لأنه يمكننى أن أكتب وأسمعها أما التليفزيون فان جلست أمامه فقل يارحمن يارحيم ·

● ● أحيانا تسخر من نفسك فى رسوماتك لماذا ؟ ·

ـ لأننى أريد مداعبة نفسى ·

● ● ما هو الحب فى حياتك ؟

ـ الحب يمثل لى متاعب ماصدقت تخلصت منها لأنه زمان اذا لم أكن أحب فتاة كل يوم يتهيأ لى أنه ينقصنى شىء وطبعا كان كله حب من طرف واحد ·

● ● هل أنت راض عن المرأة اليوم ؟

ـ كل الرضى خاصة الذكيات منهن وأكون فرحا جدا عندما أقابل احداهن وأقول لنفسى ، « ياليتنى كنت صغيرا لأحبهن » .

ـ هذه غلطتهن ! .

● ● لماذا لا توجد نساء رسامات كاريكاتير ؟

● أحمـد رجب :

وحديث فى ½ كلمة

● « شر البلية ما يضحك » ... قالوها زمان ويقولها الكاتب الساخر احمد رجب هذه الأيام ...

انه يتنبأ بعد خمسين عاما بمطالبة الرجال بالمساواة مع المرأة وباغراق السوق بعقاقير للحب والكراهية ، والكومبيوتر يقوم بتوزيع الخاطبة ، وكل من يرفع سماعة التليفون سيستمع الى جميع برامج اذاعة القاهرة ... وتنبؤات أخرى من النوع الضاحك الباكي الذي يقول شعبنا الذي اشتهر بخفة الدم والسخرية القاسية التي تلدغنا وتصفعنا وتشدنا من آذاننا ورغم ذلك نضحك منها ونضحك عليها .. وعلى انفسنا ايضا ! ..

والمهم ندع المقدمات لندخل في الموضوع مباشرة ...

وكانت بداية الموضوع هذا السؤال :

● لماذا يتميز الشعب المصري بالذات بأنه شعب ساخر والى أى مدى هذه الروح متأصلة فيه ؟

ــ الشعب المصرى منذ آلاف السنين شعب ساخر يحب النكتة وهذا ما تعبر عنه آثار الفراعنة ونقوشهم فنجد مثلا نقشا يمثل ثعلبا يقود قطيعا من الأوز كراع له .. واعتدت روح السخرية فى الشعب المصرى فيما تلاها من عصور ، ففى العصر الأيوبى نقرأ كتاب « الفاشوش فى حكم قراقوش » لابن مماتى صور فيه قراقوش وهو نائب صلاح الدين ووزيره بأنه رجل ظالم ومجنون رغم أن قراقوش كان عادلا ولكنه كان متشددا فى التأكيد على المذهب السنى ضد المذهب الشيعى الذى عمل على ازالته تمشيا بعد زوال دولة

الفاطميين ، مما جعل الشعب يكره هذا التشدد من قراقوش وسخر منه ، ثم تجد فى العصر المملوكى شخصية « خيال الظل » التى ابتكرها محمد بن دانيال وهو طبيب فقدم من خلال هذه الشخصية صورا ساخرة انتقد فيها أحوال الادارة في عهد بيبرس ، ثم نصل الى العصر العثمانى فنجد كتاب « هز القحوف فى شرح قصيدة ابو شادوف » ليوسف الشربينى انتقد فيه الأحوال السياسية وشدد الهجوم الساخر على القيادات الروحية فى الريف لأنها لم تساعد الفلاح للخروج من ظلام الجهل . ثم نعبر الزمن الى القرن العشرين فتظهر مجلة « الكشكول » الكاريكاتورية الساخرة الانتقادية ، وهكذا كانت النكتة دائمة والكلمة الساخرة سلاحين ماضيين من أسلحة الشعب المصرى لهما دورهما الفعال القوي في انتقاد واقع الحال طلبا لاصلاح هذا الحال .

● ولكن ظاهرة السخرية من وضع معين أليس ذلك عجزا عن الحركة من اجل التغيير ؟

ـ السخرية أو النكتة هما مرادفان للرغبة فى التغيير أو مرادفان للثورة ، وهما وجهان لعملة واحدة . فتجد عبد الله النديم ويعقوب صنوع وبيرم التونسى فيما كتبوه فى شكل النكتة والسخرية دعوة الى الثورة والرغبة فى التغيير .

وليس صحيحا ما يقال عن المصرى أنه يدور حول المشكلة واذا لم يجد لها حلا يقول عنها نكتة فيقنع نفسه بأن المشكلة قد تم حلها بل النكتة تمثل رغبة وتطلعات الشعب كما ينبغى أن تكون وكل حاكم في مصر يعرف أن النكتة هى جزء من شخصية الشعب المصرى وهى فى كثير من الأحيان ذات مغزى سياسى فهى رسالة مغلقة بغلاف ساخر يوجهها المصريون الى حكامهم علهم يفهمون ويغيرون الى الأفضل الذى يتمناه هذا الشعب ، فليست النكتة بالتالى

تعبيرا عن عجز بل هي دليل قدرة ، وليست وليدة استكانة بل هي وليدة قوى كامنة في نفس شعبنا تتوق للثورة .

●● هل تعني أن النكتة السياسية تظهر في عصور معينة ؟

- هي تظهر في عصور الديكتاتورية وتختفي في جو الحرية والديمقراطية وتجد ذلك واضحا الآن في عهد الرئيس حسني مبارك الكل يعبر عن رأيه بلا خوف والصحف تكتب والمعارضة تقول ما شاءت أن تقوله بلا رقابة ولا مصادرة ولذلك أتحدى أن يأتي لي أحد اليوم بنكتة سياسية لأن زمن الهمس قد انتهى .

●● ماذا يميز شعبنا أيضا غير الروح الساخرة ؟ .

- الانسان المصرى أول ما يميزه هو الايمان وقوة الاحتمال وأذكر تعبيرا لأستاذنا توفيق الحكيم في « عودة الروح » في حوار يقول فيه الرجل الفرنساوى للرجل الانجليزى : الانسان المصرى يعلم بقلبه لا بعقله ، والحكمة العليا في دمه ، وحضارة آلاف السنين موجودة في قلبه » ، وهذا الذى عبر عنه أستاذنا الحكيم أسميه « الفهلوة » التى يلجأ اليها المصرى عندما ينقصه العلم الحديث ، فتجد « ميكانيكى الأرياف » لديه القدرة على تجميع أجزاء سيارة من موديلات مختلفة ، وتجد شركة للولاعات تلقى بولاعاتها على أنها غير صالحة للاستعمال فيملؤها المصريون ويشغلونها ، هذه هي الفهلوة التى تسعف المصرى كفرد وتسعف هذا الشعب في انتفاضات تاريخية على مستوى الجماعة ، ولذلك تجد العامل المصرى من أعظم العمال في الدنيا وتجد المهاجر المصرى في الخارج تتفجر طاقاته بشكل لافت للنظر وبشكل فظيع لأنه يتجمع له العلم والميراث الحضارى مما يجعله انسانا متميزا ، فهذه الحضارة الخرافية لا يمكن أن تذهب أبدا هباء .

● ● هل يرجع كل ذلك الى ذكاء المصرى وقـــدرته على الاستيعاب ؟

ـ هناك أشياء لا تستطيع الا أن تسميها بأســـماء معينة والا فقدت مستواها لو سميتها بأسماء أخرى فلا تعبير يناسب قدرة المصرى على التصرف سوى الفهلوة والا فقل لى تفسيرا لهـذه الفلاحة التى أنقذت حياة أحد أقارب أصدقائى عندما أصـــطدم فى شجرة وسال دمه وسقط مغميا عليه ، فمن الذى علمها أن تفعل ذلك ؟ انه الميراث الحضارى الذى تحمله بين جنبيها كمصرية ، ثم تجد حكاية « الرفاعية » مع التعابين وقدرتهم على استئناسهـا ؟ هذا أيضا ميراث حضـــارى قديم منذ حكاية موسى مع المصريين السحرة ، وأشياء أخرى كثيرة تجد فيها المصرى يعلم بقلبه كما قال أستاذنا الحكيم ، لأن حضارة سبعة آلاف سنة يحملها فى قلبه كل مصرى ومصرية .

● ● هل يمكن للنكتة المصرية أن يستوعبها غير المصرى وهل العكس صحيح ؟ .

ـ من الصعب جدا أن تجد مثل النكتة المصرية فى العالم لأنها نكتة حريفة ولاذعة بعكس النكتة الأوربية أو الأمريكية لأن خيال الناس لا يمكن أن يصل الى الخيال المصرى والابداع المصرى ، وكمثال أسوقه لك .. صعد رجل « حشاش » الى القمر فقابله واحد من سكان القمر وسأله عن سبب مجيئه الى هنا فأجابه الرجل الأرضى بأن الأرض مزدحمة بسكانها وجئت لأشم الهواء عندكم ! ، فقال له الرجل القمرى ألا تعلم أن كوكبنا أصغر من كوكبكم وتعداد سكاننا مثلكم مرتين ومع ذلك لا نعانى ازدحاما ، فنظر له الرجل القادم من الأرض وقال له : على كده انتم بتبقوا مزنوقين والقمر هـلال » . يضيف أديبنا الساخر أحمد رجب فيقول : مثل هذه النكتة لا يقولها

الا مصرى ولا يستوعبها غير المصرى ، لأن النكتة المصرية جرعتهـا قوية بالنسبة لأى أجنبى حتى ليقال مثـلا عن الانجليزى أنك اذا قلت له نكتة يبتسم ، ثم يضحك لها فى اليوم التالى .

● ● ظاهرة التعبيرات المصرية التى لا تعبر عن حقيقتها مثل « المسالة فركة كعب » و « أكلمك دقيقة واحـــدة » ، « ثوانى وجايلك » و « عايزك فى كلمتين » و « نص كلمة .. » .. فما تحليلك لهذه الظاهرة هل هى من قبيل المبالغة لتهوين الأمور ؟

ـ ظاهرة التعبيرات التى لا تعبر عن حقيقتها ليست مقصورة على المصريين ولكننا نسرف اسرافا فى استعمالها أكثر من غيرنا ، وذلك يرجع الى أننا لا نحترم الوقت ، رغم أن مصر هى أكبر سوق فى الشرق الأوسط لبيع الساعات ورغم أننا كمصريين قدماء كنا أول من اخترع الساعة .

● ● هناك بعض الألفاظ الدخيلة على لغتنا العربية مثـل « طناش » و « شيلنى وأشيلك » و « أحلق له » .. من أى فئـة نبعت هذه اللغة الجديدة وما دلالاتها ؟

ـ كل فترة وكل عصر له ألفاظه وتعبيراته التى تستجد وتتقادم لتأتى تعبيرات وألفاظ أخرى لتلائم طبيعة العصر الجديد ، فمن غير الممكن مثلا أن نقول فى عصر المماليك « راح فى الكازوزة » أو « راح فى أبو نكلة » لأنه لم تكن فى أيامهم « نكلة » ولا « كازوزة » وحتى تعبير « أبو نكلة » انقرض لأن العملة تغيرت ، فاللغة تغير جلدهـا باستمرار خاصة اللغة العامية التى يتسع قاموسها غير المكتوب لكل جديد وهذا موجود فى اللغات الأخرى .. تعبيرات متقادمة وتعبيرات مستحدثة تتلون بلون العصر وتلبس ملابسه .

● ● عالم اليوم المطحون حروبا وانانية أليس هنـــاك من حل ؟ ٠

ـ أنا من رأيي أن يستريح الرجال ويعطوا الفرصـــة للمرأة لتحكم العالم ٠

● ● ولكن ليست هذه التجربة بالأمر الجـــديد ففي دول مختلفة من العـــــالم تربعت المرأة على عرش الحـــكم فماذا كانت النتيجة ؟ ٠

ـ كنا نقول لو أننا جربنا المرأة فى الحكم ربما كانت اليـــوم أقل عنفا ولكن للأسف فانها ما أن تمسك بالسلطة لا تكون أقل جنونا ولا أقل عنفا من الرجل وان بدت فى الظاهر جميلة ناعمة ٠

● ● المرأة المصرية هل حصلت على كل حقوقها كما كانت تتمنى أم كيف ترى قضية المرأة اليوم ؟

ـ أعتقد أنه بعد خمسين سنة سيطالب الرجال بالمســـاواة مع المرأة ، وعموما فالمرأة فى بلدنا قد حصلت على حقوقها ولكن رغم ذلك فهى لا تستفيد بهذه الحقوق ٠ ومن أهم هذه الحقوق أنها أصبحت ممثلة للشعب فى مجلس الشعب ولكننا للأسف لا نسمع صوتها ٠ والقضايا التى تهم المرأة يناقشها ولا يتحدث فيها غير الرجال ٠

● ● تعليقك على الدعوة بعودة المرأة الى بيتها حصنها الحصين وسلطنتها التى تتربع فوق عرشها ؟ ٠

نحن مقدرون للمرأة فضلها فى خروجها للعمل لتشارك زوجها أعباء الحياة الاقتصادية ولكن بحساب المكسب فى خروج المرأة للعمل وبحساب الخسارة سنجد أن الخسارة أكثر من المكسب ، فانظر الى وجود المرأة فى العمل ليست اضافة بل هى عبء وعمالة زائدة وبطالة

مقنعة وتتقاضى مرتبا أسميه معاشا لا تستحقه لأنها تشغل وقت العمل بشغل التريكو وتقميع البامية ، دعنا من هذا فحالهن يتساوى مع الموظفين الذين يشربون القهوة ويحلون الكلمـــات المتقاطعة ، وانظر الى مرتب المرأة أو معاشها اذا أرادت شغالة فهل يكفل الشغالة مرتبها ومرتب زوجها ؟ ، وان تغاضينا عن ذلك لأنه لا توجد شغالات الا بالعملة الصعبة ، فمن يمكنه تربية الأولاد ؟ ، لقد انعدمت التربية وانفصلت عن التعليم لأسباب لم يعلن عنها بعد فعلى من يقع عبء التربية والأب فى العمل والأم أيضا ، ونحن عندما نقـــول ذلك يقولون « رجعيون يريدون العودة الى عصر الحريم » وهذا غير صحيح لأننا عصريون ، والعصرية تعنى أساسا أن تكون على مستوى العصر وما يطلبه منا وأن تنشأ لدينا أجيال على أكبر قدر ممكن من التربية وتحمل المسئولية وهذه مهمة لن ينجح فيها أحد سوى المرأة ، وقد نبهنا حافظ ابراهيم الى ذلك عندما قال :

الأم مدرسة اذا أعددتهـــا ..

أعددت شعبا طيب الأعراق ..

فهل يختلف معى الجنس الآخر فى هذا الرأى ؟ لا أظن بل لا أعتقد .

● ● هل تغير مفهوم الحب اليوم عنه بالأمس وكيف تراه فى المستقبل ؟

ـ الحب هو الحب لم يتغير من العصر الحجرى الى عصر الفضاء لكن الذى تغير هو وسائل التعبير عن الحب . ولو كان فى عصر « روميو » تليفون لم يكن قد أتعب نفسه فى محاولة ايجاد الوسيلة ليعبر عن حبه لـ « جولييت » ، ولو كان « قيس » قد وجد محطة الاذاعة لم يكن قد راح يلقى بأشعاره فى الصحراء لتنقلها الرياح الى

« ليلى » لانني أعتقد أن « قيسا » كان يحب فنه وأشعاره أكثر من حبه « لليلى » واذا كان هناك زمان « الخاطبة » فالآن يوجد الكمبيوتر يقوم بهذا الدور فتعطى له مواصفات « العروس » التى تريدها ويدلك عليها ، وفى المستقبل بعد اكتشاف قارة المخ البشرى من الممكن جعل من تحبها تكرهها ومن تكرهها تحبها أو من تكرهك تحبك ، يعنى لما تقول ان جسم الانسان كيمياء وكهرباء متصلة بأعصابك وأجهزة ارسال فى المخ ومواضع الحب والكراهية والنسيان وكل ذلك ، لما نفهم هذه الأبعاد الكيميائية والكهربائية والمعادلات التى تحكمها ممكن أن نعطى عقارا معينا لفتاة تكره انسانا وتستثقل دمه ولا تريد الزواج منه وباعطائها هذا العقار المعين تحبه وتتزوجه ، أو بدل ما الشاب يتعذب بهجر محبوبته يذهب للدكتور يعطى له حقنة كيميائية تبرمج المخ تجعله ينسى هجر محبوبته ، هذا فى المستقبل مما يجعل الحياة بفضل العلم أسهل والأمراض أقل أما الحب فمفهومه هو . هو منذ آدم وحتى آخر أبنائه .

● ● أنت دائما تنتقد المسلسلات خاصة فى بطء رتمها أليس هذا البطء انعكاسا طبيعيا لبطء سير الحركة فى جميع مظاهر حياتنا ؟ .

ـ بطء رتم الحركة هو ناتج من المجتمع الزراعى ، فالفلاح يرعى النبات ويتابع نموه ببطء ، بعكس المجتمع الصناعى الذى يتعامل مع الآلة بالساعات والثوانى ، وبطء الحركة ليس هو صفة المجتمع الزراعى فقط ولكنه صفة المجتمعات القديمة عموما حيث وسائل المواصلات بطيئة ووقع الحياة بطيء لذلك تجد البيوت القديمة والآثار القديمة منقوشة ومنحوتة ومزخرفة بطريقة مبدعة ، ونجد « حوش » البيت كبيرا بحجم ملعب كرة القدم فكان الناس قليلين والحياة بطيئة .. لذلك أعتقد أن الأغنية التى يقول فيها عبد الوهاب :

« مريت على بيت الحبايب ووقفت لحظة هنية » هى اغنية لا تصلح الا لهــذا الزمن الذى أحدثك عنه فمن فى وســط هذا الزحام يستطيع أن يمر على بيت الحبيبة لحظة هنيــة ؟ انه ســيقف ساعات وأياما حتى تسمح له اشارات المرور بالعبور وعنــدما يصــل ستكون هيئته غير تلك الهيئة وهندامه الذى يريد مقابلة حبيبته به قد تغير ، فنحن مازلنا نعيش فى الزمن البطىء نقــول « هى الدنيا هتجرى » و « فى التأنى الســلامة » و « امش سنة ولا تعدى قنا » و « على مهلك » الى آخره ٠

● ● أليست المسلسلات تعبيرا عن هذا الواقع البطىء فلماذا تنتقدها ؟

ــ أنا أنتقدها لأننى اكتشفت أن التليفزيون يشترى المسلسلات بالمتر ولو كان ثمن الثلاث عشرة حلقة مثل ثمن العشرين حلقــة فسيكون هذا لصالح المشاهدين ولكن مادامت الحلقات كلما طالت لهــا ثمن فذلك يجعل مؤلفى المسلســلات يزيدون فيها فيلجئــون للتطويل ، فتجد واحد يقول لواحد صباح الخير فيقوم الثانى متباطئا ويعطى له ظهره ويسير بطول الحجرة وعرضها حتى يرد عليه الصباح فيكون المساء قد أتى وهذا كله تضييع للوقت ! ٠

● ● لماذا لا تنتقد التدخين الا من حيث عدم جودة السيجارة فهل ذلك لأنك مدخن وتؤمن بقول القائل : اذا أردت أن تطاع فامر بما يستطاع ؟ ٠

ــ أنا داخل سنة خامسة بدون تدخين وحتى لو كنت لا أزال أدخن فلست من أنصار التدخل فى حرية الغير ، لأننى أعتبر مثل هذه الأشياء حرية شخصية ليس من حقى أن أتدخل فيها لأن المدخن يدخن وهو يعرف أن السيجارة مضرة ، لكننى عنــدما أتكلم عن

السيجارة أتكلم عنهما حينما أجد أن علبة السجائر ثمنهـا الشيء الفلاني ثم أجد فيها أربع سجائر مضروبين هذا لا يجعلني أسكت فلا يكفي أن شركة السجائر تشاركني في ثمن كل نفس من أنفاسي بل تعطيني العلبة ناقصة . هـذا من جانب ومن جانب آخر أننا نصدر السجائر ولها سوق خطيرة . وعندما تأتيني خطـابات من الخارج تتحدث عن عدم جودة السجائر المصرية فهـذا يجعلني لا أسكت لأن هذه صناعة مصرية يجب أن تليق بسمعة مصر .

● ● ما هي حكاية النصف كلمة المرتبطة باسـمك ؟ وهل تجد صعوبة في كتابتها أم أن العادة قد أنهت هذه الصعوبة ؟ .

ـ لا عمل بدون معاناة والا فهو ليس بعمـل . أما حكاية النصف كلمة فقد بدأت فكرتها على يد المرحوم على أمين الذى قال لى أن الكاتب الذى يكتب عمودا في الصحافة سيجد في المستقبل منافسة شديدة من الأدوات المتاحة كالاذاعة والتليفزيون وما يجد كالفيديو وغيره من مخترعات العلم ، وقال لى على أمين أكتب في موضوع كذا بتركيز شديد وتصور نفسك ستدفع خمسة قروش عن كل كلمة ، فكتبت وراح يحصى عدد الكلمات فنظر الى وقال : هل أنت مجنون تدفع « ١٧٥ » جنيها ؟ ركز ما تريد أن تقوله في أقل عدد من السطور التى لا يملها القارىء ، ومن هنا جاءت النصف كلمة .

● ● هل قصدت الى أن تكون صحفيا ذا أسلوب خفيف الظل أم أن هذه طبيعة في احمد رجب ؟ .

ـ أنا لا أعرف ان كان أسلوبه خفيف الظل أم لا واذا افترضنا ان هذا صحيح فلا أعتقد أنه يمكن أن أكون قد قصدت الى أن أكون كذلك لأن تصنع خفة الدم تجعل صاحبها ثقيـل الدم ، أى أن النتيجة تأتى عكسية .

●● هل تنتمي الى مدرسة معينة في كتاباتك ؟ .

ـ أنا مصرى متعصب لمصريتى أعبر قدر ما أستطيع عن هموم الانسان المصرى .

●● من أنت فى نصف كلمة ؟

ـ أنا لا أعرف من أنا وهذه مشكلة احتار فيها الفلاسفة حتى سقراط نفسه لم يعرف نفسه فتركه شعارا « اعرف نفســك » وكيف أعرف نفسى ؟ لا أعرف وان كنت أعرف أننى أحمد رجب ومن يعرف عنى شيئا غير ذلك يدلنى وله جائزة كبرى .

●● المصادمات مع النصف كلمة كيف تتفاداها ؟

ـ لقد رفعت على أكثر من دعـوى ، من ذلك أن شركة كانت تتاجر فى الورق فى السوق السوداء ، فكتبت أقول أن جميع أوراق البنكنوت فى « محفظة » كل المسئولين بالشركة مصنوعة من الورق ، فهاجوا وراحوا رافعين دعوى ضدى فلم يأخذوا حقا ولا باطلا معى لأننى لم أخطىء لأن أوراق البنكنوت فى جيوبهم مصنوعة من الأوراق فعلا ، فأنا دارس جرائم نشر التى أخذناها فى كلية الحقوق ولا أترك ثغرة فيما أكتب تمكن أحدا من أن يكسب قضية ولو فكر فى دعوى يرفعها ففى النهاية ستحفظ .

●● من بقى من الظرفاء ؟

ـ من العيب أن نقول أن عصرا فى مجال نبوغ معين قد انتهى فمصر دائما ولودة معطاءة وهناك كثيرون من الموهوبين فى مجالات متعددة ولكنهم لم يأخذوا فرصتهم ، والفرصة هى لقاء النبوغ بالمجد والشهرة وأنا متأكد أن فيه عبد الوهاب جـديد وأم كلثوم جديدة لكنهم لم يأخذوا فرصتهم .

فهرس

تنويه : تكملة نهاية ص ١٥٦ مشاهدة الجيد منها .

ـ تكرار سؤالين فى صفحتى ٣٦٣ ، ٣٦٥ .

● **صدر من هذه السلسلة :**

---

١ ـ مصطفى كامل فى محكمة التاريخ
د. عبد العظيم رمضان

٢ ـ على ماهر
اعداد : رشوان محمود جاب الله

٣ ـ ثورة يوليو والطبقة العاملة
اعداد : عبد السلام عبد الحليم عامر

٤ ـ التيارات الفكرية فى مصر المعاصرة
د. محمد نعمان جلال

٥ ـ غارات أوربا على الشواطىء المصرية فى العصور الوسطى
عليه عبد السميع

٦ ـ هؤلاء الرجال من مصر ج ١
لمعى المطيعى

٧ ـ صلاح الدين الأيوبى
د. عبد المنعم ماجد

٨ ـ رؤية الجبرتى لأزمة الحياة الفكرية
د. على بركات

٩ ـ صفحات مطوية من تاريخ الزعيم مصطفى كامل
د. محمد انيس

١٠ ـ توفيق دياب ملحمة الصحافة الحزبية
محمود فوزى

١١ ـ مائة شخصية مصرية وشخصية
شكرى القاضى

١٢ ـ هدى شعراوى وعصر التنوير
د٠ نبيل راغب

١٣ ـ أكذوبة الاستعمار المصرى للسودان
د٠ عبد العظيم رمضان

١٤ ـ مصر فى عصر الولاة
د٠ سيدة اسماعيل كاشف

١٥ ـ المستشرقون والتاريخ الاسلامى
د٠ على حسن الخربوطلى

١٦ ـفصول من تاريخ حركة الاصلاح الاجتماعى فى مصر
د٠ حلمى أحمد شلبى

١٧ ـ القضاء الشرعى فى مصر فى العصر العثمانى
د٠ محمد نصر فرحات

١٨ ـ الجوارى فى مجتمع القاهرة المملوكية
د٠ على السيد محمود

١٩ ـ مصر القديمة وقصة توحيد القطرين
د٠ احمد محمود صابون

٢٠ ـ المراسلات السرية بين سعد زغلول وعبد الرحمن فهمى
د٠ محمد انيس

٢١ ـ التصوف فى مصر ابان العصر العثمانى ج ١
توفيق الطويل

٢٢ ـ نظرات فى تاريخ مصر
جمال بدوى

٢٣ ـ التصوف فى مصر ابان العصر العثمانى جـ٢
توفيق الطويل

٢٤ ـ الصحافة الوفدية
د. نجوى كامل

٢٥ ـ المجتمع الاسلامى
ترجمة : د. عبد الرحيم مصطفى

٢٦ ـ تاريخ الفكر التربوى فى مصر الحديثة
د. سعيد اسماعيل على

٢٧ ـ فتح العرب لمصر جـ ١
ترجمة : محمد فريد أبو حديد

٢٨ ـ فتح العرب لمصر جـ ٢
ترجمة : محمد فريد أبو حديد

٢٩ ـ مصر فى عصر الاخشيديين
د. سيدة اسماعيل كاشف

٣٠ ـ الموظفون فى مصر
د. حلمى احمد شلبى

٣١ ـ خمسون شخصية وشخصية
شكرى القاضى

٣٢ ـ هؤلاء الرجال من مصر جـ٢
لمعى المطيعى

٣٣ ـ مصر وقضايا الجنوب الافريقى
د. خالد الكومى

٣٤ ـ تاريخ العلاقات المصرية المغربية
د. يونان لبيب رزق

٣٥ ـ أعلام الموسيقى المصرية عبر ١٥٠ سنة
عبد الحميد توفيق زكى

٣٦ ـ المجتمع الاسلامى والغرب ج ٢.
ترجمة : د. أحمد عبد الرحيم مصطفى

٣٧ ـ الشيخ على يوسف
تاليف : د. سليمان صالح

٣٨ ـ فصول من تاريخ مصر الاقتصادى والاجتماعى فى العصر العثمانى
د. عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم

٣٩ ـ قصة احتلال محمد على لليونان
د . جميل عبيد

٤٠ ـ الأسلحة الفاسدة
د. عبد المنعم الدسوقى الجميعى

٤١ ـ محمد فريد الموقف والمأساة
رفعت السعيد

٤٢ ـ تكوين مصر عبر العصور
محمد شفيق غبريال

٤٣ ـ رحلة فى عقول مصرية
ابراهيم عبد العزيز

رقم الايداع بدار الكتب ١٥٩٢/١٩٩١

ISBN 977 - 01 - 2664 - 0

هذا الكتاب يشتمل على عدد كبير من اللقاءات الصحفية التي قام بها الصحفي النابه إبراهيم عبد العزيز مع مفكرين وكتاب وعلماء أمثال توفيق الحكيم، والشيخ الشعراوي، ونجيب محفوظ، ويحيى حقي، وحسين فوزي، وخالد محمد خالد وإبراهيم مدكور والشيخ الغزالي وغيرهم.

استنطقهم فيها، واستولد منهم أفكارا كان من الصعب التعبير عنها، لأنها كامنة في فكرهم ووجدانهم، تنتظر من يتقدم ليخرجها إلى النور